بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) :محمد كبير أحمد شودري   كلية : الدعوة وأصول الدين   قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراة   في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : «فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر ا لهجري وآثارها في العقيدة » دراسة ونقد »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين   وبعد :

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه- والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٠/٢/٤هـ - بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ....

والله الموفق ، ،،،

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د. إبراهيم محمد إبراهيم	الأسم : د.أحمد عبد الرحيم السايح	الأسم : د.غالب علي عواجي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس القسم

الاسم : د..عبد الله محمد القرني

التوقيع :

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - قسم العقيدة





٠٠٠٨٧٥

فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة "دراسة ونقداً"

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة

إعداد
الطالب/ محمد كبير أحمد شودري

إشراف
أ. د. إبراهيم محمد إبراهيم أحمد
أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى

المجلد الأول

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

العنوان: فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة "دراسة ونقد".

وقد تضمنت الرسالة مقدمة، وتمهيداً، وثمانية فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، والأسباب الداعية لاختياره، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث.

وأما التمهيد: فقد خصصته لدراسة أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، وأسباب نشأة الفرق فيها.

وأما الفصول الثمانية: فتحدثت في الفصل الأول عن "الفرقة النقطوية" وتضمن أربعة مباحث. وتكلمت في الفصل الثاني عن "الفرقة الذكرية" واشتمل على أربعة مباحث. ودرست في الفصل الثالث "الفرقة المهدوية" واحتوى على أربعة مباحث. وتحدثت في الفصل الرابع عن "الفرقة الروشنية" وتكون من أربعة مباحث. وذكرت في الفصل الخامس "فرقة ستيه پير" (الشيخية الصادقة) وتضمن أربعة مباحث. وبينت في الفصل السادس "الأكبرية" واشتمل على أربعة مباحث. وتحدثت في الفصل السابع عن فرق "الشيعة" واحتوى على أربعة مباحث. وتكلمت في الفصل الثامن عن جهود العلماء والحكام في القرن العاشر الهجري لمقاومة هذه الفرق، وفيه مبحثان.

وأما الخاتمة: فدونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث والتوصيات.

وقد ابتليت البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري بفتنة كبرى والتي عرفت "بالعقيدة الألفية" وتعني هذه العقيدة انتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من ظهوره، وعلى أساس هذه العقيدة نشأت معظم الفرق في القرن العاشر الهجري، وأثرت في زعماء الحركات الضالة من ناحيتين: الأولى: اعتقاد انتهاء صلاحية الدين الإسلامي بعد ألف سنة من ظهوره، وحاجة البشر إلى دين جديد، وشريعة جديدة. والثانية: اعتقاد ظهور المهدي الموعود في القرن العاشر الهجري ليجدد الدين الإسلامي.

وقد عالج هذا البحث تسع فرق منتسبة للإسلام في بلاد شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري من حيث نشأتها، وتاريخها، وعقائدها وأشهر دعاتها، وآثارها، ثم تقويم عقائدها على ضوء الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لهما.

توصية: إن على المؤسسات الإسلامية العالمية، والجامعات الإسلامية التي تعنى بالدفاع عن العقيدة الإسلامية دوراً كبيراً في تجلية العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع والأفكار التي توارثها الناس عن هذه الفرق الضالة في هذه البلاد الشاسعة.

هذا، وبالله التوفيق.

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف	الطالب
أ. د. محمد طاهر نوزولي	أ. د. إبراهيم محمد إبراهيم	محمد كبير أحمد شودري
١٥/٢	١٤/٢/٢٥	

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]

﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -ﷺ- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن الله -سبحانه وتعالى- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله. وقد قام النبي -ﷺ- بأعباء الدعوة الإسلامية خير قيام، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة حتى لحق بالرفيق الأعلى. وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ثم قام الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون من بعدهم بتبليغ هذا الدين، فلم تمض إلا فترة يسيرة حتى رفرفت راية الإسلام على أرجاء واسعة من العالم القديم،

---

(١) الآية: ١٠٢، سورة آل عمران.

(٢) الآية: ١، سورة النساء.

(٣) الآيتان: ٧٠، ٧١، سورة الأحزاب.

ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى شبه القارة الهندية، ولم ينته القرن الأول الهجري إلا وقد وصل الإسلام إلى "الهند" وأظل بعض أقاليمها إلا أن هؤلاء المجاهدين والدعاة لم يتغلغلوا في داخل شبه القارة الهندية، وإنما تركز وجودهم ودعوتهم في مقاطعة "السند" وما جاورها من الأقطار. ولم تشمل الدعوة الإسلامية الأقطار الداخلية في شبه القارة الهندية إلا على يد "السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي" (ت: ٤٢١هـ)، والذين أتوا من بعده.

فالذين دخلوا "الهند" من الملوك والفاتحين من جهة الشمال -من الترك والأفغان والمغول- ما كانوا يعرفون مزايا الإسلام إلا قليلاً، وما أشربت قلوبهم العقيدة الإسلامية الصحيحة مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-. ومعظم هؤلاء الفاتحين -من الترك والأفغان والمغول- ما دانوا بالإسلام إلا في القرن الثالث والرابع للهجرة، فما كان يهمهم من الغزو والقتال إلا توطيد دعائم ممالكهم، رغم أن الحكم في هذه البلاد استمر في أيدي هؤلاء الملوك زهاء ثمانية قرون ونصف القرن، لم يفيدوا الدعوة الإسلامية في هذه القرون المتطاولة بشيء يذكر.

والذين أسلموا من سكان البلاد، ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم، أو بجهود الدعاة والوعاظ، لم يحظوا بعناية الحكومات المسلمة من حيث التثقيف والتنوير والاهتمام بمبادئ الدين الحنيف، ولهذا فما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية القديمة، متخبطين في ظلام الشرك والوثنية.

أضف إلى ذلك أن البلاد الساحلية من أعمال "كجرات" و"السند" أصبحت أرضاً خصبة يرتع في أرجائها أرباب العقائد الباطلة، والأوهام الكاذبة، إذ قصدها المبتدعون من دار الإسلام، والمارقون من الدين منذ وقت مبكر. ولم تظهر شخصيات دينية قوية، تملك التأثير القوي في المجتمع المسلم، وتحد من نفوذ العقائد المنحولة على الدين المبين[1]، مما أدى إلى الانحراف العقدي والاضطراب الفكري عند مسلمي هذه البلاد.

---

(١) لم يظهر في تاريخ "الهند" الإسلامي شخصية دينية قوية قبل القرن العاشر الهجري، إذ قيض الله -تعالى- في هذا القرن الإمام السرهندي "الشيخ أحمد بن عبد الأحد" المعروف بـ/مجدد الألف الثاني (ت: ١٠٣٤هـ)، ثم جاء بعده في القرن الثاني عشر الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، وسار على طريقه في القرن الثالث عشر الإمامان =

وما إن أطَلَّ القرن العاشر الهجري إلا وقد بلغ السيل الزبى، وتعدى، ووصل الانحراف العقدي إلى أوجه حتى أصبح المجتمع الإسلامي مقيداً بالسلاسل والطرق الصوفية، وانتشرت الفرق المنحرفة، وانتعشت، وتكاد معالم الإسلام الصحيح تنمحي تحت هيمنة أصحاب العقائد الباطلة، وغفلة العلماء، وانكبابهم على علوم المنطق والفلسفة وتفريعات المتأخرين الفقهية. وكانت لهذه الحالة المؤسفة آثار مدمرة في حياة المسلمين هناك، ومازالوا يعانون من تبعاتها إلى أيامنا هذه.

ولكن لماذا قلت: إن الانحراف العقدي قد بلغ ذروته في خلال القرن العاشر الهجري دون غيره من القرون السابقة؟.

لعل ذلك يرجع إلى تلك الفتنة الكبرى التي عرفها القرن العاشر الهجري في هذه البلاد، وأعني بها "العقيدة الألفية" التي روج لها دعاة الباطل، وطلاب السلطة المتسلحون بالفكر الإغريقي، ومنطق "اليونان" وفلسفتها.

و"العقيدة الألفية" التي روّج لها هؤلاء كانت تعني انقضاء مرحلة، وبداية مرحلة، فهم يعتقدون أن مضي الألف الأول من تاريخ الإسلام يعني انقضاء نظام الإسلام، واستقبال مرحلة أخرى، فكانت نهاية القرن العاشر في هذه البلاد فترة زلزلة في العقيدة، واضطراب في الفكر.

وإذا كان الحديث الوارد قد أشار إلى ظهور مجدد للإسلام على رأس كل قرن[1]، فإن هؤلاء الماكرين أثاروا أن ظهور مجدد أكبر على رأس كل ألف أمر لابد أن تستسيغه العقول، وينطلي على الأغرار الذين يعيشون في ظل جهل مطبق بمبادئ الإسلام الصحيح، ولهذا فقد اهتبلوا الفرصة وراحوا يروجون لهذه الفكرة باعتبارها عقيدة صحيحة يجب أن ينقاد لها الجميع.

وقد أثيرت هذه الفكرة ولأول مرة في منطقة "إيران"-التي كانت أكثر مناطق

= الشهيدان "أحمد بن عرفان" (ت: ١٢٤٦هـ)، وصاحبه "الشاه إسماعيل الدهلوي" (ت: ١٢٤٦هـ).

(١) كما روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها». (٤/ ٤٨٠ برقم: ٤٢٩١).
وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٥٠ برقم: ٥٩٩).

العالم الإسلامي قلقًا واضطرابًا، وهي المكان الطبعي لنشأة مثل هذه الفكرة- ثم تسربت إلى البلاد الهندية عن طريق دعاتها، ورجالها، فبدأ كثير من الطامحين والمغامرين الحالمين استغلال هذه الفكرة لما لاحظوا أن الألف الأول من التقويم الهجري على وشك الانتهاء، وكان ذلك للمرة الأولى بعد ظهور الإسلام، وكان الألف الثاني يستعد ليبدأ دوره في التاريخ، فبدأ كثير من هؤلاء الطامحين الحالمين يحاولون أن يرشحوا أنفسهم لهذا المنصب الجليل.

هذا، ويلاحظ الباحث أن هذه الفكرة -العقيدة الألفية- أثرت في زعماء الحركات الضالة من ناحيتين:

الأولى : اعتقاد انتهاء صلاحية الدين الإسلامي بعد ألف سنة من ظهوره، وحاجة البشر إلى دين جديد وشريعة جديدة.

الثانية: اعتقاد ظهور المهدي الموعود في القرن العاشر الهجري ليجدد الدين الإسلامي القديم.

هذا، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية:

أسباب اختيار الموضوع

أولا : التعرف على أحوال المسلمين الدينية في هذه البلاد المترامية الأطراف، والمختلفة الأشكال، والأجناس والأديان.

ثانياً: الكشف عن أسباب الانحراف العقدي لدى المسلمين هناك، ومظاهر هذه الانحرافات.

ثالثاً: بيان فداحة الآثار المترتبة على هذه الانحرافات.

رابعاً: بيان الأساليب الماكرة التي انتهجتها الفرق المنحرفة حتى يكون المسلم على بصيرة منها.

خامساً: إيضاح ما تنطوي عليه تعاليم الفرق المنحرفة من انحراف بالإضافة والحذف في الدين الإسلامي، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

سادساً: رصد الحركات الضالة ودور أبطالها في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتبصير

المسلمين بحقيقتها والتحذير منها.

سابعاً: الإشادة بجهود العلماء الذين ذادوا عن مذهب أهل السنة والجماعة، وأعادوا للمذهب مكانته وهيبته في قلوب المسلمين.

ثامناً: لم أجد أحداً قد تناول هذا الموضوع بالدراسة وذلك في حدود علمي، وما أتيح لي من الاطلاع على الرسائل والبحوث العلمية.

تاسعاً: أضف إلى ذلك أني من سكان هذه البلاد، ودراسة هذا الموضوع، والوقوف على دقائقه يعينني -إن شاء الله تعالى- على القيام بواجبي في تحمل عبأ الدعوة الصحيحة، والدفاع عن العقيدة القويمة، عقيدة أهل السنة والجماعة.

منهجي في البحث

وقد التزمت -قدر الطاقة- في إعداد البحث بما يلي:

١- قمت بعزو جميع الآيات الكريمة التي وردت في البحث، وذلك بذكر أرقامها وأسماء سورها. كما قمت بتخريج جميع الأحاديث من مصادرها إلا ما لم أجد.

٢- عند الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية التزمت بترجمة المفهوم بدقة وأمانة علمية -قدر الوسع- دون الترجمة الحرفية، إذ أنها لا تفي بالمقصود، ووضعت تلك الترجمة بين القوسين، واعتبرتها نصا من نصوص المؤلف. وإن كانت الترجمة بتصرف لتوضيح المفهوم، أو أردت الإشارة إلى أن المعلومة المذكورة ورد في المصدر أو المرجع الفلاني عزوت كل ذلك بلفظ "انظر".

٣- ترجمت عنوان المصدر والمرجع غيرالعربي عند وروده لأول مرة، وإذا تكرر العزو نسبته إلى اسمه الأعجمي، كما أعدت الترجمة العربية أمام عنوان كل مصدر ومرجع في قائمة المصادر والمراجع.

٤- الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر يشير الأول منها إلى رقم المجلد والثاني إلى الصفحة هكذا (٢١/٤) المجلد الرابع والصفحة الحادية والعشرون.

٥- ترجمت لجميع الأعلام الواردة في البحث ماعدا المشاهير أو من لم أستطع الوصول إلى ترجمة له.

٦- إذا رجعت إلى طبعتين لمصدر واحد بينت ذلك في قائمة المصادر.

٧- عرفت بالبلدان والمواضع التي وردت أسماؤها في البحث وهكذا الفرق التي ورد ذكرها.

٨- عملت في نهاية البحث فهارس عامة تسهل على القارئ ما يطلبه. واشتملت على فهرس للآيات القرآنية حسب السور المرتبة في المصحف، وفهرس للأحاديث الشريفة، والثالث للأعلام، والرابع للفرق، والخامس للبلدان والمواضع، والسادس لأسماء المصادر والمراجع، وأما السابع والأخير فهو عن محتويات الرسالة.

خطة البحث

وقد تضمنت الرسالة مقدمة، وتمهيداً، وثمانية فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، والأسباب الداعية لاختياره، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث ومعالجة موضوعاته.

وأما التمهيد: فقد خصصته لدراسة أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، وأسباب نشأة الفرق فيها.

ويحتوي على الآتي:

أولاً: أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، ويشتمل على الجوانب الآتية:-

١- الجانب الديني.

٢- الجانب السياسي.

٣- الجانب الاقتصادي.

٤- الجانب الاجتماعي.

٥- الجانب العلمي.

ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية.

١- الأسباب الداخلية.

٢- الأسباب الخارجية.

وأما الفصل الأول : فتحدثت فيه عن "الفرقة النقطوية" وتضمن أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: النقطوية في الميزان.

وأما الفصل الثاني: فتكلمت فيه عن "الفرقة الذكرية" واشتمل على أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الذكرية في الميزان.

وأما الفصل الثالث: فدرست فيه "الفرقة المهدوية" واحتوى على أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: المهدوية في الميزان.

وأما الفصل الرابع : فتحدثت فيه عن "الفرقة الروشنية أو الروشنائية" وتكون من أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الروشنية في الميزان.

وأما الفصل الخامس: فذكرت فيه فرقة سَتْيَه پير" (الشيخية الصادقة)، وتضمن أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: ستيه پير في الميزان.

وأما الفصل السادس: فبينت فيه "الأكبرية" واشتمل على أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الأكبرية في الميزان.

وأما الفصل السابع: فتحدثت فيه عن فرق "الشيعة" واحتوى على أربعة مباحث:-

المبحث الأول : نشأة التشيع وأسبابها.

المبحث الثاني: دخول الشيعة إلى شبه القارة الهندية.

المبحث الثالث: فرق الشيعة في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري.

المبحث الرابع: هذه الفرق في الميزان.

وأما الفصل الثامن: فتكلمت فيه عن جهود العلماء والحكام في القرن العاشر الهجري لمقاومة هذه الفرق. وفيه مبحثان:

المبحث الأول : جهود العلماء.

المبحث الثاني: جهود الحكام.

وأما الخاتمة: فدونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

شكر وتقدير

أشكر ربي-عزوجل-الذي أنعم عليّ بنعمة العلم وخاصة العلم الشرعي، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة الذي أنتمي إليه؛ لإتاحة الفرصة لي لمواصلة الدراسة فيها. فجزى الله المسئولين فيها والقائمين عليها خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم أحمد -حفظه الله ورعاه- أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى وأستاذ ورئيس قسم العقيدة بجامعة الأزهر بأسيوط، الذي أفادني من خبراته العلمية، كما لم يدخر وسعًا ولم يأل جهداً في سبيل إنجاز هذا البحث حيث لم يقتصر على ساعات الإشراف الرسمية بل كان يستقبلني في مكتبه وفي بيته وفي القسم، وتابع البحث من أوله إلى آخره. وأشكر المناقشين الكريمين على قبولهما لمناقشة هذه الرسالة، وتجشمهما قراءتها ومناقشتها.

كما أشكر جميع الأساتذة والإخوة الذين قدموا لي أي عون أو توجيه أو فائدة في سبيل إنجاز هذا البحث، وأخص بالشكر الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والدكتور عيسى السعدي، والأخ العزيز محمد عبد الله الحلواني، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء.

وأخيراً، أتضرع إلى الله العلي القدير أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يستعملنا فيما يرضاه من القول والعمل، إنه سميع قريب وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين تسليماً كثيراً.

وقدمه الطالب/

محمد كبير أحمد شودري

التمهيد

ويحتوي على الآتي:-

أولاً: أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري.

ويشتمل على الجوانب الآتية:

١- الجانب الديني.

٢- الجانب السياسي.

٣- الجانب الاقتصادي.

٤- الجانب الاجتماعي.

٥- الجانب العلمي والثقافي.

ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية.

١- الأسباب الداخلية.

٢- الأسباب الخارجية.

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد: ويحتوي على الآتي:

أولاً : أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، ويشتمل على الجوانب الآتية:

ا - الجانب الديني:

أشرق نور الإسلام على ربوع شبه القارة الهندية منذ زمن النبوة -على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم-. ويمكن للباحث حصر طرق دخول الإسلام إلى البلاد الهندية فيما يأتي:

أولاً : طريق التجارة:

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب "الهند" وجزيرة "سيلان" منذ قديم الزمان، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين جزيرة العرب وشبه جزيرة "الهند"، فلما سمع هؤلاء ببزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي -ﷺ- وأخذت هذه الجاليات تلعب دوراً كمراكز لتبليغ الدعوة الإسلامية، فوصل الإسلام بذلك سواحل "مالابار"[١] وسواحل إقليم "السند" مبكراً[٢].[٣]

---

(١) "مالابار" اسم منطقة تقع في ولاية "كيرالا" في أقصى الجنوب الغربي على ساحل بحر الهند. وفي منطقة "مالابار" يوجد الميناء الشهير "كاليكوت" الذي لعب دوراً كبيراً في التجارة العالمية مع الشعوب العربية منذ القدم.

انظر: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها للدكتور محمد إسماعيل الندوي (٢٠)، دار الشعب.

(٢) جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: «أهدى ملك الهند إلى رسول الله -ﷺ- جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة».

قال الحاكم: «لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان القرشي -رحمه الله تعالى- حرفاً واحداً، ولم أحفظ في أكل رسول الله -ﷺ- الزنجبيل سواه فخرجته».

وقال الذهبي: «هذا مما ضعفوا به عمرواً، تركه أحمد».

انظر: المستدرك على الصحيحين المطبوع مع التلخيص للذهبي (١٣٥/٤)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

=

ثانيا : طريق الفتح والجهاد[١]:-

وصل جيش المسلمين في عهد "عمر بن الخطاب" -رضي الله عنه- إلى ساحل الهند الغربي "تانه"[٢] و"بروض"[٣] و"خور الديبل"[٤].[٥] ولما تولى عثمان -رضي الله عنه- الخلافة كتب إلى والي "العراق" "عبد الله بن عامر بن كريز" يأمره أن يوجه إلى ثغر "الهند" من يعلم علمه، وينصرف إليه بخبره، فوجه "حكيم بن جبلة العبدي"، فلما رجع أوفده إلى "عثمان" فسأله عن حال البلاد، فقال: «يا أمير المؤمنين قد عرفتها، وتنحرتها؛ قال: فصفها لي؛ قال: ماؤها وشل[٦]، وثمرها دقل[٧] ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا.

== (٣) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، للدكتور عبد الله مبشر الطرازي (١/٣٣٨، ٣٣٩)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) عالم المعرفة، جدة.

- الهند خلال العصور، لأحمد إبراهيم البشيشي (٦٧).

(١) بشر النبي -ﷺ- بفتح الهند، كما جاء في الحديث عن ثوبان مولى رسول الله -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم -عليهما السلام-».

انظر: سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب ما تكفل الله -عزوجل- لمن جاهد في سبيله (٦/٤٢، ٤٣) المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

والحديث إسناده جيد، وهو صحيح بمجموع رواياته كما بين ذلك الشيخ الألباني. انظر التفاصيل في : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٥٧٠، ٥٧١ برقم ١٩٣٤)

(٢) وهي: بومبئي الواقعة حاليا في الهند.

(٣) "بروض" مدينة في إقليم "كجرات" الهندي.

(٤) وهي: مدينة كراتشي حالياً الواقعة في باكستان.

(٥) وكان جيش المسلمين بقيادة "الحكم بن أبي العاص الثقفي"، وقد بعثه "عثمان بن أبي العاص الثقفي" والي "البحرين"، فلما رجع الجيش وكتب الوالي إلى عمر -رضي الله عنه- يعلمه بذلك، فكتب إليه عمر «يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم».

ويبدو أنه بعث هذا الجيش بدون استشارة عمر -رضي الله عنه-.

انظر: فتوح البلدان للبلاذري (٤٢٠)، طبعة (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٦) الوشل: الماء القليل.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (٥/١٨٩)، تحقيق: محمود الطناجي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

فقال له عثمان -رضي الله عنه- أخابر أم ساجع، قال: بل خابر، فلم يغزها أحد»[١].[٢]

وهذا كان أول فتور بثه المخبر في عضد الجهاد لفتح "الهند" مما أخر وصول رسالة الحق إلى تلك الديار قرابة بضعة وسبعين عامًا، وتم ذلك الفتح في أواخر التسعينات من القرن الأول الهجري في عهد "الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي" بأن عهد "الحجاج بن يوسف الثقفي" -والي العراق- إلى الشاب "محمد بن القاسم الثقفي"[٣] فقام بفتحها عام (٩٣هـ). وعمر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام، فبنى في "الديبل" -كراتشي حاليا- مسجداً جامعاً، كان أول مسجد بني في هذه المنطقة، وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين. وأقام في "الملتان" مسجداً جامعًا. وأسلم خلق كثير. وقد أحب أهل "السند" "محمد بن القاسم" لرفعه راية العدل الإسلامي، ففتح قلوبهم للإسلام، وهيأهم له.[٤]

وفي خلافة "عمر بن عبد العزيز" كتب إلى ملوك "السند" دعاهم إلى الإسلام، وقد بلغتهم سيرته وعدله، فدخلوا في دين الله أفواجًا، وأصبحت "السند" معقل الإسلام في شبه القارة الهندية، وقاعدته، ونقطة انطلاقه.[٥]

= (٧) الدقل: ردئ الثمر ويابسه.

انظر: النهاية (٢/١٢٧).

(١) انظر: فتوح البلدان (٤٢١).

(٢) يبدو أن هذا المستكشف الذي بعثه والي العراق إلى "الهند"، وحمل أنباء هذه البلاد إلى الخليفة الثالث عثمان -رضي الله عنه- لم يطلع على أحوال شبه القارة الهندية كلها، وربما وقف على منطقة اشتهرت بهذه الأوصاف، فظن أن بلاد "الهند" كلها هكذا.

(٣) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي (٦٢هـ - ٩٨هـ).

فاتح "السند" وواليها. من كبار القادة. كان أبوه والي "البصرة" للحجاج. بعثه "الحجاج" إلى "السند" بإذن من "الوليد بن عبد الملك" ففتح "السند" وقتل الملك "داهر" حتى وصلت فتوحاته إلى "الملتان"، توفى بواسط في أيام "سليمان بن عبد الملك".

انظر: نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني (١/٩-١٢)، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند.

(٤) انظر: فتح البلدان (٤٢٤، ٤٢٥).

(٥) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (١/٢٣٩، ٢٤٠).

ثالثاً: عن طريق الدعاة والأمراء المحليين:-

توافد العلماء والدعاة من "الحجاز" و"العراق" و"إيران" على بلاد "الهند" وازداد عددهم كثيرًا لاسيما في القرن الخامس الهجري، فحمل هؤلاء على عواتقهم عبأ الدعوة إلى الإسلام في أنحاء كثيرة من "الهند"، فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام. وقد سار الدعاة جنبًا إلى جنب مع المجاهدين، ولم يتركوا بقعة من "الهند" إلا دخلوها، وكثيراً ما اقنعوا الأمراء المحليين بالإسلام، فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس في الإسلام.(١)

وكانت العقيدة الإسلامية صافية خالصة منذ دخول الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، ولم يعكر صفوها أي دخيل. يقول "المقدسي" في رحلته عن أهل "السند":

«أكثرهم أصحاب حديث، ورأيت القاضي "أبا محمد المنصوري" داوديا إمامًا في مذهبه، وله تدريس وتصانيف، وقد صنف كتبا عدة حسنة...».

ويضيف قائلا: «... إنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، قد أراحهم اللّه من الغلو والعصبية والهرج والفتنة»(٢).

ويرجع السبب في صفاء العقيدة وسلامتها واستمرار ذلك حتى القرن الرابع إلى أن الذين حملوا عبأ الدعوة إلى الإسلام في شبه القارة الهندية كان معظمهم من علماء السلف.(٣) ولما ضعف مركز الحكومة في "السند" وتشاجرت قبائل العرب على اقتسام

---

(١) انظر: آب كوثر (ماء كوثر)، للشيخ محمد إكرام (٣٥ - ٤٠)، طبعة (١٩٩٦م) إداره ثقافت إسلامية، كلب روڈ، لاهور، پاكستان.

(٢) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٨١)، طبعة (١٩٠٦م)، مطبعة بريل، ليدن.

(٣) كان من أبرز العلماء في القرن الأول الهجري على سبيل المثال:

١- كهمس بن الحسن القيسي البصري، تابعي غزا "السند" مع محمد بن القاسم.

انظر: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، للقاضي أطهر المباركفوري (١٨٥ - ١٨٨)، نشره: أبناء مولوي غلام رسول السوري، طبعة (١٣٨٨هـ) بمبئي، الهند.

٢- زائدة بن عمير الطائي الكوفي، تابعي مشهور فتح "الملتان" مع محمد بن القاسم.

انظر: العقد الثمين (١٩١).

السلطة فيها، اهتبل الإسماعيليون الفرصة - وكانوا قد نزحوا إلى هذه المنطقة من

= ٣- موسى بن سنان بن سلمة الهذلي، تابعي ومحدث شهير، غزا "السند" و"الملتان" مع محمد بن القاسم.

انظر: العقد الثمين (١٩٣).

٤- الحكم بن عوانة بن عياض الكلبي، تابعي كان مع محمد بن القاسم في فتح "السند".

انظر: العقد الثمين (١٩٤).

٥- موسى بن يعقوب الثقفي، العالم الفقيه، فقد ولاه محمد بن القاسم القضاء والخطابة في السند.

وغيرهم كثير.

انظر: نزهة الخواطر (١/٤٤).

ومن أبرز من كان في القرن الثاني الهجري على سبيل المثال:

١- إسرائيل بن موسى، أبو موسى، تلميذ الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

انظر: نزهة الخواطر (١/١٨، ١٩).

٢- أبو بكر الربيع بن صبيح السعدي (... - ١٦٠هـ) تلميذ الحسن البصري وحميد الطويل. وكان من كبار رجال الحديث.

انظر: نزهة الخواطر (١/٢٤، ٢٥).

٣- أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي (٠٠٠ - ١٧٠هـ). العالم الفقيه، صاحب المغازي.

انظر: نزهة الخواطر (١/٣٥، ٣٦).

ومن أبرز من كان في القرنين الثالث والرابع الهجريين على سبيل المثال:

١- أبو علي السندي.

انظر: نزهة الخواطر (١/٣٩).

٢- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي.

انظر: نزهة الخواطر (١/٤٩).

٣- أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي، وغيرهم.

انظر: نزهة الخواطر (١/٥٦، ٥٧).

وقد ذكر القاضي المباركفوري في كتابه القيم "رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري" أسماء كثير من العلماء والمحدثين والرواة والفقهاء الذين عاشوا فيها.

كما ذكر الدكتور عبد الله مبشر الطرازي أسماء علماء العرب ببلاد "السند" في العصرين الأموي والعباسي.

انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (١/٤٥٩-٤٦٧).

"البحرين" و"مصر"- وانتزعوا هذه الإمارة لصالحهم، وكونوا إمارة إسماعيلية، وبهذا قامت أول دولة إسماعيلية تشهدها القارة الهندية.[١]

ثم تتابعت الفتن، وتواترت الوفود من "مصر" و"اليمن" وبلاد "فارس" وما صاحب ذلك من جهل مطبق عند المسلمين الذين أسلموا من تلقاء أنفسهم أو عن طريق الدعاة والوعاظ، وعدم اعتناء الحكومات المسلمة التي توالت على السلطة الواحدة تلو الأخرى بتعليمهم وتثقيفهم، فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة من الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين في ظلام الشرك والوثنية، مما أدى إلى الانحراف الديني، والاضطراب الفكري عند مسلمي هذه البلاد.[٢]

٢- الجانب السياسي:-

كان إقليم "السند" لا يزال تحت الحكم العباسي بعد الأموي إلى أن تسلل الإسماعيليون إلى هذا الإقليم، وكونوا إمارة إسماعيلية، ولما دخل "السلطان محمود بن سبكتگين الغزنوي (٣٨٧هـ - ٤٢١هـ) إلى "الهند" قضى على هذه الإمارة وضمها إلى دولته وذلك عام (٤٠٢هـ)[٣]، ومن هنا بدأ ظهور الدول المسلمة في شبه القارة الهندية، وقد توالت على "الهند" منذ دخول الغزنويين حتى القرن العاشر الهجري الدول الآتية:

أولا : الدولة الغزنوية (٣٩٢هـ - ٥٧٩هـ).

تولى "السلطان محمود الغزنوي" شئون الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيه، ونذر نفسه للجهاد لإعلاء كلمة الحق وذلك عام (٣٩٢هـ)، فقاد سبع عشرة حملة إلى "الهند"، قضى فيها على الفرق الضالة، وعمل على نشر الإسلام، ووطّد حكم الغزنويين في "البنجاب"

---

(١) ولما دخل "السلطان محمود الغزنوي" إلى البلاد الهندية أزال هذه الدولة، ونسف عاصمتها "المنصورة"، فتشتت الإسماعيليون في البلاد، وهرب أكثرهم إلى إقليم "كجرات".

انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، للدكتور الساداتي (١/٧٥، ٧٦)، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجاميز.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، للشيخ مسعود عالم الندوي (٨)، نشر وتوزيع: دار العربية، لاهور.

(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٧٦).

و"دهلي" و"لاهور"، كما ضم "كشمير" إلى ملكه عام (٤٠٧هـ)، فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية. وكان "محمود" يرسل بأخبار انتصاراته إلى "الخليفة العباسي القادر بالله" في "بغداد" فتعمها الأفراح. وأنعم عليه الخليفة بلقب "يمين الدولة"[١].

كان "محمود الغزنوي" أول مسلم فاتح دخل "الهند" عن طريق الجبال الشمالية الغربية، وفتح من "الهند" ما امتنع على غيره، وعبّد طريقًا سلكه كثيرون من بعده الذين تولوا الحكم في "الهند" وأقاموا الدول لهم.[٢]

تولى شئون الدولة الغزنوية بعد وفاة "محمود" كل من الآتي:-

١- مسعود بن محمود الغزنوي (٠٠٠ - ٤٣٣هـ).

٢- مجدود بن محمود الغزنوي (٠٠٠ - ٤٤١هـ).

٣- علاء الدين بن مسعود (٠٠٠ -٥٤٧هـ).

٤- بهرام (٠٠٠ - ٥٥١هـ).

٥- خسرو بن بهرام (٠٠٠ - ٥٧٩هـ).

وبعد مقتل هذا الأخير طويت صفحة دولة عمرت قرنين من الزمان، ومهدت بفضل فتوحاتها العظيمة أقدام المسلمين في أرض "الهند".[٣]

ثانياً: الدولة الغورية (٥٧٩ - ٦٠٢هـ).

بعد فقد الغزنويين السلطة على "الهند" عام (٥٧٩هـ) خلفهم الغوريون، وأول من حاول أن يضم شتات "الهند" في دولة واحدة هو "محمد بن شهاب الدين الغوري" (٠٠٠-٦٠٢هـ)، فقد استطاع الاستيلاء على "السند" و"دهلي" و"البنغال" و"بهار"، واتخذ "دهلي" قاعدة لحكومته. وبدأ حكم المسلمين في شمال "الهند" بأكمله على أساس راسخ وطيد، وصار لهم دولة مرهوبة الجانب، وسيعة الرقعة، وذلك بعد أن قضى على "القرامطة"

---

(١) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، لمحمد يوسف النجرامي (١١٥)، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، دار الفكر.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن (٩٤/٣)، الطبعة السابعة (١٩٦٥م)، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١٠٠/١ - ١١١).

والإسماعيليين الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد، وأضعف الراجبوتيين من الهندوس.[(١)]

ثالثاً: دولة المماليك (٦٠٢-٦٨٩هـ).

اغتال الباطنية "السلطان محمد الغوري" عام (٦٠٢هـ)، ولم يترك وريثًا للعرش من بعده، فنصب غلامه "قطب الدين أيبك" نفسه سلطانًا على "الهند" وكان أميرًا لدهلي من قبل "الغوري"، فأقر الأمن من "البنغال" شرقًا إلى آخر حدود "البنجاب" غربًا، وحرص على إقامة العدل بين الناس، وعمل على نشر الإسلام، فبنى مسجدين كبيرين: أحدهما: بدهلي، والآخر بأجمير.[(٢)]

وفي عهد خلفه "شمس الدين التمش" (ت: ٦٣٣هـ) توثقت صلة "الهند" بالعالم الإسلامي، فقصدها علماء "العراق" و"الحجاز" و"إيران". وكان "الخليفة العباسي المستنصر بالله" قد أعلن عام (٦٢٦هـ) تثبيته "لألتمش" على عرش "الهند"، ولقبه بـ/"ناصر أمير المؤمنين"، فكان من أثر هذا الإعلان أن قوى مركز صاحب "دهلي" بين مسلمي "الهند" قوة عظيمة، ومكن من نفوذه بينهم. وقد قابل "التمش" صنيع الخليفة هذا بتقديمه في الخطبة عليه، وضرب السكة باسمه.[(٣)]

وفي عهد المماليك حاول "التتار" الاستيلاء على "الهند" وهاجموا "لاهور" أكثر من مرة، ولكنهم منوا بهزيمة منكرة في كل مرة أمام جيش المماليك، فاضطروا للانسحاب جهة الغرب والزحف على "إيران" و"العراق"، وفي عام (٦٥٦هـ) تم استيلاؤهم على "بغداد" مما أدى إلى تدفق العلماء من "العراق" إلى "الهند".[(٤)]

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام في الهند، لعبد المنعم النمر (٩٨ - ١٠٤)، الطبعة الأولى (١٣٧٨هـ)، دار العهد الجديد للطباعة.

- الهند خلال العصور (٧٠، ٧١).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/١٢٢، ١٢٣).

(٣) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية (١٣١، ١٣٢).

(٤) نفس المرجع والصفحة.

هذا، وقد تعاقب على السلطة في دولة المماليك الحكام الآتية أسماءهم على التوالي:

١- قطب الدين أيبك (٦٠٢ - ٦٠٧هـ).

٢- شمس الدين التمش (٦٠٧ - ٦٣٣هـ).

٣- رضية بنت التمش (٦٣٣ - ٦٣٩هـ).

٤- بهرام شاه بن التمش (٦٣٩ - ٦٤٣هـ).

٥- علاء الدين مسعود شاه (٦٤٣ - ٦٤٤هـ).

٦- ناصر الدين محمود شاه (٦٤٤ - ٦٦٤هـ).

٧- غياث الدين بلبن (٦٦٤ - ٦٨٦هـ).

٨- كيقباد بن بغرا خان (٦٨٦ - ٦٨٩هـ).[١]

رابعاً: الدولة الخلجية (٦٨٩ - ٧٢٠هـ).

كان الخلجيون أمراء في دولة المماليك في الأقاليم الشرقية، ولما ضعف سلطان هذه الدولة نهض زعيم الخلجيين "جلال الدين فيروز" على عرش "دهلي" عام (٦٨٩هـ) بعد أن قتل آخر حكام المماليك "كيقباد بن بغرا خان".[٢]

وخلف "جلال الدين" ابن أخيه "علاء الدين الخلجي" (ت: ٧١٥هـ)، وقد شملت فتوحاته شبه القارة الهندية بأكملها، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ "الهند" إذ كان الجنوب في منأى عن كل ما يجري في شمال البلاد. وقد أعاد التتار الكرة على "الهند" في عهد الخلجيين، ولكن دحروا خارج "الهند".[٣]

هذا، وقد تولى السلطة في الدولة الخلجية الحكام الآتية أسماؤهم على التوالي:

١- جلال الدين فيروز شاه (٦٨٩ - ٦٩٥هـ).

٢- علاء الدين الخلجي (٦٩٥ - ٧١٥هـ).

---

(١) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/١٢٢ - ١٤٧).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/١٤٩).

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد (٤/٢٩٣) ترجمة: عجاج نويهض، عليه تعليقات للأمير شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة (١٣٣٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.



٣- شهاب الدين عمر خان (٧١٥ - ٧١٦هـ).

٤- قطب الدين مبارك شاه (٧١٦ - ٧٢٠هـ).[(١)]

خامساً: الدولة التغلقية (٧٢٠هـ - ٨١٧هـ).

ارتقى "غياث الدين تغلق" على عرش "دهلي" عام (٧٢٠هـ)؛ إذ لم يترك "السلطان علاء الدين الخلجي" وريثًا شرعيا يخلفه، وبهذا يبتدأ عهد الدولة التغلقية. ومن أشهر سلاطينها "محمد تغلق" (ت: ٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم "الهند" كاملة، وجدّد الأواصر بالخلافة العباسية "بالقاهرة".[(٢)]

وقد قدم على هذا الملك الرحالة الشهير "ابن بطوطة" وتحدث عنه طويلاً في رحلته، وقد قضى "ابن بطوطة" ثماني سنوات في "الهند"، ثم غادرها متوجهًا إلى "الصين" عام (٧٤٣هـ).[(٣)]

كما وفد على بلاط هذا الملك كثير من العلماء منهم: "الشيخ عبد العزيز الأردبيلي"[(٤)] تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكان خلفه "فيروز تغلق" (ت: ٧٩٠هـ) من أشهر ملوك "الهند" الذين قاموا بنشر الإسلام، وبالإصلاحات الدينية والأعمال الخيرية قبل القرن العاشر الهجري.[(٥)]

---

(١) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ الإسلام في الهند (١١٦ - ١٢٥).

(٢) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية (١٣٩).

(٣) انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٥٢ - ٥٤٠)، تحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم العريان وغيره، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت - لبنان.

(٤) كان "عبد العزيز" هذا فقيهًا ومحدثًا، قرأ بدمشق على تقي الدين ابن تيمية، وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي وغيرهم، ثم قدم على "السلطان محمد تغلق" فأكرمه وأحسن إليه. واتفق يومًا أنه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه -رضي الله عنهما- وشيئًا من مآثر الخلفاء العباسيين فأعجب ذلك السلطان لحبه بني العباس، وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألفا تنكة -اسم عملة في ذلك العصر- فصبها عليه بيده، وقال: هي لك مع الصينية.

انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٦٦، ٤٦٧).

(٥) انظر أعماله في: سلاطين دهلي كے مذهبي رجحانات (الميول الدينية لدى سلاطين دهلي)، للبروفيسور خليق أحمد نظامي (٤٢١ - ٤٣٨)، طبعة (١٩٨١م)، ندوة المصنفين، اردو بازار، دهلي - الهند.

- أيضًا: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٢٩ - ٤٣).

هذا، وقد تولى في الدولة التغلقية الحكام الآتية أسماؤهم على الترتيب:

١- غياث الدين تغلق (٧٢٠ - ٧٢٥هـ).
٢- محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢هـ).
٣- فيروز تغلق (٧٥٢ - ٧٩٠هـ).
٤- غياث الدين بن فتح خان (٧٩٠ - ٧٩٣هـ).
٥- ناصر الدين محمد تغلق الثاني (٧٩٣ - ٧٩٥هـ).
٦- ناصر الدين محمود (٧٩٦ - ٨١٤هـ).[(١)]

سادساً: الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩ - ٩٣٢هـ).

اضطرب الأمر بعد وفاة "فيروز تغلق" (ت: ٧٩٠هـ)، وتمكن "تيمور لنگ" من غزو "دهلي" عام (٨٠١هـ) ودخلها، فأدى ذلك إلى تفكك الدولة الإسلامية، وانفصلت أغلب ولاياتها عن "دهلي" مثل: "مالوه" و"كجرات" و"جونپور" و"البنغال" و"الدكن"، وأصبحت إمارات إسلامية مستقلة.[(٢)]

واستولت الأسرة اللودهية - وهي أفغانية الأصل- على "دهلي" بقيادة "بهلول لودهي" (ت: ٨٩٣هـ) القائد الطموح، وثبت أركان دولته في "دهلي" والمناطق المجاورة لها. ومن أشهر من حكم من هذه الأسرة "سكندر شاه" (ت: ٩٢٣هـ)، وقد اشتهر بالعدل، وتوفير الأقوات، وضبط أسعارها، وكان يأمر بين الحين والآخر بإحصاء الفقراء والمعوزين، ويمنح كل واحد منهم ما يكفيه من المؤن ستة أشهر.[(٣)]

وقد تولى عرش "دهلي" من هذه الأسرة ثلاثة حكام وهم:

١- بهلول لودهي (٠٠٠ - ٨٩٣هـ).
٢- سكندر شاه (٠٠٠ - ٩٢٣هـ).
٣- إبراهيم سكندر شاه (٩٢٣ - ٩٣٢هـ).[(٤)]

---

(١) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/١٦٩ - ٢٠٨).

(٢) نفس المصدر (١/٢٠٨ - ٢٢٨).

(٣) المصدر نفسه (١/٢٤٤).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام في الهند (١٤٨ - ١٥٠).

سابعاً: الدولة المغولية (٩٣٢ - ١٢٧٥هـ).

تأسست الدولة المغولية على يد "ظهير الدين محمد بابر المغولي" (ت: ٩٣٧هـ) بعد موقعة "باني بت" الحاسمة حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرش "دهلي"، وذلك عام (٩٣٢هـ).(١) وتولى بعد "بابر" ابنه "همايون" (ت: ٩٦٣هـ) مملكة "الهند"، وفي أيامه قويت شوكة "شير شاه السوري" (ت: ٩٥٢هـ) -أحد زعماء الأفغان- وتمكن من هزيمة "همايون" والاستيلاء على "الهند"، وذلك عام (٩٤٧هـ)، ولجأ "همايون" إلى "إيران" ليستمد من "الشاه طهماسب الشيعي"، ويستعيد مملكة "الهند" للمرة الثانية عام (٩٦٢هـ)، وقد قضى "همايون" نحبه عام (٩٦٣هـ) على أثر سقوطه من مدرجة مكتبته، وتولى عرش "الهند" ابنه "أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر" (ت: ١٠١٤هـ) والذي حكم "الهند" بقية القرن العاشر، ومطلع القرن الحادي عشر الهجريين.(٢)

واستمر الحكم للأسرة المغولية على البلاد الهندية حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري إذ تم استيلاء الإنجليز عليها عام (١٢٧٥هـ) وضمها إلى التاج البريطاني رسمياً.(٣)

ومما يجدر بالذكر هنا أنه كان للفتح الإسلامي أثر كبير في توحيد أطراف "الهند" المترامية في دولة واحدة، فإن البلاد الهندية لم تشهد الوحدة إلا في ظل المسلمين، وذلك أن الحكام المسلمين كانوا يعملون على توسيع رقعة مملكتهم، وتوحيد البلاد تحت سلطانهم -وكانت البلاد قبل ذلك نهباً لملوك الطوائف متقاتلين فيما بينهم على الدوام- وبذلك شهدت البلاد الهندية نوعاً من توحيد الحكم والسياسة ربما لم تعرفه من قبل. بالإضافة إلى ذلك ما بلغ من الرقي بتنظيم الإدارة، وضبط أداة الحكم، وبسط الأمن في أكثر بقاع "الهند" ولاسيما الأقطار الشمالية منها، وذلك لم يكن متيسراً قبل ملوك المسلمين.(٤)

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (٢/ ٢٠ - ٢٣).

(٢) انظر: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، للشيال (٤٨ - ٥٢)، طبعة (١٩٦٨م) منشأة المعارف بالإسكندرية.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام في الهند (٤٦٣، ٤٦٤).

(٤) نفس المرجع (٣٢١، ٣٢٩).

٣- الجانب الاقتصادي:-

كان اقتصاد "الهند" يعتمد على التجارة من القديم. وكانت صلتها التجارية ببلاد العالم الخارجي قوية وناجحة. وكان لها نظامها المصرفي المعترف به فيما جاورها، وما اتصلت بها من بلاد، أمثال: "إيران" و"كابل" و"هرات" و"طشقند" وغيرها من البلاد، وازدهرت علاقات "الهند" على هذا الأساس في الميدان الاقتصادي.(١)

كان الغزاة من قبل يحملون معهم كنوز "الهند" وأموالها إلى بلادهم، ولما استقر الفاتحون المسلمون في أرض "الهند" حفظوا ثروتها فيها، واستخدموها في تنمية البلاد، وتطويرها. كما انتعشت التجارة البحرية، وازدهرت صلات الهند مع كثير من البلدان الخارجية التي كانت مفقودة فيها منذ قرون.(٢)

وقد وضع بعض الحكام نظمًا مالية، ورقابة دقيقة على الأسواق والأسعار مع وضع عقوبات صارمة ضد مدلسي التجار حتى عم اليسر والرخاء في البلاد، وتوفر الأقوات لسكان "الهند" بأسعار في متناول أدنى طبقاتها.(٣)

وقد عمل "السلطان فيروز تغلق" (ت: ٧٩٠هـ) على إصلاح مساحات واسعة من الأراضي، وأحكم نظام الري، وجدّ في حفر الآبار والقنوات حتى توافرت الأرزاق، وعم الرخاء إلى درجة كاد الناس أن ينسوا قسوة المجاعات التي ألمت بهم من قبل. وكذلك عنى بشئون الضرائب فأحكم نظامها ورفع الكثير منها عن كاهل الأهلين، وأمر ألا تعدو جبايتها حدود الشرع، وراقب ذلك كله بحزم وشدة.

وأما غنائم الحرب فقد خص بيت المال بنصيبه الشرعي منها، وأطلق الباقي لرجاله وفقراء شعبه مما أدى إلى تحسن الحالة الاقتصادية لعامة الناس.(٤)

وهكذا كان عمل "السلطان سكندر شاه" (ت: ٩٢٣هـ)، فقد عمل على توفير الأقوات لأهالي "الهند"، وضبط أسعارها ضبطًا محكمًا، كما كان يأمر من حين لآخر بإحصاء

---

(١) انظر: الهند خلال العصور (١٠٧).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/٢٥٣).

- تاريخ الإسلام في الهند (٣٢٩).

(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/١٦٢، ١٦٤).

(٤) نفس المصدر (١/١٨٦).

الفقراء والمعوزين، ومنح كل واحد منهم من المؤن ما يكفيه لأشهر ستة كما سبق.[١]

٤- الجانب الاجتماعي:-

كان المجتمع الهندوسي قبل الإسلام يسوده قانون الطبقات الجائر الذي يقسم أهل البلاد إلى أربع طبقات متميزة، وهي: (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين. (٢) شتري، رجال الحرب. (٣) ويش، رجال الزراعة. (٤) شودر، رجال الخدمة، وهم المنبوذون.[٢]

كما امتاز هذا المجتمع بالشهوة الجنسية الجامحة حتى وصلت إلى عبادة آلة التناسل لإلههم الأكبر "مهاديو" وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات. وكذلك كان رجال بعض الطوائف الدينية يعبدون النساء العاريات، والنساء يعبدن الرجال العراة.

وأما المرأة فكانت منزلتها في الحضيض، وقد يخسر الرجل امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج. وإذا مات زوجها صارت كالمؤودة لا تتزوج، وتكون هدفًا للإهانات والتجريح، وقد تحرق نفسها مع جثة زوجها الميت وفاء له. وكان المجتمع الهندي يرى أن هذا مظهر الحب والوفاء للزوج الميت، ويسمونه "ستي داه".[٣]

ولما دخل الفاتحون الأولون من المسلمين العرب "الهند" نقلوا إلى البلاد التي فتحوها واستقروا فيها دينهم ولغتهم وكثيرًا من تقاليدهم وعاداتهم. وقد انحصر الفتح الإسلامي أول الأمر في غرب "الهند".

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/٢٤٤).

(٢) يزعم الهندوس أن "براهما" خلق "البراهمة" من فمه وشتري من ذراعه، والويش من فخذه والشودرا من رجله فكان لكل هذه الطبقات منزلتها على هذا النحو. وتلتقي هذه الطبقات الأربعة في الاعتقاد بالآلهة، وكلها تقدس البقرة، وتخضع للنظام الطبقي. والبراهمة هم ملجأ الجميع في حالات الميلاد والزواج والوفاة. وقد حددت الديانة الهندوسية وظائف كل طبقة وواجباتها، فعلى البرهمي أن يشتغل بالتعلم والتعليم وإرشاد الناس في دينهم. وأما شتري فكانت وظيفته أن يتعلم ويقدم القرابين وينفق في الصدقات، ويحمل السلاح للدفاع عن وطنه وشعبه. أما ويش فعليه أن يزرع ويتجر ويجمع المال وينفق على المعاهد العلمية والدينية. وأما شودر فعليه أن يخدم الطوائف الثلاثة الشريفة. انظر أديان الهند الكبرى (٦٠-٦٢).

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي (٥٨ – ٦١)، الطبعة الثالثة عشرة (١٤٠٢هـ) دار القلم، الكويت.

وبعد ذلك بقرون دخل المسلمون فاتحين تحت قيادة "السلطان محمود الغزنوي" (ت:٤٢١هـ)، وفي عهد الغزنويين غدى الإسلام محور كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين الاجتماعية والقضائية والسياسية ... لا يعرفون مرجعًا سواه، فهو العمدة في العقيدة والتشريع وفصل النزاعات بين الأفراد، وأزالوا الطبقات الهندوسية من الأرض التي حكموها باسم الاسلام.

امتاز العهد الغزنوي بتخليف الفاتحين علماء في البلاد المفتوحة بعد الفتح، يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وتعليم من يسلم من أهلها أمور الدين، وما يجب عليه عمله في حياته الإسلامية.(١)

وبعد فقد الغزنويين السلطة على "الهند" خلفهم الغوريون الأفغان ومماليكهم، وظل الإسلام في عهدهم هو المظلة الوحيدة يستظل تحتها المسلمون خاصة في باب القضاء وإنصاف المظلومين، وإرجاع الحقوق إلى أهلها الشرعيين، والضرب على يد العابث دون استثناء، وذلك بنصب القضاة في الأقاليم النائية ومراقبة تصرفات الناس العلنية في كل صغيرة وكبيرة.(٢)

وظهرت في عهد الغوريين ظاهرة اجتماعية غريبة والتي أصبحت فيما بعد شيئًا مرغوبًا فيه عند الملوك، خاصة عند المغول، ألا وهي ظاهرة البناء على قبور العائلة المالكة كبناء "شهاب الدين الغوري" على ضريح زوجته. وهذه البدعة رغم أنها وجدت قبل الغوريين غير أن البناء من قبلهم كان يختص بالرجال الصالحين، فابتدع الغوريون البناء على قبور الملوك ومن ينتسب إلى بيت الملك، ولم تزل هذه الظاهرة تعدو بخطى حثيثة حتى العصر الحديث.(٣)

كذلك دخل إلى المجتمع الإسلامي في عصر المماليك فن التصوير والتمثيل المنحوتان، وذلك شيء لم يكن لمسلمي "الهند" عهد به. يصف الرحالة "ابن بطوطة" الوضع القضائي والتصوير المنحوت، فيقول: «... ومن مآثره -أي السلطان التمش- أنه اشتد في رد المظالم، وإنصاف المظلومين، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبًا مصبوغًا -وأهل الهند جميعًا

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٧/٣٤٧، ٣٤٨)، طبعة (١٣٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٣/٨٩، ٩٠).

(٢) نفس المصدر (٩/٢٧٣، ٢٧٤).

(٣) المصدر نفسه (٩/٣٦). أيضاً: الهند في العهد الإسلامي (١٨١).

يلبسون البياض- فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه، ثم أنه أعيا في ذلك فقال: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل، وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرك الجرس فيسمعه السلطان، وينظر في أمره للحين وينصفه[١]»[٢].

وقد برزت أيام الخلجيين عند المسلمين ظاهرة تقبيل الأرض بين يدي السلطان كإظهار للاتباع وتجديد الولاء، وتطورت هذه الظاهرة مع مرور الزمن وبرزت في صورة السجود بين يدي السلطان خاصة في عهد المغول[٣]. ونتج عن ذلك ترفع الملك عن الناس، وعدّ نفسه وأسرته وعائلته أفراداً مختارين ومفضلين، يجب على الرعية تعظيمهم وتبجيلهم، واستحدث لهذه الظاهرة اصطلاح "الخدمة"، كما يحكي "ابن بطوطة" في رحلته ويقول:

«ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزار اسطون، ومعنى ذلك ألف سارية، وبه يجلس السلطان الجلوس العام. فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض، وخدمتنا لناحية سرير السلطان، وخدم جميع من معنا»[٤]. ولم تقتصر "الخدمة" على الملك وحده، بل تجاوزت إلى جميع أفراد الأسرة المالكة، فأوجبت لأم السلطان وأخته على من أراد التشرف برؤيتهم، بل اتخذت "الخدمة" مفاهيم أوسع وأشمل ففرضت لسرير السلطان الذي خلا من صاحبه، ومظلته التي طويت لعدم الحاجة إليها.[٥]

وقد حدثت في عهد بني تغلق ظاهرة كثرة ارتياد الناس لقبور الصالحين شعباً وحكاماً لالتماس البركة والدعاء، ورحلة "السلطان محمد تغلق" لزيارة قبر الشيخ الصالح "سالار غازي" التي اشترك فيها "ابن بطوطة" نفسه مثال من تلك الأمثلة[٦].[٧]

---

(١) والمعلوم أن صور ذوات الأرواح محرمة شرعاً.

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٣٣، ٤٣٤).

(٣) لا يخفى ما في ظاهرة تقبيل الأرض بين يدي السلطان التي تطورت فيما بعد إلى السجدة أمام الملك من شرك صريح.

(٤) انظر: رحلة ابن بطوطة (٥١٣).

(٥) المصدر نفسه (٥١٣، ٥١٤).

(٦) السفر لقصد زيارة القبور والتماس البركة بالموتى لا تجيزه الشريعة الإسلامية.

(٧) انظر: رحلة ابن بطوطة (٥٠٥، ٥٠٦).

وفي هذا العهد برزت في المجتمع الصوفي فكرة الانقطاع عن الناس، والاتجاه إلى الكهوف والغابات، والتخلي عن جميع مستلزمات الحياة حتى وصل الأمر ببعضهم إلى التعري، ونبذ اللباس، بحجة التجرد التام عن هذه الحياة[١].[٢]

وفي عهد المغول لما تولى "الملك أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر" (ت: ١٠١٤هـ) مملكة "الهند" وانحرف عن جادة الصواب أدخل في المجتمع الإسلامي كثيراً من عادات الهندوس الوثنيين وتقاليدهم، خاصة في حاشية الملك ورجاله، وأتباع "المذهب الأكبري" أو "الدين الإلهي"[٣]، مثل: وضع نقطة من الطين الملون في وسط الجبين، ولبس الزنار -شعار البراهمة- وشرب الماء من نهر كنكا -النهر المقدس لدى الهندوس- والاحتفال بأعياد الهندوس، والمصاهرة معهم، ومنع الختان، والحظر على أكل لحم البقر، والمشاركة في كثير من العادات والمظاهر الهندوسية.[٤]

ومن ناحية أخرى تأثر الهندوس بالإسلام في حياتهم الاجتماعية، فقد خفت حدة التوتر القائمة بين الطبقات في المجتمع الهندوسي، وقَلَّ إحراق الأرملة مع زوجها حيًّا، كما بدأت الأرملة تتزوج مرة ثانية بعد أن كان ذلك محظوراً في المجتمع الهندوسي.[٥]

٥- الجانب العلمي والثقافي:-

بدأ توافد العلماء والمحدثين من البلاد العربية على إقليم "السند" منذ الفتح الإسلامي له على يد الفاتح "محمد بن القاسم الثقفي" عام (٩٣هـ)، يعلمون المسلمين الجدد أمور دينهم، وفهم كتاب ربهم. ولما طلب أحد ملوك "السند" الوثنيين من ولاية "المنصورة" المسلمة مترجمًا يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى لغة الهنود والسنود لُبى هذا الطلب بأسرع ما يمكن تلبيته.[٦]

---

(١) هذه من منكرات الصوفية وهي ليست من الدين في شيء.

(٢) انظر: نزهة الخواطر (٢/٨، ٩).

(٣) وهو المذهب الذي أسسه "الملك أكبر" كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله -تعالى-.

(٤) انظر: الإمام السرهندي حياته وأعماله لأبي الحسن الندوي (٩٣، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار القلم، الكويت.

(٥) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٦١ هامش رقم: ٢).

(٦) انظر: آب كوثر (٣٧).

وقد شارك علماء "السند" في خدمة السنة المطهرة جمعًا وترتيبًا وتدوينًا، كما ذكر "المقدسي" في رحلته -التي زار فيها السند- أنه وجد أكثر أهل "السند" أصحاب الحديث، ورأى "القاضي أبا محمد المنصوري" داوديا إمامًا في مذهبه، وله تصانيف حسنة، كما لقي فقهاء على مذهب الإمام أبي حنيفة،[١] مما يعكس الضوء على الحركة العلمية التي شهدها هذا الإقليم إبان الفتح الإسلامي، إلا أن هذه الحركة لم تدم طويلاً بعد انفصالها عن الخلافة العباسية، واستيلاء الإسماعيليين عليها؛ إذ سددوا سهامهم المسمومة على السنة المطهرة.[٢]

وفي الدولة الغزنوية صاحب التعليم الفتح والجهاد فما من مدينة فتحوها إلا خلفوا فيها العلماء للقيام بتعليم أحكام الدين، وإقامة الحياة الإسلامية. ولما ازدحم المتعلمون في المساجد، وكثر إقبال الناس على تعلم أحكام الإسلام اضطر العديد من المعلمين إلى فصل التعليم عن المسجد، فخرجت المدارس إلى حيز الوجود، وأصبح المعلمون يلقون دروسهم في حجرات خاصة تم بناؤها لهذا الغرض.[٣] وأهم ما يميز المعلم المسلم في هذه الفترة هو الجمع بين العلوم المختلفة، وتلقى آخر ما وصلت إليه هذه العلوم، ومن هنا اكتسب المعلم المكان المرموق في المجتمع، وتسنى له أن يرتقى إلى أعلى المناصب في الدولة.

وفي عهد الغوريين ومماليكهم كثرت المدارس، ونظمت تنظيمًا جديدًا بعد أن حولوا الجرايات من الشهرية إلى السنوية. وأهم مدارس هذا العهد هي "المدرسة المعزية" التي أسسها "قطب الدين أيبك" وشيدت مبانيها "السلطانة رضية بنت التمش"[٤]. وأصبحت "دهلي" ومدينة "أوج" السندية في عهد الخلجيين وبني تغلق مركزين علميين هامين لنشر العلوم الإسلامية، وزادت المدارس في هاتين المدينتين زيادة هائلة.[٥]

---

(١) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٨١).

(٢) انظر: عربي ادبيات مين پاك وهند كا حصه (مساهمة پاكستان والهند في خدمة الأدب العربي)، للدكتور زبيد أحمد (٦٥، ٦٦)، الطبعة الثالثة (١٩٩١م)، إداره ثقافت اسلامية، كلب روڈ، لاهور - پاكستان.

(٣) انظر: الهند في العهد الإسلامي (٤٢٦).

(٤) نفس المصدر (٤٢٩، ٤٣٠).

(٥) انظر: نزهة الخواطر (٢/١٨، ٢٥، ١١٣).

وإذا نظر الباحث إلى المنهج التعليمي الإسلامي في هذه الفترات المختلفة يجد أن العلماء الذين وفدوا على "الهند" وتحملوا أعباء التعليم في هذه العصور كانوا من بلاد ماوراء النهر و"خراسان"، وكانت صناعة أهالي تلك البلاد فنون الفلسفة وحكمة "اليونان"، وكان قصارى نظرهم في علم النحو، والفقه، والكلام على طريقة التقليد. ولما قدموا إلى البلاد الهندية نقلوا معهم هذه العلوم إليها، فكان معيار التحصيل العلمي في هذه العصور من الفنون: النحو، والبلاغة، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والكلام، والتصوف، والتفسير.

أما في النحو: فكانوا يدرسون كتاب المصباح، والكافية، ولب الألباب.[١] ثم الإرشاد[٢]، ثم حواشي الكافية.

وفي الفقه: المتفق، ومجمع البحرين، والقدوري، والهداية.

وفي أصول الفقه: الحسامي، والمنار وشروحه، وأصول البزدوي.

وفي التفسير: المدارك، والبيضاوي، والكشاف.

وفي التصوف: العوارف، والتعرف، والفصوص، واللمعات.

وفي الحديث: مشارق الأنوار للصغاني، ومصابيح السنة للبغوي.

وفي الأدب: مقامات الحريري.

وفي المنطق: شرح الشمسية.

وفي الكلام: شرح الصحائف، والعقيدة النسفية، والقصيدة اللامية، والتمهيد.[٣]

وأضيفت إلى ذلك في بعض العصور كتب أخرى، كشرح المطالع، وشرح المواقف للسيد الشريف. والتلويح، والمطول، والمختصر، وشرح العقائد للتفتازاني. وشرح الوقاية لصدر الشريعة، وشرح الكافية للجامي.[٤]

---

(١) للقاضي ناصر الدين البيضاوي.

(٢) للقاضي شهاب الدين الدولت آبادي.

(٣) لأبي شكور السالمي.

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي الحسني (١١. ١٢)، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

وكانت العناية البالغة في هذه العصور بالفقه وأصوله. وكان الفقه عمدة بضاعتهم، ولذلك كثرت فيهم الفتاوى والروايات بدون عرض ذلك على الكتاب والسنة. وكان قصارى نظرهم في علم الحديث قراءة كتاب "مشارق الأنوار"[١] فإن ترفع أحد إلى "مصابيح السنة" للبغوي ظنوا أنه قد وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث.

حكي عن "الشيخ نظام الدين البدايوني"[٢] أنه كان يسمع الغناء، وينكر عليه العلماء في ذلك، فلما أصر الشيخ رفعوا تلك القضية إلى "السلطان غياث الدين تغلق" (ت: ٧٢٥هـ) ملك ذلك العصر، فأمر السلطان بإحضار الشيخ، وأمر الفقهاء والقضاة أن يناظروه في تلك المسألة، فعرض "الشيخ نظام الدين" بعض الأحاديث في إباحة السماع[٣] -على حد زعمه- فردها الفقهاء، وقالوا: إن الروايات الفقهية مقدمة على الأحاديث في بلدنا. وقال بعضهم: إنا لا نرغب أن نسمع مثل هذه الأحاديث التي تمسك بها الإمام الشافعي، وهو عدو مذهبنا.[٤] فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على قلة بضاعتهم وجهلهم في علم الحديث.

ويحكى أيضًا أن "الشيخ شمس الدين المصري" المحدث قدم "الهند" في أيام "السلطان علاء الدين الخلجي" (ت: ٧١٥هـ)، فلما وصل إلى "ملتان" ولقى بها الفقهاء وسمع كلامهم كَرَّ راجعًا إلى بلاده، وبعث رسالة إلى السلطان المذكور شنّع فيها على أن الفقهاء في بلاده لا يعتنون بأحاديث النبي المعصوم -ﷺ- ولكن الفقهاء لما وقفوا على تلك

---

(١) لمؤلفه رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت: ٦٥٠هـ). وهو مطبوع ومتداول وأحسن شروحه "مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار" لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز المعروف بابن الملك (ت: ٧٩٧هـ)، المطبوع في أنقرة سنة (١٣٢٨هـ) في دار الطباعة العامرة.

(٢) هو: نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني (٦٣٠هـ - ٧٢٥هـ).
أحد كبار الصوفية في الهند، وكان يستمع الغناء بالدف.
انظر ترجمته في نزهة الخواطر (٢/١٢٠ - ١٢٥).

(٣) ومن شر البلية ما يضحك أن من ضمن الأحاديث التي استدل بها الشيخ على إباحة السماع حديث: «السماع مباح لأهله».
ويبدو واضحًا أنه من كلام المتصوفة أو بعض الفقهاء الذين يبيحون السماع.
انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٦، ١٧).

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٢).

الرسالة حجبوها عن السلطان.[١]

وهذه الحكايات تشير إلى ما وصل إليه العلماء في تلك العصور في عدم اعتنائهم بعلوم السنة المطهرة، إلا أن بعض العلماء في القرن العاشر الهجري وفقوا في السفر إلى بلاد الحرمين الشريفين، وأدركوا بها المحدثين، فأخذوا عنهم الحديث وبعد عودتهم إلى البلاد الهندية تصدوا للدرس والإفادة، والتأليف والتصنيف، وفي مقدمتهم "الشيخ علي المتقي الهندي"[٢] و"الشيخ محمد طاهر الفتني"[٣] و"الشيخ عبد الحق الدهلوي"[٤]. فنفع الله بعلومهم كثيراً من عباده.[٥]

---

(١) نفس المصدر (١٢، ١٣).

(٢) هو: علي بن حسام الدين بن عبد الملك المتقي البرهانبوري (٨٨٥هـ - ٩٧٥هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله -تعالى-.

(٣) هو: محمد بن طاهر بن علي الفتني (٩١٤هـ - ٩٨٦هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

(٤) هو: أبو المجد عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (٩٥٨هـ - ١٠٥٢هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

(٥) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٥).

ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية:

إن الدين الإسلامي القويم دعا المسلمين إلى توحيد الكلمة وجمع الصف والسير في طريق واحد، وحذرهم عن التفرق والتمزق، وبين الخطر الكامن في ذلك. قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(١). كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(٢).

كان المسلمون في صدر الإسلام على صفاء العقيدة ونقائها كما تلقوها عن رسول الله -ﷺ- وكانوا متآخين فيما بينهم ومتحابين، فيا ترى ماالأسباب التي أدت إلى ظهور الخلاف، ونشأة الفرقة فيما بينهم. ذكر "الشيخ أبو زهرة" الأسباب العامة التي أدت إلى الاختلاف فيما بين المسلمين وهي:

العصبية، والتنازع على الخلافة، ومجاورة المسلمين لكثير من أهل الأديان القديمة ودخول بعضهم في الإسلام، وترجمة الفلسفة، والتعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة، والقصص، وورود المتشابه في القرآن الكريم.(٣)

وقد قسم "الأستاذ أحمد أمين" أسباب نشأة علم الكلام – الذي أدى إلى تفرق المسلمين في العقيدة، وانقسامهم إلى شيع وأحزاب- إلى أسباب داخلية وخارجية، وعنى بالأسباب الداخلية أسباباً صدرت من طبيعة الإسلام نفسه والمسلمين أنفسهم، وبالأسباب الخارجية أسباباً أتت من الثقافات الأجنبية والأديان المختلفة غير الإسلام.

وأما الأسباب الداخلية فهي كالتالي:

١- سلوك علماء الأمة مسلك القرآن الكريم في مقارنة الأديان وذكر الفرق والرد عليهم:-

إن القرآن الكريم بجانب دعوته إلى التوحيد والنبوة وما إليهما، عرض لأهم الأديان والفرق التي كانت منتشرة في عهد النبي -ﷺ- فرد عليهم ونقض قولهم، فكان

---

(١) من الآية: ١٠٣، سورة آل عمران.

(٢) من الآية: ١٥٩، سورة الأنعام.

(٣) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (١٢-١٦)، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

من الطبعي أن ينهج علماء الملة هذا المنهج، فيردوا على المخالفين، ويتوسعوا في الدفاع توسع المخالفين في الهجوم.

٢- الاستقرار وتوقف الفتوحات:-

إن المسلمين لما فرغوا من الفتح، واستقر بهم الأمر، واتسع لهم الرزق، أخذت عقولهم تتفلسف في الدين، فتثير خلافات دينية، وتجتهد في بحثها، والتوفيق بين مظاهرها، وذلك متأثرين بحضارة اليونانيين وغيرهم بسبب الترجمة لكتبهم.

٣- المسائل السياسية:-

ومن أهم المسائل السياسية، مسألة الخلافة.[١]

وأما الأسباب الخارجية فأهمها:

١- دخول كثير من أهل الملل والأديان الأخرى في الإسلام: -

إن كثيراً ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح كانت لهم أديان وعقائد مختلفة، وكانوا قد نشأوا على هذه الأديان فلما استقروا على الإسلام، أخذوا يفكرون في تعاليم أديانهم القديمة، ويثيرون مسائل من عقائدها، ويلبسونها لباس الإسلام.

٢- الرد على المخالفين:-

إن الفرق الإسلامية الأولى خاصة "المعتزلة" كان من أهم أغراضها الرد على المخالفين، وما كان يتسنى لهم الرد إلا بعد الاطلاع على أقوالهم وأدلتهم، فأصبحت البلاد الإسلامية ساحة تعرض فيها كل الآراء والأديان.

---

(١) وذلك ما حصل بين الشيعة والأمويين والخوارج والمرجئة حيث كان الشيعة يرون أن علياً رضي الله عنه يستحق الخلافة بالنص، ويرى الحزب الأموي أن خلافة معاوية-رضي الله عنه-ثبتت باتفاق أهل الحل والعقد، وأما الخوارج فلا يرضون عن هؤلاء ولا أولئك، ويمثل المرجئة خطاً رابعاً بين هؤلاء جميعاً. ويجدر بالذكر أن المراد بالإرجاء هنا، إرجاء أمر المتقاتلين من الصحابة إلى الله -عزوجل- وليس هو الإرجاء المتعلق بالإيمان، وكان أول ظهور هذا الإرجاء كرد فعل لتكفير الخوارج للحكمين ولعلي بن أبي طالب-رضي الله عنه- فهذا الخلاف في أمر الخلافة كان سبباً في نشأة الفرق.

انظر: ضحى الإسلام (٣/٦، ٧)، الطبعة السابعة (...-...) ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

٣- ترجمة الفلسفات القديمة:-

إن حاجة المتكلمين إلى الفلسفة لوقوفهم أمام خصومهم يجادلونهم بمثل حججهم اضطرتهم إلى أن يقرأوا الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني.

فهذه الأمور كلها من داخلية وخارجية كانت وراء نشأة الفرق التي شهدتها الساحة الدينية بعد العصور الإسلامية الأولى.(١)

وكان المسلمون في شبه القارة الهندية على العقيدة الصحيحة منذ دخول الإسلام حتى مطلع القرن الرابع الهجري -كما تقدم- ثم بدأ ظهور الانحرافات العقدية، ونشأة الفرق، فما الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذه الحال؟.

أ - الأسباب الداخلية، وتتمثل هذه الأسباب فيما يأتي:-

أولا : التخلف الثقافي:-

إن البلاد الهندية تنورت بنور الإسلام في نهاية القرن الأول الهجري، وتشرفت باستقبال المجاهدين الأولين من العرب إلا أنهم لم يتغلغلوا في أعماق البلاد، وإنما انحصر نفوذهم في إقليم "السند" والمناطق المجاورة لها. وكذلك البحارون من العرب الذين كانوا يمرون بشواطئ "الهند" الغربية، ويتاجرون مع أهلها ما توغلوا في قلب البلاد، فانحصرت دائرة وجودهم في "مالا بار" ونواحيها من بلاد الشواطئ الغربية، فما امتدت أشعة نور الإسلام إلى داخل هذه البلاد إلا في مطلع القرن الخامس الهجري على يدي "السلطان محمود الغزنوي (ت: ٤٢١هـ) وأخلافه.

فالذين دخلوا "الهند" من جهة الشمال من الملوك والفاتحين -من الترك والأفغان والمغول- ما كانوا يعرفون الإسلام إلا قليلاً، وما اصطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الأولين من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين- ولهذا لم يؤثروا في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً قوياً، ولم يحدثوا فيها تغييراً مدهشاً.(٢)

ثانيا: إهمال الحكومات تثقيف المسلمين:-

قد حكم المسلمون هذه البلاد زهاء ثمانية قرون ونصف القرن، فما كان يهمهم

---

(١) انظر: ضحى الإسلام (٣/١-٩).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٣-٥).

من الغزو والقتال في هذه القرون المتطاولة إلا توطيد دعائم ممالكهم، ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون -من الترك والأفغان والمغول- بدعوة الإسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا لكان للإسلام شأن آخر في بلاد البراهمة اليوم. نعم، كان من بعض الحكام تعيين الدعاة والقضاة، وبناء المساجد والمدارس في بعض المدن الكبرى إلا أن هذه الخدمات لاتكاد تذكر بالمقارنة إلى حاجة البلاد.

ثم إن معظم هؤلاء الدعاة والوعاظ الذين دخلوا البلاد مع الفاتحين لم يكن لهم نصيب كبير من علم الكتاب والسنة. وكان العلماء منهم أيضًا مقتصرين على كتب الفقه والمنطق التي لا تروي الغليل، ولا تشفي العليل. وأما المتصوفة فحدث ولا حرج عن انصرافهم عن السنة، وتهافتهم على مزاعمهم الباطلة.

فالذين أسلموا من سكان البلاد، ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهود الوعاظ والدعاة، لم تعن الحكومات المسلمة بتعليمهم وتثقيفهم، فكانت النتيجة أن الجمهرة الكثيرة من أولئك الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية متسكعين في ظلام الشرك والوثنية.[١]

ثالثاً: قصور المناهج التعليمية:-

وللمنهج التعليمي الذي جرى العمل به في عصر الحكومات المسلمة الهندية أثر كبير في بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة، وعاداتهم الممتزجة بخرافات الوثنية. فإنهم لم يعطوا التعليم الديني حقه من العناية، ولم يهتموا أصلا بتثقيف الناشئة المسلمة تثقيفًا دينيًا.

فعدم الاعتناء بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وانحصار الدين في كتب الفقه التي ألّفها المتأخرون من الفقهاء، وانكباب الدارسين على التقليد الجامد، وتهافتهم على دراسة خرافات "اليونان" وخزعبلاتها، وانحرافهم عن اللغة العربية، أدى في النهاية إلى امتزاج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية، وأوهام المتصوفة.[٢]

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٥، ٦، ٨، ١٥).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٣٧).

- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠، ٢١).

رابعاً: بعد "الهند" عن مراكز التنوير الإسلامي -بلاد الحجاز، ومصر، والشام، والعراق- ووصول الإسلام إلى "الهند" بعد تعريجه على "تركستان" و"إيران". وصعوبة السفر للحج، والرحلة في طلب العلم إلى البلدان الأخرى مما أدى إلى بقاء أقلية مسلمة مغمورة في أكثرية هندوسية المتشبثين بعقائدهم الوثنية.[١]

خامساً: استبداد الحكام والسلاطين، وسلطتهم المطلقة، وظلمهم وعدوانهم، وإعراضهم عن أحكام الشريعة الإسلامية، وعبادتهم للنفس والأهواء مما يحمل الرجال الأقوياء الطامحين على ثورات وحركات قوية تهز الدولة، وتلحق الأضرار بالمسلمين.

أضف إلى ذلك أن الأمبراطورية المغولية العظيمة[٢] بدأت وجهتها تتحول بتأثير بعض الأغراض الشخصية، والميول والاتجاهات الفردية، والتأثيرات الخارجية، والمصالح السياسية المزعومة، من الارتباط بالدين الإسلامي، والتمسك بأهداب النبوة المحمدية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- وتمثيل الحضارة الإسلامية إلى الفلسفة البرهمية، والحضارة الهندية، ونظرية "وحدة الأديان"[٣].[٤]

سادساً: انتشار الخلوات والزوايا[٥] الصوفية في هذه البلاد، والتزام كثير من الناس هذه الخلوات والعيش فيها، وسماع كلام مشائخها، كل ذلك يورث الأوهام والظنون في النفوس مما يؤدي في النهاية إلى الانحراف عن الإسلام الصحيح، والسير وراء الأفكار الضالة، والأوهام الباطلة.[٦]

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٣٧).

(٢) كانت الأمبراطورية المغولية تلي الأمبراطورية العثمانية في الرقعة، والقوة العسكرية، والوسائل، والذخيرة. وكانت حدودها تمتد من بنغال الشرقية إلى حدود أفغانستان الغربية.

(٣) وكان ذلك في عهد أشهر ملوك الدولة المغولية "أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر" (ت: ١٠١٤هـ) الذي تولى السلطة في القرن العاشر الهجري، وأسس "المذهب الأكبري" أو "الدين الإلهي"، كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر: الإمام السرهندي (١١، ١٢، ٥١).

(٥) الخلوات والزوايا هي عبارة عن أربطة خيرية معدة لنزول المشائخ الصوفية ومريديهم والتي تسمى في البلاد الهندية بـ/ الخانقاه.

(٦) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية) للأستاذ محمد أسلم (٨٠، ٨١)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.

سابعاً: عدم وجود شخصية دينية قوية تسمو على المستوى العام في مقدرته العلمية والعقلية، تملك التأثير القوي، وتأخذ بمجامع القلوب، وتزيل الريب والشكوك، وتعيد الثقة والاعتماد على خلود الإسلام، وصدق الرسالة المحمدية، والشريعة الإسلامية، وأنّ أسباب الرقى والكمال راجعة إليها.(١)

٢- الأسباب الخارجية:-

بالإضافة إلى الأسباب الداخلية التي أشرت إليها كانت هناك أسباب خارجية أدت إلى الانحرافات العقدية وظهور الفرق، وتلك الأسباب تتلخص فيما يأتي:-

أولا: نزوح أصحاب الفرق الضالة من الخارج إلى البلاد الهندية:-

نزح "القرامطة" إلى إقليم "السند" من "البحرين" و بلاد فارس، وذلك في مطلع القرن الرابع الهجري. وقد تمكن هؤلاء من تأسيس دولة لهم في إقليم "السند". ولما دخل "السلطان محمود الغزنوي" (ت: ٤٢١هـ) بلاد "الهند" رافعًا راية الجهاد قضى على هذه الدولة، ونسف عاصمتها "المنصورة" فهربت فلول هذه الطائفة إلى بلاد "كجرات" الغربية التي أصبحت مركزًا للنحل الضالة فيما بعد.(٢)

كما وصل الدعاة الإسماعيليون -من الفرع المستعلي- إلى بلاد "كجرات" الساحلية من "مصر" و"اليمن" منذ وقت مبكر، وقد بلغ وصولهم ذروته في القرن العاشر الهجري عند ما انتقل مركز دعوتهم من "اليمن" إلى "الهند".(٣)

هكذا وصل أيضًا الإسماعيليون -من الفرع النزاري- من بلاد فارس إلى البلاد الهندية لما قام "هولاكو خان" بنسف قلعة "اَلَمَوْت" والقلاع الأخرى الإسماعيلية في فارس، وذلك عام (٦٥٤هـ).(٤)

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٥٢).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٧٦، ٨٧، ٨٩).
- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩، ١٠).

(٣) انظر: مذهب اسلام اور باطني تعليم (الدين الإسلامي والتعليم الباطني)، لمحمد سعيد مرزا (٣٢٠-٣٢٢)، اردو بازار، لاهور، پاكستان.

(٤) انظر: أعلام الإسماعيلية، لمصطفى غالب (٣١١، ٣١٢)، طبعة (١٩٦٤م)، دار اليقظة العربية، بيروت.

ومن ناحية أخرى وصل "مير شمس الدين العراقي" (ت: ٩٣٢هـ)، من "خراسان" لينشر المبادئ "النور بخشية" في "كشمير" وما جاورها من البلاد".[١]

ثانيا: صلات بعض ملوك الهند مع زعماء الفرق الضالة في الخارج:-

لما انهزم "الملك همايون بن بابر المغولي" (ت: ٩٦٣هـ) أمام السوريين الأفغان، لجأ إلى "إيران" ليستمد من "الشاه طهماسب الشيعي" -شاه إيران- لاسترداد مملكة "الهند" من أيدي السوريين، فوافق الشاه على هذا الطلب مقابل فتح أبواب "الهند" على مصارعها أمام التشيع الاثني عشري، وأمده برجال وعتاد حتى تمكن "همايون" من استعادة مملكة "الهند" للمرة الثانية، وتأسيس الدولة المغولية من جديد، وبذلك فتحت أبواب "الهند" أمام الدعاة الاثني عشريين من "الشيعة" وبدأ تدفقهم إلى هذه البلاد.[٢]

ثم إنه بعد وفاة "الملك همايون" لما تولى عرش "الهند" "الملك جلال الدين محمد أكبر" (ت: ١٠١٤هـ) توثقت صلاته مع زعماء "الفرقة النقطوية" في "إيران" واستقدمهم إلى البلاد الهندية، وولاهم المناصب العالية في الدولة، كما منح أتباع هذه الفرقة كثيرًا من المزايا والتسهيلات.[٣]

---

(١) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نور بخشية (الطبقات النورية في أحوال مشائخ النور بخشية) لمحمد ملا (ص ١٨٨، ١٨٩، ١٩٩)، ترجمة: محمد كيلاني، مكتبه قدوسية، كشميري بازار، لاهور.

(٢) انظر: الإمام السرهندي (١٣٤، ١٣٥).

(٣) كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الأول من هذا البحث إن شاء الله -تعالى-.

الفصل الأول

الفرقة النقطوية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث : آثارها.

المبحث الرابع : النقطوية في الميزان.

الفصل الأول: الفرقة النقطوية: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها:

تُعَدُّ "الفرقة النقطوية" من أخطر الفرق التي نشأت في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري. وترجع جذورها إلى أوائل القرن التاسع الهجري في منطقة "كيلان" الإيرانية على يد "محمود البسيخواني"[١] ونمت وانتشرت في كل من "إيران" و"الهند" في القرن العاشر، والحادي عشر الهجريين.

وكان "محمود" هذا في أول حياته ورعًا، يبحث عن العقيدة الصحيحة، والدين الصحيح، بين ركام من الفرق المتزاحمة في ذلك الوقت، فلا غرو إذًا أن نراه شغوفًا بالسفر والتنقل من مكان إلى مكان بحثًا وراء الغاية التي ندب نفسه لها، ووجد نفسه أخيرًا في "بيت المقدس" حيث اتخذ منها منطلقًا إلى كثير من البلدان حتى استقر به المقام في "إسترآباد" الإيرانية، وهناك تتلمذ على "السيد فضل الله الإسترآبادي".[٢]

---

(١) حاولت البحث عن ترجمة مفصلة له في كل المراجع التي توفرت لديّ، ولكن للأسف الشديد، لم أعثر على شيء من ذلك، إلا بعض الشذرات تتعلق ببعض مؤلفاته، وسيأتي الحديث عنها. ولعل الغموض الذي يسود تاريخ هذه الفرقة ودعاتها مرجعه إلى أن الخلف للملك "جلال الدين محمد أكبر المغولي (٩٤٩هـ - ١٠١٤هـ) لما تابوا ورجعوا عن دعوة "الدين الإلهي" أو "المذهب الأكبري" -الذي أسسه الملك "أكبر" المذكور- وكانوا يعتبرون تلك الفترة التي عاشتها البلاد في ظل هذه العقيدة وصمة عار، وفترة يجب نسيانها، لذلك أهمل المؤرخون عن عمد عملية التاريخ الدقيق للفرقة ودعاتها.

انظر: مجلة "فكرونظر" (ص ٥٠) العدد الثالث لسنة (١٩٦٠م) الصادرة من جامعة عليكره الإسلامية، الهند.

(٢) كان "السيد فضل الله الإستر آبادي" مؤسسًا للفرقة "الحروفية" في "إيران". وهي "فرقة شيعية" نشأت في نهاية القرن الثامن الهجري. وأدخلها في الدولة العثمانية تلميذ من تلاميذه يدعى بـ/"علي الأعلى". وعقيدة هذه الفرقة تقوم على فكرة أن الكون أبدي، يتحرك حركة أبدية. وهذا هو علة التغييرات التي نلاحظها عليه؛ وتنقسم هذه التغييرات إلى أدوار، يتميز أولها وآخرها بظاهرتين متشابهتين، وهما: ظهور آدم في البداية، ويوم حساب في النهاية. ويتجلى الله في شخص الإنسان، خاصة في وجهه، لأن الإنسان خلق على صورة الله.

وهذا التجلي يتم في صور متتابعة: هي صورة النبوة، فالولاية، فالألوهية. وقد كان محمد ﷺ =

وبعد مضي فترة من الزمن دبّ بينهما الخلاف حول بعض مسائل العقيدة، فطرده "فضل الله" من مجلسه، فكان يعرف بـ/ "محمود المطرود والمردود"، وبعد أن انفصمت صِلاتُه، وانقطعت علاقاته مع "فضل" المذكور أخذ يذهب إلى الغابات، ويشتغل بالعبادة، والرياضة النفسية، ويكتفي من الطعام بأكل العشب، وأوراق الشجر، وفي يومٍ من الأيام، ذهب إلى نهر "رَوْد أرس"[1] ليتوضأ، ولفت نظره وجود شيئ يجرفه تيار الماء، ولما اقترب منه هذا الشيء تبين أنه حبة جزر طازجة، فمدّ يده إليها، فأخذها، وأكلها. واعتبر هذا تأييدًا وكرامةً له من الله – تعالى– وهكذا كان يفعل كل يوم في الوقت المحدد؛ يحضر للوضوء عند النهر، ويجد هناك حبة جزر فيتناولها، ويحتسب ذلك رزقًا ساقه الله إليه.

ومَرَّ عليه شهران متتاليان وهو على هذه الحالة ففكر يومًا أنه يجب عليه أن يعرف من أين تأتي هذه الجزر؟ التي يطعمها كل يوم، وفي اليوم التالي، وقبل الوقت المحدد بقليل، صار يمشي عكس اتجاه المياه، ليتعرف على مصدر هذه الجزر، فلم يذهب إلا

= خاتم الأنبياء، ثم جاء من بعده الأولياء من علي – رضي الله عنه– إلى "الحسن العسكري"، وهو الإمام الحادي عشر. و"فضل الله الإستراَبادي" آخر الأولياء. وهو أيضًا الأول في السلسلة الإلهية، ففيه تجسد الإله. والصفة المميزة للإنسان هي الكلام، أو اللغة التي تكتب بالأبجدية العربية البالغ حروفها (٢٨) حرفًا. وللحروفية حساب مستخرج من "حساب الجمل"، استعاروه من "الإسماعيلية"، ولهذا الحساب شأن كبير في عقائدهم؛ ولكنهم يستخدمون أيضًا مجموعات من الأبجدية بحروف مكونة من واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة حروف مكتوبة. وعدد الخطوط في الملامح سبعة (أربعة جفون، حاجبان، والشعر. أو نصفا الشارب، وشعر العارضين، والذقن مقسومة على قسمين، والخصلة تحت الشفة السفلى) فإذا ضرب عدد هذه الخطوط في عدد العناصر، كان الناتج (٢٨)، وهو عدد حروف الأبجدية العربية.

وكتبهم الرئيسية هي: "الجاويدان الستة" (كتب أحدها "فضل الله" نفسه، والباقي بأقلام تلاميذه) و"حقيقت نامه" و"استواء نامه" و "هدايت نامه" و"محرم نامه".

بعض هذه الكتب بالفارسية ممزوجة بفقرات باللهجة السائدة في "إستراَباد" والبعض الآخر بالتركية.

انظر: الموسوعة الإسلامية الميسرة (١/٢٧٦، ٢٧٧)، أشرف على تحريرها نيابة عن الأكاديمية الهولندية: هـ. ا. ر. جب. و. ج. هـ. كالمزر. ترجمة: دكتور راشد البراوي. طبعة (١٩٨٥م) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. دائرة المعارف الإسلامية (٧/٣٦٢). نقلها إلى العربية: جماعة من العلماء.

(١) وهو نهر كبير ينبع من جبل "هزار" التركي، ويمر من بين "إيران" و"قفقاز" وينصب في بحر "خزر". انظر: مجلة "فكرونظر" (ص ٤٦).

قليلاً حتى رأى امرأة عريانة جالسة على شاطئ النهر، وفي يدها حبة جزر تقضي بها شهوتها، فلما فرغت من عملها ألقتها في النهر، وذهبت؛ و"محمود البسيخواني" ظل يراقب هذا العمل بدهشة وحيرة، وقال مخاطبًا لله – سبحانه وتعالى-: «هكذا ترزق عبادك المخلصين»؟ وانكسر قلبه، وساء ظنه بالله -عزوجل- واختار طريق الإلحاد والزندقة[١]؛ وألّف كتبًا ورسائل في نشر عقائده، وأشهر هذه المؤلفات ما يلي:

١- "بحر وكوزه" (أي: البحر والكوب).

٢- "ميزان محمود"[٢]. ٣- "مفاتيح"[٣]. ٤- "نقطوي متن"[٤].

٥- "تفسير خير البيان"[٥].[٦]

---

(١) هذه القصة تحمل في طياتها ما يدل على أنها مختلقة ومتكلفة، وأن محمود البسيخواني كان منحرفاً من أول أمره.

(٢) يوجد نسخة منه في مكتبة السيد محمد طباطبائي في "طهران". وقد نقل صاحب "دبستان مذاهب" فقرات من هذا الكتاب، وجاء في مستهله: «أستعين بنفسك الذي لا الله إلاه، الحمد لله الذي أظهر نفسه صفيًا، وفيًا كوكبيًا، طينيًا، إلهيًا، أديميًا، بنويًا، أوليًا، ثم أوضح نفسه من نفسه صوفيًا، عربيًا، فرقانيًا، للّهيًا، ماء يًا، واسطيًا، أميًا، قمريًا. ثم وجد نفسه لنفسه صوريًا أعجميًا عاميًا كتابيًا اَللّهيًا، شمسيًا، ترابيًا، آخريًا. ثم نظر إلى دائرة وجهه كاملاً، ووجد وجهه كتابًا نقطويًا، ومفتاحًا غيبيًا، وبرهانًا أبديًا ومجمعًا كليًا. ثم قرأ فيه عبارةً دُرّيَةً، وحجةً تفصيليةً، وإشارةً نطقيةً، وبشارة حرفيةً لا يعلم تأويله إلا. وهو من لا يدرك الأبصار إلى حد وجهه، ولا تبلغ الأوهام في كنه حدّه. ولا يحوي الأفهام بنهاية ظهوره. ولا يطلع الأنام بحدود بيانه. لا الله إلا إليه المصير».

يبدو من هذه العبارة واضحاً العقائدالنقطوية كما يأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني بإذن الله تعالى.

انظر: دبستان مذاهب لمؤيد كيخسرو (١/٢٣٣، ٢٣٤)؛ طبعة (١٣٦٢هـ)، كتابخانه طهوري، طهران، إيران.

(٣) يحتوي على (٢٤٦) ورقة، ويوجد نسخة منه في مكتبة "طهران".

(٤) يحتوي على (١٨٨) ورقة، ألّف "محمود" هذا الكتاب عام (٨٢٠هـ).

(٥) يوجد نسخة منه في مكتبة السيد محيط طباطبائي في "إيران".

(٦) وإلى جانب هذه الكتب توجد رسائل عديدة في مكتبة "إسماعيل أفشار" وفي مكتبة "السيد نصر الله تقوى" في "إيران". وكتاب عند الشيخ المفيد في "شيراز" وكتاب آخر في المكتبة العالية "بالمشهد"، وبعض الرسائل في منطقة "كيلان".

ذكر أسماء هذه الكتب والرسائل الدكتور صادق كيا -أستاذ اللغة الفارسية في جامعة "طهران"-=

وتدرج "محمود" في دعوته فادعى المهدية، ثم النبوة. والنقطويون يذكرونه بألقاب كثيرة من أهمها:

"المبين الأول والآخر" و"مبين الكل والكليات" "من عنده علم الكتاب" "آدم" "شخص آخر" "منشئ الكونين" "فاتح العرب والعجم" "إمام القبلتين" "جامع الأول والآخر" وغير ذلك.

وكان "محمود" يفضل حياة العزوبة، فلم يتزوج. أما وفاته فقد اختلفت فيها الآراء؛ فالبعض يرى أنها كانت انتحاراً بصب الماء المغلي على جسده. ويرى أتباعه أن ذلك من افتراءات أعدائه، وأن وفاته كانت طبيعية، وكان ذلك سنة (٨٣٢هـ)(١).

أسماء هذه الفرقة:-

تعددت ألقاب هذه الفرقة وأسماؤها، ومن بين هذه الأسماء ما اقتضته الفرقة نفسها، ووُضعت علماً لها، ومنها ما وضعه الخصوم، وهم لا يرضون به، وإن كانوا قد اشتهروا به في تاريخ الفرق، فمن الأسماء:

١- النقطوية وأهل النقطة:-

سميت بهذا الاسم لأن "محموداً" يرى أن كل شيء تم خلقه من الطين؛ والمراد من "النقطة" هو "الطين". أو لأن "محموداً" استعان بعدد الحروف والنقاط لتفسير القرآن الكريم حسب أهوائه الشخصية للاستدلال على آرائه، وعقائده.

٢- الواحدية والأمناء:-

الواحدية نسبة إلى "الواحد" وفي هذا المذهب، يسمى الأعزب "واحداً" والمتأهل "أميناً". وكان "محمود" يحث أتباعه على حياة العزوبة، ويفضلها على الزواج؛ ويفوز

= في كتابه "نقطويان يا بسيخانيان" (أي النقطويون أو البسيخانيون)، ونقل منه الدكتور نذير أحمد في كتابه "تاريخي وأدبي مطالع" (المطالعات التاريخية والأدبية) (ص ٣، ٦، ٧) طبعة عام (١٩٦١م) جامعة عليگره الإسلامية، الهند.

(١) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية) للبروفيسور محمد أسلم (٧٦ – ٧٨)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.

= نقطوي مذهب اور أس كا عروج أكبر كے عهد ميں (ص ٦، ٧).

الأعزب بالمرتبة العليا، والدرجة الرفيعة في هذا المذهب. وآثر "محمود" نفسه العزوبة على الزواج، فلم يتزوج في حياته.

٣- المحموديون أو البسيخوانيون:-

وذلك نسبة إلى مؤسس الفرقة "محمود" الذي كان ينحدر من قرية "بسيخوان" في منطقة "كيلان" الإيرانية.

٤- الملاحدة:-

هذا الاسم من وضع خصومهم؛ لأن عقائد هذه الفرقة تخالف عقائد المسلمين في باب الألوهية، والقيامة، والجنة، والنار، والثواب، والعقاب. ويؤمنون بمبدأ "الإنسان الكامل" و"المركب المبين"، وبألوهيته.

٥- التناسخية أو أهل التناسخ[١]:-

وذلك لأن "النقطوية" تؤمن بعقيدة التناسخ، وتتعصب لها، وتعتقد أن ذرات الأشياء لا تفني أبداً، بل تظل باقية؛ والذي يتغير هو الشكل والصورة، فالشيء الواحد يصير حجراً حيناً، وطينا حيناً آخر. وهكذا يتحول ذلك الشيء إلى حيوان أو إنسان. ويعرف بسلوك كل شيء وسيرته ماذا كان في حياته الأولى، ويسمون هذه المعرفة "الإحصاء" والعارف "المحصي".

٦- الزنادقة أو أهل الزندقة:-

سميت بهذا الاسم لأن "البسيخواني" أقدم على تفسيرات باطلة لآيات القرآن المجيد، كما أنشأ ضلالات، وانحرافات فيما بين المسلمين.[٢]

---

(١) التناسخ في اللغة إبطال شيء، وإقامة آخر مقامه. تقول العرب:"نسخت الشمس الظل". والمعنى: أذهبت الظل، وحلّت محله.

وفي الاصطلاح: «عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد».

انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨١/٧)، تحقيق: الدكتور عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة. والتعريفات للجرجاني (٦١).

(٢) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (المطالعات التاريخية والأدبية) (ص ٥، ٦).

دخـول النـقـطويين إلـى الـهـند[١]:-

لقد أدى الانتشار السريع لهذه الفرقة ومبادئها الهدامة في "إيران" إلى قلق الحكام الصفويين، وتخوفهم من مغبة هذا الانتشار لما له من خطورة على الدين والدولة.

وتكمن هذه الخطورة في نشأة مثل هذه الفرقة وسط الجماهير العريضة التي تدين بالتشيع؛ وكانت الدولة الصفوية في "إيران" تحاول توحيد مذهب الدولة في التشيع وحده، لتوطيد دعائم الحكم في البلاد، وتحمل الناس على اعتناق هذا المذهب بقوة السيف؛ فلم يتقبلوا - أي الحكام الصفويون- حدوث هذا الشرخ في الجدار الذي تعتمد عليه الدولة، فقرروا ضرب هذه الحركة، وإبادة أتباعها عن بكرة أبيهم.

فتقدم "الشاه طهماسب"[٢] لتنفيذ هذه الخطة فقتل كثيرين، وسمل أعين كثيرين أيضاً، كما ألقى بالبعض في غياهب السجون.[٣]

---

(١) بدأ توافد الإيرانيين إلى "الهند" منذ عهد "الملك همايون بن بابر المغولي" والد "الملك أكبر" إذ لم يتمكن من الصمود أمام هجمات "شيرشاه السوري" فغادر الهند ولجأ إلى "إيران" وطلب المساعدة من الشاه "طهماسب الصفوي" لاستعادة "الهند"، فأمده بجيوش وأموال، وأرسل معهم ابنه "ميرزا محمد" - الذي تولى السلطة في "إيران" بعد أبيه، ولقب بـ/"خدا بنده"- واستطاع "همايون" استرداد مملكة "الهند" للمرة الثانية بمساعدة الجيش الإيراني، وبذلك فتحت أبواب "الهند" أمام الوافدين من "إيران" وسمح "الملك همايون" لعلماء الشيعة القادمين من "إيران" بنشر التشيع بين السنيين الهنود؛ إلا أن تدفق توافد النقطويين إلى "الهند" جاء نتيجة الاضطهاد من قبل الحكام الصفويين من جهة، وتزامن ذلك الاضطهاد توجيه دعوة "الملك أكبر المغولي" إلى النقطويين للقدوم إلى "الهند" من جهة ثانية، كما سيأتي.

انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم، للدكتور بديع جمعة (١٣٤، ١٣٥) الطبعة الأولى (١٩٧٦م)، دار الرائد العربي.

(٢) هو الشاه طهماسب الأول بن الشاه إسماعيل بن السلطان حيدر الصفوي (٩١٩هـ - ٩٨٤هـ).

ولد في قرية "شهاباد" من "أصفهان" تولى عرش "إيران" بعد موت أبيه. وهو الملك الثاني للدولة الصفوية بعد أبيه "الشاه إسماعيل" توفى في "قزوين".

انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/١١٢، ١١٣).

(٣) ومن أبرز من قتل في عهد "الشاه طهماسب" "أبو القاسم أمر شاهي" الشاعر النقطوي، وأخوه "أبو تراب". وكان الأخير من المقربين إلى الملك، ومن أشهر العلماء في علم النقطة وأسرارها.

ولما تولى السلطة "الشـاه خُـدَا بَنْدَه"[١] استـمر في السياسة المرسومة تجاه النقطويين، وقتل بعضاً منهم.[٢]

وجاء بعد "خدا بنده" ابنه "عباس"[٣] فكان أشد من سابقيه بطشًا بأتباع هذه الفرقة، فأعمل فيهم السيف وأباد منهم الألوف؛ إذ لم تكن هناك فرقة أشد وأخطر على البلاد في نظره من هذه الفرقة، فقام بعملية واسعة للتنكيل، والتقتيل، والتشريد.[٤]

ومن جهة أخرى أعلن المنجمون في مجلس "الشاه عباس" أن اقتران الكواكب العلوية بالسفلية يبين لنا. أن حدثًا كبيرًا على وشك الوقوع في الأرض، وهذا الحدث سيذهب بملك عظيم من الملوك؛ ويعتقد أن هذا الحدث سيقع في أرض "إيران" ففكّروا في اتخاذ التدابير اللازمة لتفادي هذا الحدث، وأعلن رئيس المنجمين "مولانا جلال الدين التبريزي" أن الحيلة الوحيدة لتفادي هذا الحدث هو استقالة الشاه من منصبه لمدة ثلاثة أيام التي يظهر فيها تأثير الاقتران، وتسليم السلطة إلى رجل وجب قتله؛ وبعد المشاورات وتداول الآراء استقر الرأي على تنفيذ هذه الحيلة. وأجريت القرعة على عدد من المجرمين الذين ينتظرون عقوبة الإعدام، لتسليمه سلطة الدولة في الأيام الثلاثة هذه، وخرج السهم باسم "يوسف تركش دوز" أكبر داعية النقطويين؛ وحسب توصية المنجمين ترك الشاه

---

(١) هو الشاه ميرزا محمد بن الشاه طهماسب الأول الصفوي (٩٣٨هـ - ١٠٠٤هـ).
تولى السلطة بعد موت "الشاه إسماعيل الثاني" عام (٩٨٥هـ). وبعد صراعات وأحداث، اضطر الشاه محمد خدا بنده أن يخلع نفسه من السلطة، ووضع التاج على رأس ابنه "عباس" وذلك عام (٩٩٦هـ).
"خدا بنده" كلمة فارسية بمعنى "عبد الله" وهي في قواعد اللغة الفارسية تركيب إضافي مقلوب. وقد اشتهر "ميرزا محمد" بهذا اللقب؛ لأنه اشتغل بالعبادة بعد ما كف بصره.
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/١٦٣ - ١٨٣).

(٢) ومن أبرز من قتل في عهده "أفضل دوتاري" الشاعر النقطوي المشهور، والذي قتل في "إصفهان".

(٣) هو ميرزا عباس الأول بن الشاه خدا بنده الصفوي (٩٧٨ - ١٠٣٨هـ).
ولد في "هراة" ونشأ هناك، تولى عرش الدولة الصفوية بعد أن تنازل أبوه من السلطة عام (٩٩٦هـ)، وكان من أشهر ملوك الدولة الصفوية، وأعظمهم. توفى في "مازندران" ودفن في "كاشان".
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/١٩٥ - ٢٢٢).

(٤) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں (الفرقة النقطوية وتطورها في عهد الملك أكبر) للبروفيسور نذير أحمد (٥، ١١، ١٢)، جامعة عليگره الإسلامية، الهند.

سـلطتـه، ووضـع التـاج على رأس "يوسـف" المذكـور، وأمـر الوزراء والأمـراء وقـادة الجيوش بطاعته؛ وبعد انتهاء سـاعة الشؤم (؟) وزوال الخطر، اسـتعاد الشـاه عرشه[١]، وبطـش بـ/ يوسف المذكور، وقتله، وزعم أن هذه الفرقة سبب الشؤم والنحسة على بلاده، وأعلن عن القتل العام لأتباع هذه الفرقة، وقتل "درويش خسرو" -أحد أشهر الدعاة- ولما وصل -أي الشـاه- إلى "إصـفـهـان" أخذ هناك أكبر زعيم النقطويين "مير سيد أحمد الكاشي[٢]" وقتله بيده. وبسبب هذه الأحداث، واشتداد الوطأة على النقطويين هرب الكثير منهم أمام هذه البطشـة الكبرى، ودخلوا "الـهند"؛ إذ وجـدوا فـيـهـا الملاذ الآمن، والحـيـاة المستقرة، والمناخ الملائم لنشر أفكارهم وعقائدهم.[٣]

يقول الدكتور بديع جمعة: «وقد تعرضت هذه الدعوة -أي النقطوية- للتنكيل من قبل "الشـاه طهمـاسب الأول" ولكن اضطراب الأحـوال خلال سني "الشـاه إسمـاعيل الثـاني" و"السلطان مـحـمـد خدا بنده" سـاعد على ازدهار تلك الدعوة من جـديد. ولذا مـا أن تولى "الشاه عباس" الحكم، واطلع على تفشي خطر النقطويين، حتى صمم على التخلص منهم، وتخليص البلاد من شرورهم، فـأسـرع على الفـور إلى مـعـرفـة هذا المذهب للاطلاع عليه، ولمعرفـة أسبـاب إقبـال العـامـة على مـبـادئهم، ولكي يعـرف السـراديب السـرية في دارهم، فوجدها مليئة بالخمر المعتّقة، ومعدات اللعب؛ فأمر بإلقاء القبض على رؤسـائهم، والفتك بكل من تبع هـذا المذهب الـهـدام، ومن بين الـذين ألقى القـبـض عليـهـم "درويش خـسـرو" و"يوسف تركش دوز"[٤] وقد نفذ الشاه فيهما حكم الإعدام.

وعند مـا أدرك أتبـاع المذهب النقطوي بأنه لا بقـاء لمذهبـهـم في "إيران" طالما كـان

---

(١) تدل هذه القصة على معرفة المنجمين بالمغيبات والأمور المستقبلية، فهي قصة خرافية.

(٢) هذا الداعية هو الذي وجّه إليه ملك "الهند" "أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر" (٩٤٩هـ - ١٠١٤هـ) مؤسس "المذهب الأكبري" خطاباً يستقدمه إلى بلاد "الهند"، كما سيأتي قريباً.

(٣) انظر: مآثر الأمراء لشاه نواز خان (٣/٢٤٣، ٢٤٤)، ترجمة: البروفيسور محمد أيوب قادري، مركزي اردو بورڈ، لاهور، پاكستان.

(٤) ذكر - أي الدكتور جمعة - في هامش كتابه قصة تنصيب "يوسف" المذكور ملكا لإيران، ثم الفتك به بعد ثلاثة أيام.

انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/٢٧٤).

"عباس" يتعقبهم، ويقضي عليهم، نجدهم يرحلون إلى "الهند"، ويعيشون في كنف حاكمها "جلال الدين محمد أكبر" الذي اتسم عهده بالتسامح الديني[١]، والمساواة بين جميع أبناء آدم، دون النظر إلى مذهبهم أو جنسهم».[٢]

ففي الوقت الذي كان يعاني فيه النقطويون الكثير من أنواع الاضطهاد والتعقب والقتل في "إيران" كان الملك "أكبر" يعتلي عرش مملكته في "الهند"، وكان وزيره "الشيخ أبو الفضل"[٣] على صلة وثيقة بدعاة "النقطوية"، فأخذ يذكرهم أمام "الملك أكبر" ويستدر عطفه عليهم، وكانت سياسة "الملك أكبر" تقوم على أساس تقريب زعماء الأديان، والملل، والمذاهب إلى مجلسه، والتعرف عليهم، وبسط الود لهم ليتمكنوا من الإفصاح - في حرية- من عقائدهم ومبادئهم التي يتمسكون بها. وقد سبق أن تأثر بآراء "النقطوية"، فوجه خطاباً مطولاً إلى زعيم النقطوية "مير سيد أحمد الكاشي".

واحتوى هذا الخطاب على عطف ومودة خالصة من "الملك أكبر" للنقطويين، والعلاقة الروحية التي تربط بينه، وبين "أحمد الكاشي" ولو بعدت المسافة الظاهرة، وذلك لوحدة الاتجاه. كما أن فيه دعوة حارة لقدومه إلى "الهند"، وثناء عطر على الداعية النقطوي المشهور "درويش خسرو" - شيخ الكاشي- و" السيد إسحاق" ودعوتهما للقدوم إلى "الهند". وطلب من "السيد أحمد الكاشي" أن يوصي جميع القادمين إلى "الهند" للذهاب إلى العاصمة المغولية، ومقابلة "الملك أكبر" مباشرة؛ لأن فيه مصلحة لهم. وقد تم إرسال خطاب الملك هذا إلى كبير دعاة "النقطوية" في "إيران" سنة (٩٩٤هـ).[٤]

---

(١) يقصد الدكتور جمعة من "التسامح الديني" الدعوة إلى "وحدة الأديان" التي تبناها "الملك أكبر" تحت شعار "صلح كل" -أي المصالحة مع الجميع- وهي فكرة خبيثة كما يأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس من هذا البحث - إن شاء الله تعالى-.

(٢) انظر: نفس المصدر (٢٧٣/١ - ٢٧٥).

(٣) هو الشيخ أبو الفضل بن مبارك الناكوري (٩٥٨ - ١٠١١هـ) العقل المدبر، والعضد الأيمن للملك "أكبر" كان نقطوياً، سيأتي التفصيل عنه في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) هذا الخطاب محفوظ في مكتبة جامعة "طهران" في قسم اللغة الفارسية، وقد حصل "الدكتور نذير أحمد" على نسخة منه، ونشر ترجمة مفصلة باللغة الأردية في مقاله: "نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں" (ص ١١-١٧). وفيما يلي أقدم ترجمة عربية لنص الخطاب كما جاء في اللغة الأردية:

....

«من حضرة الملك جلال الدين أكبر إلى الأمير أحمد الكاشي. الصلة الروحية، وقرابة الباطن، أساس العلاقات بين بعيدي النظر، وعارفي الحق، وأهل البصيرة. ما أسعد ذلك الشخص الذي يهذب علاقاته الروحية، ويستمر في عبادة ربه. أشكر الله – سبحانه وتعالى– على أن هذه الحقائق لا تخفى على شجرة في بستان النبوة، وينبوع في الصحراء "صفي الدين أحمد الكاشي". وهذا العبد الفقير إلى جناب رب العزة والجلال على علم تام بمراتب أهل الحق، ولا ينبغي له أن انتابه القلق لبعد المسافة، بل نحن متقاربون من حيث وحدة الاتجاه والتربية الروحية. وقد ترسخ في قلبي حبُّ أهل "إيران" منذ عهد بعيد، وكم يسعدني أن تفوز هذه الجماعة المباركة بالسعادة الظاهرة والباطنة بالقرب مني، ويعيش الصغير والكبير منهم في ظل عاطفتي وحناني، ولو كان وجود هذا العارف للحقائق بين المعتقدين من الاتفاقات الحسنة، وأن الطبقة النجيبة قد ظفروا بالهداية من بركة هذا العارف، وكم يسعدني أن يشرف مجلسي –الذي تحل فيه المشاكل الدنيوية، والمسائل الأخروية– هذا المورد للفيض الغيبي، والطريق الإلهي[1] وذلك استمرارًا للإرادة، والعقيدة.

وبشروا باتجاهاتنا الظاهرة، والباطنة إلى منبع العلم والحكم، إمام أهل الاعتقاد، قدوة أصحاب الأخلاق الفاضلة، والدرجات الرفيعة "سديد الدين درويش خسرو" والذي بلغنا عن فضله ومكانته عن طريق "أبي الفضل" الصادق القول والعارف بالرجال، فتوطن حبه في قلوبنا، وأننا راغبون في لقائه.

وما أسعد هذه الجماعة التي ترشد طلاب الدنيا إلى الحق، وتنير الطريق أمام المقلدين، وتكشف عن عيونهم الحجب، وتمنحهم أنوار التحقيق، ومعرفة الحق.

إضافة إلى ذلك أرجو من "رشيد الدين إسحاق" الذي يُعَدّ من كبار الفضلاء، وأشهر العلماء، والذي فاز بالمراتب العالية، وترقى إلى المنازل الرفيعة إن قدم إلى بلاطي، وانخرط في رجال حاشيتي فذلك حسن.

وأرجوكم أن تشعروا جميع النقطويين الذين يوجدون في تلك البلاد بأنه يسرنا أن نستقبلهم في مجلسنا، والذي يعتبر مرجعًا لأصحاب القلوب النيرة، وإن لم يتمكنوا من القدوم الآن، للموانع والحواجز، فالباب مفتوح للقدوم في أي وقت آخر.

ونظرًا لبعد المسافة بيننا توخينا اختصار هذه الصحيفة». "٨ آذر ماه سنة ٩٤".

يمكنني أن أستخلص من هذه الرسالة الأمور التالية:

١– صلة الملك "أكبر" العميقة بالحركة النقطوية في "إيران".

٢– علاقة الحكام الصفويين في "إيران" بالحكام المغول في "الهند".

٣– حب الملك "أكبر" وتقديره لكبار دعاة النقطوية وكثرة ثنائه عليهم، وتلقيبه لهم بألقاب تدل

(١) يقصد بذلك "مير أحمد الكاشي" داعية النقطويين الذي وجه إليه هذا الخطاب.

وبعد توجيه هذه الدعوة المباشرة إلى زعماء "النقطوية" وأتباعها للقدوم إلى "الهند"، فتح باب الهجرة على مصراعيه، فهاجر أفواج متعاقبة من النقطويين فرارًا من الاضطهاد إلى "الهند"، ونشروا عقائدهم على نطاق واسع تحت عناية الملك وحمايته؛ إلا أن "مير سيد أحمد الكاشي" لم تتح له فرصة القدوم إلى "الهند"، وقتل سنة (١٠٠٢هـ) أي بعد ثماني سنوات من إرسال هذا الخطاب.(١)

ثم إن "الملك أكبر" أقدم على خطوة أخرى لحماية النقطويين في "إيران" نفسها حيث بعث خطابًا إلى "الشاه عباس" -شاه "إيران" الصفوي- مباشرة، ويتلخص هذا الخطاب في دعوة الشاه إلى التسامح الديني، وعدم التعصب لمذهب على حساب مذهب آخر،والاحتجاج على استخدام العنف ضد النقطويين، كما أن فيه دعوة صريحة إلى مذهب "الملك أكبر" الجديد الذي أسسه تحت شعار "صلح كل" أي المصالحة مع الجميع، وهو الشعار الذي حمله الملك للتوحيد بين الأديان.(٢)(٣)(٤)

= على تقديره لهم، وإعجابه بهم. وهم:

١- مير أحمد الكاشي، الذي لقبه بـ/ صفي الدين.

٢- درويش خسرو، الذي لقبه بـ/ سديد الدين.

٣- السيد إسحاق، الذي لقبه بـ/ رشيد الدين.

٤- دعوته لكبار النقطويين أولا، ثم لكل النقطويين عمومًا بالقدوم عليه، والعيش الرغيد في ظل مملكته.

(١) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں. (ص ١٧).

(٢) يلاحظ أن هذا الخطاب بعث به "الملك أكبر" عام (١٠٠١هـ) بعد أن أخذ "المذهب الأكبري" شكله النهائي، إذ كان الإعلان عن هذا المذهب عام (٩٩٠هـ) - كما يأتي في الفصل السادس - فمن الطبعي أن يدعو "الملك أكبر" "شاه إيران" إلى مذهبه.

(٣) نشر الدكتور نذير أحمد ترجمة بعض الفقرات من هذا الخطاب التي تتعلق بالتسامح الديني مع الفرقة "النقطوية"، والدعوة إلى مذهبه الجديد، وذلك في مقاله: فرقه نقطوي پر ايك طائرانه نظر (نظرة عابرة على الفرقة النقطوية) في مجلة "فكر ونظر" (ص ٤٨، ٤٩) في عدد يوليو سنة (١٩٦٠م) الصادرة من جامعة عليگره الإسلامية.

أيضًا في كتاب: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں. (ص ٤٣ - ٤٥).

(٤) وقد تم إعداد خطابين للرد على خطاب الملك "أكبر" أحدهما شديد اللهجة، والثاني لينها، وهو الذي تم إرساله إلى الملك "أكبر" وتضمن هذا الخطاب بالإضافة إلى المسائل الداخلية والخارجية أمرين مهمين:

١- تأكيد الشاه على أن إقليم "بخارى" والأقاليم الأخرى في بلاد ماوراء النهر ستلقى فيها =

والخلاصة أن موجات هجرة النقطويين إلى بلاد "الهند" بدأت منذ وقت مبكر بعد تولي "الملك أكبر" السلطة سنة (٩٦٣هـ). وبلغت ذروتها بعد اضطهاد الحكام الصفويين لهم، وتوجيه الدعوة المباشرة من قبل "أكبر" إلى زعماء النقطويين؛ فهاجر عشرات الألوف منهم إلى "الهند"، وفي مقدمتهم كبار دعاتهم.

== الخطبة باسم الإمام الثاني عشر، وتضرب العملة باسمه أيضاً، وتروج اللعنة على أعداء الدين - يقصد بهم أهل السنة؛ لأن هذه المناطق لا يوجد فيها "الشيعة"-.

٢- نقد الشاه شعار الملك "أكبر" "صلح كل" (أي المصالحة مع الجميع)، وذلك لأن كل نبي قاتل مخالفيه في زمنه، فلا يجوز الصلح مع الجميع.

انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں (ص ٤٥).

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها:

أ : العقائد:-

بعد أن انتهيت من دراسة نشأة "النقطوية"، وتاريخ دخولها في "الهند"، أشرع في دراسة عقائدها، والترجمة لأشهر دعاتها. ومن خلال دراستي لهذه الفرقة، وتتبع آثارها، والاطلاع على كثير مما كتب عنها، يمكنني أن أتحدث عن أهم عقائد هذه الفرقة فيما يلي:

أولا : الإيمان "بالإنسان الكامل" و"المركب المبين":-

يرى "محمود البسيخواني" أن جسمه خلق من جسم نبينا محمد -ﷺ- بعد حصول الكمال لجسمه -ﷺ- فهو -أي محمود- أكمل جسمًا، وأرفع شأنًا، وأعلى منزلة من نبينا محمد -ﷺ- وفي قوله -تعالى-: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١] إشارة إلى ذلك، بأن المراد "بالمقام المحمود" الدرجة التي وصل إليها "محمود البسيخواني" وهي درجة الإنسان الكامل في أعلى مظاهرها.[٢]

ويرى أن "العناصر"[٣] لما ارتقت وصلت إلى مرتبة "المعدن" وما يزال "المعدن" يترقى حتى تشكل في صورة "النبات" ولم يزل النبات يترقى أيضًا ليصل إلى "الصورة

---

(١) من الآية: ٧٩، سورة الإسراء.

(٢) وهو تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة. وقد ذكر الإمام الطبري قولين في تفسير "المقام المحمود". الأول: الشفاعة، والثاني: هو قعود النبي -ﷺ- على العرش. وقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح في الخبر عن رسول الله -ﷺ-» وساق الأحاديث على أن المراد "بالمقام المحمود" الشفاعة. انظر: جامع البيان (١٥/١٤٤ - ١٤٨)، الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٣) يقصد بالعناصر، الأخلاط، وهي "الأسطقسات" عند اليونان، بمعنى "الأصل" وتسمى العناصر الأربع التي هي الماء، والأرض، والهواء، والنار "أسطقسات"؛ لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات، والنباتات، والمعادن.

أنظر: التعريفات للجرجاني (١٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

والمقصود بالعناصر هنا "الطين" أي الأرض؛ لأن الطين أساس كل شيء في الفكر النقطوي.

الإنسانية" ومازال الإنسان يترقى منزلة بعد أخرى حتى فاز بالمرتبة العليا، وظهر "الإنسان الكامل" وهكذا كان الجسم الإنساني يسير منذ نبي الله آدم -عليه السلام- على أطوار الرقى والارتفاع حتى وصلت إلى "المرتبة المحمدية" -ﷺ-[١] وما زالت "المرتبة المحمدية تترقى حتى ظهر شخص "محمود" في أعلى مظهر للكمال الإنساني، وإلى ذلك أشار النبي -ﷺ- في قوله: «أنا وعلي من نور واحد»[٢] وفي قوله: «ولحمك لحمي، وجسمك جسمي»[٣].

ويرى "محمود" أن في مثل هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى أن اجتمعت قوة

---

(١) ويجدر بالذكر هنا أن "المرتبة المحمدية" أو "الحقيقة المحمدية" أو "النور المحمدي" اصطلاحات بدائية لفلسفة "الإنسان الكامل". و"المرتبة المحمدية" هي أعلى مظهر للإنسان الكامل عند القائلين بهذه الفكرة ماعدا "النقطوية"، فهي ترى أن "الحقيقة المحمدية" أيضًا مازالت في تطور ورقى حتى وصلت إلى "المرتبة المحمودية" وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ. وروى الإمام أحمد بسنده عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله -ﷺ- يقول: «كنت أنا وعلي نورًا بين يدي الله -عزوجل- قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزأ أنا، وجزأ علي -عليه السلام».

وقال عنه المحقق: موضوع، في إسناده "الحسن بن علي البصري" متهم بالكذب.

انظر: فضائل الصحابة (٦٦٢/٢، ٦٦٣ برقم: ١١٣٠)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ) جامعة أم القرى، مكة المكرمة. وأورده المحب الطبري، ونسبه لأحمد في المناقب.

انظر: الرياض النضرة (١٢٠/٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، وأخرج العقيلي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- أنه قال لأم سلمة: «يا أم سلمة، إن عليًا لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي». وفي إسناده "داهر بن يحيى الرازي"، قال عنه العقيلي: «كان ممن يغلو في الرفض، لا يتابع على حديثه»، وفيه أيضًا "عباية الأسدي يشرب الذي وجده". وأما: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فصحيح من غير هذا الوجه.

انظر: الضعفاء الكبير (٤٦/٢، ٤٧) الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقال الحافظ ابن حجر: «"داهر بن يحيى الرازي" رافضي بغيض، لا يتابع على بلاياه».

انظر: لسان الميزان (٤١٣/٢، ٤١٤) الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

وأورده المتقي في الكنز، وفيه "أم سليم" بدلا من "أم سلمة" ورمز للعقيلي في الضعفاء.

انظر: كنز العمال (٦٠٧/١١ برقم: ٣٢٩٣٦)، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ) مكتبة التراث الإسلامي.

وصفاء أجساد جميع الأنبياء، وخلق منها جسم النبي -ﷺ- وجسم "علي" -رضي الله عنه-، ثم التقت أجزاء هذين الجسمين في القوة والصفاء وخلق منها جسم "محمود البسيخواني"، فهو أعلى مظهر للكمال الإنساني.[١]

وأما "المركب المبين" فهو وجه آخر لنظرية "الإنسان الكامل" عند "محمود البسيخواني" حيث يرى أن حياة التقشف والشظف، والانقطاع عن الدنيا، والابتعاد عن الزواج هي الحياة الفاضلة، وسلّم الارتقاء إلى المنازل العليا، والدرجات الرفيعة. ويسمى الأعزب "واحداً"، والواحد هو المرشح الوحيد للوصول إلى "المرتبة الواحدية"، وذلك بعد التجرد الكامل، والانقطاع التام عن الدنيا، فلا يأخذ منها إلا ما يقيم به عوده. وبعد الرياضة الشاقة، وتزكية النفس، واجتياز مراحل الارتقاء درجة بعد أخرى، يصل "الواحد" إلى "المرتبة الواحدية"، وتتجلى فيها الصفات الألوهية، ويسمونه "المركب المبين".

وعلى هذا وضع "محمود" كلمة النقطويين هكذا: "لا إله إلا المركب المبين" بدلا من كلمة التوحيد.[٢]

والمقصود "بالمركب المبين" هو "الإنسان الواحد" الذي وصل إلى "المرتبة الواحدة" كما وضع في موضع قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣] أنا "المركب المبين" ووضع في مكان البسملة عبارة «أستعين بنفسك الذي لا إله إلا هو».

يقول "محمود": إن الإنسان يزال عبداً ما لم يعرف نفسه، وإذا عرف نفسه وصل إلى مرتبة الوحدة مع اللّه، ويرى أن ذاته تتمثل في أعلى مظاهر الشخص الواحد فهو "المهدي الموعود"، الذي تتجلى فيه صفات الإله، وشريعته ناسخة لشريعة محمد -ﷺ-.

وأما المتزوج فيسميه "أميناً" وهو لا يستحق "المرتبة الواحدة" بتاتاً، ويوصيه "محمود" بألا يقترب من المرأة إلا مرة واحدة في العمر، وإن لم يصبر على ذلك فمرتان

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام لمحمد نجم الغني (٥٧٣) رضا پبلي كيشنز، لاهور، پاكستان.

(٢) يلاحظ أن كلمة النقطويين لا تضم ما يقابل الشطر الثاني لكلمة التوحيد في الإسلام، وهو "محمد رسول اللّه" وذلك بناء على "العقيدة الألفية" التي تقضي بانتهاء صلاحية نبوة محمد -ﷺ- وشريعته بعد ألف عام كما سيأتي.

(٣) من الآية: ١١، سورة الشورى.

في السنة، وإذا غلبت الشهوة أكثر، فبعد كل أربعين يومًا، أو كل أسبوع وهو الحد الأدنى.[١]

ثانيًا: الإيمان بالتناسخ:-

تؤمن "النقطوية" بعقيدة التناسخ، وتتعصب لها، وتؤمن بوجود الذرات، وهذه الذرات هي مواد الأشياء وأصولها، وهي محدودة، لا تزيد ولا تنقص، وباقية لا تفنى أبدًا؛ والذي يتغير هو الشكل والصورة، فالشيء الواحد قد يصير حجرًا، وقد ينقلب طينًا، وقد يتحول ذلك الشيء إلى حيوان أو إنسان وهكذا.

وتعتقد بقدم العالم، ولا تؤمن بالبعث والنشور، وتعتبر النعمة والراحة في الدنيا مكان الجنة؛ والشقاء والتعب والذلة مكان النار؛ وذلك جزاء على الأعمال الحسنة والسيئة.

ترى "النقطوية" أن الإنسان إذا مات يستحيل جسمه نباتًا، فإذا أكل هذا النبات إنسان أو حيوان آخر ينتقل هذا الإنسان إلى ذاك الإنسان أو الحيوان. وهذه العملية تستمر إلى ما لا نهاية. ويمكن للمختص في شئون التناسخ معرفة عما كان هذا الإنسان في جسد حياته الأولى، وذلك بالتعرف على سلوكه وتصرفاته في جسد الحياة الثانية. ويسمون هذا المختص في الاصطلاح النقطوي بـ/"المحصي" وعملية التعرف "الإحصاء".[٢]

فإذا كان الإنسان مثلاً في حياته الأولى دجالاً محتالا فبعد موته إذا تناسخ إلى

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٤).
- تاريخي وأدبي مطالع (٨، ٩).
- مجلة "فكر ونظر" (٣٩).

(٢) وكان "محمود البسيخواني" يدعي ويؤكد أن جميع الأشياء الموجودة أمامه يمكنه أن يخبر عن ماضيها وكيف كانت في الحياة السابقة، وذلك بمجرد النظر إليه، والتعرف على سيرته.

وهذا يشبه ما يروى عن "فيثاغورس" - أحد فلاسفة اليونان- أنه رأى إنسانًا يضرب كلبًا، فمنعه عن ضربه قائلاً للضارب: «إنه تبين في عوائه صوت أحد أصدقائه، بل زعم أنه هو نفسه، كان في غيره ممن سبقوه، وأن روحه كانت في "هرمس" إله الحكمة، ومن ثم انتقلت منه إلى غيره حتى انتهت إليه».

انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار (١/٣٨٤)، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مكة المكرمة.

حيوان يصير "سنجابًا" وإذا صار إلى النبات يصبح "بطيخًا"، وإذا نسخ إلى جماد يصير"حجراً". وكان طائر "براعة"[١] رجلاً للإضاءة في الحياة الأولى فتناسخ إلى هذا الطير. وكانت الكلاب في الحياة الأولى رجال "قزلباش"[٢] والذنب الأعوج عند الكلب هو السيف الذي كان يحمله رجال "قزلباش"، وبعد التناسخ وصل إلى هذه الحالة.

وترى "النقطوية" أن الكمال في الحديد أن يقتل به ولي أو نبي، ويعتقدون أن الحسين - رضي الله عنه- كان في حياته الأولى موسى - عليه السلام- وكان يزيدُ فرعونَ. ففي الحياة الأولى أغرق موسى - عليه السلام- فرعون في البحر. وفي الحياة الثانية انتقم يزيد من الحسين - رضي الله عنه- فحرمه من ماء الفرات وقتله.

ويقولون: إن السود من الحيوانات، والنباتات، والجمادات كانوا بشرًا سودًا، والبيض منها كانوا بشرًا حسان الوجوه في حياتهم الأولى.[٣]

الثالثة: الإيمان بالعقيدة الألفية:-

يرى "محمود" أنه بظهوره قد انتهى دور العرب، وابتدأ دور العجم، وبهذا انتهت صلاحية شريعة الإسلام التي جاء بها محمد -ﷺ- لأن مدتها ألف سنة.

وكان يرى أن مدة العالم ستة عشر ألف سنة، خلت منها ثمانية آلاف وبقي مثلها، وهو الحد الفاصل بين منتصف حياة الدنيا؛ وكان في الثمانية الآلاف الأولى ثمانية أنبياء مرسلون من العرب، وفي الثمانية الآلاف الآخرة سيظهر ثمانية من "المركب المبين" وهم من العجم، وهو الأول منهم، وذلك بناء على أن النبي المرسل الآخير للدور الأول كان محمد -ﷺ-. وهذا الدور مدته ثمانية آلاف سنة، وهو دور العرب، والألف الثامن والأخير منها مدة نبوة نبينا محمد -ﷺ- وقد انتهت؛ وفي الثمانية الثانية يكون دور العجم في تحمل

---

(١) نوع من الذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج.

(٢) "قزلباش" اسم لقبائل في "إيران" وكانت الجيوش وكبار القادة في الدولة الصفوية من هذه القبائل. وهم يمثلون "الإنكشاريين" في الدولة العثمانية التركية.

(٣) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٤، ٥٧٥).

- مقال: فرقه نقطوي پر إيك طائرانه نظر (نظرة عابرة على الفرقة النقطوية) بقلم الدكتور نذير أحمد في مجلة "فكر ونظر" (ص ٣٧، ٣٨) عدد يوليو، لسنة (١٩٦٠م) جامعة عليكره الإسلامية، الهند.

أعباء الدعوة.[١]

وكان دعاة النقطويين بعد قدومهم إلى بلاط الملك "أكبر" يناظرون علماء البلاط على "العقيدة الألفية" ويستدلون بكتابات "محمود البسيخواني" أن في سنة (٩٩٠هـ) يظهر شخص يدعو إلى الدين الحق، ويمحو الباطل، ويؤكدون أن الملك "أكبر" هو هذا الشخص[٢]، وذلك في إشارة واضحة إلى "العقيدة الألفية" بأن الألف الثاني تتطلب شريعة جديدة، وشارعًا جديدًا، وهذه العقيدة كانت أكبر باعث لإنشاء "المذهب الأكبري"[٣] كما سيأتي.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «إن للعقيدة الأساسية التي نادى بها "محمود البسيخواني" وهي أن الدين الإسلامي أصبح منسوخًا، فلا مناص من قبول الدين الجديد الذي جاء به "محمود" وإن الإسلام قد استنفد دوره، وقضى عمره، فمسّت الحاجة إلى دين جديد، صلةً خاصة بالعمل التجديدي الذي قام به الإمام السرهندي[٤]، ويدل إعلان هذا الدين الجديد وظهوره في القرن العاشر على وجود هذه "العقيدة الألفية" لديهم، وأنهم – منذ طلوع الألف الثاني– يبدأون بحركتهم ودعوتهم بجد واجتهاد».[٥]

رابعًا: بدع ومنكرات وأخرى:-

يزعم النقطويون أن القرآن الكريم من تأليف نبينا محمد -ﷺ-. والأحكام الشرعية، هي آراء الرجال. ويستهزئون بالصلاة، والحج، والأضحية. وإذا رأوا أحد المسلمين في الصلاة يقولون: إذا كان الله في السماء فما الفائدة لوضع الرأس على الأرض، فهل يقبل

---

(١) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج "أكبر" كے عهد ميں (ص ٧).
– فكر ونظر (٣٧).

(٢) يلاحظ أن هذه السنة وهي عام (٩٩٠هـ) شهدت الإعلان عن "المذهب الأكبري"، كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: فكر ونظر (٥٠، ٥١).

(٤) هو: أحمد بن عبد الأحد السرهندي، المعروف بـ/ مجدد الألف الثاني (...– ١٠٣٤هـ) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٥) انظر: الإمام السرهندي حياته وأعماله (٥٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار القلم، الكويت.

العقل ذلك؟. وإذا رأوا الحجيج يسعون بين الصفا والمروة، يقولون: ماذا ضاع عن هؤلاء، يجرون للبحث عنه. وإذا رأوا حيوانات الأضاحي، يسألون المسلمين، ماذا فعلت بكم هؤلاء البهائم؟ وعلام تقتلونهم؟.

لا يرى النقطويون وجوب الاغتسال من الجماع، ويقولون: لماذا يجب الاغتسال من خروج المني، وهو بذرة خلق الإنسان، ولا يجب من خروج البول والبراز، وهما من النجس، ويسمون شهر رمضان شهر الجوع والظمأ، ويسخرون من أحكام الطهارة والغسل، ولا يؤمنون بحرمة النساء المحرمات، وينكرون الأمور المأثورة، ويدعون إلى الأمور العقلية.

ولهم دعاء خاص يرددونه عند شروق الشمس، وعند التقاء أتباع "النقطوية" يردد كل واحد لفظ الجلالة "الله" "الله" بدلاً من إلقاء التحية المسنونة.[١]

ب : أشهر دعاتها:

لقد انخرط في سلك الدعوة "النقطوية" دعاة كثيرون لعبوا دوراً فعالاً وأدوا مهمات شاقة في تبليغ هذه الدعوة، مما كُتِب لها الانتشار والتطور في "إيران" و"الهند" وبلاد أخرى مجاورة. وأكتفي هنا بذكر الدعاة النقطويين الذين قدموا إلى بلاد "الهند" وساهموا في نشر هذه الدعوة في ربوعها، ومنهم:

١- "شريف الآملي":

هو "سيد شريف الآملي"[٢] أحد العلماء البارزين في العلوم الحكمية. ومن أوائل زعماء "النقطوية" الذين غادروا "إيران" وتوجهوا إلى بلاد "الهند"، ولعبوا دوراً نشطاً في نشر هذه الفرقة في ربوع بلاد القارة الهندية.

كان "الآملي" من الأمناء – حسب الاصطلاح النقطوي– ومن الدعاة النشطين، وارتمي آلاف من الناس في أحضان هذه الفرقة بفضل جهوده. ولما تولى "الشاه عباس"

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (الدين الإلهي وخلفيته) للبروفيسور محمد أسلم (١٨٢ – ١٨٤)، الطبعة الثانية (١٩٧٠م)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.

– الإمام السرهندي (٥٩، ٦٠).

(٢) لم تذكر المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها عن أنساب الدعاة النقطويين شيئًا لعل السبب في ذلك قدومهم من "إيران" وجهل الناس بأنسابهم.

السلطة في "إيران" وتعقب النقطويين، واضطهدهم، وأعلن إهدار دمائهم، وقتلهم قتلا عامًا، هرب من "إيران" إلى "بلخ"، فنجي بنفسه[١]، والتجأ إلى زاوية أحد المشائخ الصوفية، وظَلَّ يعيش هناك في مظهر المتصوفة، ولم يستمر هناك فترة طويلة لما يحمل من الشطحات والكذب والافتراء فغادر "بلخ" متوجهًا إلى "الدكن" - البلاد الجنوبية للهند- وكانت بلاد "الدكن" آنذاك يسيطر عليها التشيع، فلما وصل إليها "شريف الآملي" استقبله أهلها كعالم شيعي كبير قادم من "إيران" وبالغوا في الحفاوة به، ثم لما عرف الناس ما في عقائده من زيغ وضلال، قصدوا لإيذائه وتعذيبه؛ وأراد حكام بلاد "الدكن" أن يقتلوه، ولكنهم أعرضوا عن القتل، وأركبوه حمارًا، فطافوا به، وشهروا به.[٢]

وعلى إثر ذلك قرر مغادرة "الدكن" والتوجه إلى شمال الهند، ووصل إلى منطقة "مالوه" واجتمع حوله جماعة من ملاحدة "العراق"، وادعى "الآملي" أنه مجدد المائة العاشرة، وكان "الملك أكبر" موجودًا في هذه الأيام في منطقة "مالوه" وبلغه عن وصول "الآملي" في هذه المنطقة -وكان يعرفه من قبل- فبعث إليه للقدوم إلى مجلسه، فلما قدم رحب به، وأكرمه، وعقد مجلسًا للمناظرة مع علماء البلاط، فناظرهم حول عقائد "محمود البسيخواني" وغلب عليهم، فأكرمه الملك، ووصله بأعطيات وهبات.[٣]

وكان "الملك أكبر" يعامله معاملة المريد لشيخه، وكان -أي شريف الآملي- يستدل بكتابات "محمود البسيخواني" على ظهور "الدين الجديد"(؟)، ويرغب الملك فيه، ويستميله إليه، وأخبره بتنبأ "محمود" أنه سوف يظهر في عام (٩٩٠هـ) رجل يمحو الباطل، ويقيم الدين الحق.[٤][٥]

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٥/١٦٦).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٥٩، ٦٠).

- دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٧٦، ١٧٧).

(٣) انظر: مآثر الأمراء (٣/٢٤٣).

(٤) انظر: فكر ونظر (ص ٤٩).

(٥) يلاحظ أن هذه السنة هي التي تم الإعلان فيها عن "المذهب الأكبري" و سيأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

كان الملك أسند إليه قيادة الجيش، وعينه حاكمًا في "كابل" إثر وفاة حاكمها "مرزا محمد حكيم"، وذلك سنة (٩٩٠هـ). كما عينه حاكمًا في إقليم "البنغال" في سنة (٩٩٩هـ). وكان من أخص أصحاب "الملك أكبر" وأصدقائه، وكان ينوب عن الملك في مخاطبة أتباع "الدين الإلهي"[١] والمعتقدين فيه.[٢]

وتوثقت أواصر الصداقة بينه وبين وزير الملك "الشيخ أبي الفضل"، وكان -أي شريف الآملي- سببًا في انحراف "أبي الفضل" عن جادة الصواب، واعتناقه عقائد "النقطوية" وحمل "الملك أكبر" عليها، ووجد في مكاتبات "أبي الفضل" أحد عشر خطابًا باسم "شريف الآملي" مما يعكس متانة العلاقة بين الرجلين.[٣]

يقول "شاه نواز خان" عن "الآملي" أنه: «اشتغل بالتصوف، وبيان الحقائق، وخلطه بالزندقة والإلحاد، وادعى نظرية "وحدة الوجود" وكان يقول عن كل شيء إنه الله»[٤].

ألف كتابًا باسم "ترشح ظهور" على غرار كتاب "بحر وكوزه" "لمحمود البسيخواني" ويحتوي على شطحات كثيرة.[٥]

توفي في مكان "موهان" من أرض "الهند"، ودفن هناك[٦]، ولم أعثر فيما تيسر لي من مراجع على تاريخ وفاته، ومن الواضح إنه كان معاصرًا للملك "أكبر" وأمضى شطرًا كبيرًا من حياته في ظل حكمه.

٢- مير تشبيهي الكاشي:

اسمه "علي أكبر" من منطقة "كاشان" كان من أسرة كريمة عريقة، وكان يعيش منذ

---

(١) هو المذهب الذي أسسه "الملك أكبر".

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٦٠).

- نزهة الخواطر (١٦٦/٥).

(٣) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٧٤).

(٤) انظر: مآثر الأمراء (٢٤٢/٣).

(٥) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (ص ١٧٨).

(٦) انظر: نزهة الخواطر (١٦٦/٥).

صباه في أوساط الشعراء، فتأثر بهم، وبدأ يقول الشعر حتى أصبح شاعرًا مشهورًا، وهو في مقتبل شبابه، ولكن سرعان ما انقلب إلى حياة التجرد ولم يدم طويلا على هذه الحالة إذ تلقفه دعاة "النقطوية" فاعتنق آراء "محمود البسيخواني" وبعد ارتمائه في أحضان "النقطوية" اختار طريق الإلحاد، والزندقة؛ وألّف الرسائل في الدعوة إلى الإلحاد، وكان يتنقل بين "إيران" و"الهند" داعيًا إلى "النقطوية"، وفي نهاية المطاف استقر في مجلس "الملك أكبر"، وكان يؤكد -كنظيره شريف الآملي- أن الشخص الموعود الذي سيظهر عام (٩٩٠هـ)، هو "الملك أكبر"، ويستدل على ذلك بكتابات "محمود البسيخواني".[١]

نظم قصيدة في مدح "الملك أكبر" طلب فيها القضاء على أهل التقليد[٢]، والانتهاء منهم حتى يتوحد الناس على الحق[٣] -على حد زعمه-. وألّف في العقيدة النقطوية كتابًا وبعث به إلى "الشيخ أبي الفضل" جاء في مستهله: «باللّه المحمود في كل فعاله، أستعين بنفسك الذي لا إله إلا هو، الحمد للّه الذي وجد نعمه بوجود كلياته، وأظهر وجود الكليات عن نفسه ... وهو يعلم نفسه، ولا نعلم نفوسنا، ولا هو كون، لا كائن إلا به، وكان لا يكون بغيره، وهو أرحم الراحمين»[٤].

يقال: إنه التزم الصمت في آخر حياته، دام عشرين سنةً، وتوفى في سنة (١٠٣٦هـ)[٥].

٣- مولانا صوفي مازندراني:

في أيام شبابه غلبته رغبة السفر والسياحة فوصل من "إيران" إلى "العراق"، وانخرط في حلقات الصوفية، وبقي مدة يمارس الرياضات الصوفية، ويأخذ البيعة ممن يرغب الانتساب إلى طريقته؛ ثم تأثر بالشعراء، وتحول إلى ميدان الشعر، واشتهر في

---

(١) انظر: تاريخي وادبي مطالع (٣٣، ٣٤).

(٢) كانوا يسمون المسلمين بـ/"أهل التقليد" و "المقلدين".

(٣) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج "أكبر كے عهد ميں (ص ١٨، ١٩).

(٤) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (ص ١٨٠).

(٥) انظر: تاريخي وادبي مطالع (٣٣، ٣٤).

قريضه. وبعد مضي فترة من الزمن غادر "العراق" ورجع إلى "إيران" واستقر في إقليم "شيراز" وهنا اعتنق الدعوة "النقطوية"، وترقى فيها حتى أصبح من زعمائها المشهورين، وازداد أتباعه ومريدوه بشكل هائل، كما اشتهر عنه الإلحاد والزندقة حتى أن كل من يتردد عليه اتهم بالإلحاد، وكانت قصائده الشعرية مليئة بأفكاره الإلحادية؛ ولما بدأت ملاحقة النقطويين من قبل الحكام الصفويين، غادر "إيران" خوفًا من بطشهم، وتوجه إلى "الهند" مع جماعته وأتباعه، واستقر في "أحمد آباد" من إقليم "كجرات"، وتوفى هناك.[١]

٤- باقر الكاشي:-

أحد دعاة "النقطوية" المشهورين، وكان من قصته أن "الشاه عباس" أثناء ذهابه من "قزوين" إلى "أصفهان" توقف في "كاشان"، وألقى القبض هناك على زعيم النقطويين "مير سيد أحمد الكاشي" وقتله بيده، كما أصدر أمرًا بقتل جماعته، وكان منهم "باقر" المذكور، وبعد مقتل "أحمد الكاشي" أمر الشاه بنهب بيته، والاستيلاء على محتوياته فمن جملة الأشياء التي تم العثور عليها خطاب "لباقر" المذكور، مما يقوي الظن لنقطويته، فصدر أمر الشاه بإعدامه مع الجماعة، ولما جاء دوره للقتل بدأ يعتذر للشاه وقال في اعتذاره: أنه ليس من النقطويين بل يحب واحداً منهم، وهو لايصدقه في حبه إلا إذا انتسب إلى فرقته[٢] فصدق الشاه كلامه، وأصدر عفواً عنه، فأفرج عنه، وبعد إطلاق سراحه توجه إلى "الهند" واستقر في البلاد الجنوبية لها.[٣]

بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك دعاة آخرون قدموا "الهند" من "إيران" ولهم دور في نشر هذه الفرقة في أوساط المسلمين في هذه البلاد. ومنهم:

---

(١) انظر: تاريخي وادبي مطالع (٣٤، ٣٥).
- فكر ونظر (٥٣، ٥٤).

(٢) جاء في بعض المصادر أن الذي كان يحبه هو ولد "السيد أحمد الكاشي" زعيم النقطويين.

(٣) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٥، ٣٦).
- فكر ونظر (٥٤، ٥٥).

١- حياتي الكاشي[١]

٢- وقوعي نيشابوري.[٢]

٣- حكيم عباد الله الكاشاني.[٣]

٤- عبد الغني يزدي.[٤]

٥- مير مؤمن أدائي.[٥]

٦- تقي پير زاده[٦]

---

(١) كان من الدعاة الذين فروا إلى "الهند" أمام بطش الحكام الصفويين بعد أن قضى سنتين في السجن، وبعد الإفراج عنه قصد إلى "شيراز"، ومن هناك توجه إلى "الهند" عام (٩٨٦هـ)، واستقر في إقليم "أحمد نگر"، وتوفى هناك عام (٩٩٣هـ).

انظر: الإمام السرهندي (٥٩).

(٢) اسمه "محمد شريف"، كان من الشعراء المشهورين، وكان في الطور الأول عن حياته باطنيا، ثم اعتنق "النقطوية"، وكان سباقًا إلى الإلحاد، وراسخ العقيدة في التناسخ. زار مرةً أحد أصدقائه، ورأى أكوامًا من الحجارة خارج خيمته فقال: حتى متى تنتظر هذه الأحجار لتتناسخ إلى حيوانات؟.

انظر: تاريخي وادبي مطالع (٣٣، ٣٤).

- فكر ونظر (٥٢، ٥٣).

(٣) كان مقيمًا في "لاهور" وقدم على الملك "جهانگير" وحصل على منحة ملكية.

انظر: فكر ونظر (٥٥).

(٤) كان مقيمًا في "آغرا" - عاصمة الدولة المغولية- قدم مرة على الملك "جهانگير" فجرى على لسانه: "لا إله إلا المركب المبين" - كلمة النقطويين- بدلاً من التحية الإسلامية.

انظر: تاريخي وادبي مطالع (٣٧).

(٥) كان من الشعراء المشهورين، توفى بعد قدوم "الهند" بـ/ ثلاثين عامًا.

انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں (٢١، ٢٢).

(٦) أصله من "مازندران"، وكان أبوه مقيمًا في "المشهد"، كان محررًا من تعاليم الشرع، وملحدًا، غادر "إيران" وسكن "الهند".

انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں (٢٢).

٧- ثاني خان الهروي.[١]

---

(١) اسمه "علي أكبر" كان من الزعماء النقطويين الذين كانت لهم مكانة مرموقة في مجلس "الملك أكبر"، وكان يستدل بكتابات "محمود البسيخواني" أن الشخص الموعود الذي سيظهر عام (٩٩٠هـ) هو شخص "الملك أكبر" -على حد زعمه-.

انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كے عهد ميں (٢٢).

المبحث الثالث: آثارها:-

إن "النقطوية" فرقة إلحادية كانت نشأتها الأولى في "إيران" ودخلت إلى شبه القارة الهندية خلال القرن العاشر الهجري. وكان من الطبعي أن تنشأ هذه الحركة الإلحادية ومثيلاتها في "إيران" فمن المعروف تاريخيًا أن بلاد "إيران" كانت موئل الفرس، وموطن المجوسية؛ كما كانت من قبل موطنًا لكثير من العقائد والنحل القديمة كالزرادشتية، والمانوية، والمزدكية وغيرها؛ لذا فإنه من الطبعي أن تنشأ فيها حركات إلحادية ضالة مثل "النقطوية".

وبقيت "النقطوية" في "إيران" ثم اتسع نشاطها فدخلت إلى شبه القارة الهندية خلال القرن العاشر الهجري على أيدي دعاتها الكبار، أمثال: "شريف الآملي" و"وقوعي النيشابوري" و"مير تشبيهي الكاشي" وغيرهم كما أوضحت من قبل.

ولقد حمل دعاة "النقطوية" معهم إلى الأرض الجديدة كل ما حوته "النقطوية" من مبادئ وأفكار منحرفة ضالة هدفها القضاء على العقيدة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين في شبه القارة الهندية.

وأبرز آثارها الخبيثة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- زعزعة العقيدة الإسلامية:-

إن نشأة أية فرقة منحرفة في أوساط المسلمين تَضُرُّ بهم، وتغزوهم في أعز ما يملكونه، وهو العقيدة الصحيحة، ونشأة فرقة إلحادية كهذه لا يخفى أثرها في المسلمين، وخاصة أنها قدمت من "إيران" وهي في نظر أهل "الهند" آنذاك تمثل "يونان الشرق" في منطقها وفلسفتها. والدعاة النقطويون الذين هاجروا إلى "الهند" كانوا بارزين في قواعد المنطق، وعلوم الفلسفة، مما سهل عليهم التأثير في نفوس المسلمين.

ومن جهة أخرى كان هؤلاء الدعاة يعيشون في كنف "الملك أكبر" سلطان "الهند" بلا منازع، وتحت عنايته ورعايته، ويتقلدون منه مناصب عالية في الدولة من قيادة الجيش، وإدارة البلاد وغير ذلك من الوظائف الحساسة التي ينظر إليها عامة الناس نظرة تقدير واحترام، ينفثون في نفوس العامة سموم الإلحاد والشعوبية حتى يكرهوا الرسول العربي -ﷺ- والقرآن العربي، ويسخرون من شرائع الإسلام من صلاة وصيام وحج حتى تهون

مكانتها في قلوب المسلمين، ويضعف أثرها في نفوسهم.

وفي الوقت ذاته كانوا يمجدون "الملك أكبر" ويضفون عليه صفات التبجيل والاحترام باعتباره الشخص الموعود، والرجل المنتظر، الذي سيظهر في منتهى القرن العاشر الهجري، ويتحمل أعباء الدعوة الجديدة، وذلك بنشر "العقيدة الألفية" القائلة بانتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من هجرة المصطفى -ﷺ- لكي يمهدوا الطريق، ويذللوا العقبات أمام "الملك أكبر" في إعلان مذهبه الجديد، وشريعته الجديدة.(١)

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «ويمكن أن يقدر من خلال هذه الشواهد التاريخية ما قامت به "الحركة النقطوية"، وأنصارها في "الهند" من بسط النفوذ، وتجهيز عرش الدولة لدين جديد، وعهد جديد على طلوع الألف الثاني ... وكانوا في حاجة بعد هذه الخطوة التمهيدية إلى شخصية قوية، تملك السلطة، وتتولى زمام البلاد، ولم يكن هناك شخص أجدر، وأحق بهذه المسؤولية -في نظرهم- من "الملك أكبر".(٢)

٢- أثرها في تنظير المذهب الأكبري وتحضيره:-

تقدم قبل قليل أن دعاة "النقطوية" مهدوا الطريق أمام "الملك أكبر" لإعلان مذهبه الجديد، وذلك بالتشكيك في صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من ظهوره، وإثارة كره الناس تجاه رسول الإسلام محمد -ﷺ- وكتاب الله -تعالى- برفع شعارات تنادي بأفول مجد العرب، وبزوغ فجر جديد يسود فيه مجد العجم؛ وفي نفس الوقت زودوا الملك بالأفكار الرئيسة التي تقوم عليها "الحركة النقطوية" وهي بمثابة الخطوط العريضة التي قام عليها "المذهب الأكبري". وقام بهذا الدور - بالذات- من الدعاة النقطويين: "مير شريف الآملي"، "وقوعي نيشابوري"، "مير تشبيهي الكاشي" بالإضافة إلى الوزير، والعضد الأيمن للملك "الشيخ أبو الفضل" - الذي كان قد ارتمى في أحضان "النقطوية" من قبل، وأصبح من دعاتها وحماتها-.

---

(١) انظر: فكر ونظر (ص ٤٩).
- الإمام السرهندي (٦٠).
- نزهة الخواطر (٥/١٦٦).

(٢) الإمام السرهندي (٦٠، ٦١).

ويتبين ذلك جليًا بالمقارنة بين عقائد "النقطوية" والمرتكزات الأساسية التي اعتمدت عليها "الأكبرية" وهي كما يلي:

١- تؤمن "النقطوية" بعقيدة "التناسخ"، ولا تتصور الثواب والعقاب بدونها، وكان "الملك أكبر" قد سبق أن اعتنق عقيدة "التناسخ" باحتكاك وتأثير رجال الدين الهندوسي؛ ولما أكد عليها النقطويون وقدموا لها أدلة – على حد زعمهم- ترسخت هذه العقيدة في قلبه. ولما قدم على الملك حاكم"البنغال" قال له: «نحن عثرنا على دلائل قطعية على صحة التناسخ، وسيخبرك "الشيخ أبو الفضل" عنها.[١]

٢- كانت "النقطوية" لا تؤمن بالبعث والنشور، وهكذا كان "الملك أكبر" لا يؤمن به، بل كان يستهزأ بالأمور الغيبية.[٢]

٣- تزعم "النقطوية" أن القرآن الكريم تأليف نبينا محمد -ﷺ- وهكذا كان "الملك أكبر"، كما قال "جهانگير" – وهو نجله وخليفته من بعده- قال: «لقد لقن "الشيخ أبو الفضل" والدي أن خاتم النبيين محمدًا -ﷺ- كان أفصح الناس، وأن القرآن الكريم من تأليفه، ولذلك أوعزتُ إلى "نرسنكهـ ديو" – أحد قادة الهندوس- عند عودة "أبي الفضل من البلاد الجنوبية أن يقتله، وكان والدي بعد ذلك قد تاب من هذه العقيدة»[٣].

٤- كان الدعاة النقطويون أمثال: "مير شريف الآملي" وغيره يغالون في عقيدة "وحدة الوجود" وهكذا كان "الشيخ أبو الفضل" وغيره من دعاة "المذهب الأكبري" غاليًا في هذه العقيدة، وهو الذي كان يهتف قائلا: «كل ديانة في الدنيا تقول: أنت وحدك لا شريك لك، إن كان جامع كانت هناك جماعة تناجيك بالصلاة، أو كنيسة كانت أجراس تقرع لشرفك، أزور أحيانًا الجامع، وآونة الكنيسة، وفي كل معبد لا أنشد إلاك».[٤]

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٥).

(٢) نفس المصدر (١٨٥).

(٣) انظر: مآثر الأمراء (٣/٤٤).

(٤) انظر: حاضر العالم الإسلامي لستودارد (٤/٣٠٦).

٥- تؤمن "النقطوية" "بالإنسان الكامل" و"المركب المبين" وتعتقد فيه الألوهية، وتعبده، وهكذا كان "الملك أكبر" يرى أن رؤية وجوه السلطان عبادة، وأنهم يسمون بـ/"ظل الله" ورؤيتهم تذكر في الحقيقة بالخالق ويتبادر في الذهن عندها ظل القادر المطلق؛ كما أن مريديه يسجدون له سجدة التحية والتعظيم، ويرونها سجوداً لإله النور.[١]

٦- كانت "النقطوية" تؤمن "بالعقيدة الألفية" بأن الدين الإسلامي ستنتهي صلاحيته بانتهاء ألف سنة من ظهوره؛ وهكذا كان "الملك أكبر" يتبنى هذه العقيدة، وبناء عليها أقدم على إنشاء "المذهب الأكبري" أو "الدين الإلهي".[٢]

٧- تذهب "النقطوية" إلى الإلحاد والإباحية؛ وأثرَ عن الشيخ أبي الفضل -أكبر مُنَظِّر للمذهب الأكبري – أنه قال: «يميل قلبي إلى أن أسير في وادي الإلحاد مدة من الزمن» فقال له صديق له: «لو نبذت عقد النكاح لكان أفضل»[٣].

وكان أخوه الكبير "الشيخ فيضي"[٤] معروفًا بآرائه الإلحادية، يقول عنه "العلامة صديق حسن خان القنوجي": «وكان فيضي على طريقة الحكماء، وكذا إخوانه "أبو الفضل" وغيره كانوا معروفين بإنحلال العقائد، وسوء التدني، والإلحاد، والزندقة، نعوذ بالله منها»[٥].

٨- عند التقاء النقطويين يرددون لفظ الجلالة "الله" "الله" بدلا من إلقاء التحية المسنونة، ويردد أتباع "المذهب الأكبري" عند التقائهم كلمة "الله أكبر" ويردون بالقول: "جل جلاله".[٦]

٩- يوجد عند النقطويين دعاء خاص، يقرؤنه عند شروق الشمس، وكان "الملك أكبر"

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (١٠٢، ١٠٧).

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

(٣) نفس المصدر (١٨٧).

(٤) هو الشيخ أبو الفيض فيضي بن مبارك الناكوري (٩٥٤هـ – ١٠٠٤هـ)، أحد دعاة "المذهب الأكبري"، سيأتي التفصيل عنه في الفصل السادس إن شاء الله.

(٥) انظر: أبجد العلوم (٣/٢٢٥)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٦) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

أيضًا يعظم الشمس، ويردد دعاء عند طلوعها.[١]

١٠- لا ترى "النقطوية" الاغتسال من الجنابة، وكان "الملك أكبر" أيضًا قد أسقط الغسل عن أتباعه من الجنابة.[٢]

١١- تؤمن النقطوية بالأمور العقلية، وترفض الأمور المأثورة، وكان "أكبر" يقول: «إذا أردتم أن تسألوا عن شيء معقول، فأتوا عندي، وإذا أردتم أن تعرفوا أمور الشرع، فاذهبوا إلى المُلائين، يقول ذلك سخرية، ويقصد بهم الفقهاء.[٣]

١٢- ترى "النقطوية" أن أمور الشرع من وضع الرجال، وكان "الملك أكبر" يعتبرها مجموعةً من السفاهات، وأن واضعيه أعراب فقراء من جزيرة العرب، كانوا مفسدين في الأرض، وقطاع طرق.[٤]

١٣- كان النقطويون يسخرون من الحج ومناسكه، وهكذا "الملك أكبر" قد أسقط فريضة الحج عن أتباعه، فإذا تجرأ أحد وطلب إذن السفر لأداء فريضة الحج كان مصيره الموت المحقق.[٥]

١٤- ترى "النقطوية" أن شهر رمضان شهر الجوع والعطش، وكان "الملك أكبر" يأمر مريديه، وحاشيته أن يأكلوا ويشربوا في نهار رمضان. وإن لم يرغبوا في الأكل والشرب أن يضعوا أوراق "التنبول"[٦] في أفواههم.[٧]

ويمكن القول أن للنقطوية أثرًا كبيرًا في تنظير "المذهب الأكبري" وأن أفكار "الفرقة النقطوية" هي الهيكل الفكري الحقيقي الذي بنيت عليه جزئيات "المذهب الأكبري".

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (١٠١).

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) الإمام السرهندي (١٠٨).

(٥) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

(٦) "التنبول" عبارة عن أوراق خضراء يأكلها أهل الهند عامة، ويضاف إليها لب "الفوفل" و"نورة الصدف"، ومن البهارات ذي الرائحة الزكية.

(٧) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٨).

المبحث الرابع : النقطوية في الميزان:

وفي هذا المبحث أتناول عقائد هذه الفرقة بالتقويم في ضوء الكتاب والسنة، وعقيدة السلف الصالح. فأقول وبالله التوفيق.

أولا : الإنسان الكامل والمركب المبين:-

الإنسان الكامل: «هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة بين صفات القدم، وصفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق، والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله، علواً وسفلاً، ولولاه لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي»[١].[٢]

تقدم – في المبحث الثاني- أن هذه العقيدة تقوم عند "النقطويين" على أساس الفكر التطوري، حيث يزعمون أن الإنسان في أصل تكوينه لم يظهر على صورته المعروفة دفعة واحدة، وإنما تطور من عنصر الطين إلى عنصر المعدن، ثم إلى عنصر النبات، ثم إلى الصورة الإنسانية، فكان آدم -عليه السلام- ثم استمر الإنسان في الرقى منذ آدم حتى وصل إلى "المرتبة المحمدية" فكان نبينا محمد -ﷺ- ثم أخذت هذه "المرتبة المحمدية" في الرقى حتى وصلت إلى صورتها المثلي، وهي "المرتبة المحمودية" في أعلى مظهر للكمال الإنساني، وهو "محمود البسيخواني" – مؤسس الفرقة النقطوية-.[٣]

إن فكرة "الإنسان الكامل" فكرة قديمة تذهب جذورها في عمق التاريخ، وتتمثل هذه الفلسفة في الفكر اليوناني القديم، في تفسير معنى "الكلمة". فقد استعمل الفلاسفة القدماء هذا اللفظ – أي الكلمة- بمعنى "القوة العاقلة المنبثة في جميع أنحاء الكون"؛ ويعني بها الروح الإلهي الظاهر أثره في كل ما في الوجود الخارجي من حياة وصيرورة.

واستعملها "الرواقيون"[٤] -من فلاسفة اليونان- بمعنى "العقل الفعال، المدبر للكون،

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (١/١٥٧) طبعة (١٩٨٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.

(٢) وهناك تعريف آخر ذكره "الجرجاني" تركته لطوله مع أنه لا يختلف كثيراً في مضمونه عما نقلته عن صاحب المعجم الفلسفي. انظر: كتاب التعريفات (٣٠).

(٣) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٣).

(٤) الرواقية: مذهب "زينون" وأصحابه من فلاسفة اليونان، وسموا بالرواقيين لأن زينون الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق. انظر: المعجم الفلسفي (١/٦٢٢).

أو العقل الكلي الذي يمد العقول الجزئية بكل ما فيها من نطق وعلم".

وقد استعمل "اليهود" "الكلمة" بمعنى "كلمة الله" ويصفونها بأنها حافظة للكون مدبرة له، وبأنها مصدر الوحي والنبوة؛ ويسمونه "البرزخ بين الله والعالم" ويسمى "بالإنسان الأول" و"الخليفة" و"حقيقة الحقائق" و"الشفيع" و"الإمام الأعظم" وما إلى ذلك.

وفي الفلسفة "المسيحية" أخذت "الكلمة" معنى "ابن الله وصورته" وهو الروح السارية في الكون، والواسطة في خلق العالم مشخصة في صورة المسيح. وهذه الفلسفة ممزوجة بالفكر اليوناني، واليهودي، في معنى "الكلمة" بأنها "القوة العاقلة المدبرة" أو "القوة الأزلية القديمة السابق وجودها وجود المسيح"، وعليه "فالابن" هو هذه القوة العاقلة التي كانت في العالم قبل تجسيدها في الصورة الناسوتية، وهو مصدر الحياة، والوجود، كما أنه مصدر العلم والوحي، وهو الذي تكلم بلسان موسى -عليه السلام- وغيره من الأنبياء.(١)

ويذهب "نيكلسون" إلى أن اصطلاح "الإنسان الكامل" ورد عند المسلمين في فكر "ابن عربي"(٢) لأول مرة. ويرى "الدكتور مصطفى كامل الشيبي" أنها وردت للمرة الأولى في رسائل "إخوان الصفا"، وقد استفادها "ابن عربي" منهم؛ إذ أن عبارة "الإنسان الكامل" قريبة من "الإنسان الفاضل" المتصل "بالمدينة الفاضلة الروحانية" التي يرد ذكرها في رسائل "إخوان الصفا" باعتبار المثل الأعلى للمجتمع الروحي المترابط الخالي من شوائب النقص إلا أن "ابن عربي" غيّر العبارة فوضع "الإنسان الكامل" بدلا من "الإنسان الفاضل" وذلك تمييزاً عن الاصطلاح الشيعي.

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٣٨، ١٣٩)، الطبعة الأولى (١٩٨٦م)، معهد الإنماء العربي.

(٢) هو: أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بـ/ محي الدين بن عربي (٥٦٠هـ- ٦٣٨هـ).

أحد كبار مشائخ الصوفية. ولد في "مرسية" "بالأندلس" وانتقل إلى "إشبيلية". زار بلاد الشام، والروم، والعراق، واستقر في "دمشق". له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: "الفتوحات المكية" و"مفاتيح الغيب" و"فصوص الحكم". قال عنه الإمام الذهبي: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». توفى في "دمشق".

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٨، ٤٩).

- لسان الميزان لابن حجر (٥/٣١١ - ٣١٥)، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

ويرى "الشيبي" أن "ابن عربي" لم يكن أصيلا كل الأصالة في ابتكار هذا التعبير؛ لأنه مأخوذ أيضًا من رسائل "إخوان الصفا"، وقد وردت عبارة "الكامل" تالية لعبارة "الفاضل" في الرسائل في معرض وصف النبي -ﷺ- الذي هو "الإنسان الكامل" عند الصوفية، وهو نفسه "الإنسان الفاضل" عند الإسماعيليين في الرسائل، وأورد العبارة التالية من الرسائل: «... ولما رأيناك - المقصود المريد الإسماعيلي- بهذه الصفة، وعرفناك بهذه المعرفة، لم يحل لنا، ولا وسعنا في ديننا أن نكتمك النصيحة، ولا نؤدي إليك الأمانة، لئلا ترانا بعين الخيانة، وليصح عندك قول نبينا الصادق الفاضل، السيد الكامل: «سافروا تغنموا»[1].

وعند البحث في التراث الصوفي نجد أن الكلمة قد استخدمت في التصوف قبل "ابن عربي" وذلك عند "سهل التستري"[2] و"الحسين بن منصور الحلاج"[3] إذ أشار الأخير إلى أن "الاسم الأعظم" يشير إلى رحمة الله الجامعة المتمثلة في النبي محمد -ﷺ-، وهذا التعريف للاسم الإلهي الأعظم "بالحقيقة المحمدية". و"النور المحمدي" هو الذي عبر عنه -أي الحلاج- بقوله: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم [أي أنوار الأنبياء] من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور، وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم،

---

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبي (٤٦٤، ٤٦٥)، الطبعة الثانية (١٩٦٩م) دار المعارف بمصر.

(٢) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠ هـ - ٢٨٣هـ)، أحد مشائخ الصوفية وأئمتهم. له كتاب "تفسير القرآن العظيم" و"رقائق المحبين".
انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٤٢٩، ٤٣٠)، دار الثقافة، ببيروت.
- سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠ - ٣٣٢).

(٣) هو: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الفارسي البيضاوي الصوفي (... - ٣٠٩هـ).
أصله من "فارس" ونشأ في العراق، كان يدعي الألوهية، ويقول بالحلول. وكان يتنقل في البلاد، وينشر دعوته. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: "طاسين الأول"، "الأحرف المحدثة والأزلية"، "هو هو" و"كيف كان وكيف يكون" وغيرها، قتل في بغداد.
انظر: تاريخ بغداد (٨/١١٢-١٤١).
- وفيات الأعيان (٢/١٤٠-١٤٦).
- سير أعلام النبلاء (١٤/٣١٣ - ١٥٤).

همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم؛ لأنه كان قبل الأمم»[(١)].

وقال أيضًا: «لم يزل كان، كان مشهورًا قبل الحوادث، والكوائن، والأكوان، ولم يزل كان مذكورًا قبل القَبْل، وبعد البعد، والجواهر، والألوان»[(٢)].

وهكذا يرى "التستري" أن الله –سبحانه وتعالى– لما أراد أن يخلق محمدًا –ﷺ– خلق من نوره نورًا، وهو نور النبي –ﷺ–. وهذا الإفراد للنبي –ﷺ– بخلق مخصوص، يسبق خلق بقية ذرية الجنس البشري. فنور النبي –ﷺ– هو أول الذرية، ومن نوره كانت أنوار الأنبياء، ونور الملكوت، ونور الدنيا والآخرة»[(٣)].

دليلهم في ذلك –على حد زعمهم– قوله –تعالى–: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[(٤)] والحديث: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[(٥)].

وهو – أي الإنسان الكامل– ما عبر عنه "الحكيم الترمذي"[(٦)] بنظرية "خاتم الأولياء" وخلاصة هذه النظرية:

«أن يخلق [الله] إنسانًا مقدسًا هو سر الكون، وهو الغاية التي يهدف إليها، فمن أجله خلق الخلق، ومن أجله نشأ الكون، وظلّ هذا الخلق يتدرج في مراتب الكون خطوة خطوة، درجة فدرجة حتى بلغ به غاية الكمال، وجمع له ما وهب لكل من أتى قبله، فكان

---

(١) انظر: كتاب الطواسين للحلاج، طاسين السراج (ص ١١٠)، نشره: لويس ماسينيون، باريس طبعة (١٩١٣م).

(٢) نفس المصدر (ص ١٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم للتستري (ص ٤٠، ٤١، ٤٧)، نقلا عن الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٣٩، ١٤٠).

(٤) الآية: ٤٦، سورة الأحزاب.

(٥) وهو حديث موضوع، كما سيأتي بعد قليل.

(٦) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، المعروف بـ/ الحكيم الترمذي (... – ٣٢٠هـ).
من أئمة الصوفية وعلمائهم، أول من ابتكر نظرية "ختم الولاية". ومن أشهر مصنفاته: "ختم الولاية" و"علل الشريعة" و"نوادر الأصول"، توفى في "بلخ".
انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٤٣٩ – ٤٤٢).
– لسان الميزان (٥/٣٠٨ – ٣١٠).

"خاتم الأولياء" و"المثل الأعلى" الذي كان يهدف إليه الخلق والكون، فهو أمين الأولياء وخاتمهم، وهو الصورة المثلي للإنسان، انتهى إليها الكون أبدًا، وبدأ سرٌّ خلقها، وتقديسها أزلا، هي موضع نظر اللّه من الخلق منذ النشأة الأولى إلى النشأة الآخرة، وهي موضع حبه، ووحيه، وحديثه، وأنسه»[١].

وخاتم الأولياء في فكر "الحكيم الترمذي" هو "الإنسان الكامل". كما يقول "الدكتور عبد الفتاح بركة": «وظاهر كلام الترمذي أن الخاتم مقام يستحقه الولي حيث يناوله مفاتيح الكرم، وخزائن المنن، والمفروض على هذا أن يكون محمد -ﷺ- خاتم الأولياء، فهو صاحب المقام المحمود، وصاحب المغفرة، كما هو خاتم الأنبياء، على هذا يكون المراد بالخاتم "الإنسان الكامل".[٢]

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري أطَلَّ "محي الدين بن عربي" ناقلاً هذه النصوص الصوفية، وخرج بها بمصطلح "الإنسان الكامل"، كما أشار إليه بمصطلحات أخرى، أمثال: "النسخة الجامعة"، "حقيقة الحقائق"، "أصل العالم"، "روح العالم"، و"مرآة الحق والحقيقة" وغير ذلك. يقول في أحد المواضع من "فتوحاته": «وهو (أي الإنسان الكامل) كلمة الجامعة، وأعطاه اللّه من القوة بحيث أنه ينظر من النظرة الواحدة إلى الحضرتين: فيتلقى من الحق، ويلقى إلى الخلق»[٣].

فتبين مما سلف أن فلسفة "الإنسان الكامل" وجدت عند المسلمين في الفكر الشيعي والصوفي إلا أن هناك فرقًا جوهريًا بين الفكرتين في تحديد الكمال الإنساني، وتعميمه، حيث يذهب الفكر الشيعي أن الكمال في الإنسان هو وراثة أو سلالة بمعنى أن "الإنسان الكامل" هو الإمام، وهذه الإمامة تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالنص الواضح؛ فأول "الإنسان الكامل" عندهم نبينا محمد -ﷺ- ثم علي - رضي اللّه عنه- وبنوه وينتهي إلى "الإمام المنتظر". ولذلك كثرت الفرق عندهم لتفرع السلالات.[٤]

---

(١) انظر: المعرفة عند الحكيم الترمذي لعبد المحسن الحسيني (٢٩٥، ٢٩٦)، دار الكاتب العربي، القاهرة.

(٢) انظر: الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية (٢/٣٦٥، ٣٦٦) من مطبوعات المجمع البحوث الإسلامية، عابدين، القاهرة.

(٣) انظر: الفتوحات المكية (٢/٤٤٦)، دار صادر، بيروت.

(٤) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٤٦).

بينما يرى الفكر الصوفي أن الكمال في الإنسان مشاع لكل مؤهل، فعبارة "الإنسان الكامل" تطلق عندهم باشتراك لفظي فيطلق على النبي -ﷺ- بالذات والأصالة، وعلى كل من تماهى بالصفات المحمدية، ونال الكمال تحققًا، وليس ذاتًا. وصفة هذا الكمال تتمثل عند الصوفية في مفهوم "القطب"[١] و"صاحب الوقت" و"الخلافة الباطنة" وغيرها من الاصطلاحات الصوفية.[٢]

خلاصة الكلام أن فكرة "الإنسان الكامل" فكرة قديمة وجدت في الفكر اليوناني القديم بمعنى "القوة العاقلة" و"العقل الفعال"، وعرفت في الفكر اليهودي بمعنى "البرزخ بين الله والعالم" كما جاءت في الفكر المسيحي بمعنى "ابن الله وصورته".

وأخذ الشيعة هذه الفكرة من تلك الفلسفات، والملل السابقة، واستفادوا بها في نظريتهم عن "الإنسان الفاضل"، ثم انتقلت إلى "ابن عربي" فطورها إلى "الإنسان الكامل".

وعلى رأى آخر أن الصوفية الأوائل استعملوها بمعنى "النور المحمدي" و"الحقيقة المحمدية" و"خاتم الأولياء"، ثم تكاملت الفكرة عند "ابن عربي" وصاغها وخرج بمصطلح "الإنسان الكامل"، وكل من جاء بعده أخذها منه، ومنهم "محمود البسيخواني" ولا غرو في ذلك – وقد تقدم- أن "محمود البسيخواني" بدأ رحلاته من القدس، وزار بلادًا كثيرة فمن غير المستبعد أن يكون قد وقف على أفكار "ابن عربي" واستفاد منها، مادام قد تجول في "بلاد الشام"؛ ثم إن هذه الفرقة -أي النقطوية- إيرانية لحمًا ودمًا، و"إيران" موطن التشيع، ولفلسفته جذور عميقة في هذه البلاد، و"محمود البسيخواني" ولد منها، ونشأ وتربى فيها، وتتلمذ على "فضل الله الإستر آبادي" – مؤسس الفرقة الحروفية- وهي فرقة شيعية – كما تقدم- فمن البدهي تأثره بالفكر الشيعي، ويتأكد هذا الظن في إرجاع

---

(١) وقد يسمى "غوثًا" باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق» ... إلى غير ذلك من الصفات.

انظر: التعريفات للجرجاني (١٧٧).

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٤٤، ١٤٦).

جسد علي -رضي الله عنه- إلى جسد النبي -ﷺ- في الكمال، واستدلاله بالأحاديث الموضوعة في مناقب علي - رضي الله عنه - والتي هي مرجع الشيعة دائماً.

و"محمود البسيخواني" كمنظر لفرقة لم يأت بـ/جديد حول محور "الإنسان الكامل" إلا بتعديلات لفظية - إن صح التعبير- تتسق مع مبادئ الفرقة النقطوية، ارتكازاً على أن النقطة - أي الطين- أساس كل شيء، وادعاء الكمال الإنساني لنفسه الذي فاق كل كمال.

ثم إن اصطلاح "المركب المبين" الذي ابتكره "محمود البسيخواني" ليس بجديد أيضًا، فقد سبقه إليه "أبو الحكم بن بَرّجان"[1]. وقد عبر عن الإنسان الكامل "بالإمام المبين" والذي عبر عنه "محمود" "بالمركب المبين"[2].

وبعد هذا العرض أقول: إن عقيدة "الإنسان الكامل" و"المركب المبين" عقيدة فاسدة مرفوضة من الشرع والعقل؛ لأن الكمال المطلق لله وحده - سبحانه وتعالى- وله الجلال والعظمة والكبرياء. والإنسان مهما بلغ من العلم والفضل لا يبلغ إلى درجة الكمال المنزه من الشوائب والنقص.

كما أن ما يجعلونه من مميزات "الإنسان الكامل" من كونه الواسطة بين الحق والخلق، وهو سبب بقاء العالم، وهو مصدر كل علم ومعرفة وما إلى ذلك من الأوصاف التي يذكرونها للإنسان الكامل، ففيه كفر صريح، وخروج عن الإسلام. كما لا يخفى.

وإذا نظر الباحث إلى الأسس والقواعد التي بنيت عليها عقيدة "الإنسان الكامل" يجد أنها قواعد منهارة، وأسس واهنة.

ففكرة "النور المحمدي" أو "الحقيقة المحمدية" التي وضعت عليها عقيدة "الإنسان الكامل" فكرة خاطئة، والأدلة التي ذكروها من الكتاب والسنة لا تدل على مرادهم،

---

(١) هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الإشبيلي (...- ٥٣٦هـ).
من صوفية الأندلس، وهو ممن تلقى عنهم "ابن عربي" أفكاره وفلسفته، كما سيأتي في الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفة العربية (١٤٢/١).

فالاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[١] لا يصح.

روى الطبري بسنده عن قتادة في قوله: "داعيًا إلى اللّه" أي إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه، وقوله: "بإذنه" يقول: يأمره إياك بذلك، و"سراجًا منيرًا" يقول: وضياءً لخلقه، يستضيئ بالنور الذي أتيتهم به من عند اللّه عباده». "منيرًا" يقول: ضياءً ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك أنه يهدي به من اتبعه من أمته»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: قوله: "وداعيًا إلى اللّه بإذنه" أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك. "وسراجًا منيرًا" أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها، وإضاءتها، ولا يجحد إلا معاند»[٣].

وأما الحديث: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» فهو حديث موضوع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«يغلط كثير من الناس في قول النبي -ﷺ- في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال: «قلت يا رسول اللّه متى كنت نبيًّا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[٤]. فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل، فإن اللّه إنما نبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له: ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٥] وقال: ﴿وَوَجَدَكَ

---

(١) الآية: ٤٦، سورة الأحزاب.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/١٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٤٣١)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الشعب، شارع قصر العيسى، القاهرة.

(٤) رواه الترمذي في جامعه في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي -ﷺ- بلفظ: «متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد». وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه (١٠/٧٧، ٧٨ برقم: ٣٦٨٨)، المطبوع مع التحفة.

- والإمام أحمد في مسنده بلفظ «متى جعلت نبيًا؟ ... الخ. (٤/٦٦) و(٥/٣٧٩)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

والحاكم في المستدرك من حديث ميسرة الفخر بتمام اللفظ، وصححه، ووافقه الذهبي (٢/٦٠٨، ٦٠٩) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

(٥) من الآية: ٣، سورة يوسف.

ضَآلاً فَهَدَىٰ﴾[١] . وفي الصحيحين: «إن الملك قال له -حين جاءه- إقْرأ. فقال: لست بقارئ» ثلاث مرات»[٢].

«ومن قال: إن النبي -ﷺ- كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى إن الله كتب نبوته، فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته، بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه.[٣]

كما في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وغيره عن النبي -ﷺ- أنه قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين».

وفي رواية: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، إن آدم لمنجدل[٤] في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج

---

(١) الآية: ٧، سورة الضحى.

(٢) وهو من حديث "بدأ الوحي" الطويل من رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ، رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدأ الوحي، بلفظ: «ما أنا بقارئ» (١/٢٣ برقم ٣)، المطبوع مع فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

- ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بدأ الوحي إلى رسول الله -ﷺ- (١/١٣٩-١٤٢ برقم: ٢٥٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٣٧٤هـ)، دار الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

(٣) كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «حدثنا رسول الله -ﷺ- وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يُجْمع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» ... الحديث.

رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة (٦/٣٠٣، برقم: ٣٢٠٨).

(٤) المنجدل: من الجدالة، وهي الأرض. والمنجدل الذي قد ألقى على الأرض، والمراد أن آدم -عليه السلام- كان بعد لم يُصَوَّر، ولم يخلق.

انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٨/٥٤٥)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت.

منها نور أضاءت منه قصور الشام»[١].

«وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين» و«آدم لا ماء ولا طين»، ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين، بل الماء بعض الطين لا مقابله»[٢].

وقد نقل الشيخ ناصر الدين الألباني كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على "البكري" ما نصه:

«لا أصل له [أي للحديث المذكور] لا من نقل، ولا من عقل، فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل؛ فإن آدم -عليه السلام- لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي -ﷺ- كان حينئذ موجودًا، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل: أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي -ﷺ- كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل»[٣].

وهكذا نظرية "ختم الولاية" التي سبقت فكرة "الإنسان الكامل" نظرية باطلة، لا يدل عليها شرع، ولا عقل. وليس هناك منصب يسمى بـ/ خاتم الأولياء، وهو مقام مبتدع في الإسلام، ليس عند المسلمين منصب "ختم الولاية"، وأن الذي ابتدعه أول ما ابتدعه هو "الحكيم الترمذي" - كما سلف بيانه- فالقول به وحده بدعة وضلالة، فكيف إذا اقترن

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٢٧، ١٢٨).

- والحاكم في المستدرك (٢/٦٠٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

- وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير "سعيد بن سويد" وقد وثقه ابن حبان، (٨/٢٢٣)، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٨٢، ٢٨٣)، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة، طبعة (١٤٠٤هـ)، القاهرة.

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٣١٦، ٣١٧، برقم: ٣٠٢)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، مكتبة المعارف، الرياض.

بالكفر الصريح، والذي يزعم فيه مُدَّعُوه أنه المشكاة والمصدر الذي يستمد منه كل ولي ونبي العلوم الباطنة، وأنه يأخذ عن الله مباشرة؛ لأنه يأخذ العلم من معدنه، ولا شك ما في هذا الكلام من كفر وزندقة. ومما يدل على بطلان هذا المنصب، وكذب مدعيه محاولتهم منافسة النبي -ﷺ- في مقام ختمه للنبوة؛ وإن هذا المنصب قد ادعاه أكثر من واحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ "خاتم الأولياء" لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره "محمد بن علي الحكيم الترمذي". وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: "كابن حَمَوَيه"[١] و"ابن عربي"، وبعض الشيوخ الضالين "بدمشق" وغيرها؛ وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي -عليه السلام- من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعًا في رياسة "خاتم الأولياء" لما فاتتهم رياسة "خاتم الأنبياء"، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك "خاتم الأولياء"، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر - رضي الله عنه-، ثم عمر - رضي الله عنه-، ثم عثمان - رضي الله عنه - ثم علي - رضي الله عنه- وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي -ﷺ- ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. و"خاتم الأولياء" في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- ثم عمر -رضي الله عنه- اللذان ما طلعت شمس، ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما»[٢].

وقال أيضا: «وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشائخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا "محمد بن علي الحكيم الترمذي" فإنه صنف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن "خاتم الأولياء" أفضل من "خاتم الأنبياء" من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ذلك "ابن عربي"

---

(١) لعله: عبد الله بن عمر بن علي بن محمد ابن حمويه الصوفي (٥٧٢هـ - ٦٤٢هـ).
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٣/٩٦، ٩٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٤٤).

صاحب كتاب "الفتوحات المكية" وكتاب "الفصوص" فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله – تعالى- وأوليائه»[١].

فتبين مما سبق أن القواعد التي بنيت عليها عقيدة "الإنسان الكامل" قواعد منهارة، فبنيانها لا أساس له من الشرع ولا من العقل، ولا يوجد في الإسلام منصب أو مقام يسمى بـ/"الإنسان الكامل" أو "المركب المبين"، بل هو من ابتداع النحل الضالة نقلا عن الفلسفات والأديان القديمة.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٤٢)، نشرها: قصي محب الدين الخطيب، طبعة (١٣٨٧هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

ثانياً: الإيمان بالتناسخ[١]:-

والتناسخ عقيدة شاعت بين الأمم القديمة، مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم، أو تعذب، جزاء وفاقا لما فعلته أثناء تعلقها بالجسم السابق.[٢]

أنواع التناسخ:-

وعقيدة التناسخ عند بعض معتنقيها[٣] تأتي على أربع مراتب: النسخ، والمسخ، والرسخ، والفسخ.

١- أما النسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر.

٢- وأما المسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم حيوان.

٣- وأما الرسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد.

٤- وأما الفسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها.[٤]

ولعقيدة التناسخ جذور ضاربة في أعماق التاريخ، وأول ظهور لهذه العقيدة كان عند القدماء المصريين، حيث كان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك حياة ثانية للإنسان، وأن في مقدور الإنسان أن يعود إلى الحياة بعد موته؛ لأن الموت رقود في القبر إلى أن تعود روح الميت، فترتدي جسدها من جديد، وهذا ما جعلهم يبنون "الأهرامات" من أجل هذه الأجسام، إذ أنهم -أي المصريين القدماء- كانوا يعتقدون أن في كل جسم حي تستقر قرينة تأوي إليه كما يأوى الطير إلى وكره.[٥]

---

(١) وقد تقدم تعريف التناسخ في (ص ٣٥)، ويسمى أيضًا: تكرار المولد، تجوال الأرواح، التقمص، التجول، وتداول الأرواح.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي (٢٤٦/١).

(٣) وهم: النصيرية.

(٤) انظر: فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي (٣٥٢/١)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) مكتبة لينة.

(٥) انظر: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره للدكتور محمد أحمد الخطيب (١٥)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) مكتبة الأقصى، عمان – الأردن.

فقد كانوا يرون أن الإنسان يشمل في تكوينه كائنين روحيين، هما: (ألكا) و(ألبا).

فأما (ألكا) عندهم فهو القرين الذي يولد من الإنسان في صورة أثيرية للجسم، وفي شكل أصغر منه، وأنه يحيي حياة منفصلة عن الجسم أثناء حياته على الأرض، فإذا حلّت في الإنسان ظاهرة الموت فإن (ألكا) يتحد بالجسم في القبر محاولا بذلك أن ينقل إليه القوة الحيوية التي يحصل عليها من الاغتذاء بالأطعمة، ومن هنا جاءت فكرة تقديم القرابين في القبور ليتغذى عليها (ألكا)، فإذا تحلل جسم المتوفي، وبَلِيَ امتنع على (ألكا) تحقيق الهدف من اغتذائه فهلك هو أيضاً.

أما (ألبا) فهي الروح التي تجعل في جسم الإنسان قابلية الحياة، إذ يموت الفرد إذا فارقت جسده وانقطعت صلته بها، وكان "الفراعنة" يمثلون (ألبا) في صورة أو على شكل طائر له رأس إنسان في حجم صغير يهبط من السماء كلما شعر بالحنين إلى الجسد الذي أقام فيه أثناء حياته على الأرض، فيحوم فوق "مومياء" الجسد رغبة منه في العودة.[1]

وهكذا الأديان القديمة الهندية[2] تتفق كلها على القول بتناسخ الأرواح وتجوالها بين الأجساد ضمن قانون الجزاء الذي يسمونه بـ/"كارما". فالأرواح حسب نظريتهم في التناسخ لا تموت، ولا تفنى، فهي أبدية الوجود، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصّها، ولا ريح تيبسها، ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق، وتترقى النفس في الأبدان المختلفة، كما يترقى الإنسان من طفولة إلى شباب، إلى كهولة، إلى شيخوخة.[3]

ويعود سبب التناسخ عند الهندوس إلى أمرين اثنين، وهما:

١- أن الروح قد خرجت من الجسم، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي، لم تتحقق بعد.

٢- أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقتها بالآخرين لابد من أدائها، فلا

---

(١) نفس المصدر (١٥، ١٦).

(٢) من هندوسية، وجينية، وبوذية. والديانة الهندوسية هي الأصل في الديانات الهندية الأخرى.

(٣) انظر: ضحى الإسلام (١/٢٣٨).

مناص إذاً أن تستوفى شهواتها في حيوات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

فالميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل في هذا الجسد، وإن لم يصلح هذا ففي جسد غيره فإذا لم يبق للإنسان شهوة ما وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثمًا، ولم يقم بحسنة تستوجب المثوبة، نجت روحه، وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت "بالبراهما".[١]

فمصير الروح في نظرية التناسخ عند الهنادكة يحدده سلوكه. يقول "الدكتور رادا كرشنا": «الذين يتمتعون بسلوك جيد هنا سيدخلون رحمًا جديدًا؛ إما رحم براهمين أو كساتريا، أو فايسيا. ولكن من يتمتعون بسلوك شائن هنا سيدخلون رحمًا منحطًا؛ إما رحم كلب، أو رحم خنزير، أو رحم أحد المنبوذين».[٢]

فالذي يعيش الآن في رغد، وبحبوحة مرتاح البال، مميزًا عن غيره، فذلك لأنه كان في حياته السابقة شخصًا صالحًا؛ لا يؤذي أحداً، ولا يعتدي على أحد. والذي يعيش في طبقة أدنى، أو في جسد عليل، يشقي به؛ فذلك لأنه كان في حياته السابقة شخصًا فاسد السيرة. ولو استمر على ذلك فقد تحل روحه في جسم حيوان مسخر للأعمال الشاقة، أو معدّ للذبح لكي تشعر هذه الروح بالضياع والألم، أو متوحل في الأقذار، والدنس، لتحس بالضعة والمهانة.[٣]

وتعتقد الهندوسية أنه إذا اكتملت ميول الروح وشهواتها، مع انقطاع عن الأعمال، وعلائق الدنيا، وما فيها من ملاذ وعصيان؛ تلك التي تستلزم تكرار المولد إذا تم له ذلك نجا من تكرار المولد، وانطلقت روحه لتمتزج "ببراهما" كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم.[٤]

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي (ص ٦٧)، الطبعة التاسعة (١٩٩٣م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢) انظر: الفكر الفلسفي الهندي (١١٤)، ترجمة: ندرة اليازجي، طبعة (١٩٦٧م)، دار اليقظة العربية.

(٣) انظر: تناسخ الأرواح (١٩).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى (٧٠).

وكان فلاسفة "اليونان" أيضًا يعتقدون في تناسخ الأرواح وفي مقدمتهم "فيثاغورس" الذي علّم تلاميذه تناسخ الروح وتطهّرها في عجلة الميلاد، ويرى -أي فيثاغورس- أن الروح تسجن في الجسم، وتغادره عند الموت، وبعد فترة من التطهير تدخل الجسم مرة أخرى، وهذه العجلة تكرر نفسها عدة مرات.(١)

ويروى أن "فيثاغورس" رأى إنسانًا يضرب كلبًا فمنعه عن ضربه قائلاً للضارب: «إنه تبين في عوائه صوت أحد أصدقائه، بل زعم أنه هو نفسه كان في غيره ممن سبقوه، وأن روحه كانت في "هرمس" ومن ثم انتقلت منه إلى غيره حتى انتهت إليه».(٢)

وأخذ بهذه النظرية أيضًا وتشيع لها بعد "فيثاغورس" الفيلاسوف المعروف "أفلاطون" الذي كان يرى أن النفوس الإنسانية كانت في عالم الكواكب تتبعها، لتطل على عالم المثل، وعجزت في إحدى محاولاتها عن اللحاق بنفوس الكواكب، ومشاهدة عالم المثل، فهبطت من علوها، وحلت في أبدان بشرية، ولم يكن هبوط النفس من عالمها العلوي، سوى عقوبة على ما ارتكبته من أفعال في عالمها السماوي.(٣)

وهكذا كانت "الفرس" تؤمن بعقيدة التناسخ. وكان لهم علاقة وثيقة بالشعوب التي قالت بنظرية التناسخ خاصة "الهند" و"مصر" فلا يستغرب انتقال هذه النظرية إلى عقائدها، وأديانها؛ وتتضح ذلك في الديانة المانوية التي أسسها (ماني بن فاتك) في بلاد "فارس"، وفي رأيها أن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين، وأرواح الضلالة؛ فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها، انتقلت إلى عالم النور الأعلى؛ أما أرواح الضلالة فإنها إذا فارقت الأجساد، ونزعت إلى عالم النور رُدَّت إلى أسفل كي تتناسخ في أجسام الحيوان، وما تزال تنتقل من حيوان إلى آخر حتى تصل إلى درجة الصفا، فتلحق بالنور الأعلى.(٤)

---

(١) انظر: تناسخ الأرواح (٢٥).

(٢) انظر: الديانات والعقائد (١/٣٨٤).

(٣) انظر: تناسخ الأرواح (٢٥).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧١)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ)، المكتبة العصرية، بيروت.

وكانت الأمم والحضارات والأديان التي التقى بها المجتمع الإسلامي من أهم القنوات التي انتقلت عن طريقها عقائد منحرفة، ومنها "التناسخ" إلى المحيط الإسلامي؛ فالترجمة عن الفارسية، والهندية، والإغريقية كانت تمثل هي المعابر التي عبرت عليها هذه العقيدة إلى عالمنا الإسلامي.[١]

وأول من قال بهذه النظرية عند المسلمين "السبأية"[٢] من الشيعة لدعواهم أن عليا – رضي الله عنه– صار إلهًا حين حل فيه روح الإله.[٣] ولقد كان "ابن سبأ" هو الذي نادى بحلول الله – سبحانه وتعالى– في علي – رضي الله عنه– مدعيًا أن الجانب الإلهي في علي ينتقل عن طريق التناسخ إلى أبنائه.[٤] وهذه البذرة التي بذرها "ابن سبأ" في "التناسخ" والحلول، تلقفها الغلاة على اختلاف مشاربهم.

ومن المعروف أن الفرقة "النقطوية" تأثرت بعقائد الفرس القديمة، كما أخذت عن غلاة الشيعة، ومن ثم غدت عقيدة التناسخ تمثل جانبًا مهما من عقائدها. وبما أن "النقطوية" وثيقة الصلة بفرق الشيعة لا سيما الغالية منها، فلا غرو أن استمدت نظرية "التناسخ" من غلاة الشيعة. و"محمود البسيخواني" كمنظر لفرقة لم يأت بشيء جديد في نظرية "التناسخ" إلا مصطلح "الإحصاء" و"المحصي". والإحصاء: عملية التعرف عما كان الشيء في حياته السابقة. والمحصي: هو المتعرف. وسَرَدَ بعض الأمثلة على هذا

---

(١) انظر: تناسخ الأرواح (٣٢).

(٢) هم أتباع "عبد الله بن سبأ" الذي غلا في علي –رضي الله عنه–، وزعم أنه إله، وأنه لم يمت، بل صعد إلى السماء، وهو الآن في السحاب، وأنه ينزل إلى الدنيا، وينتقم من الأعداء.
ذكر "الشهرستاني" أن "ابن سبأ؛ أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي – رضي الله عنه– ومنه انشعبت أصناف الغلاة. و"السبأية" أول فرقة قالت بالغيبة، والرجعة، وبتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي –رضي الله عنه–.
انظر: الفرق بين الفرق (٢٣٣، ٢٣٤).
– الملل والنحل (١٧٤)، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: الملل والنحل (١٧٤).

(٤) انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية للدكتور محمود قاسم (٢٥٦)، الطبعة الخامسة (١٩٧٣م)، دار المعارف بمصر.

"الإحصاء" بصفته أول "محص" في الفرقة.[١]

وبعد هذا العرض أقول: إن عقيدة التناسخ عقيدة باطلة، ومرفوضة شرعًا وعقلا، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن "التناسخ" يهدم عقيدة الإيمان باليوم الآخر:-

إذ أن "التناسخ" يتناقض مع عقيدة الإسلام في اليوم الآخر؛لأن الثواب والعقاب، قد قرره الإسلام في ذلك اليوم، بينما تقوم نظرية "التناسخ" على أن الثواب والعقاب يقع في الحياة الدنيا عن طريق تداول الروح في الأجساد والأشكال؛ ويعني ذلك إنكار اليوم الآخر، وما فيه من بعث، وحشر، وحساب، وثواب، وعقاب، وجنة، ونار. وآيات القرآن الكريم تركز مفاهيم البعث على أنه عملية إحياء لا موت بعدها، ليحشر فيها الناس إلى ربهم لأداء حسابهم، ثم يساق هؤلاء إلى نعيم، وأولئك إلى جحيم، وتأتي عقب عملية تدمير عام تتغير فيها معالم الكون، ففيها تُرَجُّ الأرض رجًا، وتبسُّ الجبال بسًا، وتشتعل البحار حتى تستحيل لهبًا، وفيها تنشق السماء، وتطوى كالسجل، وتكشط النجوم، وتكون كالمهل.

و"التناسخ" يناقض هذا كله؛ إذ هو في مفهوم دعاته عملية تحويل، وانتقال مستمرة أبدًا، لا يتصور لها نهاية، وهي بذلك تستتبع الحكم بسرمدية الأرض، والأفلاك، فلا يعتريها فناء، ولا اضمحلال.[٢]

يقول الله -سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣]

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يخبر - تعالى- عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين، أو المفرطين في أمر الله - تعالى- وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم

---

(١) وهذا أيضًا ليس فيه جديد؛ لأنه روي من قبيل هذا الشيء من "فيثاغورس" الفيلاسوف اليوناني -كما تقدم-.

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية لأبي الهيثم (٤٧، ٤٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار الصحوة، القاهرة.
- تناسخ الأرواح (٦٠-٦١).

(٣) الآيتان: ٩٩، ١٠٠، سورة المؤمنون.

الرجعة إلى الدنيا، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته». ويسوق -أي ابن كثير- بعد ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد هذا الأمر، وهو عدم الرجوع، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]

وقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2]

وقوله -تعالى-: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[3] وغيرها من الآيات.

ويعقب - أي ابن كثير- على هذه الآيات فيقول: «فذكر - تعالى- أنهم يسألون الرجعة، فلا يجابون، عند الاحتضار ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم». ويضيف قائلا: «وقوله ههنا: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب، ولا نقبل منه».[4]

ففي الآيات الكريمة السابقة رد دامغ، وبرهان قاطع على بطلان نظرية "التناسخ" وبيان لتناقضها مع عقيدة اليوم الآخر.

وجاء في حديث جبريل المروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- في السؤال عن الإيمان: «قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[5].

---

(١) الآيتان: ١٠، ١١، سورة المنافقون.

(٢) الآيتان: ٢٧، ٢٨، سورة الأنعام.

(٣) الآية: ٣٧، سورة فاطر.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨٦/٥، ٤٨٧).

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (٣٧/١، برقم: ٨).

فدل الحديث على أن الاعتقاد "باليوم الآخر" ركن من أركان الإيمان، ونظرية "التناسخ" تنفي هذا الركن من الدين.

ثانياً: الأزلية والأبدية لله -عزوجل:-

يقرر الإسلام أن الأزلية والأبدية خاصة بالله -عزوجل- وكل شيء دونه مخلوق، وحادث، ومن جملة ذلك النفس الإنسانية، بينما تقوم نظرية "التناسخ" على مبدأ قدم النفس، وخلودها، وهذا يخالف تماماً لمبدأ الحدوث الذي يقرر أن كل شيء في هذا الكون محدث، ومخلوق؛ والله -سبحانه وتعالى- هو الأزلي والأبدي، وهو الأول والآخر.[١]

ثالثاً: قضية المعرفة:-

تقوم قضية المعرفة في الإسلام على الاكتساب بدليل قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢] بينما "التناسخ" يقيم نظرية المعرفة على أساس "التذكر" والذي تتذكر الروح من خلال تداولها في الأجساد، فنظرية المعرفة الإسلامية تبطل "التناسخ".[٣]

رابعاً: والعقل أيضاً ينفي عقيدة "التناسخ"؛ لأن "التناسخ" يلزم منه وجود نفسين في بدن واحد، وهو باطل. يقول ابن سينا:

«فإذا فرضنا أن نفساً تناسختها أبدان، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفساً تحدث له، وتتعلق به، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً، ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل الانطباع فيه، بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفس بذلك البدن، وينفعل البدن عن تلك النفس. وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفساً واحدة هي المصرفة والمدبرة، فإن كان هناك نفس أخرى، لا يشعر الحيوان بها، ولا هي بنفسها، ولا تشتغل بالبدن، فليس لها علاقة مع البدن؛ لأن العلاقة لا تكون إلا بهذا النحو، فلا يكون تناسخ بوجه من

---

(١) انظر: تناسخ الأرواح (٦٥).

(٢) الآية: ٧٨، سورة النحل.

(٣) انظر: تناسخ الأرواح (٦٥، ٦٦).

الوجوه».[١]

وقد ذكر "الفخر الرازي" أدلة ثلاثة في إبطال التناسخ:

الأول: ما ذكره "ابن سينا" - وقد تقدم قبل قليل-.

والثاني: « النفس إذا فارقت البدن، فإما أن يصح أن تبقى مجردة حيناً من الأحيان بعد ذلك، أو لا يصح، فإن صح ذلك -مع أنه يصح تعلقها ببدن آخر على وجه التناسخ- كانت فيما بين البدنين معطلة، ولا تعطل في الطبيعة، وإن لم يصح ذلك، لزم أن يكون عدد الهالكين مساوياً لعدد الكائنين، حتى أنه متى فسد بدن، وفارقته نفسه ففي تلك الحالة يتكون بدن آخر، لتتعلق به تلك النفس، وليس الأمر كذلك».

والثالث: «ما ذكره المتكلمون من أن النفس لو كانت قبل ذلك في بدن آخر، لكانت تذكر الآن أنها كانت قبل ذلك في بدن آخر؛ لأنه قد ثبت أن جوهرها محل العلم، والحفظ، والتذكر. والصفات القائمة بذاتها لا تختلف باختلاف أحوال البدن، فإن النفس في صفاتها وذاتها مجردة عن البدن. وكان يجب أن تبقى علومها بعد مفارقة ذلك البدن، حتى تتذكر في هذا البدن كيفية أحوالها في ذلك البدن، فلما لم تتذكر شيئاً من ذلك، علمنا أنها ماكانت موجودة في بدن آخر»[٢].

خامساً: التناسخ يعارض الدراسات العلمية، وعلم الأجناس، حيث تقرر هذه الدراسات أن الولد بعض أبويه واستمرار لهما، وأنه يشبههما جسماً، ويماثلهما روحاً ومواهب، فهو يرث عن ذويه اللون، والقامة، والصحة، والمرض، كما يرث المواهب والأخلاق غالباً، ولذلك فالتناسخ شذوذ عن الفكر العلمي والطبيعي.

ثم إذا كان التناسخ للجزاء فماذا يكون عن الطفل الذي يموت عقب الولادة، فإن الروح به لم تستمتع، ولم تعاقب، فليست ولادته، وبعث روح شخص فيه إلا عبثاً.

بالإضافة إلى ذلك فإن "التناسخ" لا يفسر الزيادة المطردة في التعداد، والهبوط

---

(١) انظر: أحوال النفس (١٠٦)، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، الطبعة الأولى (١٣٧١هـ)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

(٢) انظر: المباحث المشرقية (٢/٣٩٧، ٣٩٨)، طبعة (١٩٦٦م)، مكتبة الأسدي، طهران.

الواسع أحيانًا أثناء الحروب والكوارث، فمن أين تجيئ الأرواح الجديدة؟ وإلى أين تذهب أرواح القتلى في الحروب والكوارث حيث يكون المواليد أقل من الموتى.[١]

فتبين أن عقيدة "التناسخ" باطلة شرعًا، ومرفوضة عقلاً، وعلمًا.

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى (٢٠٠ ، ٢٠١).

ثالثاً : العقيدة الألفية:-

تعني هذه العقيدة أن صلاحية الشريعة الإسلامية قد انتهت بانتهاء ألف سنة من هجرة المصطفى -ﷺ-، وذلك بناءً على زعمهم أن مدة العالم ستة عشر ألف سنة، في الثمانية آلاف الأولى كان ثمانية أنبياء، لكُلٍّ نبي ألف سنة، والألف الثامن والأخير هو مدة نبينا محمد -ﷺ-، وقد انتهت بانتهاء ألف سنة من هجرته -ﷺ- وكان هذا دور العرب. ويبتدأ بعده دور العجم ويمتد هذا الدور لثمانية آلاف سنة أخرى، ويكون فيه ثمانية من "المركب المبين" كلهم من العجم، ومدة كل واحد منهم ألف سنة، ثم تنتهي الدنيا . و"المبين الأول" من هؤلاء الثمانية هو "محمود البسخواني" كما تقدم ذلك في المبحث الثاني.

وهذه العقيدة هي من أهم العقائد التي تتبناها هذه الفرقة، وتدعو إليها ، وإن كانت العقائد الأخرى أيضًا من الأهمية بمكان، إلا أنها من العقائد المشتركة بينها وبين الفرق الأخرى، بينما "العقيدة الألفية" تنفرد بها هذه الفرقة، وهي حامل لوائها ، ولأول مرة في بلاد القارة الهندية، ومن ثم نجد أنها لعبت دوراً هامًا في أفكار أبطال الفرق المنتسبة للإسلام، وعلى أساسها نشأت الحركات، والدعوات في مستهل هذا القرن – وهو القرن العاشر الهجري-.

وبالبحث عن جذور هذه العقيدة -أي الألفية- عند هذه الفرقة يتضح أمام الباحث أمران، وهما:

الأول : ما قيل عن مدة أيام الدنيا ماضيها وباقيها .

الثاني: أثر الشعوبية في هذه الفرقة.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو مدة أيام الدنيا فقد كثرت فيها الآراء والأقوال، والتوجيهات في القديم والحديث عند أصحاب الملل والنحل، والأقوام، وأصحاب النظريات والهيئات. وقد جمع علامة الهند "صديق حسن خان القنوجي" هذه الآراء كلها وفصل فيها القول.[١]

---

(١) وذلك في كتابه: "لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان" (٣٧ - ٦٠)، طبعة (١٢٩٦هـ)، مطبعة الجوائب الكائنة أمام الباب العالي.

وأشـهـر هـذه الآراء أن مـدة الدنيـا سـبـعـة آلاف سنة من ابتـداء خلق العـالم إلى انقضائه وفنائه، والألف الأخير منها هو مدة نبوة نبينا محمد -ﷺ- ونرى إمامًا من أئمة المسلمين[١] ينقله من التـوراة الموجـودة لدى اليـهـود كـحـقـيـقـة مـسلمـة، ويؤيد ذلك بآراء "الصابئة" الذين يقولون بحركات الكواكب، بأن هذه المدة هي مسير الكواكب السبعة وأن سـيـر كل كـوكب منهـا ألف سنة، ويسـتـدل على ذلك بالحـديث المروي عن أبي رحـاب الجهني، أنه قال للنبي -ﷺ- رأيتك على منبر فيه سبع درجات، وأنت على أعلاها، فقال: «الدنيـا سـبـعـة آلاف سنة أنا في آخرها ألفًا». وطَبَّق -أي المـاوردي- تلك المدة على عدة الرسل، وكل ذلك بناء على ما جاء في التوراة على اختلاف رواياتها في توزيع هذه المدة على عـدة الرسل، وخلص إلى القول بأن الرسـول -ﷺ- بعث في الألف الأخـيـر من هذه المدة.[٢]

ولعل الفـرقـة "النقطوية" تلقفت هذه الفكرة من هذه الإسرائيليـات، وتبناها كـعـقـيـدة للفرقة، والتي عرفت "بالعقيدة الألفية" مع زيادات ومبـالغات تتسق وتوجـهـات الفرقة. ولا غرو في ذلك إذ أن الفرق الضالة تتبنى دائمًا الآراء المنحرفة، والأفكار الشـاذة، لتحقيق أهدافها الخبيثة، وتستدل على ذلك بالأحـاديث المكذوبة، كما قـال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم إن من عـجـيب الأمـر: أن هـؤلاء المتكلمـين المدعين لحـقـائق الأمـور العلمـيـة والدينـيـة، المخالفين للسنة والجماعة يحتج كل منهم بما يقع له من حديث موضـوع، أو مجمل لا يفهم معناه، وكلما وجد أثرًا فيه نزَّله على رأيه».[٣]

وبعد، فأقول: إن هذه العقيدة باطلة شرعًا، ومرفوضة عقلا، وذلك للأسباب الآتية:

أولا : أن الحديث المذكور غيـر صـحـيح، فـالاسـتـدلال به لا يجـوز، وقد قـال الحـافظ ابن حـجـر: «هذا الحـديث إنما عن "ابن زمل" وسنده ضـعـيف جدًا، أخرجه "ابن السكن" في "الصحـابة"، وقال: إسناده مجهول، وليس بمعروف في الصحـابة. و"ابن قتيبة: في "غريب

---

(١) هو: الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه: "أعلام النبوة" (٥٣ - ٦٢)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) نفس المصدر (٦٣، ٦٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٨٢، ٨٣).

الحديث". وذكره في الصحابة أيضًا "ابن منده" وغيره، وسماه بعضهم "عبد الله"، وبعضهم "الضحاك". وقد أورده "ابن الجوزي" في "الموضوعات"، وقال "ابن الأثير": ألفاظه مصنوعة».(١)

ثانياً: إن ما قيل عن مدة العالم إنما جاء من روايات يهودية في كتبهم، وهي من الإسرائيليات. وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:-

أولها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح. ويروى في ذلك أن "عبد الله بن عمرو" -رضي الله عنهما- قد أصاب "يوم اليرموك" زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما.

الثاني: ما علمنا كذبه، لأن عندنا ما يخالفه. وهذا بلا شك مردود.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من ذاك القبيل. فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ويختلف فيه علماء أهل الكتاب كثيراً، كما يذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم -عليه السلام- وغير ذلك.(٢)

وما قيل عن مدة الدنيا فهو من القسم الثاني؛ لأننا علمنا كذبه، بما عندنا من الكتاب والسنة الصحيحة، فهو بلا شك مردود. ولم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يحدد مدة العالم، ثم تقوم الساعة بعد هذه المدة. قال -تعالى-: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٣)

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾(٤) وورد في هذا المعنى آيات عديدة أخرى.

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٦، ٣٦٧).

(٣) من الآية: ١٨٧، سورة الأعراف.

(٤) من الآية: ٣٤، سورة لقمان.

وجاء في الحديث عن ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: قال النبي –ﷺ–: «مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ....﴾»[١]

وجاء في حديث جبريل المروي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– «قال: فأخبرني عن الساعة؟.

قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[٢].

فما قيل عن مدة الدنيا من ماضيها، وباقيها، وفنائها كله من الإسرائيليات المكذوبة التي لا شك في ردها. قال الحافظ ابن كثير عن مثل هذه الإسرائيليات: «فإذا كان الله –سبحانه وله المجد– قد أغنانا برسولنا محمد –ﷺ– عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما في أيديهم، مما وقع فيه خلط وخبط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخ وتبديل. فالمحتاج إليه قد بيّنه لنا رسولنا وشرحه، وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله»[٣].

فرسول الله –ﷺ– لم يترك لأمته خيراً إلا دلهم عليه، ولم يترك شراً إلا حذرهم منه، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. ولم يأت فيما بيَّنه الرسول –ﷺ– هذه المدة المعينة للعالم، وأن نبوته ألف سنة من هذه المدة.

عن حذيفة –رضي الله عنه– قال: «لقد خطبنا النبي –ﷺ– خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه، كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه، فرآه فعرفه»[٤].

وعن أبي زيد –رضي الله عنه– قال: «صلى بنا رسول الله –ﷺ– الفجر، وصعد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب ﴿ إن الله عنده علم الساعة﴾ (٥١٣/٨ برقم: ٤٧٧٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (٣٧/١، برقم: ٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/١)، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، شارع القوسي بالظاهر، القاهرة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، باب "وكان أمر الله قدراً مقدوراً" (٤٩٤/١١، برقم: ٦٦٠٤) المطبوع مع فتح الباري.

المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس؛ فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن؛ فأعلمنا أحفظنا»[١].

ولكن عامة من في دينه فساد – وفي مقدمتهم زعماء الحركات الهدامة– يدخل في الأكاذيب الكونية، وهم الذين حددوا مدة بقاء هذه الأمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلهذا تجد عامة من في دينه فساد يدخل في الأكاذيب الكونية، مثل: أهل الاتحاد، فإن "ابن عربي" في كتاب "عنقاء مغرب" وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب، وكذلك "ابن سبعين"[٢] وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من "حساب الجمل"[٣] من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من "الصابئة"»[٤].

وقد رد "الإمام ابن حزم" على ما قيل عن مدة العالم فقال: «وأما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون: للدنيا أربعة آلاف سنة، والنصارى يقولون: للدنيا خمسة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي –ﷺ– فيما يكون إلى قيام الساعة. (٢٢١٧/٤، برقم: ٢٨٩٢).

(٢) هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي (٦١٣هـ – ٦٦٩هـ).

من أشهر متصوفة الفلاسفة، ومن القائلين "بوحدة الوجود" درس في "الأندلس" وانتقل إلى "سبتة". من أشهر مولفاته: "كتاب البد" وكتاب "الهو". مات في مكة.

انظر: فوات الوفيات للكتبي (٢٥٣/٢– ٢٥٥)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

– النجوم الزاهرة للأتابكي (٢٣٢/٧، ٢٣٣)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

– البداية والنهاية (٢٦١/١٣).

(٣) حساب الجمل: هو نوع من الحساب، يقوم على أن لكل حرف من حروف الهجاء قيمة حسابية، فهم يقولون: إن الألف تساوي واحداً، والباء تساوي اثنين، والواو تساوي ستة، والطاء تساوي ثمانية، وهو نوع من الحساب يستخدمه المنجمون.

بتوجيه من الدكتور المشرف.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨١/٤، ٨٢).

آلاف سنة. وأما نحن فلا نقطع على علم عدد معروفٍ عندنا، ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل، فقد كذب، وقال: ما لم يأت عن رسول الله -ﷺ- فيه لفظة تصح، بل صح عنه -ﷺ- خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله -تعالى-. قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾[1].[2]

ثالثاً : ومما يدحض هذه العقيدة الزائفة أن من بديهيات الإسلام وخصائصه الأصلية أنه جاء لعموم البشر، ولم يأت لطائفة معينة منهم، أو جنس خاص من أجناسهم، قال -تعالى-: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[3] وقال -تعالى-: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[4].

وهذا العموم غير مقيد بفترة زمنية معينة، كما هو غير مقتصر على جيل خاص من البشر، وإنما هو عموم في الزمان، كما هو عموم في المكان؛ ولهذا فهو باق، لا يزول، ولا يتغير، ولا ينسخ، أكان النسخ كليًا، أو جزئيًا، وحيث أن الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، وأن محمداً -ﷺ- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فمعنى ذلك أن الشرائع الإلهية انقطعت، وأن الوحي لم يعد ينزل على أحد. قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[5]، وعلى هذا لا يتصور أن ينسخ الإسلام، أو يغيره شيء.[6]

والشريعة إنما تأتي لسد نقص في تشريع سابق، أو لإكماله بتشريع لاحق مناسب لمستوى البشرية، وحيث إن الشريعة الإسلامية كاملة، وتامة سدّت كل ما لم تأتِ به

---

(١) من الآية: ٥١، سورة الكهف.

(٢) انظر: الفصل (٢/٢٥٧)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم نصير، والدكتور عبد الرحمن عميدة، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ)، شركة عكاظ، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٣) من الآية: ٢٨، سورة سبأ.

(٤) من الآية: ١٥٨، سورة الأعراف.

(٥) من الآية: ٤٠، سورة الأحزاب.

(٦) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان (٥٤)، طبعة (١٤٠١هـ)، مكتبة المنار الإسلامية.

الشرائع السابقة، وأكدت ما جاء ت به هذه الشرائع السابقة، فلا حاجة ولا داعي لمجيء شريعة أخرى. قال الله -تعالى-: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾(١) فمع هذا الكمال والتمام لا داعي لمجيء شريعة أخرى، وحيث لا شريعة أخرى فلا رسول آخر بعد محمد -ﷺ-.

وعموم الشريعة الإسلامية وبقائها، وعدم قابليتها للنسخ، والتبديل، والتغيير بالتنقيص، أو الزيادة كل ذلك يستلزم أن تكون قواعدها، وأحكامها، ومبادئها وجميع ما جاء ت به صالحة للناس جميعًا في كل عصر ومصر؛ وتفي بحاجاتهم. وهذا ما جاء ت به الشريعة الإسلامية؛ لأن الله -تعالى- وهو العليم الخبير، جعلها عامة في المكان، والزمان، وخاتمة لجميع الشرائع؛ وجعل قواعدها، وأحكامها مهيأة للبقاء، والاستمرار إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.(٢)

رابعاً : الواقع يكذب ما قيل بأن مدة العالم سبعة آلاف سنة، والرسول -ﷺ- بعث في الألف الأخير منها، ومعنى ذلك سوف تقوم القيامة بعد ألف سنة من مبعث نبينا محمد -ﷺ-، ونحن الآن في السنة (١٤١٩) للهجرة النبوية، ولم تقم الساعة بعد، وعلم الساعة عند الله -تعالى- وحده، كما جاء في القرآن الكريم، ولا يعقل وجود حديث نبوي يحدد قيام الساعة بهذا الشكل المتنافي مع ما جاء في القرآن الكريم.

وأما بالنسبة للأمر الثاني، فهو أثر الشعوبية في هذه الفرقة. والشعوبية في اللغة مشتقة من "الشعب"، وهي الجماعة الكبيرة التي ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة، وتخضع لنظام اجتماعي واحد، وتتكلم لسانًا واحداً.(٣)

وأما الشعوبية فهي تعني كل من ينكر على العرب تميزهم، أو تفضلهم على غيرهم، وتحاول الحط من قدرهم.

والشعوبية حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، اتخذت الدين ستاراً لها، ونشأت

---

(١) من الآية: ٣، سورة المائدة.

(٢) انظر: أصول الدعوة (٥٥).

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٤٨٦/١)، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار. مجمع اللغة العربية.

عنها حركات بعضها أدبي، وبعضها ثوري، وهي تمثل جانبًا من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق العقيدة والفكرة، ولما كان سلطان العرب يستند إلى الإسلام، إذ أنه قام به، واستقام، فإن بعض الجماعات الخارجة على الدولة الإسلامية تدرجت في اندفاعها إلى مهاجمة الإسلام من إثارة الشعوبية.(١)

وقد اتخذت الشعوبية حججا كثيرة للحط من شأن العرب، ومن حججهم في ذلك -كما لخصها- "الأستاذ أحمد أمين":

«(١) أن العرب ليس لهم أية ميزة على حين أن لكل أمة ميزة تفخر بها؛ "فالرومان" تفتخر بعظم سلطانها، وكثرة مدائنها، وعظم مدنيتها. و"الهند" تفخر بحكمتها وطبها، وكثرة عددها، وأنهارها وثمارها؛ و"الصين" تزهى بصناعاتها، وفنونها الجميلة، وما إلى ذلك. ولا نجد العرب تمتاز بشيء يضارع ما ذكرنا، جدب في أرض؟ وبداوة في عيش!؟ كانوا في جاهلية يقتلون أولادهم من الفقر ...

(٢) قالوا: بم يكون الفخر؟ أبالملك؟ فأين ملك العرب من ملك الفراعنة، والعمالقة، والأكاسرة، والقياصرة؟! ....

(٣) وإن فخرتم بالإسلام، فليس الإسلام دين العرب وحدهم، بل هو دين الناس. والإسلام نفسه حارب نزعتكم، فهدم العصبية الجاهلية، وجعل مقياس الشرف التقوى، فالدين بيننا وبينكم، والدنيا نحن أحظى بها، وأعرف بمزاياها، وأكثر تفننًا في شؤونها»(٢).

فالشعوبية -والحال هذه- ليست حركة فئة معينة أو طبقة اجتماعية -إن جاز التحديد- بل إنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لإضعاف الإسلام، وإرباكه، ولصد تيار الثقافة الإسلامية، ولزعزعة الدولة الإسلامية.(٣)

---

(١) انظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة، للدكتور محمد أحمد الخطيب (٧، ٨)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، عمان – الأردن.

(٢) انظر: ضحى الإسلام (١/٥٣، ٥٤).

(٣) انظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، للدكتورة زاهية قدورة (٢٣)، الطبعة الأولى (١٩٧٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

وبالرغم أن كلاً من هؤلاء الشعوبيين كان يفاخر بأصله، ويعتز بتراثه، لكن الفرس كانوا أشدهم حماسًا، وأكثرهم عددًا. وأن أكثر الحركات، والدعوات الهدامة، والثورات التي قامت في الدولة الإسلامية من الفرس يؤكد أن الدافع كان وراء ذلك إحياء الآراء الدينية الفارسية القديمة، ويبدو هذا واضحًا في اتساع نشاط الغلاة الذين تظاهروا بالإسلام.[١]

يقول البغدادي: «إن الذين وضعوا أساس دين "الباطنية"[٢] كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسسًا من قَبِلَها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن، وسنن النبي -عليه السلام- على موافقة أسسهم»[٣].

والفرقة "النقطوية" من تلك الحركات الهدامة التي تأثرت بالشعوبية، إذ تدعو بجلاء إلى إنهاء دور العرب، وإحياء دور العجم في تحمل أعباء الرسالة، ونسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة الجديدة. ولا يُعرف في تاريخ في الفرق -حسب علمي- من ادعى أن مهمة الرسالة تنتقل من العرب إلى العجم بعد مضي فترة معينة عن هجرة النبي -ﷺ-. اللهم إلا ما يحكى عن "اليزيدية"[٤] - فرقة من الخوارج- زعمت أن الله - عزوجل - يبعث

---

(١) انظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما (٩).

(٢) الباطنية: هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، ذكر الشهرستاني: «أن الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. وأما الباطنية في زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر: أنهم يسمون في العراق بالباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وفي خراسان التعليمية، والملحدة».

وذكر البغدادي بأن ضرر الباطنية أعظم من ضرر اليهود، والنصاري، والمجوس، والدهرية، وسائر أصناف الكفرة، وأن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم: "ميمون بن ديصان" المعروف "بالقداح"، ومحمد بن الحسين"، الملقب "بدندان».

انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٢).

- الملل والنحل (١٩٢، ١٩٣).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٤، ٢٨٥).

(٤) هؤلاء أتباع "يزيد بن أنيسة" الخارجي، كان من البصرة، ثم انتقل إلى أرض "فارس".

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٩).

رسولا من العجم، وينزل عليه كتابًا من السماء، وينسخ بشرعه شريعة محمد -ﷺ- وكانت هذه الفرقة في بلاد الفارس.[١]

وسواء أخذت "النقطوية" الفكرة من "اليزيدية" أم لا؟ فإن أثر الشعوبية واضح فيها كمال الوضوح؛ إذ ادعى مؤسسها "محمود البسيخواني" بصراحة أن دور العرب ثمانية آلاف سنة من وجود العالم، وكان فيه ثمانية أنبياء كلهم من العرب، والنبي الثامن والأخير منهم هو نبينا محمد -ﷺ-، ومدة نبوته ألف سنة، وقد انتهت. ويبتدأ بعده دور العجم في تحمل أعباء الرسالة؛ وهذا الدور أيضًا يمتد ثمانية آلاف سنة، يكون فيه ثمانية من "المركب المبين" - على حد تعبيره- وكلهم من العجم. وزعم أنه -أي"محمود البسيخواني"- هو "المبين الأول"، فشريعته نسخت الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد -ﷺ- كما تقدم ذلك في المبحث الثاني.

وليس هناك أجلى عبارة، وأوضح فكرة، وأرسخ عقيدة من هذه في الدعوة إلى الشعوبية؛ وقد شهد التاريخ الإسلامي حركات باطلة، ودعوات خبيثة لها نفس التوجه، وذات الهدف، نبتت في نفس المنطقة.[٢]

و"النقطوية" حلقة أخرى من حلقات تلك السلسلة التي بدأت في العصر العباسي الأول، وانتعشت للقضاء على سلطان الإسلام وعودة الملك إلى المجوس بإحياء الديانات الفارسية القديمة، كما ذكر البغدادي: أن "زرادشت" قال: «إن الملك يزول عن الفرس إلى "الروم" و"اليونانية"، ثم يعود إلى "الفرس"، ثم يزول عن "الفرس" إلى "العرب" ثم يعود إلى "الفرس" وساعده "جاماسب" المنجم على ذلك، وزعم أن الملك يعود إلى "العجم" لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور "زرادشت".

وأضاف - أي البغدادي- قائلا: «وكان في الباطنية رجل يعرف بـ/"أبي عبد الله

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٩).

(٢) أمثال: الحركة الراوندية، والمقنعية، والخرمية وغيرها من حركات الزنادقة. إذ ترجع حركة الزندقة إلى الشعوبية، والارتباط بينهما وثيق، حيث أصبحت الواحدة متممة للأخرى، ومرادفة لها.

انظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول (١٢٧-١٧٢).

العردي" يدعي علم النجوم، ويتعصب للمجوس، وصنف كتابًا، وذكر فيه: أن القرن الثامن عشر من مولد محمد -ﷺ- يوافق الألف العاشر، وهو نوبة "المشتري" و"القوس". وقال: عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية، ويستولي على الأرض كلها، وزعم أنه يملك مدة سبع قرانات.

وقالوا: قد تحقق حكم "زرادشت" و"جاماسب" في زوال ملك "العجم" إلى "الروم" و"اليونانية" في أيام "الإسكندر"، ثم عاد إلى "العجم" بعد ثلاثمائة سنة، ثم زال بعد ذلك ملك "العجم" إلى "العرب" وسيعود إلى "العجم" لتمام المدة التي ذكرها "جاماسب"، وقد وافق الوقت الذي ذكروه أيام "المكتفي"[(١)] و"المقتدر"[(٢)] وأخلف موعودهم، وما رجع الملك إلى "المجوس".

ثم علّق البغدادي على مزاعم المجوس قائلا:

«وفي آخر سنة ألف ومائتين وأربعين "للإسكندر" تم من تاريخ "زرادشت" ألف وخمسمائة سنة، وما عاد ملك الأرض إلى المجوس، بل اتسع بعدها نطاق الإسلام في الأرض. وفتح الله على المسلمين بلاد "بلا ساغون" وأرض "التبت" وأكثر نواحي "الصين"، ثم فتح لهم بعدها جميع أرض "الهند".[(٣)]

---

(١) هو: أبو محمد علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل (٢٦٣هـ - ٢٩٥هـ).
من خلفاء الدولة العباسية في العراق. تولى الخلافة بعد موت أبيه "المعتضد". حارب القرامطة، وكسر شوكتهم، وفي أيامه فتحت "أنطاكية" كان "الروم" قد استولوا عليها. توفى وهو شاب.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/٣١٦ - ٣١٨).
- سير أعلام النبلاء (١٣/٤٧٩ - ٤٨٥).

(٢) هو: أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل (٢٨٢هـ - ٣٢٠هـ).
خليفة عباسي. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه "المكتفي" وكان صغير السن، فخلعه الناس، ثم أعيد بعد يومين. طالت أيامه. وفي عهده قتل "الحلاج" وقلع "أبو طاهر القرمطي" الحجر الأسود. قتل في أيدي الخارجيين عليه.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/٢١٣ - ٢١٩).
- سير أعلام النبلاء (١٥/٤٣ - ٥٦).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٦، ٢٨٧).

وهكذا خيب الله – تعالى– آمال "محمود البسيخواني" أيضًا، ولم يظهر أي "مبين" –على حد زعمه– بعد مضى ألف سنة من هجرة النبي –ﷺ– إلا أمثاله من المنحرفين ومن هو على شاكلته ممن تسول له نفسه محاولة تحقيق مثل هذه الأحلام. ولكن الله –سبحانه وتعالى– يحمي دينه، ويحفظ كتابه، ويقيض في كل عصر ومصر، من ينسف أحلامهم، ويكشف عوارهم، ويفضح خططهم، ويعيد للدين مكانته، ويجدد معالمه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

بالإضافة إلى سفاهة هذه العقيدة يكتنفها كثير من التناقض فحسب قول "البسيخواني" أن الدور الأول من مدة العالم كان فيه ثمانية أنبياء كلهم من العرب، وليس بصحيح؛ لأن الأنبياء الذين بعثوا من العرب عددهم أربعة وهم: هود، وصالح، وإسماعيل، ومحمد –عليهم الصلاة والسلام–.(٢)

ثم إن عدد الأنبياء ليس ثمانية – كما يزعم البسيخواني– بل أكثر من ذلك، وقد جاء في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبيًا.(٣)

وهناك أنبياء لم يصل إلينا خبرهم كما قال – تعالى–: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٤).

ومن التناقض أيضًا أنه – أي محمود البسيخواني– يزعم أنه الأول من "المبين" الثمانية الذين يظهرون من العجم بناءً على انتهاء ألف سنة من هجرة النبي –ﷺ– وهذا أيضًا ليس بصحيح؛ لأنه توفى في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة، وذلك عام (٨٣٢هـ) – كما تقدم– ولم يكتمل ألف سنة من هجرة النبي –ﷺ–، بل بقي ثمان وستون ومائة سنة لتمام الألف(٥). والله أعلم.

---

(١) الآية: ٩، سورة الحجر.

(٢) انظر: ضحى الإسلام (١/٥٤).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/١٠٦١ – ١٠٧٣)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار ابن كثير، دمشق.

(٤) من الآية: ٧٨، سورة غافر.

(٥) وأما الأباطيل الأخرى أمثال: إنكار البعث والنشور، وزعمهم أن القرآن الكريم من كلام الرسول ﷺ وترك التحية الإسلامية، وعدم الاغتسال من الجنابة وغير ذلك تدخل تحت مفهوم العقيدة الألفية.

الفصل الثاني

الفرقة الذكرية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشاتها وتاريخها.

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع : الذكرية في الميزان.

الفصل الثاني : الفرقة الذكرية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها:

تعد الفرقة "الذكرية" إحدى الفرق التي نشأت وتطورت في القرن العاشر الهجري في مدينة "تُرْبَتْ" من منطقة "مُكْران" في إقليم "بِلُوشِسْتان"[١]، ونمت وقويت ثم انتشرت إلى المناطق المجاورة، وبقيت إلى أيامنا هذه.

تنسب هذه الفرقة إلى المدعو "الملا محمد[٢] الأتكي"[٣] وقد حيكت حول شخصيته روايات وأساطير ما مضمونه:

أن الله -سبحانه وتعالى- خلق من نوره نور "الملا محمد الأتكي". وخلق الكائنات كلها من نوره، وسيّر روحه في السموات العلا، وتشرف بزيارته الملائكة المقربون، وتقرب إلى حضرة رب العزة والجلال، ونظر إلى الكتب المقدسة قبل نزولها، واختار منها لأمته عشرة أجزاء.

ثم ظهر في صورته الإنسانية وفي كسوة أهل الفقر والزهد في بلدة "الأتك" الجبلية بوضع قدميه المباركتين على رأس جبل عالٍ، وذلك صباح الاثنين عام (٩٧٧هـ). وادعى أنه مهدي آخر الزمان، وبعد ظهوره في كيانه البشري بدأ جولاته ورحلاته حول العالم، والتي استغرقت ثلاثًا وثلاثين سنة، ولم يكشف عن أسراره في هذه الرحلات إلا على بعض مريديه وأتباعه الذين عرفوه بنور بصيرتهم وإشراق عقولهم، فآمنوا به واتبعوه، وفي نهاية المطاف وصل إلى إقليم "بلوشستان" وحط رحله على جبل قرب "كوادر"[٤]، ويعرف حتى الآن بـ/ جبل المهدي، واشتغل هناك بالرياضة الروحية أربعين يومًا، ثم وصل مع رفقائه

---

(١) كانت بلوشستان أحد أقاليم الهند الموحدة، وهي الآن إحدى ولايات جمهورية باكستان الأربع، تقع في جنوب غربها، وعاصمتها "كوئته"، والنسبة إليها "البلوشي".

(٢) يقصد الذكريون دائمًا بـ/ محمد مهديهم المزعوم، ويذكرون نبينا محمداً -ﷺ- بأحمد العربي.

(٣) نسبة إلى "أتك" (أتك) اسم بلدة كانت تقع في إقليم "البنجاب"، وهي الآن واقعة في ولاية بنجاب الباكستانية، بين "إسلام آباد" و "بيشاور".

(٤) اسم مدينة تقع في ولاية بلوشستان.

وأتباعه إلى مدينة "تُربَت" واستقر على جبل يعرف الآن "بجبل مراد"(١)، وهناك شمر عن ساق الجد والاجتهاد في نشر دعوته وبث مبادئه ومعتقداته، وبعث إلى رؤساء القبائل وحكام المناطق للإيمان به وقبول دعوته، فبايعه آلاف من البشر، وفي مقدمتهم حاكم "سِرْباز"(٢) وحاكم "كِيْج"(٣) وحاكم "بَنْجْكُوْر"(٤)، كما بايعه "الملا مراد الكجكي" أحد الوجهاء والشخصيات المؤثرة في هذه المنطقة.

ولما نظر كثرة مريديه، وشدة إقبال الناس عليه، تجاوز مرحلة المهدية وادعى أنه نبي، حيث كتب كتابًا باللغة الفارسية ووضعه على شجرة قديمة في غرب مدينة "تربت" وأعلن بين أتباعه أن كتابًا من السماء نزل عليه وهو الآن محفوظ في المكان الفلاني على الشجرة الفلانية، فذهب مع أتباعه إلى ذلك المكان، وادعى أنه نبي ورسول وخاتم النبيين بل أفضلهم. ولإثبات صدق دعواه للنبوة أظهر معجزتين حيث دفن تحت الأرض قِرْبتين كبيرتين في موضعين، إحداهما مليئة بالماء والأخرى باللبن، ثم ذهب بأتباعه إلى أحد الموضعين، فضرب رمحًا على قربة الماء فتفجر منها الماء بشدّة، فلما أوشك على النفاد ضرب رمحه ثانيًا، وقال: «قف أيها الماء وإلا تغرق هذه البلاد بسيلك الجارف»، فتوقف الماء ونفد، ثم أتى موضعًا آخر فضرب رمحه على قربة اللبن فتدفق منها اللبن، فلما كاد أن ينفد ضرب رمحه قائلا: «قف لماذا تجري وأنت من نعماء الله والناس قد رأوك» فتوقف.

فلما شاهد أتباعه معجزة نبع عين الماء وعين اللبن من داخل الأرض، ازدادوا به إيمانًا، فأعلن أمامهم أن كتابه قد نسخ الشريعة المحمدية -ﷺ- وتكون كلمة التوحيد من الآن هكذا: "لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله" وأعفى أتباعه عن أداء الصلوات، ووضع مكانها "الذكر"، ونسخ صوم رمضان، واستبدله بثمانية أيام الأولى من شهر ذي الحجة. ونسخ الزكاة فجعل المفروض "العشر" في كل ما يملكه الإنسان.

كما أعلن أن الحج سيؤدى من القادم في "جبل مراد". وأعلمهم أن رحمة الله

---

(١) نسبة إلى الملا مراد الكجكي أحد زعماء الذكرية وخليفة المهدي بعد غيابه سيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني.

(٢)(٣)(٤) أسماء مواضع في إقليم بلوشستان.

-تعالى- أدركت أمة هذا المذهب، فرفع عنهم أغلال التكاليف وتساهل بهم، فمن الآن الإيمان بالشريعة المحمدية يُعَدُّ كفرًا، ويجب اتباع شريعة المهدي على كل فرد.

وبعد عشر سنوات من العمل الدؤوب والجهد المتواصل في تبليغ دعوته ونشر حركته رأى أن دينه قد قوي، وتمكن من قلوب الناس، وفي إحدى الليالي من عام (١٠٢٩هـ) وبينما الناس في سبات عميق اختفى المهدي، وزعم أتباعه أنه قد غاص في الأرض تاركًا أحد أطراف ردائه فوق الأرض كأنه بمثابة تحديد المكان الذي غاص فيه، وذلك لأن مدة إقامته في الأرض قد انتهت، ثم خرج من باطن الأرض، وقد رجع إلى طبيعته الأصلية التي خلق منها، وصار نورًا، وصعد إلى السماء، وجلس إلى جوار الله - تعالى- في زعمهم- وهو الآن حيٌّ، يراقب أمته ويدافع عنهم، ويشفع لهم، فلا يدخل أحد منهم النار مطلقًا[(١)، (٢)].

وبعد اختفاء المهدي هَبَّ أتباعه لتكوين الدولة الذكرية في "مكران" وبعد التمكن منها نشروا الذكرية بقوة السيف والسنان حتى عمت المنطقة كلها، وتجاوزتها إلى ما حولها.

دولة الذكريين الأولى: [١٠٣٦هـ - ١١٥٣هـ]

كان تأسيس هذه الدولة في أرض "مكران" على يد "أبي سعيد البليدي"[(٣)] من أخص أتباع "الملا محمد الأتكي". ولم يتفق الذكريون في تحديد موطنه الأصلي، هل كان

---

(١) انظر: نور تجلي، جي. إيس. بجا راني برنجو (ص ١٤-١٩) طبعة (١٩٨١م) كراتشي.
- ذكري كون هين؟ (من هم ذكري؟) لمحمد إسحاق دراً زئي (ص ١٢- ١٤)، نشره: مير عبد الرحيم البلوشي، كراتشي.
- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (الدراسة التفصيلية للفرقة الذكرية)، للدكتور ضياء الحق الصديقي (ص٥، ٦)، صديقي ترست، نسيم پلازا، شارع نشتر، كراتشي.
- ذكري مذهب اور إسلام (الفرقة الذكرية والإسلام) لمولانا عبد المجيد (ص ٢٧)، نشره: مجلس عمل تحفظ ختم نبوت، شارع لياقت علي، كوئٹه، بلوچستان، پاكستان.
- ما هي الذكرية، للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي (ص ٣٠، ٣١)، نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية، مكران، بلوچستان، پاكستان.

(٢) لا يخفى ما في قصة ظهور "الملا محمد الأتكي" واختفائه ثم صعوده إلى السماء من خرافة اخترعها الدعاة الذكريون لإضفاء المجد والكرامة على زعيمهم.

(٣) سيرد مزيد تفصيل عنه في المبحث الثاني عند ذكر دعاة الذكرية.

"مكرانيا" أم قدم من الخارج، وأيًا كان الأمر، فإنه من المتفق عليه بينهم أنه يُعَدُّ أول حاكم ذكري تمكن من تأسيس دولة ذكرية في منطقة "مكران"، وذلك بعد غياب "محمد الأتكي" بسبع سنوات. وكانت "مكران" قبل ذلك تحكمها قبيلة تسمى "هوت" وآخر حكامها كان "ملك مرزا" فوثب عليه "أبو سعيد البليدي" فقتله، وأعانه على ذلك زعماء الذكرية وعلى رأسهم "عيسى الكجكي"، فاستولى على "مكران" وذلك عام (١٠٣٦هـ). فكان أول حاكم ذكري لأول دولة ذكرية، وصارت "الذكرية" دين الدولة، وحصلت لها العزة والمنعة، ونمت، وازدهرت، وقويت شوكتها في ظل حكم البليديين حيث تعاقب عليها تسعة سلاطين منهم حتى عام (١١٥٣هـ). إذًا فلقد استمر حكم البليديين لهذه الدولة الذكرية نحوًا من (١١٧) عامًا. وفي هذه المدة لم يدخروا وسعًا، ولم يألوا جهدًا في سبيل نشر الحركة الذكرية ومبادئها في منطقة "مكران" وما جاورها.

يقول الملا درّازئي – أحد دعاة الذكرية: «وفي أيام الحكم البليدي، حصل لهذه الفرقة تطور عظيم، وانتشرت في الوطن سريعًا، ومضى منهم تسعة سلاطين». فسرد أسماء هم، وأضاف قائلاً: «ولا نجد معلومات أكثر عن المملكة البليدية».(١)

دولة الذكريين الثانية [١١٥٣هـ - ١١٨٨هـ]:

إن الحاكم التاسع والأخير للعائلة البليدية كان "شاه بلال" فهذا الحاكم هداه الله -عز وجل- إلى الإسلام، فآمن وتاب عن الذكرية فثار ضده "ملك دينار الكجكي" وكان أبوه "الملا مراد الكجكي" خليفة "للملا محمد الأتكي" بعد غيابه. وكان هو الخليفة على الذكريين بعد موت أبيه، فلما رأى الحاكم البليدي قد عاد إلى الإسلام الصحيح وتاب عن الذكرية بغى عليه وقتله واستولى على "مكران"، وبهذا انتقلت السلطة من العائلة البليدية إلى العائلة الكجكية، وصار سلطانها "ملك دينار بن الملا مراد" وباستيلائه على إقليم "مكران" قامت دولة الذكريين الثانية، وذلك عام (١١٥٣هـ). واجتمعت له زعامة الفرقة ورئاسة الدولة، فكانت أيامه أزهى أيام الدولة الذكرية للذكريين؛ إذ كانت الأسرة الكجكية شديدة التعصب للذكرية.

---

(١) انظر: ذكري كون هين؟ (ص ١٥).

- ذكري مذهب اور إسلام (ص ٢٧).

وبجهود هذه الدولة انتشرت "الذكرية" في جميع أطراف "بِلُوشِستان"، وتمكنت من القلوب والأذهان، وكان "ملك دينار" شديد العداوة للإسلام فاتسم عهده بالظلم والتعسف بالنسبة للمسلمين، وكان يقتل الكثيرين منهم في المساجد أثناء الصلاة، وكانوا لا يستطيعون المرور ببلادهم، فكانت أيامه أيام نكبة واضطهاد للمسلمين حتى وفق الله -سبحانه وتعالى- المجاهد البطل "نصير خان النوري"[(١)] لمقاومة هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء، فحمل رأية الجهاد ضد الذكريين، وبعد صراعٍ مرير تمكن من قتل "ملك دينار" والقضاء على الدولة الذكرية، وذلك عام (١١٨٨هـ)، ولم تقم لهم دولة بعد ذلك.[(٢)]

لماذا سميت هذه الفرقة بالذكرية؟

تقدم قبل قليل أن صانع هذه النحلة "محمد المهدي الأتكي" ألغى فرضية الصلاة ووضع مكانها "الذكر" فسميت بالذكرية.

يقول عبد الغفار الضامراني – وهو أحد زعماء الذكرية –:

«عُرِفت طائفتنا باسم الذكرية لأجل كثرة عبادتنا بذكر الله»[(٣)].

ويقول عيسى نوري – أحد أقطاب الذكرية المعروفين–:

«إن تعليمات المهدي ترتكز على الذكر الإلهي، وعملاً بتعليماته يستغرق الذكريون حتى اليوم في الذكر الإلهي، ويفنون فيه، فلاستغراقهم في ذكر الله، وفنائهم فيه سموا بالذكرية»[(٤)].

---

(١) سيرد مزيد تفصيل عن حياته وجهوده في الفصل الثامن عند الحديث عن جهود العلماء والحكام في مقاومة هذه الفرق.

(٢) انظر: بلوچستان قديم اور جديد تاريخ كي روشني ميں (بلوشستان القديمة والجديدة في ضوء التاريخ)، مير كل خان نصير (ص ٣٥) نساء ثريڈرز، جناح ماركيٹ، كوئٹه، پاكستان.

- مكتوبات شاه فقير الله علوي (ص ٣٧٣)، كتب خانه إسلامي، لاهور، پنجاب.
- ذكري مذهب اور إسلام (ص ٢٨-٣١).

(٣) انظر: مقدمة ذكر وحدت، لعيسى نوري (ص ١)، نشره: نور محمد غلام حسين رئيس جمعية مسلمي الذكرية لعموم باكستان، الطبعة الثانية (١٩٧٧م)، كراتشي، باكستان.

(٤) انظر: ذكري تحريك تاريخ كي روشني ميں (الحركة الذكرية في ضوء التاريخ) (ص ٤٧) تحصيل پسني كلك، مكران.

ويقول بجا راني:

«سألني أناس كثيرون عن الذكريين لماذا سموا بهذا الاسم وما عقيدتهم؟ وأنا أرد عليهم دائمًا بالقول: إن هؤلاء القوم يكثرون من ذكر الله - تعالى- فالناس ينادونهم بالذكريين»[١].

و"الذكرية" وإن كانوا يقولون فيما بينهم، ويكتبون في كتبهم اسم "الذكري" و"الذكرية"، ولكنهم لا يظهرون عند عامة المسلمين أنهم ذكريون، وذلك إخفاء لعقيدتهم، فإن سألهم أحد عن هويتهم يجيبون بأنهم "بلوش" فإذا ألح في السؤال عنهم يقولون: بأنهم مسلمون.[٢]

وهم يسمون أيضًا الواحد من طائفتهم بـ/ "داعي المذهب" أو "داعي" وينطقون بلغة البلوش "ذاهي"، كما وضعوا كلمتين مخصوصتين بلغة البلوش، للتفريق بين الذكري وبين المسلم، وهما:

١- جمروك (چمروك)

٢- كين تول (كين ثول).

فهم يسمون أنفسهم بجمروك، ومعناه في لغتهم البلوشية صاحب بصيرة ومعرفة، ويقولون لمرشدهم وعالمهم "جمروك" أيضاً. ويسمون المصلي (أي: المسلم الذي يؤدي الصلوات) "كين تول" إهانة له، ومعناه في لغتهم: الهيئة التي يتمثل بها المصلي في حالة السجدة عند أداء الصلاة، ويقصدون بهذا اللفظ الاستهزاء والسخرية بالمصلي، فيصفونه بالحماقة والسفاهة، فمن صلى فهو عندهم سفيه وأحمق، وقد تم وضع هذين اللفظين منذ نصف قرن للتفريق بين الذكري والمسلم.[٣]

الذكرية المعاصرة:-

ينحصر وجود الذكريين حاليًا في منطقة "كراتشي" و"بلوشستان" عند القبائل

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ٣٧).

(٢) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص ٢٧).

(٣) انظر: نفس المصدر (ص ٢٦).

الناطقة بلغة البلوش، والقاطنين في المناطق الساحلية ابتداء من "كراتشي" امتداداً إلى "كوادر" ووصل كثير منهم إلى إقليم "السند" بعد هجرتهم من "مكران" موطنهم الأصلي. وفي مدينة "كراتشي" معظم سكان بلدة "لياري" ذكريون. وفي "بلوشستان" يتمركز الذكريون في مناطق "جهاؤ" و"مشكي" و"كوالوا" و"نال"، وأيضًا في بلدة "كجك" و"درخشان" وأودية "البليدة" من توابع "بنجكور". ومعظم مساكنهم في الأودية والصحارى ومركزهم الرئيسي حاليًا في بلدة "كلّك" بمنطقة "مكران". وتشكل نسبة الذكريين في المناطق المذكورة من عشرة في المائة إلى مائة في المائة، ومعظمهم أميون وجهلة ومتخلفون، وزعيم مذهبهم يسمونه "الملائي"، ورئيس الملائيين في الوقت الحاضر رجل يدعى بـ/عبد الكريم، ويكون في كل قبيلة وقرية "ملائي" خاص بسكان تلك القبيلة أو القرية. وهؤلاء الملائيون يعلقون دائمًا في أعناقهم التعويذات والتمائم المختلفة، ويكونون عادةً جهلة، يفضلون العيش بعيداً عن المناطق الآهلة بالسكان حتى تختفي حياتهم عن أنظار عامتهم، ولا يتعرضون لمصاعب البحث والمناقشة، ويملكون الخبرة الكافية في أعمال السحر والشعوذة، والكهانة، ويخضعون أتباعهم عن طريق التخويف. ويتسابق أتباعهم في إرضائهم، وتلبية رغباتهم.

يوجد للذكريين حاليًا جمعية في مدينة "كراتشي" باسم: "آل پاكستان ذكري مسلم انجمن" (جمعية مسلمي الذكريين لعموم باكستان) ويقع مكتبها في بلدة "كلري" كما يوجد لشبابهم جمعية خاصة باسم: "ذكري مهدوي استوڈنتس آركنائزيشن" (جمعية طلبة الذكريين المهدويين).

عددهم في الوقت الحالي:-

اختلف الباحثون في تحديد عددهم في الوقت الحالي. فمن مقل يقول: إن عددهم يتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين ألف نسمة. ومتوسط يرى أن عددهم ما بين الخمسين إلى ستين ألف نسمة.

ويرى بعض الباحثين الذين زاروا مناطقهم كلها أن عددهم يصل إلى أربعمائة ألف وخمسين ألف نسمة. وأما الملائيون فيذكرون أن عدد الذكرية يزيد على سبعمائة ألف نسمة،

وعند بعضهم يصل عددهم إلى مليون أو أكثر من ذلك.[١]

ويبدو لي – والله أعلم – أنه لا توجد هناك إحصائية دقيقة لأتباع هذه الفرقة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى إخفائهم مذهبهم وعقائدهم عن عامة المسلمين، واعتبار أنفسهم منهم، ثم انتشارهم في مناطق واسعة في إقليمي "بلوشستان" و"السند".

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزة (ص ٢).
- ذكري فرقه پر ايك نظر (نظرة على الفرقة الذكرية)، للشيخ محمد حيات (ص ٩) صديقي ترست، نسيم بلازا، نشتر رود، كراتشي.
- مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (المهدوية والفرقة الذكرية)، بقلم الدكتور أبو معاذ طارق في مجلة "صراط مستقيم" الشهرية في عددها الرابع لسنة (١٤١٥هـ)، الصادرة من "برمنغهام" بريطانيا.
- مقال: ذكري فرقه كے نشيب وفراز (تطور وانحطاط الفرقة الذكرية)، بقلم الشيخ عبد الحق في مجلة "بينات" الشهرية، عدد رجب لسنة (١٣٩٨هـ)، الصادرة من كراتشي، باكستان.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها:

تحدثت في المبحث السابق عن نشأة وتعريف بطائفة الذكريين، وتعليل تسميتهم، وعددهم، وأماكن وجودهم، وأرى الآن أن أتحدث عن عقيدتهم من وجهة نظرهم، وكما تصورها مراجعهم، فإن العقيدة تمثل أهم عناصر البحث في أية فرقة باعتبارها المحور الأساسي، الذي تدور عليها أفكارها، وتلتقي عليه مبادئها، وأما مناقشة هذه العقائد وتقويمها فإني سأعرض له في المبحث الرابع، الذي خصصته لذلك.

أ : العقائد:-

أولاً : كلمة التوحيد:

تعتقد "الذكرية" أن كلمة التوحيد لأول الأنبياء آدم -عليه السلام- كانت "لا إله إلا الله آدم صفي الله" وبعد رحيله من الدنيا توالى قدوم الأنبياء مع كلماتهم، ولما جاء أحمد المصطفى العربي -ﷺ- قرأ كلمة المهدي، وهي: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" والمراد "بمحمد" هنا هو "الملا محمد المهدي". وبعد ظهور المهدي في كيانه البشري اتضحت كلمة التوحيد أكثر، وصارت هكذا: "لا إله إلا الله نور پاك[1] محمد مهدي رسول الله". وتستمر هذه الكلمة إلى يوم القيامة، ويُعَدُّ منكرها كافراً. تلقى الأنبياء كلهم هذه الكلمة من ربهم، وقرأها أحمد المصطفى في ليلة المعراج، وهي مكتوبة على أبواب الجنة، كما هي مكتوبة على طير فوق السماء السابع، وتتطهر أمة المهدي بقراءة هذه الكلمة من جميع الذنوب والآثام، ولو كانت قدر الجبال، وذلك ببركة المهدي النور المقدس. ولهم كلمات أخرى يرددونها أثناء الأذكار والتسبيحات. ومن خلال كتبهم ومراجعهم وقفت على خمس صيغ لكلمة التوحيد غير التي ذكرتها، وهذه الصيغ هي:

١- لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي مراد الله.

---

(١) لفظ "پاك" كلمة تستعمل في الفارسية والأردية، معناها: الطاهر أو المقدس. و"نور پاك" معناهما: النور الطاهر أو المقدس. وبعض الذكريين يستخدمون حرف الفاء العربي بدلاً من الباء الفارسي فيكتبون "فاك" ظنًّا منهم أن هذا الاستخدام يصرف الكلمة من العجمية إلى العربية حتى تساوي كلمتهم كلمة التوحيد عند المسلمين.

٢- لا إله إلا الله الملك الحق المبين، نور پاك محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين.

٣- لا إله إلا الله نور پاك نور المهدي رسول الله.

٤- لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي خليفة الله.

٥- لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي سرُّ مكنون الله.

يلاحظ أن الصيغة المكررة والتي يرددونها في كل وقت لإظهار الإيمان، وتصديق القلب هي قولهم: "لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله". وأما بقية الصيغ المذكورة فيرددونها أثناء الأذكار والتسبيحات.

يقول البجاراني -أحد زعماء الذكرية - في فضل كلمة الذكريين-: «إن الملائكة وجدوها مكتوبة على العرش، فلما قرأوها خروا سجداً، وقالوا: يا رب ما فضيلة هذه الكلمة؟. فقال: «من قرأ هذه الكلمة بصدق قلبه، غفر له سبعون ألف خطيئة وحرمت عليه النار».[١] وهذه الكلمة بألفاظها المختلفة مذكورة في كتبهم[٢]، كما أن هذه الصيغة لكلمة التوحيد عندهم مكتوبة على واجهات قبورهم.

وفي هذه الأيام يقرأون كلمتهم بالاختصار على هذا الشكل: "لا إله إلا الله نور محمد رسول الله". وأحياناً يردد الذكري الذكي كلمة التوحيد عند المسلمين بدون أية زيادة، من باب التقية، ويقصدون "بمحمد" المهدي عندهم، وذلك لخداع المسلمين.[٣]

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم:

يؤمن الذكريون بالقرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد -ﷺ- ولكنهم في الوقت نفسه يعتقدون أن تأويل القرآن، أو تفسيره مما اختص إمامهم المهدي، باعتباره صاحب

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ٢٢).

(٢) انظر: ذكر إلهي، لمحمد إسحاق درازئي (ص: ٣٩، ٤٠)، طبعة (١٩٦٥م)، كراتشي.

- ذكر وحدت، لعيسى نوري (ص ١٧، ١٩، ٢١، ٢٥).

- ذكر توحيد، لمحمد أيوب شه زاد (ص ٩، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٥)، الطبعة الأولى (١٩٧٣م)، نشره: جمعية طلبة الذكريين المهدويين.

(٣) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص ٥٥).

الحق وحده في هذا التفسير، ومن ثم فإنهم لا يقبلون تفسير غيره؛ لأنهم يعتقدون أنه قد فسّر القرآن كما هو في اللوح المحفوظ.[١]

يقول "الملا درّازئي" في وصف المهدي: «أنيس المقربين، جليس القديسين، بلبل البساتين، مؤول القرآن، آخر الأنبياء، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، نور محمد، مهدي آخر الزمان، عليه الصلاة والسلام»[٢].

وقد ذكر كے. إيم. عمراني البلوشي قولاً نسبه إلى عيسى -عليه السلام- يقول فيه: «نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فيأتي به المهدي في آخر الزمان». ثم تناوله بالشرح قائلاً: نحن معشر الأنبياء، نأتيكم بالتنزيل أي: الأحكام الظاهرة، وأما تأويلها، أي: الأحكام الباطنة، فيأتيكم بها المهدي - عليه السلام- في آخر الزمان، والدليل على ذلك قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٣]. أي: بلسان المهدي، إذ أن البيان يتعلق بأحكام القرآن الباطنة»[٤].

ويستشهد الذكريون لإثبات عقائدهم بآيات القرآن الكريم، وأذكر هنا بعضًا منها على سبيل المثال، لا على الحصر:

١- قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٥].

يقول البجاراني: «المقصود بـ/ الف ولام وميم الدلالة على اللطف والكرم والقرابة بين الله - تعالى- وبين محمد المهدي»، وقال في قوله - تعالى-: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ «أيقنوا أن نور المهدي من الغيب أيضا، فالإيمان به فرض لازم»[٦].

---

(١) انظر: ذكري عقائد آپ كي عدالت ميں (العقائد الذكرية وأنت الحكم)، لمحمد سليم البلوشي (ص ٨)، نشره: مجلس تحفظ ختم نبوت، بلوشستان، باكستان.

(٢) انظر: ذكر إلهي (ص ٣٩).

(٣) الآية: ١٩، سورة القيامة.

(٤) انظر: نور هدايت (ص ٣٩، ٤٠)، نشره: ملا بهرام عمراني البلوشي، الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

(٥) الآيات: ١، ٢، ٣، سورة البقرة.

(٦) انظر: نور تجلي، (ص ٦).

٢- قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[١]

المراد بالروح في الآية "محمد المهدي".

يقول البجاراني: «اعلموا أن الله - تعالى- لما سوى جسد آدم - عليه السلام - ألقى فيه مثقال ذرة من تجليات روح محمد النوراني الطاهر، ولذا أمر الله -تعالى- الملائكة بالسجود لآدم؛ لأن الروح النوراني حل في جسده»[٢].

٣- قوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

يقول البجاراني: «مثل النور الذي ضُرِب في القرآن هو مثال للنور الطاهر نور محمدي صاحب الزمان؛ لأن الله -تعالى- ليس له مثال،﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[٤]»[٥].

٤- قوله -تعالى-: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

يقول البجاراني في شرح هذه الآية: «هو الأول عن كل شيء، والآخر عن كل شيء، وهو الظاهر على كل شيء والباطن عن كل شيء، والأول هو الحد الذي يبتدئ منه الشيء، والآخر هو الحدُّ الذي ينتهي فيه الشيء، وذات الله -سبحانه وتعالى- ليس لها ابتداء ولا انتهاء وهو منزه عنهما، بل هو خالقهما، والمحيط بكل شيء والقادر عليه. فلفظ الأول والآخر حد لذات نور محمد المهدي؛ لأن الله - تعالى- خلقه أولاً، وأظهر رسالته على الأرض آخرًا»[٧].

---

(١) الآية: ٢٩، سورة الحجر.

(٢) انظر: نور تجلي (ص ٢٠).

(٣) الآية: ٣٥، سورة النور.

(٤) من الآية: ٧٤، سورة النحل.

(٥) انظر: نور تجلي (ص ١٨).

(٦) الآية: ٣، سورة الحديد.

(٧) انظر: نور تجلي (ص ١٩).

٥- قوله - تعالى -: ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَ النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[١].

المراد بالإنسان في الآية: المهدي.

يقول البجاراني في شرح الآية: «الله -سبحانه وتعالى- الرحمن الذي علَّم علم الفرقان، وخلق إنسانًا نادرًا، لا مثيل له في الوجود، ووهبه العلم والحكمة، ويطوف حوله الشمس والقمر، وتسجد له النجوم والأشجار، وأظهره الله - تعالى-؛ لأنه مظهر لذات الربوبية، وأمين لجميع العلوم الإلهية، وذاته [موضع][٢] الأسرار الربانية»[٣].

٦- قوله - تعالى-: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٤].

وقد كتب البجاراني: «يوم يقوم الروح الملائكة صفًا، لا تكلم الله نفسًا إلا من أذن الرحمن»[٥].

ثم ترجمها باللغة الأردية هكذا: «يقوم يوم القيامة روح النور المحمدي، وتصف الملائكة، فلا تؤذن لنفسٍ إلا للروح المحمدي (نور المهدي)[٦] فيؤذن له أن يتكلم؛ لأن نور المهدي سلطان العالم كله»[٧].

٧- قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٨].

المراد بالإمام المبين: المهدي.

---

(١) الآيات: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦)، سورة الرحمن.

(٢) كلمة "موضع" أضفت من عندي؛ لأن المعنى لا يستقيم بدونه.

(٣) انظر: نور تجلي (ص ١٩، ٢٠).

(٤) الآية: ٣٨، سورة النبأ.

(٥) انظر: نور تجلي (ص ٦٢).

(٦) بين القوسين

(٧) انظر: نفس المصدر والصفحة.

(٨) الآية: ١٢، سورة يس.

يقول البجاراني: «إن الإمام المبين لقب من ألقاب المهدي، كما قال الله – تعالى– في هذه الآية».

ثم يوضح هذا المعنى ويقول: «المراد بالإمام المبين، هو ذات أولي الأمر، عظيم القدر، وهو المقدم على كل شيء، وهو المظهر لكل شيء، ولكن لا بد لرؤيته العين البصيرة. والإمام المبين هو الهادي الحق، العالم بالعلم اللدني، ولنور محمد المصطفى تسعة وتسعون اسماً منها الإمام، والمهدي، وهي أسماء مقدسة التي يعبر عنها العلماء "باللوح المحفوظ" والمراد بـ/"كل شيء أحصيناه" أن ذات الإمام ظرف، والأشياء مظروفة فيها، فوجود الإمام خزينة الموجودات، والمبين هو المظهر لكل شيء، فلا يراد به اللوح المحفوظ». ثم ذكر قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ وتساءل إذا كان عيسى – عليه السلام – كان يحي الموتى، والروح المقدس (روح المهدي) الذي ببركته ولد عيسى ألا يقدرُ على إحياء الموتى»؟[1].

٨– قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

المهدي من "عالم الأمر".

يقول البجاراني: «المهدي من عالم الأمر، وليس من عالم الخلق والمادة، فهو مقدس عن الأشياء المادية، وهو خليفة الله ونائبه، ومظهر كامل لولايته المطلقة، متصرف في العالم، وشهيد على الناس، ينظر بعين الله، ويسمع بأذنه، ويتكلم بلسانه، ويتصرف في العالم بيده، وينظر إليه بعينه النوارانية مثل كفه، وتظهر منه كمالات الله – تعالى – وهو مظهرُ لها»[3].

٩– قوله – تعالى–: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَـٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوٓاْ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلآ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾[4].

المراد بالروح: نور المهدي.

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ٦٣).

(٢) الآية: ٨٢، سورة يس.

(٣) انظر نور تجلي (ص ٦١).

(٤) الآية: ٢، سورة النحل.

يشرح البجاراني هذه الآية الكريمة بقوله: «لما سئل النبي -ﷺ- عن هذه الآية، فقال: إن جبريل ذلك الملك الذي ينزل على الأنبياء، وأما الروح هو الملك الذي يعلم الأنبياء والأولياء كل شيء على الدوام، فثبت أن الملائكة والروح شيئان مختلفان، ولما نفخت القدرة الإلهية الروح في جسد آدم أمر الملائكة بالسجود له، فتبين جليًا أن الروح أفضل من الملائكة بدرجاتٍ، وهو سبب سجود الملائكة لآدم، وذلك الروح هو "النور الطاهر"، وهو أمر من الرب - تعالى-.[١]

وهكذا جميع الآيات التي ورد فيها كلمة "الروح يفسرونها بنور المهدي كما في الآيات الآتية:-

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[٢].

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾[٣].

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٤].

١٠- قوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٥].

يقول البجاراني في شرح هذه الآية «ولما أن الروح المحمدي (أي المهدي) خلق منه الكائنات كلها، فمحمد حياتها، والأب الروحي لها، وهذا هو الروح النوراني الذي ألبسه الله - تعالى - لباس الكمالات، وجعله مأمورًا على تنظيم العرش، وهذا هو أمر الرب الذي ينظم رسالات الأنبياء في هذه الدنيا»[٦].

هذا قليل من كثير من النماذج والأمثلة التي تدل على مدى تحريف الذكريين لآيات القرآن الكريم، واكتفيت بهذه الأمثلة العشرة، وإلا فإنه لا يخلو كتاب من كتب الذكرية من تحريف لآيات القرآن الكريم، وتشويه لمعانيه.

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ٢٤).

(٢) من الآية: ١٠٢، سورة النحل.

(٣) الآية: ١٩٣، سورة الشعراء.

(٤) الآية: ١٧، سورة مريم.

(٥) الآية: ٤٠، سورة الأحزاب.

(٦) انظر: نور تجلي (ص ٢٦).

ثالثاً: النبوة المحمدية:

تعتقد الذكرية أن النبي الذي يسميه المسلمون محمداً -ﷺ- اسمه الأصلي "أحمد"، وليس محمداً وهو من جملة الأنبياء السابقين أمثال: نوح، وإبراهيم وموسى -عليهم السلام- ورسالته ليست خاتمة الرسالات فلا يجب الإيمان به إلا إجمالا، وحيثما ترد في القرآن الكريم كلمة "محمد" فالمراد به "محمد المهدي" الذي يؤمن به الذكريون. وهو الرسول الأعظم، وخاتم الأنبياء، وسيد الرسل، والإيمان بنبوته ورسالته فرض عين.(١)

يقول شيئ(٢) محمد درفشان قصرقندي - أحد كبار علمائهم- في ثناء المهدي في قصيدة طويلة:

«إن المهدي رسول، بل هو سيد الرسل، وأمين الله وتاجٌ للأنبياء». ويقول مخاطباً له: «إن جميع الرسل يفتخرون بك، لأنك عبد مقربٌ لدى رب العالمين»(٣).

يقول "ملا إبراهيم بنجكوري" في منظومته الطويلة في وصف المهدي:

«أيها القلب انتبه، وانشد فضائل رسول الإنس والجن؛ لأنه شافع يوم محشر، وهادي العالم أجمع، إن الله - تعالى - وهبه حق تأويل القرآن، وهو ملك الملوك ومهدي صاحب الزمان»(٤).

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٧، ٨).

(٢) من ألقاب الدعاة عند الذكرية، تساوي كلمة "الشيخ".

(٣) انظر: ثناء مهدي، لمحمد أيوب شاه زاده البلوشي (ص ١١، ١٢)، نشره: ذكري مهدوي استوڈنس آركنائزيشن (جمعية طلبة الذكريين المهدويين)، والأبيات كالآتي:

رسولِ كه مر جمله را سرورست — أمين خدا تاج پيغمبر است

همه أنبياء را بتو افتخار — توئي بنده خاص برودگار.

(٤) انظر: نفس المصدر (ص ٩) وهذه الأبيات كالآتي:

اى دل بر خيز بخوان نعت رسول إنس وجان

آن شافع يوم محشر هادي سارا جهان

حق بر أو بخشد بر آن كرد تأويل قرآن

تاجداران جمله شاهان مهدي صاحب زمان

ويقول أيضاً في منظومة أخرى:

«أنا أنظم هذه القصيدة لدين المهدي، وهو الهادي، والبلاغ المبين، والحبيب، والأمين، والمتين، والمبين، وهو الشاهد للسماء والأرض، وهو الحبيب، والهادي للخلق، وسيد السادات وأفضلهم، وهو إمام للرسل، وقدوة للسبل، كل الأنبياء مثل الأوراق، وهو مثل الزهرة»[(١)].

فتبين مما تقدم أن الذكريين ينكرون ختم النبوة لنبينا محمد -ﷺ- وكتب الذكرية متفقة على ذلك وعملهم يؤيده أيضاً، وهذا أمر ظاهر، لأن من ادعى النبوة بعد نبينا محمد -ﷺ- ومن صدق في دعواه فهو منكر لعقيدة ختم النبوة المتفقة بين جمهور الأمة[(٢)].[(٣)]

رابعاً: عقيدتهم في المعراج:

تعتقد الذكرية أن نور المهدي نزل من السماء ثم عرج إليه، وهو الآن موجود عند الله - تعالى - على العرش، ويستشهدون على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[(٤)].[(٥)]

ويزعمون أن النبي "أحمد المصطفى" قال مرةً يوم الجمعة في جمع من أصحابه: «أنا محمد خاتم النبيين ولا نبي بعدي». ولما سمعت عائشة - رضي الله عنها - ذلك قالت له: «لماذا تقول هذا بغير وحي من السماء»؟ وسخط الله - تعالى - عليه بهذا القول؛ لأنه

---

(١) انظر: نور هدايت (ص ٧٩)، وهذه الأبيات كالآتي:-

كنم نظم بنياد از بهر دين	به مهدي هادي بلاغ المبين
حبيب أمين ومتين ومبين	بود شاهد آسمان و زمين
حبيب كه مر خلق را رهبر است	بهر سروران مهتر و بهتر است
امام رسل پيشواى سبل	همه همچو برگ است او همچو گل

(٢) سيرد مزيد توضيح لهذه المسألة عند بيان منزلة المهدي عند الذكرية.

(٣) ولعل هذا هو الأصل الذي أخذ منه القاديانيون عقيدتهم في هذه المسألة حيث أنهم لا يعترفون لنبينا محمد -ﷺ- أنه خاتم الأنبياء، ولكن تطوروا في مفهومهم للختم، فأولوه تأويلاً آخر، ولكنهم يتفقون مع الذكريين في أن محمداً -ﷺ- ليس خاتم الأنبياء بمعنى آخرهم.

(٤) الآية : ٥، سورة السجدة.

(٥) انظر: نور تجلي (ص ٥٨، ٥٩).

قرر من الأزل بأن نور الأولين والآخرين، ونبي آخر الزمان هو محمد المهدي، فأرسل الملك جبريل، وقال: ائت بأحمد حتى ير محبوبي المهدي هنا، ويعرف أنه محبوبي وخاتم النبيين، فانطلق جبريل وأخبره الخبر، وأخذه معه حتى وصل إلى السماء الأولى ووجد الباب مقفولاً، والملك "كاكائيل"[١] يحفظه، فقرأ "أحمد" هذا الدعاء الذي علمه الملك بالتواضع الشديد:

«أو پير ما مريديم، أو پدر ما فرزنديم، ما إيمان آورديم بر "لا إله إلا الله"[٢] نور پاك نور محمد مهدي رسول الله، ومهدي مراد الله، ومحبوب الله، ونور الله، وعزيز الله، ورحيم الله، وفضل الله، وشهيد الله، وحقوق الله، نور على خلق الله، داعيًا إلى الله بإذنه سراجًا منيرًا».

وانفتح الباب فور قراءة هذا الدعاء، وعلمه أدعية أخرى قرأها فانفتحت الأبواب الأخرى حتى وصل تحت سدرة المنتهى، وهناك عُلِّمَ دعاءً طويلاً دعا به متضرعًا إلى الله حتى أوصله حملة العرش إلى ما فوق العرش، وهناك شاهد شخصًا جميلاً، حسن الوجه، طويل القامة، طويل اليدين، محترمًا، جالسًا أمام الله -سبحانه وتعالى- على كرسي؛ فخاطبه الله - تعالى - قائلا: «يا أحمد ذكرت لأصحابك في جمعٍ لهم بأنك محمد، وخاتم النبيين، ولكن الصحيح أن محمدًا وخاتم النبيين، ونور الأولين والآخرين هو المهدي، وهو الذي يجلس هنا، ولا أفارقه أبدًا، تعلم منه الهداية وعلم الشريعة».

فلما توجه "أحمد" إلى "محمد المهدي" قال له: «أنا الوالد، وأنت الولد، أنصحك حول الذي ذكرته في مجلس أصحابك، وأسألك أ أنت أحمد أم محمد؟ فأجاب قائلا: «كنت مُخطئًا في ذلك اسمي "أحمد" واسمك "محمد" وأنت خاتم النبيين» فأرشده المهدي إلى أشياء أخرى، فلما رجع أحمد إلى الأرض قال لأصحابه: «لا تنكروا المهدي، وهو محمد، وهو نور الأولين والآخرين، ويأتي إلى الدنيا من بعدي، ولا تبغضوا أمته، ولا تأكلوا

---

(١) هذا اسم ملك اخترعوه من عندهم، ولم أجد لهذا الاسم مرجعًا في الكتاب أو السنة الصحيحة.

(٢) معناه: هو الشيخ ونحن مريدوه، هو الوالد نحن أولاده، آمنا بـ/" لا إله إلا الله ... الخ. والضمير يعود إلى المهدي.

أموالهم، ولا تقتلوا أحداً منهم».[1]

خامساً : عقيدتهم في المهدي:

ظهور المهدي:-

تعتقد "الذكرية" أن الله -سبحانه وتعالى- خلق محمد المهدي من نوره بدون أب ولا أم، وخلق الكائنات كلها من نور محمد المهدي، واستفاض من هذا النور الأنبياء والأولياء والرجال الصالحون. وبهذا النور نجا "نوح" من الطوفان، و"إبراهيم" من النار، و"موسى" من الغرق، -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام- وببركته كان "عيسى" - عليه السلام- يحيي الموتى.

سيّر الله -تعالى- روحه في الكائنات كلها وأثناء تجواله في السموات العلا أغمى على الملائكة من شدة جلاء نوره، واستمر هذا الإغماء سبعين الف سنة، ولما أفاقوا سألوا الله - عز وجل- عن هذا النور، فأجاب هذا نور المهدي خلقته من نوري، أنا وهو شيء واحد وقامت الملائكة "جبريل" و"ميكائيل" و"إسرافيل" و"عزرائيل" -عليهم السلام- بزيارات خاصة، وتقرب إلى حضرة رب العزة والجلال، ثم نظر إلى الكتب المقدسة قبل نزولها، وأذن الله - تعالى- أن يختار له صحيفة من تلك الصحف فاختار أربع مسائل من الصحف السماوية كلها، كما اختار عشرة أجزاء من أربعين جزءً من القرآن الكريم، والتي تشتمل على الأسرار والرموز، وسميت هذه المجموعة المختارة باسم "البرهان" أو "كنز الأسرار" وهي التي نزلت على المهدي في "بَرْكَهُوْر"[2]، والأجزاء الثلاثون الأخرى التي نزلت على النبي أحمد العربي تضم الأحكام الظاهرة، وتمثل المهدي بقول الشاعر:

مـن زقـرآں مغـز را برداشـتم   استخواں پيش سگاں بگذاشتم

---

(١) انظر: الفئة الذكرية وفتنتها في مكران، للشيخ عبد الغفار محمد الضامراني (ص ٧،٨)، نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية مكران، بلوشستان، باكستان.

- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٨، ٩).

- ذكري عقائد آپ كي عدالت ميں (ص ٩ - ١١).

(٢) اسم شجرة التي نزل عليها كتاب المهدي باسم "البرهان".

أي: اخترت من القرآن مغزاه، ورميت العظام أمام الكلاب.[١] وهذا هو المهدي في حقيقته الروحانية، وقبل نزوله إلى الدنيا.

ثم ظهر محمد المهدي في صورته الإنسانية سنة (٩٧٧هـ) في منطقة "أَتَكْ" على قمة جبل شاهق، وهو المهدي المنتظر الذي أخبر عنه القرآن[٢] ولا مهدي بعده، وبعد ظهوره في كيانه البشري بدأ جولاته حول العالم، والتي استغرقت ثلاثًا وثلاثين سنة[٣] ولم يكشف عن أسراره في هذه الرحلات، ولكن الذي عرفه بنور بصيرته آمن به، وارتمى في حلقة مريديه وأتباعه، والذي عرفه قبل الجميع هو السيد "محمد الجونبوري"[٤] ووجده المهدي أمينًا، فكشف له بعض الحقائق وأوصاه ألا يكشف عنها إلا عند أهل الإيمان، وبعد ثلاثين عامًا كان يتجول في "طاشقند"[٥] فمرَّ على شاب يدعى بـ/ أبي سعيد[٦] فآمن به، ورافقه في السفر، وفي "قصر قند"[٧] آمن به "مير ملا جنكي"، و"ملا شهداد". ثم اشتغل بالرياضة الروحية أربعين يومًا على جبل قرب "كوادر" عرف "بجبل المهدي"، ثم وصل إلى "كيج"[٨] قرب مدينة "تربت"، وأقام مع رفقائه في جبل عرف بـ/"جبل مراد". واشتغل هناك بالذكر الإلهي والدعوة والإرشاد قرابة عشر سنوات، وفي هذه الأثناء بايعه آلاف من البشر من الحكام والمحكومين، ومنهم "ملا مراد كجكي" الذي عينه خليفة له. وفي يوم من الأيام، وبعد منتصف إحدى الليالي حيث كان الجميع يغطون في نوم عميق، غاب المهدي عن الناس بعد أن غاص في الأرض تاركًا أحد أطراف ردائه فوق الأرض ليكون علامة

---

(١) يقصد بالعظام القرآن الكريم الذي نزل على رسولنا محمد -ﷺ-، وبالكلاب المسلمين الذين يقرؤنه.

(٢) على حسب زعمهم وإلا أخبار المهدي جاء ت في السنة، ولم ترد في القرآن الكريم، وليس هو المهدي الذي يتحدثون عنه.

(٣) يعبرون عنها بـ/ "سير جهاني".

(٤) هو: السيد محمد بن يوسف الجونبوري (٨٤٧هـ - ٩١٠هـ) مؤسس الحركة المهدوية، سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث عند الحديث عن المهدوية.

(٥) اسم مدينة تقع في جمهورية أوزبكستان.

(٦) وهو من الدعاة الذكريين وأول حاكم ذكري، سيأتي الحديث عنه عند ذكر الدعاة.

(٧) اسم بلدة في ولاية بلوشستان.

(٨) اسم بلدة في ولاية بلوشستان.

على اختفائه.

ويعتقد الذكريون أن المهدي عند ما قرر الغيبة، وترك الناس نياماً، وشرع في تنفيذ الغيبة فوجئ "بأبي سعيد" متيقظاً، فسلمه بعض الأمانات، وراح هو في غيبته عن طريق شق في الأرض نزل فيه، وترك أحد أطراف ردائه ليدل على المكان الذي اختفى منه، وأنه الآن جالس مع الله - تعالى - على عرشه، يراقب أمته، ويدافع عنهم، ولا يسمح لأحد منهم بدخول النار.[١]

منزلة المهدي عند الذكريين:

وتلك أهم مسألة ترتكز عليها عقيدة الذكريين في المهدي، إذ أنني بعد تتبع هذه العقيدة ودراستها في كتبهم، وجدت أن منزلة المهدي تتميز لدى الذكريين في الأمور الآتية:-

١- محمد مهدي رسول الله وخاتم النبيين:-

تقدم في عقيدة النبوة المحمدية أن "الذكرية" تعتقد أن النبي أحمد -ﷺ- كان نبياً من جملة الأنبياء، ورسالته ليست خاتمة الرسالات بل محمد المهدي هو خاتم النبيين وأفضلهم، يقول داعيتهم المعتمد "الشيئ محمد درفشان قصرقندي" مخاطباً للمهدي:

توئي خاتم جمله پيغمبران	توئي تاجدار همه سروران
تو بودي پيغمبر بحق اليقين	كه آدم نهان بود در ماء وطين

معناه: «أنت خاتم الأنبياء كلهم، وأنت سيد لجميع السادات، كنت نبيًا بالحق واليقين، وآدم بين الماء والطين».

ويقول "ملا إبراهيم البنجكوري":[٢]

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ١٤ - ١٩).
- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٥، ٦).
- ذكري مذهب اور إسلام (ص ١٩، ٢٠).

(٢) انظر: نور تجلي (ص ٦٨).

نــوك قــلــمــت نــقــش زد از روز أزل

نام زد خــتم نبـيــان مــهـدي آخـر الزمــان.[١]

يخاطب الله – سبحانه وتعالى – قائلا:

«لسان قلمك سجَّل من الأزل ورشّح بأن خاتم النبيين هو مهدي آخر الزمان».

ويقول "الملا عزت البنجكوري" في وصف المهدي:

از شـافـع المسلمين خـتم جمله مـرسلين

تاجدار جـمله شاهان مهدي صـاحب زمان.[٢]

معنى ذلك: «إنه شفيع المسلمين، وخاتم جميع المرسلين، وملك سائر الملوك، مهدي صاحب الزمان».

وذكر "الملا محمد إسحاق درازئي" في كتابه "الدعاء" الذي يدعون به عقب الذكر، وجاء فيه:

«يا رب بحق فضلك وكرمك ولطفك وجودك وإحسانك، حضرة نور محمد مهدي هادي ... تأويل قرآن، نبيء تمام، سيد إمام مرسلين، ختم رفيع الإكرام، نور محمد مهدي أول آخر الزمان عليه الصلاة والسلام».[٣]

٢- المهدي سبب لإيجاد الكون:

يؤمن الذكريون أن المهدي هو السبب في إيجاد الكون، لولاه لما كانت الموجودات، فببركته وعزته أخرج الموجود من حيز العدم، إلى ساحة الوجود.

يقول شيخ إسلام الذكريين "محمد درفشان قصرقندي":

هـمــــه هـســــتي وجـــود از تو يافت

هـمــــه كـــالبـــدع وجـــود از تو يافت

نــه بـودي اگـــــــر نـور تـو آشـكـار

عـــيــــان نـه بودي خلق هـژده هـزار

---

(١) انظر: ثناء مهدي (ص ٧).

(٢) انظر: نفس المصدر (ص ١٠).

(٣) انظر: ذكر إلهي (ص ٣٨، ٣٩).

توئي بنده خـاص ذو الجـلال

عـدم يافت از بركت تو كـمـال.(١)

أي: «كل الموجودات خرج إلى ساحة الوجود عن طريقك، فإن لم يكن نورك ظاهراً، لم يكن لثمانية عشر ألف نوع من الخلائق وجود(٢)، أنت عبد مقرب عند الله ذي الجلال، وكل عدم جاء إلى الوجود، ووجد الكمال ببركتك».

ويقول القاضي "إبراهيم الكاشاني البنجكوري":

اگر تو نبودي دو عالم نبـود	از قفل جمله زبهرت كشـود
زنورت دو عالم منور شـده	شفاعت گري بر تو وافر شده
دو عالم زنور است آدم چنان	منـور ز تو بـود هر دوجهـان
خـلائق نبـود وملائك نبـود	كه اى نور منظور تو در شود.(٣)

يقول مخاطباً للمهدي:

«إذا لم تكن ذاتك موجودة، فلم يكن للدنيا والآخرة وجود، بل انفتح قفل كل شيء بوسيلتك. من نورك استضاء الدنيا والآخرة، وأنت الشافع في المحشر، تنورت الدنيا والآخرة بنورك وهكذا آدم -عليه السلام-. لم تكن هناك خلائق ولا ملائكة، لما خلق الله -تعالى- نورك».

وذكر المولوي "فقير محمد السندي" في مقدمة كتابه "ميں ذكري هوں" (أنا ذكري): «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، هو الأول والآخر نوراً، وعلى نور محمد المهدي الهادي "لولاك لما خلقت الأفلاك" عليه الصلاة والسلام»(٤).

ويقول "البجاراني": «إن الله قسم نور المهدي إلى أربعة أقسام: خلق من القسم الأول العرش ورفعه، وأوجد من القسم الثاني اللوح والقلم، ومن القسم الثالث خلق الجنة

---

(١) انظر: ثناء مهدي (ص ١١).

(٢) هذا من خرافات الدعاة الذكريين، ولا يوجد نص في تحديد المخلوقات بهذا العدد.

(٣) انظر: نور تجلي (ص ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩).

(٤) انظر: ميں ذكري هوں (أنا ذكري) (ص ٦).

وعــالم الأرواح، ومن القــسم الرابع ســائر الكائنات كلهــا ثم أعلن، «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١].

٣- المـهدي نـور مـن نـور اللّـه - تعـالـى-:

يعتقد الذكريون أن المهدي نور من نور اللّه خلقه من نوره قبل كل شيء، فهو الأول خلقًا، والآخر بعثًا، وهذا النور أزلي، ليس له أب ولا أم، وليس هو من جنس البشر، فلا يحتاج إلى أكل ولا شرب.[٢]

يقول البجاراني: «لما خلق اللّه نور المهدي أذن للملائكة بزيارته، فزاره أولا الملائكة المقربون الأربعة: جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل، عزرائيل[٣]، فصاروا أفضل الملائكة، ثم قام بزيارته حملة العرش، وكانوا ثمانية. ولما شاهد الملائكة جلاء نوره أغمى عليهم واستمر الإغماء لمدة سبعين ألف سنة، فلما أفاقوا سألوا اللّه – تعالى– لمن كان هذا النور؟ قال: هذا نور (نور محمدي)[٤] محمد المهدي الطاهر، فخروا له ساجدين فلما رفعوا رؤوسهم سألوه: «يا اللّه كيف خلقت هذا؟ قال: خلقت من نوري»[٥].

ويقول "محمد درفشان قصرقندي" في وصف المهدي:

ترا دانم اى نور هر دوسرا	علـو مرتبـت در حـريم خـدا
توئي رحـمت اللّه نور خـدا	زياراں وخويشاں مگر داں جدا.[٦]

يقول مخاطبًا للمهدي: «أنا أعرفك يا نور الدنيا والآخرة، لك الدرجة العليا عند اللّه

---

(١) انظر: نور تجلي (ص ١٦).

(٢) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص ١٩).

- ذكري عقائد آپ كي عدالت ميں (ص ١١).

(٣) يعتقد كثير من العوام أن ملك الموت اسمه "عزرائيل" وهو غير صحيح، وقد سماه اللّه "ملك الموت"، كما جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. [الآية: ١١، سورة السجدة].

(٤) ما بين القوسين.

(٥) انظر: نور تجلي (ص ٢٠).

(٦) انظر: نفس المصدر (ص ٧١).

- تعالى - أنت نور الله ورحمته فلا تقطع عن الأحباب والأقرباء».

٤- الله عاشق والمهدي معشوقه:

يؤمن الذكريون بأن الله - سبحانه وتعالى - عاشق والمهدي معشوقه، ويستدلون على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[١].

وكتب "الشيئ شكر بن الشيئ كلابي" - داعية الذكريين- إلى "الشيخ القاضي عبدالصمد السربازي" - أحد المقاومين للحركة الذكرية- حين قامت بينهما مناظرة تحريرية في عقائد الذكرية وذلك سنة (١٩٣٧م)، فذكر في بيان كمال علم المهدي قائلا: «يظهر مقدار العلم الذي أعطي المهدي من خالقه وعاشقه بدليل آية القرآن ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٢].

فالألف واللام في كلمة "البحر" للجنس، ومعناه: لو كانت كل البحار الموجودة في الأرض سواء كانت عذبة أو مالحة مداداً لعلم معشوقي، لنفدت كل البحار قبل أن ينفد علم معشوقي، ولو يعاد المداد من جديد»[٣].[٤]

---

(١) الآية: ٤١، سورة طه.

(٢) الآية: ١٠٩، سورة الكهف.

(٣) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (٤٥).

- ذكري عقائد آپ كي عدالت ميں (١١، ١٢).

(٤) وفيه تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة حيث جعل المراد بقوله -تعالى-: (ربي) هو المهدي.

العبادات عند الذكريين:

من المعروف أن العبادات في كل نحلة تتبع عقيدتها، وقد قَدَّمتُ قبل ذلك الجانب العقدي لطائفة الذكريين، وعرضت من هذا الجانب ما يدين به الذكريون من نسخ للشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد -ﷺ- وهنا أعرض عباداتهم التي تنبع من عقيدتهم، وأتناول هذه العبادات بشيء من التوضيح، فأقول -وبالله التوفيق-:

أولا : الصلاة:

يَصُبُّ الذكريون دائمًا جام غضبهم على الصلاة، ويحتقرون المصلين، ويتعقبونهم باللعن والسخرية، ويعتقدون أن الصلاة التي هي عماد الدين عند المسلمين قد نسخت. ويستدلون على ذلك - في زعمهم - بما جاء في القرآن الكريم من قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾.[1] ويحل محلها الذكر، ويرون أن الذكر أهم من الصلاة وأولى، ويستشهدون على ذلك بقوله - تعالى-: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2]. أي: أكبر من الصلاة وأهم منها. وحيثما ورد في القرآن الكريم لفظ "الذكر" فالمراد به "الذكر" الذي يزاوله الذكريون.[3] ولهذا فإن الذكر هو لب العبادة عندهم، وعماد نحلتهم، ومنه يشتق اسمهم، وينتسبون إليه.

وتبدو عظمة الذكر لدى الذكريين في سعة اهتمامهم به حيث أفردوا له مساحات واسعة من مؤلفاتهم إلى الحد الذي جعل بعض دعاتهم يفرد للذكر مؤلفات خاصة يتحدث فيها عن أهمية الذكر، وفضله، وطريقته، والأدعية التي يرددون فيها، أمثال: "ذكر إلهي" لمحمد إسحاق درّازئي، "ذكر توحيد" لمحمد أيوب شه زاده، "ذكر وحدت" للسيد عيسى نوري، "ميں ذكري هوں" (أنا ذكري) لمولوي فقير محمد سندي.

والذكر عبارة عن عبادة مخصوصة بكلمات مخصوصة في أوقات مخصوصة. وهو قد يكون جليًا أي: بالجهر والجماعة في "ذكر خانه" أي: بيت الذكر. وقد يكون

---

(١) من الآية: ٤٣، سورة النساء.

(٢) من الآية: ٤٥، سورة العنكبوت.

(٣) انظر: إسلام اور ذكري فرقه (ص ٨٣).

خفيًا أي: بالإخفاء والانفراد وفي البيت. وهذا الذكر فرض واجب على كل ذكري رجلاً كان أو امرأة، شابًا كان أوشيخًا. ولأهمية الذكر عند هذه الفرقة أود أن أبينه بشيء من التفصيل، وأبدأ بالمصطلحات التي يستعملونها في الذكر.

مصطلحات الذكر:-

للذكر عندهم طقوس مخصوصة تتم بواسطة أناس مخصوصين، يقودون حلقات الذكر وهم:

١- لاخوان: يعني قارئ "لا" وهو الذي يتقدم الذكريين ويبدأ أولا بكلمة "لا إله إلا الله" في حلقة الذكر، ويقال له أيضًا "پيش لا" و"پيش ذكر".

٢- "دعا خوان": يعني "قارئ الدعاء" وهو الذي يقرأ الأدعية في حلقة الذكر.

٣- الدعاء: كل آية من القرآن الكريم تبدأ بكلمة "ربنا" فهي دعاء عند الذكرية.

٤- الكلمة: الكلمة التي يرددونها أثناء الذكر هي: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين، نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين.[١]

أوقات الذكر وأنواعه:-

وللذكر عندهم أوقات خاصة، بكيفيات مخصوصة. وهي على الترتيب كالتالي:-

الأول: ذكر التسبيحات الأربعة. ويقرأ بعد طلوع الشمس، وعند الظهر، والعشاء.

الثاني: ذكر التسبيحات الستة. ويقرأ عند الفجر، والمغرب، ويكون فيه قيام واحد، وركوع واحد، وسجدة واحدة.

الثالث: ذكر التسبيحات العشرة. ويقرأ وقت التهجد، ويكون فيه عشرة قيام، وعشرة ركوعات، وعشر سجدات.

ويقرأ هذا الذكر في الليالي الفاضلة كليلة القدر، وليلة المعراج، وليلة التاسع من شهر ذي الحجة، وليلة العاشر من شهر محرم الحرام.[٢]

---

(١) انظر: ذكر توحيد (ص ٩).

(٢) انظر: نفس المصدر (ص ١٠).

طريقة الذكر:-

يجلس المجتمعون للذكر في الحلقة متوضئين، ولابسين الثياب الطاهرة، ويكون فيهم "لا خوان" و "دعا خوان"، وقبل الشروع في الذكر ينوون بالطريقة الآتية:-

نية الذكر: يقرأون التعوذ والتسمية، ثم يقرأون الإيمان المفصل[١] وبعده يقرأون سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة الناس، ثم يقولون: «بفرموده خدائے بزرگ برتر»[٢] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]. برائ عبادت حق -تعالى- ودوستئ نور پاك وبركت سبع من المثاني نيت كرتا هون: ذكر چهار تسبيح يا شش تسبيح (جيسا بهي وقت هو).[٤]

الدعاء المخصوص:-

١- يقرأ "لا خوان" ومن معه في الدائرة كلمة "لا إله إلا الله" خمس عشرة مرة، ثم يقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين».

ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾[٥]. ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ﴾[٦]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٧]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الرّاحِمِين.

---

(١) المراد بالإيمان المفصل أن يقول: "آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله - تعالى- والبعث بعد الموت".

(٢) معناه: يقول الله - عز وجل-.

(٣) الآيتان: ٥٥، ٥٦، سورة الذاريات.

(٤) معناه: لعبادة الله - تعالى - وحب النور الطاهر، وبركة سبع من المثاني نويت ذكر أربع تسبيحات أو ست تسبيحات (حسب وقت الذكر).

(٥) من الآية: ٢٣، سورة الأعراف.

(٦) من الآية: ٢٥٠، سورة البقرة .

(٧) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة .

٢- ثم يقرأ بعده "لا خوان" وأصحاب الحلقة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأون الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(١). ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢). آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٣- ثم يردد "لا خوان" ومن معه كلمة "لا إله إلا الله" خمس عشرة مرة.

ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَئَامَنَّا﴾(٣). ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٤). آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٤- ثم يقرأ بعده "لا خوان" وأصحاب الحلقة كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(٥). ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٦). آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٥- ثم يقرأ "لا خوان" ومن معه في الحلقة "لا إله إلا الله" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". والأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا

(١) من الآية: ٢٨٦، سورة البقرة.

(٢) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٣) من الآية: ١٩٣، سورة آل عمران.

(٤) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٥) من الآية: ٢٨٦، سورة البقرة.

(٦) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ﴾[١]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢]. آمين ياالله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٦- ثم يردد "لا خوان" ومن معه في الحلقة كلمة "لا إله إلا الله" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾[٣]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٤]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧- ثم يقرأ "لا خوان" ذكر "لا يرجو" - كما يأتي بيانه- بحيث يقرأ معه أصحاب اليمين كل قطعة ثلاث مرات، وأصحاب الشمال صامتون، فإذا فرغ أصحاب اليمين من قراءة القطعة ثلاث مرات فهم يسكتون ويقرأ أصحاب الشمال ثلاث مرات، وهكذا. وذكر "لا يرجو" كما يلي:

- لا يرجو من غير الله إلا العميان ثلاث مرات
- لا يظن بالجبَات إلا الصبيان ثلاث مرات
- لا يتربص الرُّجْعى إلا الموتى ثلاث مرات
- لا يتخيل السند إلا المرضى ثلاث مرات
- لا يتوهم الوكلا إلا الخسرى ثلاث مرات
- لا مفتح الأبواب إلا الله ثلاث مرات
- لا مسبب الأسباب إلا الله ثلاث مرات
- لا مقطع الأسباب إلا الله ثلاث مرات

---

(١) من الآية: ٢٨٦، سورة البقرة.

(٢) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٣) من الآية: ١٩٣، سورة آل عمران.

(٤) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

- لا منقذ من البليات إلا الله ثلاث مرات
- لا فاعل في السموات والأرض إلا الله ثلاث مرات
- ليس النافع ولا الضارُّ إلا الله ثلاث مرات.

ويلاحظ أن القطعات المذكورة تقرأ في ذكر التسبيحات الست فقط.

٨- ثم يقرأ أصحاب الحلقة كلمة: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٩- ثم يقرأ "لا خوان" ذكر "سبحان الذي" - كما يأتي بيانه - مع أصحاب اليمين، يقرأون كل قطعة ثلاث مرات، وأصحاب الشمال صامتون، فإذا فرغ أصحاب اليمين يقرأ أصحاب الشمال هذه القطعة وأصحاب اليمين ساكتون، وكل ذلك يكون بالتناوب. وذكر "سبحان الذي" كالآتي:-

- سبحان الذي لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ثلاث مرات
- سبحان الذي بإرادته تتكون الأشياء ثلاث مرات
- سبحان الذي يصطفى من بني آدم ما يختار ثلاث مرات
- سبحان الذي يمحو من الأباطيل ما يشاء ثلاث مرات
- سبحان الذي يثبت من المداحض ما يشاء ثلاث مرات
- سبحان الذي يستأصل من المناسك بما يختار ثلاث مرات
- سبحان الذي يسقط من الأقوام من هو مشادٌّ ثلاث مرات
- سبحان الذي يهدم من الأديان ما ملأ الأرض والسموات ثلاث مرات
- سبحان الذي يهدم من الأمم من هو في ملكه منار ثلاث مرات

---

(١) من الآية: ١٠، سورة الحشر.

(٢) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

تقرأ هذه القطع في ذكر التسبيحات الست فقط.

١٠- ثم يقرأ "لا خوان" ومن معه في الدائرة "لا إله إلا اللّه" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول اللّه صادق الوعد الأمين".

ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]. آمين يا اللّه برحمتك يا أرحم الراحمين.

١١- ثم يقرأ "دعا خوان" ومن معه في حلقة الذكر يمينًا وشمالاً بالتناوب كل قطعة من القطع التالية ثلاث مرات:

- اللَّهُ اللَّهُ ليس الهادي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المنجي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المغني إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المحيي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المعطي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المصطفي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المجتبى إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس القاضي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس الباقي إلا هو ثلاث مرات

١٢- ثم يقرأون جميعًا: "لا إله إلا اللّه" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول اللّه صادق

---

(١) الآيتان: ٨، ٩، سورة غافر.

(٢) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية:

«ربنا إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنك أنت الغفور الرحيم ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٣- ثم يقرأون: "جلَّ اللّهُ جَلَّ مالكنا ربٌّ باقيٌ لا يُفنَى"، ويقرأون "لا إله إلا اللّه" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول اللّه صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣]. ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٤]. آمين يا اللّه برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٤- ثم يقرأون جميعًا "لا إله إلا اللّه" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول اللّه صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية:

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَـٰمَـةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٥]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٦]. آمين يا اللّه برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٥- **قيام:-** ثم يقولون "اللّه أكبر" ويقفون.

ويقرأ "دعا خوان" بصوت رفيع "فاذكروا اللّه قيامًا وقعودًا" فيقرأون: "لا إله إلا اللّه" خمس عشرة مرة. ويقرأ "دعا خوان" كلمة: "لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين

---

(١) من الآية: ٨، سورة التحريم.

(٢) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٣) الآية: ١٢٨، سورة البقرة.

(٤) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٥) الآية: ١٩٤، سورة آل عمران.

(٦) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين". ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيَ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [١]. ﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[٢]. ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٦- ثم يقرأون "بسم الله الرحمن الرحيم" "يا اللهُ، أنت ربي، وعلمك حسبي، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم».

ويقول "دعا خوان" بصوت عال: "استغيثوا يا عباد الله" فيقرأون بصوت رخيم: "بسم الله الرحمن الرحيم" ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤] "لا إله إلا هو رب السّموات والأرض رب العرش الكريم، ذو الجلال والإكرام الحي القيوم».

ويقرأ "دعا خوان" ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[٥].

١٧- ركوع:-

ثم يقولون: "الله أكبر" ويركعون ويقرأون: "سبحان الله وبحمده سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات.

---

(١) من الآية: ١٤٧، سورة آل عمران.

(٢) من الآية: ١٩٣، سورة آل عمران.

(٣) من الآية: ٢٠١، سورة البقرة.

(٤) الآيات: ٢٢، ٢٣، ٢٤، سورة الحشر.

(٥) الآية : ٢٠٥، سورة الأعراف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾[١]. ثم يرفعون من الركوع مكبرين، ويقولون: "استغفر الله الذي" ثلاث مرات، ﴿ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٢] ويكبرون ويسجدون.

١٨- السجود:

ويقرأون: "ولله يسجد من في السموات وما في الأرض والنجم والشجر يسجدان سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى العلي العظيم، سبحان ربي الأعلى عما يصفون، وسبحان الملك المقصود، سبحان الملك الموجود، سبحان الملك المعبود، سبحان الملك الجبار، سبحان الواحد القهار، سبحان العزيز الغفار".

ويقرأون بعده دعاءً طويلاً مخلوطًا باللغة الفارسية والعربية، ثم يرفعون رؤوسهم قائلين: "الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر" ويجلسون.

١٩- الجلوس:-

ويقرأون في الجلوس سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، وآية الكرسي. ثم يقرأون رافعي أيديهم.

"سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما حمدناك حق حمدك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة للعالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

ثم يقرأ "دعا خوان" دعاء طويلاً مخلوطًا باللغة العربية والفارسية وجاء في آخره "يا رب بحق فضلك وكرمك ولطفك، وجود إحسانك، حضرت نور محمد مهدي هادي، حضرت صاحب أثر، خواجه بيان، خليفهٔ رحمان، پاك وپاك تر است أهل زمين وآسمان، شمع جمع عارفان، چشم چراغ عاشقان، بلبل عندليب گلستان،

---

(١) من الآية: ٢٠٦، سورة الأعراف.

(٢) من الآية: ٢٠٦، سورة الأعراف.

گلشن روئے بوستاں، أنيس قروبياں، جليس قدوسياں، بلبل شكرستاں، تأويل قرآن، نبئ تمام، سيد إمام مرسلين، رفيع الإكرام، نور محمد مهدي أول آخر الزمان – عليه الصلاة والسلام – إلهي إيمان مرا، بستر ياران مرا، بدعاء مستجاب، وكماليت وعافيت به إيمان برساند». آمين.(١)

ويقرأ "دعا خوان" بعده القطع التالية:

- لا إله إلا اللّه آدم صفي اللّه.
- لا إله إلا اللّه نوح نجي اللّه.
- لا إله إلا اللّه إبراهيم خليل اللّه.
- لا إله إلا اللّه إسماعيل ذبيح اللّه.
- لا إله إلا اللّه موسى كليم اللّه.
- لا إله إلا اللّه داود خليفة اللّه.
- لا إله إلا اللّه عيسى روح اللّه.
- لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه.
- لا إله إلا اللّه نور محمد مهدي مراد اللّه.

ويقرأون بعده الدعاء الآتي:

اللّهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام، حَيِّنَا ربنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.

ثم يسلم "دعا خوان" على من يمينه بقوله: "السلام عليكم"، وهم يردون عليه السلام بقولهم: "وعليكم السلام". ويسلم كل واحد من الحضور على من بجانبه، ويرد

---

(١) ترجمته كالآتي: «يا رب بحق فضلك، وكرمك، ولطفك، وجود إحسانك، وإحسان حضرة نور محمد المهدي الهادي، صاحب الأثر، وصاحب البيان، وخليفة الرحمن، طاهر وأطهر من جميع أهل السموات والأرض، شمع جميع العارفين، عين مصباح العاشقين، بلبل البساتين، وروضة الرياض، أنيس المقربين، وجليس الصالحين، بلبل البساتين، صاحب تأويل القرآن، نبي الكل، سيد المرسلين، رفيع الدرجات، نور محمد المهدي الأول (خلقًا) والآخر (بعثا) –عليه الصلاة والسلام– اللّهم احفظ إيماني، وإيمان أصحابي، بدعاء مستجاب؛ وبلغنا بالإيمان إلى الكمال والعافية». آمين.

عليه السلام.

هذا في ذكر التسبيحات الست، وأما بالنسبة لذكر التسبيحات الأربع "لا خوان" هو الذي يسلم. وهكذا ينتهي حفل الذكر.(١)

ثانيًا : الصوم:

يؤمن الذكريون بفرضية الصوم، ولكن ليس على الطريقة التي يؤمن بها سائر المسلمين من أهل السنة. فالذكريون لا يصومون رمضان كما يصومه المسلمون، وإنما يعتمدون صوم العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وأيام البيض من كل شهر قمري، وهي ثلاثة أيام: ثلاثة عشر، أربعة عشر، خمسة عشر. ويوم الاثنين من كل أسبوع ويزعمون أنهم بذلك أكثر المسلمين صومًا.(٢)

ويستدلون على ذلك بالكثير من الأدلة، منها ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن

---

(١) انظر: التفاصيل عن الذكر وأدبه في:
- ذكر وحدت، للسيد عيسى نوري.
- ذكر توحيد، لمحمد شاه زاده البلوشي.
- ذكر إلهي، لمحمد إسحاق درازئي.
- ميں ذكري هوں (أنا ذكري) (ص ٢٧ – ٣٧).
- نور تجلي (ص ٩٢ – ١١٩).

(٢) يقول داعية الذكريين فقير محمد السندهي: إنهم أكثر المسلمين صومًا حيث يصومون خمسة عشر يومًا من كل شهرين – تسعة أيام الاثنين وستة أيام البيض– وثمانية أيام الأولى من شهر ذي الحجة، والمجموع ثلاثة شهور ثمانية أيام.
انظر: ميں ذكري هوں (أنا ذكري) (ص ٤١، ٤٢).
ولا يدري هذا الذكري أنه لو صام أحد عشر شهرًا لا يجزئ عن يوم واحد من شهر رمضان. ويتبين تناقضهم في القول والعمل حيث يقولون بصوم العشرة الأولى من ذي الحجة ويصومون الثمانية الأولى فقط.

تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

ويزعمون أن الله -سبحانه وتعالى- فرض علينا الصيام لأيام معدودات كما فرض على من قبلنا.

٢- ويستدلون في صيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة بقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾(٢).

ويقولون: إن للصائم في هذه الأيام عشر فضائل وهي:

١- الزيادة في العمر. ٢- البركة في المال. ٣- حفظ الأهل والأولاد.

٤- تكفير السيئات. ٥- الزيادة في الحسنات ٦- تخفيف سكرات الموت.

٧- تنوير في القبر. ٨- الثقل في الميزان. ٩- الأمن من الخوف.

١٠- الرفع في الدرجات.

ولهذا كان الأنبياء - عليهم السلام - يصومون هذه الأيام. وجاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة منها بقيام ليلة القدر»(٣).

٣- ويذكرون في فضل صيام أيام البيض أن الله -سبحانه وتعالى- أمر النبي زكريا -عليه السلام - بصيام تلك الأيام، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً قَالَ

---

(١) الآيتان: ١٨٣، ١٨٤، سورة البقرة.

(٢) الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، سورة الفجر.

(٣) هكذا ذكروا في كتبهم من ألفاظ الحديث. رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صيام العشر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس، وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثل هذا». (٣/٤٦٤، ٤٦٥، برقم: ٧٥٥). الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.

- وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام عن أبي هريرة - رضي الله عنه - باختلاف في اللفظ (١/٥٥١، برقم: ١٧٢٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي.

ءَايَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَـٰرِ﴾[١]. وكان زكريا -عليه السلام- مقطوعًا من النسل فدعا إلى الله -تبارك وتعالى- أن يهب له الذرية، فأمره أن يصوم الثلاثة الأيام البيض فصامها ووهبه النبي يحيى - عليه السلام-.

وجاء في الحديث عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ياأبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة.[٢]

٤- ويستدلون على صوم يوم الاثنين بما جاء في الحديث عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -ﷺ- عن صوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، وفيه ينزل عليّ»[٣].

ويزعمون أن النور محمد المهدي قال: «صوموا يوم الاثنين لأن عيسى - عليه السلام- ولد في ذلك اليوم. وكانت مريم - عليها السلام - تصوم يوم الاثنين، وهو المراد من قوله -تعالى-: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِيَ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٤].[٥]

---

(١) الآية: ٤١، سورة آل عمران.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صوم ثلاثة من كل شهر عن أبي ذر - رضي الله عنه - بتمام اللفظ، وقال: «حديث أبي ذر حسن. وقد روي في بعض الحديث: «أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر». (٣/٤٦٩، ٤٧٠، برقم: ٧٥٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، بلفظ: «فيه ولدت وفيه أنزل عليّ». (٢/٨٢٠، برقم: ١١٦٢).

(٤) من الآية: ٢٦، سورة مريم.

(٥) انظر تفاصيل هذا الموضوع في: نور تجلي (٥٧ - ٦٠).

- مين ذكري هون (٣٧ - ٤٢).

ثالثاً : الزكاة:-

أما الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام فإنها عند الذكريين مقصورة على زكاة الأموال فقط، وليس عندهم زكاة للفطر. ومقدار زكاة الأموال عندهم هو "العشر" دون تحديد للنصاب، أو اشتراط حولان الحول كما هو معروف في الفقه الإسلامي.

وتُجْمَعُ الزكاة من عامة الذكريين، وتدفع لمشائخهم الذين يسمون بـ/"الملائيين". وهم يضمنون لهم دخول الجنة مقابل دفع الزكاة إليهم، كما يبيعون الأماكن في الجنة في مقابل المبالغ الكبيرة من الصدقات والزكاة[1].[2]

---

(١) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (٥٩ - ٦١).
- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (١٧، ١٨).

(٢) هنا يبدأ تأثرهم بالنصرانية واضحًا فيما ابتدعته البابوية باسم صكوك الغفران التي تضمن لدافعيها دخول الجنة، وتبيع لهم قصورها. وكان ذلك سببًا في قيام طائفة "البروتستانت".

رابعاً : الحج:-

يمكن الحديث عن الحج عند الذكريين من ناحيتين:

الأولى: التطور في معنى الحج.

الثانية: الأماكن المقدسة لأداء مناسك الحج.

أما بالنسبة للنقطة الأولى: فقد كان الذكريون إبان عروجهم كانوا يحجون إلى "كوه مراد"[(١)] إذ أن المهدي قد نسخ الحج إلى بيت الله، وشرع بدلاً من ذلك الحج إلى "كوه مراد".

والميقات الزمني لهذا الحج كان في الماضي في التاسع من شهر ذي الحجة. وكانوا يؤدون ما يؤديه الحجاج إلى بيت الله الحرام من مناسك في هذا المكان. وهكذا كان شأنهم في القديم.

وأما في هذا العصر وبعد قيام دولة "باكستان" فإن ميقاتهم الزماني للحج قد تغير، وأصبح في السابع والعشرين من شهر رمضان، حيث يقومون بزيارة هذا المكان، ويجتمعون فيه على الطواف، والأدعية والأذكار المخصوصة بهذه المناسبة.

ويذكرون السبب في ذلك أن ليلة القدر تكون في ليلة السبع والعشرين من شهر رمضان، وفي تلك الليلة تنزل الملائكة والروح، والمراد بالروح "نور المهدي" والملائكة ترافقه عند النزول، والمقصود بهذه الزيارة هو زيارة "نور المهدي"[(٢)] – على حد زعمهم –.

الأماكن المقدسة التي يؤدون فيها مناسكهم[(٣)]:-

١- كوه مراد (جبل مراد) وهذا الجبل عبارة عن هضبة جرداء، تقع على بعد

---

(١) أي: "جبل مراد" الواقع قرب مدينة "تربت" بمنطقة "مكران" في ولاية "بلوشستان" الباكستانية.

(٢) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص ٥٩).
- نور تجلي (٤٨ – ٥٠).

(٣) كان من ضمن برنامجي في الرحلة العلمية التي قمت بها إلى باكستان أن أقوم بزيارة هذه الأماكن، وأثناء وجودي في مدينة "لاهور" قابلت جماعة من العلماء قدموا من مناطق الذكريين في إقليم "بلوشستان" فاستفدت منهم تفصيلات كثيرة واقعية؛ كما أخبروني أيضاً أن أماكنهم =

ميلين ونصف إلى الجنوب من بلدة "تربت" ولا يزيد ارتفاعها على عشرين قدمًا، وتم تسويرها الآن بسور ارتفاعه أربعة أقدام.

يعتقد الذكريون أن مهديهم أقام على هذه الهضبة عشر سنوات، فهي تعد في نظرهم مركز أنواره، ومصدر تجلياته، ولها في نفوسهم من القداسة والاحترام، كما أن للكعبة المشرفة في نفوس المسلمين، ويطلقون عليها اسم "المقام المحمود". يقول "البجاراني": «هذا الموضع المقدس هو "المقام المحمود". وعلى أساس العقائد الذكرية زيارة هذا المقام فرض؛ لأنه موضع الشفاعة الكبرى»[١].

طريقة الطواف لجبل مراد:-

يَصِفُّ المجتمعون في سفح الجبل ويأخذون في الطواف حسب إرشادات ملائيهم، وهذا الطواف يشتمل على ثلاثة أشواط يبدؤن فيه بالكلمات الآتية: "صدق بندان ارد كرداں بير را" يعني أنا أطوف إجلالاً بالذي في هذا الجبل بصدق الجنان".

وبعد الانتهاء من الأشواط الثلاثة يقفون جميعًا حول جُبٍّ في قمة الجبل يسمونه "بالْمُهْر" ويأخذون في ذكر "لا إله إلا اللّه" بحيث إذا أخذ أصحاب الطرف الواحد في الذكر يستمع إليه أصحاب الطرف الثاني وهكذا، ثم يقعون جميعًا في سجدة طويلة تمتد إلى خمس عشرة دقيقة، ثم يرفعون رؤوسهم ويقعدون ولا يلتزمون استقبال القبلة في سجداتهم وينتهون عن الطواف بالسلام، حيث يُسلِّم الملائي بقوله: "السلام عليكم" فيرد عليه من بيمينه قائلا: "وعليكم السلام". وهكذا ينتهي الدور إلى اخر الصف.

٢- حرم:-

يحيط بجبل مراد ميدان فسيح يمتد على ميلين مربع على وجه التقريب، وقد أحيط هذا الميدان بسور حائل ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف قدم يعدونه حرمًا حيث لا يطئون أرضه متنعلين، بل يجتازونه حفاةً مترجلين.

== المقدسة(؟) وضعت تحت حراسة حكومية مشددة إثر أحداث جرت هناك لمحاولة نسف هذه الأماكن من قبل المسلمين، وليس من السهولة بمكان زيارتها، فعدلت عن رأيي.

(١) انظر: نور تجلي (ص ٤٢).

٣- مهر (الخاتم):-

هناك عند قمة "جبل مراد" جب عميق يقال له "مهر" (الخاتم) وبجانبه في الطرف الغربي توجد صخرة كبيرة مكتوب عليها كلمة الذكرية: "لا إله إلا اللّه نور پاك نور محمد مهدي رسول اللّه" وهم يطوفون حوله ويقيمون عنده حلقة الذكر في موسم الحج، كما تقدم قبل قليل.

٤- منى:-

جعلوا موضعاً بجانب "جبل مراد" يفدون إليه في آخر ذي الحجة، ويبالغون في الذبح والأضحية بحيث يوفون حق منى "بمكة المكرمة" حسب زعمهم.

٥- مسجد طوبى:-

بنوا داخل المكان الذي يعدونه حرماً بيتاً للذكر "ذكر خانه" في شكل قبة، يسمونه اليوم بـ"مسجد طوبى" وكتبوا على واجهته هذا الاسم، يراه الناظر من بعيد.

٦- شجرة الطوبى:-

في الجانب الشمالي من "جبل مراد" توجد شجرة يقال لها بالبلوشية "جگي" وهذه الشجرة تشبه شجرة تمر الهندي، ولكنها قصيرة بالنسبة إليها، وتؤتي أكلها بيضاء حلوة ويدعونها بشجرة الطوبى، وهذه الشجرة تعم في هذه النواحي وتنبت في المناطق الجبلية بكثرة وتثمر في شهر مايو، ويأكلونها متبركين.

٧- عرفات - گلء ڈن: (ميدان الطين):

وهو ميدان فسيح يقع في جنوب بلدة "تربت". وفي القديم كانوا يقفون فيها في موسم الحج يوم التاسع من ذي الحجة، ويعتبرونه ميدان عرفات. وفي هذا الزمان يعقدون فيه حلقات ذكرهم غير متقيدين بالوقت.

٨- آب زمزم (ماء زمزم):

وهو عبارة عن تُرعة ماء تقع في مدينة "تربت" وتجري في سوقها من الشرق إلى الغرب، يقال له: "ريزهزئي"، ويعتبرون ماءها بمكانة ماء زمزم فيملئون منه القوارير

والزجاجات ويذهبون به إلى بيوتهم. وقد نضبت الآن.

٩- شـيـريـن دو كـرم:

وهو نهر يجري في شرق "جبل مراد" المكان الذي أظهر فيه المهدي "الملا محمد الأتكي" خوارق نبع الماء واللبن، ويمر من شمال مدينة "تربت" إلى جنوبها. ولهذا النهر أهمية كبيرة في معتقدات الذكرية، فما ينشدون الأناشيد في حلقات ذكرهم ومجالسهم إلا ورد فيها ذكر هذا النهر" شيرين دو كرم".

١٠- كـوه إمام:- (جبل إمام)

وهو عبارة عن هضبة تقع غرب "جبل مراد" وهي محاطة بسور فيه جُبٌّ، يزعمون أن مهديهم قد تنسك هنا أربعين يوماً، ويعدونه "غار حراء" بمكة المكرمة ويقيمون هناك مجالس الذكر، وينشدون في فضله الأناشيد والأبيات.

١١- جسـر الـصـراط:-

يوجد قرب "جبل مراد" صخرة كبيرة عليها حائط يزعمون أن من صعد هذه الصخرة وعبر ذلك الحائط فكأنه عبر الصراط الموضوع على متن جهنم ودخل الجنة.

١٢- برّ كَهُوْر:-

كَهُور: اسم دوحة في اللغة البلوشية، والبَرّ: الأرض الواسعة واليابسة. وكانت هذه شجرة قديمة وكبيرة تقع في غرب سوق بلدة "تربت" عند مقبرة قديمة. وتُعَدُّ هذه الشجرة مقدسة لدى الذكريين؛ لأنهم يزعمون أن كتاب "البرهان" الذي نزل على مهديهم "الملا محمد الأتكي" من السماء كان محفوظاً في جوف هذه الشجرة، فاصطحب المهدي بعض مريديه وأتباعه إلى هذا المكان، وأخرج الصحيفة من جوف تلك الشجرة، وأعلن أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل عليه هذا الكتاب. فمنذ ذلك الوقت عُدَّت هذه الشجرة مهبطاً للوحي والأحكام. وهم لا يقطعوون هذه الشجرة في أيِّ مكان كانت. وإذا نبتت في مزارعهم وديارهم يحسبونها سبباً للبركة والرحمة.

هذه من أشهر الأماكن المقدسة لدى الذكريين، وهي توابع لـ/ "جبل مراد" الذي

يعد من أهم الأماكن المقدسة لديهم لاقتران ذكريات مهديهم، ورفقائه بهذا المكان.[١]

وكانت هذه الأماكن اكتسبت أهمية كبرى في تاريخ الذكريين إبان عروجهم، حيث كانت تؤدى فيها مناسك الحج، وبعد أن دالت دولتهم، وانكسرت شوكتهم، بدأت هذه الأماكن تفتقد هذه الأهمية. ولكن المكان الذي مازالوا يعتقدون في قدسيته، ويحتل مكانة كبيرة في قلوبهم، ويدافعون عنه بكل حماس هو "جبل مراد" ويؤكدون أن هذا الجبل هو "المقام المحمود" الذي جاء في الآية الكريمة:﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٢].[٣]

وهناك أمور أخرى يجدر ذكرها في هذا السياق، وهي تتلخص فيما يأتي:-

١- القبلة:-

ليس للقبلة أية أهمية عند الذكريين، ولذلك لا يلتزمون في ذكرهم وسجودهم وسائر أعمالهم الدينية استقبال القبلة، بل يولون وجوههم ويتجهون أينما شاؤوا.

٢- الوضوء:-

لا يتبع الذكريون الطريقة المسنونة والمعروفة لأداء الوضوء، إنما هم يغسلون الأيدي والوجوه والأرجل فقط.

٣- الجنازة:-

إذا مات منهم أحد، يقرؤون عليه "سورة يس" أو "سورة الرعد" ثم يغسلونه ويكفنونه ويذهبون به إلى "ذكرانه" - أي بيت الذكر- ففي ذكرانه يقعد عنده على الأقل خمسة وعشرون رجلاً من "الذكرية"، فإن زادوا فحسن ويذكرون عند الميت ثلاث تسبيحات، ثم يرفعون الجنازة ويذهبون إلى المقابر ويدفنونه.

---

(١) انظر: ما هي الذكرية (٢٢ - ٣٢).

- ذكري مذهب اور إسلام (٨٦ - ٩٠).
- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (١٨، ١٩).

(٢) من الآية: ٧٩، سورة الإسراء.

(٣) انظر: نور تجلي (٤٢).

٤- الأذان:-

لا يؤمنون بالأذان المعروف للصلاة، ولم يرد ذكر الأذان في كتابٍ من كتبهم، ويبدو أنهم لا يعترفون بالأذان؛ لأن الأذان إعلام للصلاة وهم لا يؤمنون بالصلاة، فماذا يفعلون بالأذان؛ فلذا لم يذكروا الأذان في كتبهم.

٥- غسل الجنابة:-

لا يرى الذكريون الغسل من الجنابة، بل يكتفون بغسل الحشفة، والمثقفون الجدد يغتسلون بقصد التنظيف.

٦- ذكرانه:-

هذا معبدهم يطلقون عليه كلمة "ذكرانه" -بيت الذكر- وهذا المعبد يكون مربعًا، وبدون المحراب المعروف في مساجد المسلمين.

٧- رقص شوكان (چوگان):-

رقص شوكان عبارة عن رقص شعبي صبغوه بصبغة دينية، ويعتبر هذا الرقص عبادة نافلة غير مؤكدة ؛ من قام بها فحسن ومن لم يقم بها فلا لوم عليه.

ويقام هذا الرقص عادةً في الليالي المقمرة وفي الميادين الفسيحة، يشترك فيه الشباب والشيوخ والأطفال، والرجال والنساء بكل شغف وحماس. ويقف جميعًا على شكل دائرة وتقف في الوسط امرأة مغنية ذات مهارة في الغناء وجمال في الصوت وتكون ملمة بحركات هذا الرقص، وأناشيده، فتردد الأناشيد في وصف المهدي، ويردد كل من في الدائرة المصرع الثاني من كل بيت مع أداء الحركات المطلوبة في الرقص، هكذا إلى انتهاء الرقص.[١]

---

(١) انظر: ما هي الذكرية (٣٢ - ٣٦).

- ذكري مذهب اور إسلام (٦٢ ، ٦٣).

- ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (١٦).

علاقات الذكرية بالفرق الأخرى:

بعد الفراغ من بيان أهم عقائد الفرقة "الذكرية" وعباداتهم، أود أن أسرد آراء الباحثين عما قيل في علاقات الفرقة "الذكرية" بالفرق الأخرى - هل هي فرقة مستقلة نشأت بنفسها أم هي منبثقة من فرقة أخرى وتابعة لها - حتى يتبين من خلال عقائدها مدى صحة هذه الآراء.

أولاً : بين الذكرية والمهدوية[١]:

إذا تتبع الباحث آراء دعاة "الذكرية" بالدراسة والفحص حول علاقتهم "بالمهدوية" يجد هناك رأيين يتناقضان فيما بينهما، ويسيران في خطين متوازيين لا يمكن الجمع بينهما وهما:

الرأى الأول: "الذكرية" فرقة انبثقت عن "المهدوية" وإلى هذا الاتجاه يذهب فريق من علماء الذكريين ودعاتهم حيث يقررون أن الذكرية والمهدوية كانتا في الأصل حركة واحدة، وظلت كذلك، لا اختلاف بينهما إلا في التسمية والاصطلاح.

يقول "الملائي" عبد الغني البلوشي" - أحد زعماء الذكرية-: «إن الذكرية والمهدوية ليستا حركتين منفصلتين، بل هما اسمان لحركة واحدة؛ لأن الذكريين والمهدويين يؤمنون بعقيدة واحدة، وسائرون في طريق واحد».[٢]

فإن قيل: لماذا نرى الآن فروقًا واضحةً بين الذكرية والمهدوية؟.

يقول الجواب: ربما كانت هذه الفروق راجعةً إلى التطور الزمني والتاريخي، وتغير العادات من وقت لآخر، فإننا كما نشاهد هذا التطور لدى المهدويين أنفسهم فإن "مهدوية" اليوم تختلف في كثير من عاداتهم من مهدوية العصور الماضية.[٣]

يقول "عيسى نوري" - أحد دعاة الذكرية:

---

(١) وهي الفرقة المنسوبة إلى السيد محمد الجونبوري (٨٤٧هـ - ٩١٠هـ). وسيأتي الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: ذكري مذهب إسلام كے آئينے ميں (الفرقة الذكرية في مرآة الإسلام) (ص ٢٢)، طبعة (١٩٧٩م)، كراتشي، باكستان.

(٣) نفس المصدر.

«إن سفر المهدي وسيره للعالم يوجد في شكلين عند الذكريين: شكل المنظوم، شكل المنثور. والواقعات المذكورة في القسم المنثور موافقة للحركة المهدوية مائة في المائة»[(١)].

ويضيف قائلا: «الفرق الذي نجده اليوم بين الذكرية والمهدوية إذا نظرنا إلى تاريخهم قبل المائة الغابرة، لا نجد فرقًا واضحًا بينهما حتى كادت عادات المهدويين في ذلك الوقت كانت مختلفة من مهدوية اليوم. مثال ذلك: لم يكن في ذلك الوقت منبر، ولا محراب، ولا منارة في المعابد. وكان يقال لها: "جماعت خانه". كما أن الذكريين يلعبون رقص (شوكان) لإحياء الليلة، كذلك كان في المهدوية طريقة النوبة»[(٢)].

الرأي الثاني: "الذكرية" و"المهدوية" حركتان متمايزتان. وفي هذا الاتجاه يسير فريق من أئمة الذكريين ودعاتهم، فهم يقررون أن "الذكرية" و"المهدوية" حركتان منفصلتان تمام الانفصال، فلا توجد بينهما صلة في الأصل، ولا يمكن القول بأن إحداهما قد تفرعت عن الأخرى، كما يذهب إلى ذلك أصحاب الرأى الأول.

يقول كے. إيم. عمراني البلوشي – أحد زعماء الذكرية –:

«إن المهدوية والذكرية لهما وجودان مختلفان، ولا يوجد بينهما أمر مشترك إلا الإيمان بظهور مهدي آخر الزمان وذهابه، فمن وَحَّد بين الحركتين، فقد أسدل الستار على وجه الحقيقة»[(٣)].

ويرد على أصحاب الاتجاه الأول الذين وحدوا بين الفرقتين فيقول ما خلاصته:

«إن "مير محراب" أحد الأمراء لدولة "الكيج" الذي كان شديد العقيدة للمذهب "الذكري"، وكان رجلاً فطنًا عالماً بالعلوم العربية، والفارسية وغيرهما فإنه ذهب إلى "خراسان" لبعض حاجاته، فالتقى هناك ببعض الأفاغنة الذين جاؤوا من "ديره إسماعيل خان"[(٤)] و"شكار بور"[(٥)] . فدار الحديث بينهم عن "المهدوية" فقال الأفاغنة: هذه الفرقة

---

(١) انظر: ذكري تحريك تاريخ كي روشني ميں (ص ٢٧).

(٢) نفس المصدر (ص ٤٦).

(٣) انظر: نور هدايت (ص ٧٠).

(٤) اسم منطقة تقع حاليًا في إقليم البنجاب بباكستان.

(٥) اسم منطقة تقع حاليًا في إقليم السند بباكستان.

موجودة الآن "بكُجرات"[١] و"بالن بور"[٢] فتشوَّق الأمير لزيارتهم، وذهب إلى "الهند"، فلما وصل إلى "دائرة"[٣] "السيد مرتضى" في بلدة "بالن بور" وجد هناك "السيد طاهر" و"السيد طيب" و"السيد شكر اللّه" و"السيد كرم اللّه" فأكرموه، وكلموه، وسألوه عن هدف زيارته، فذكر لهم أن الهدف هو التحقيق والبحث عن "المهدوية" فأعطوه بعض الكتب النادرة، وبعض الرسائل، فنقل "مير محراب" الكتب والرسائل كلها، وعاد بها إلى الوطن، وكان ذلك عام (١١٢٣هـ). فالأحوال المهدوية المذكورة في الكتب الذكرية مأخوذة كلها من الكتب التي جاء بها "مير محراب" معه من "الهند"، وإلا فلا إشارة "للمهدوية" في الكتب التي ألفت قبلها. وقد صنف "الشيئ محمد درفشان"[٤] كتاب "دُرّ وجود" قبل ذهاب الأمير إلى "الهند" بسبعة عشر عاماً، ولم يذكر فيه قصة الحركة "المهدوية" وكذلك لم يذكره جده "مير عبد اللّه الجنكي" قصة الجونبوري. كما لا يوجد ذكر للحركة "المهدوية" في كتب "السيد محمد سراغ خدا داد" والحاج غازي" و"ملا أحمد اللاري" و"الشيخ قاسم" و"أبو سعيد" و"ميان مسكين" . فثبت من هذا كله أن "المهدوية" و"الذكرية" لهما وجودان مختلفان، ولا يوجد بينهما أي أمر مشترك إلا الإيمان بظهور مهدي آخر الزمان وذهابه، فمن وحد بين الفرقتين فقد ألقى الستار على وجه الحقيقة»[٥].

وهذا الرأى الأخير هو الراجح عندي وقد شهد شاهد من أهله وهو "كے. إيم. عمراني البلوشي" – من كبار دعاة الذكريين وزعمائهم – فقد أثبت أنه لا يوجد هناك أوجه للاتصال بين الفرقتين أصلاً: لا في التاريخ، ولا في العقائد والأعمال، إلا أن بعض زعماء "الذكرية" ودعاتها بدأوا المحاولات المستميتة للانتماء إلى "المهدوية"، وذلك لأن "الذكرية" فرقة منهزمة في ميدان السياسة والثقافة أمام مخالفيها، ومعظم أتباعها جهلة ومتخلفون، علاوة على ذلك ما يوجد من المعارضة الشديدة بين عقائد هذه الفرقة وعقائد الإسلام،

---

(١) اسم منطقة تقع حالياً غرب الهند على ساحل البحر.

(٢) اسم مدينة في شمال منطقة الكُجرات.

(٣) المقصود بها الخلوة المعدة لإقامة المشائخ وأتباعهم.

(٤) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ذكر الدعاة.

(٥) انظر: نور هدايت (ص ٦٩، ٧٠).

فبدأ يحاول بعض زعماء هذه الفرقة ودعاتها لدمجها في الفرقة "المهدوية" حتى تنسب نفسها إلى هذه الفرقة المشهورة برجالها ودعاتها ومواقفها في التاريخ حتى يمكن الحفاظ على كيانها كفرع من "المهدوية"، وفعلاً رضي بذلك بعض دعاة "المهدوية" أيضًا بغية لمِّ شملها من الشتات، وجمعها من التفرق، وإكثار عددها بعد القلة، ولكن حالت بين هذا الدمج عقبات وحواجز يستحيل تخطيها لكلتي الفرقتين على السواء[١].- كما سيأتي في المقارنة بين عقائد الفرقتين.

ثم إنه بعد قيام دولة "باكستان"[٢] كانت هناك موجات هجرة للمسلمين من "الهند" إلى "باكستان"، ومن بين المهاجرين كان عدد كبير من أتباع "المهدوية" الذين هاجروا من ولاية "الدكن" و"الكجرات" -موطن المهدويين - إلى "باكستان"، وبعد اطلاعهم وتعرفهم على المذهب الذكري، وجدوا الذكريين يؤمنون بالمهدي، فاعتبروا ذلك نوعًا من الاتفاق بين الطائفتين حتى اعتقدوا أن "الذكرية" ليست إلا فرقة انحرفت عن "المهدوية" يجب تقويمها وإصلاح ما انحرف من عقائدها لإعادتها إلى "المهدوية" الصحيحة.

ولإنجاز هذه المهمة توجه زعيم "المهدوية" "السيد شهاب الدين يد اللهي"[٣] إلى "كلّك"[٤] للحصول على معلومات مفصلة عن "محمد المهدي الأتكي" الذي يعتقد الذكريون فيه أنه المهدي الموعود، ولكنه لم يجد عندهم ما يروى الغليل، ويشفي العليل؛ فذكر لهم أن "محمد الأتكي" هو نفسه "السيد محمد الجونبوري" مؤسس "المهدوية"، والمعروف في التاريخ بسيرته ومواقفه، وأكد لهم أيضًا أنه أقام في منطقة "أتك" زمنًا لما خرج من "الهند" متوجهًا إلى "فراه" الأفغانية حيث وافاه الأجل فاشتهر "بالأتكي".

---

(١) انظر: مقال "ذكري فرقه كے نشيب وفراز (تطور وانحطاط الفرقة الذكرية) بقلم الشيخ/ عبد الحق البلوشي في مجلة "بينات" الشهرية، عدد رجب العام (١٣٩٨هـ)، الصادرة من "كراتشي" باكستان.

(٢) أنشئت باكستان بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين: "الهند" و"باكستان"، وذلك عام (١٩٤٧م) وبعد أربع وعشرين سنة تقريبًا من هذا التقسيم انفصل الجزء الشرقي من "باكستان"، وتكونت دولة "بنغلا ديش" الحالية، وذلك عام (١٩٧١م).

(٣) وهو من زعماء الفرقة المهدوية في القرن الرابع عشر الهجري، ومن المهاجرين من "الهند" إلى "باكستان". بذل جهودًا مضنية للتقريب بين الفرقتين.

(٤) اسم موضع في "مكران" بولاية "بلوشستان" حيث المركز الرئيسي للذكرية.

ومن المحتمل جداً أنه قدم إلى مدينة "تربت" كما تذكره كتابات الذكريين. وفي أثناء إقامته في "فراه" الأفغانية قابله "أبو سعيد الداعي" حيث كان مقيماً في منطقة "كرم سيل" القريبة من "فراه" فبايعه، وبذل قصارى جهده في تبليغ الدعوة "المهدوية" بين "البليديين" ثم "الكجكين" حيث اعتنق زعيمهم "ملا مراد" هذه الدعوة ونشرها في المنطقة.

ولما كان الملائيون لا يعرفون شيئًا كثيراً عن مهديهم المزعوم، والذي يعرفونه لا يعتمد على مستندٍ علمي، أو دليل تاريخي، فإنهم قد انتهزوا هذه الفرصة، واغتنموا هذا السرد التاريخي لمهديهم، وشرف انتمائهم إلى "المهدوية"؛ فأعلن "الملائي عيسى نوري"[١] والطبقة المثقفة من الذكريين في مدينة "كراتشي" الذين كانوا متحيرين في مذهبهم، ومترددين فيه أنهم مهديون ذكريون، و"الذكرية" منبثقة من "المهدوية". وأنشئت جمعيات مشتركة بين الفرقتين[٢]، وألف "الملا دَرَّازئي"[٣] رسالة في هذا الصدد، لفق فيها الأحداث التاريخية، وقلبها رأساً على عقب، حتى يثبت هذه المزاعم، فيقول: «وعند عودة "السيد محمد الجونبوري" من "مكة المكرمة" مَرَّ على "حلب" و"الشام" و"لارستان" و"فراه" حتى وصل إلى "كيج" في مدينة "تربت" واختفى عن أنظار الناس بعد إقامته سبع أو عشر سنين على "جبل مراد".

وقال عن العقائد والأعمال التي لا يقبلها الشرع ولا العقل، قال: «إن العلماء الذكريين قُتِلوا في أيام الاضطهاد، وأحرقت كتبهم، فظل عامة الذكريين غير متبصرين في دينهم، والمتخلفين في حياتهم، وبعد أن مضت أجيال متعاقبة على هذه الحال، تناسوا تاريخ مذهبهم، ولم يبق لديهم إلا الروايات الشفوية المتناقلة عبر الأجيال، فلا يستبعد – والحال هذه – نشأة بعض الانحراف في المذهب، وللسبب نفسه بدأ المخالفون والمتعصبون

---

(١) أحد دعاة الذكرية في القرن الرابع عشر الهجري، ومن دعاة التوفيق بين "الذكرية" و"المهدوية". وقد بذل في ذلك جهوداً وألّف كتبًا، من أهمها: ذكري تحريك تاريخ كي روشني ميں (الحركة الذكرية في ضوء التاريخ)، و"ذكر وحدت".

(٢) منها "جمعية طلبة الذكريين المهدويين" (ذكري مهدوي استوڈنٹس آرگنائزيشن)، والتي تعني بتثقيف الشباب على مبادئ الذكرية عن طريق نشر الكتب والرسائل.

(٣) وهو "الملا محمد إسحاق درَّازئي" من زعماء الذكرية ودعاتها في القرن الرابع عشر الهجري. وله مؤلفات من أهمها: "ذكري كون هيں" (من هم ذكريون؟) و "ذكر إلهي".

التحامل علينا، والسخرية بنا، والشيء الذي مازال محفوظًا، ولم تمسه يد الانحراف وهو "الذكر وأدبه" فإذا ظهر على يد أي ذكري أمر غير معقول، فلا يحمل ذلك على الذكرية الصحيحة»[١].

ومهما حاول "الملا درّازئي" و"عيسى نوري" وأمثالهما لنسبة مذهبهم إلى "المهدوية" فإن محاولاتهم لن تصل إلى النتيجة التي يريدونها، وذلك لبعد الشقة، والتعارض الواضح بين الطائفتين، ويتمثل ذلك في خمس نقاط رئيسة، وهي كالآتي:

١- يزعم الذكري أن المهدي ظهر في صورته الجسمية عام (٩٧٧هـ) في "أتك" بالبنجاب. واختفى عام (١٠٢٩هـ) في "جبل مراد" "بمكران" بينما يرى المهدوي أن "السيد محمد الجونبوري" ولد في "جونبور" عام (٨٤٧هـ) وادعى المهدوية عام (٩٠٥هـ) في "كجرات" وتوفى في "فراه" عام (٩١٠هـ).

٢- يعتقد الذكري أن المهدي نبي آخر الزمان، وأنه نور الأولين والآخرين، بينما لا تثبت "المهدوية" لمهديهم نبوة ولا رسالة.

٣- يزعم الذكري أن المهدي صعد إلى السماء من جبل "مراد" في حياته، ويرى المهدوي أنه توفى في منطقة "فراه" الأفغانية.

٤- يعتقد الذكري نسخ أركان الإسلام وانتهاء فرضيتها بينما يرى المهدوي الالتزام بها.[٢]

٥- ولو فرضنا أن "السيد محمد الجونبوري" و "محمد المهدي الأتكي" شخص واحد، وفرضنا أيضًا قدومه إلى مدينة "تربت" في "مكران" فتكون النتيجة أنه بعد ادعائه المهدوية عام (٩٠٥هـ) في مدينة "كجرات" وبعد (٧٢) سنة ظهر في "أتك" عام (٩٧٧هـ) وكان عمره آنذاك (١٣٠) سنة، ثم اختفى عن "جبل مراد" عام (١٠٢٩هـ) وكان عمره وقتئذ (١٨٢) عامًا.

فهذا مستبعد جدًا، وتكذيب صريح للحقائق التاريخية إذ من المتفق عليه أن "السيد

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٢٢، ٢٣).

(٢) نفس المصدر (ص ٢٤).

محمد الجونبوري" توفى في مدينة "فراه" الأفغانية عام (٩١٠هـ)، وعمره آنئذ (٦٣) سنة.[١]

وقد استبعد الداعية الذكري كـ . إيم. عمراني البلوشي قدوم "السيد محمد الجونبوري" إلى "مكران" وفنَّد آراء بعض الدعاة "الذكرية" القائلة بقدومه إلى مدينة "تربت" في "مكران".[٢]

ثم إن "السيد محمد الجونبوري" لو فرضنا أنه قبل الوصول إلى "فراه" الأفغانية قدم في "كيج" و"تربت" بمكران ومكث هناك عشر سنوات، فهذا يبطل عقيدة الاختفاء من "جبل مراد" كيف يتصور أنه يتوفى في "فراه" عام (٩١٠هـ)، ويختفي من "جبل مراد" عام (١٠٢٩هـ)، فلا يكونان شخصاً واحداً أبداً.

وحسب زعم بعض الذكريين أن أول من عرف "محمد المهدي الأتكي" هو "السيد محمد الجونبوري" فآمن به وبايعه وأصبح مريداً له، فكيف يكون هو التابع والمتبوع؟.[٣]

وفي الحقيقة أن عامة الذكريين في "بلوشستان" لا يعرفون عن "السيد محمد الجونبوري" شيئاً، ولكن حلقة الوصل هذه وضعت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري حتى تكون قنطرة عبور إلى "المهدوية"، وبإيعاز من الزعيم المهدوي "شهاب الدين يد اللهي" أعلن الزعيم الذكري "السيد عيسى نوري" عام (١٣٥٤هـ) أنهم مهديون وفي الواقع هم طائفة من الذكريين، يقطنون مدينة "كراتشي" ولما أنهم ذكريون لا علاقة بينهم وبين المهدويين في العقيدة والأعمال، والعادات والتقاليد، لم تنفع محاولات الدمج.[٤]

وأصبح من الواضح والمحقق أن "الذكرية" شيء، و"المهدوية" شيء آخر، ولا علاقة بينهما، ولا صلة بين "الأتكي" و "الجونبوري"، وبيَّن التحقيق العلمي والتاريخي الذي أشرت إليه، أن الفرقتين على طرفي نقيض.

---

(١) كما يأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: نور هدايت (ص ٦٥).

(٣) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٦).

(٤) نفس المصدر (ص: ٢٤، ٢٥).

ثانيا : العلاقة بين الذكرية والخوارج:-

١- بين الذكرية والإباضية[١]:-

يرى بعض الباحثين أن "الذكرية" انبثقت من "الإباضية" وتفرعت عنها، وذلك "أبا سعيد البليدي"[٢] الحاكم الأول للذكريين، وأبرز دعاتهم الأولين كان على حسب رأى بعضهم من العائلة الملكية في "مسقط" - عاصمة سلطنة عمان حاليًا- ولما سمع عن "المهدي" اعتقد به غيبًا، ولما كان "المهدي" في "خراسان" توجه "أبو سعيد" من "مسقط" إلى "خراسان" وفي قرية "كرم سيل" قابل المهدي، فآمن به، و صدقه.

والمعروف أن الأئمة في "مسقط" و"عمان" كانوا من "الأزد"، وكثير منهم من "الإباضية" فلو كان "أبو سعيد البليدي" منهم، فيحتمل أنه كان من "الخوارج" ومن "الأزد"

---

(١) الرأى الراجح أن الإباضية فرقة من الخوارج، منسوبة إلى مؤسسها الأول عبد الله بن إباض المري أو التميمي. من أهم عقائدهم: يعتبرون دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغي. وأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل، وكل ما فيه من قوة الحرب حلال، وما سواه حرام. ومن ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وهم أربع فرق:

١- الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

٢- الحارثية: أصحاب الحارث الإباضي.

٣- اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة.

٤- أصحاب طاعة لا يراد بها الله. بالإضافة إليها توجد ست فرق أخرى للإباضية في المغرب وهي:

١- فرقة النكار: زعيمهم رجل يسمى أبو قدامة يزيد بن فندين. ٢- النفاثية: نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي، المعروف بالنفاث. ٣- الخلفية: نسبة إلى خلف بن السمح بن أبي الخطاب.

٤- الحسينية: نسبة إلى رجل يسمى أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي. ٥- السكاكية: نسبة إلى زعيمهم عبد السكاك اللواتي. ٦- الفرثية: زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٨٣ - ١٨٥)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- الفرق بين الفرق (١٠٣ - ١٠٦).
- الملل والنحل (١٣٤ - ١٣٦).
- فرق معاصرة (١/٨٤، ٨٥).

(٢) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ذكر أهم الدعاة.

وقدم بعضهم إلى "خراسان"، كما كانوا يؤثرون على "أهل السند" أيضاً[١]. فمن المحتمل أن "أبا سعيد البليدي" كان خارجيا.

٢- بين الذكرية والخلفية:-

ويذهب فريق آخر إلى أن "الذكرية" نشأت من الخلفية – أصحاب خلف بن عمر الخارجي – من خوارج "كرمان" و"مكران"، وسميت مدينة "تربت" بهذا الاسم لكون "خلف ابن عمر الخارجي" دفن في هذا المكان. وكلمة "تربت" تعني القبر في اللغة البلوشية.[٢]

وأما الخَلَفية: فهي فرقة من "العجاردة" -أصحاب عبد الكريم بن عجرد – وكان "خلف بن عمر" في أول الأمر تابعاًللحمزية[٣] ثم اختلف معهم وقاتلهم، ويقال: كان من الميمونية[٤] ثم فارقهم في القول بالقدر.

---

(١) انظر: اردو دائرهء معارف إسلامية (٣٣١/١ مادة إباضية) دانش گاه، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان.

(٢) انظر: مقال: "بلوجستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)"، بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة "الحق" الشهرية، عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ)، الصادرة من بشاور، باكستان.

(٣) إحدى فرق خوارج العجاردة، نسبة إلى حمزة بن أدرك – أو أكرك– الخارجي، عاش بسجستان وخراسان وقهستان وكرمان، وكان من العجاردة الخازمية، ثم خالفهم في باب القدر والاستطاعة، فقال فيهما بقول القدرية، فأكفرته الجازمية في ذلك، ثم زعم أن أطفال المشركين في النار، فأكفرته القدرية في ذلك، ثم إنه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه، واعتباره إياهم مشركين. وقد ظهر أيام الرشيد سنة (١٧٩هـ)، وبقي إلى صدر من خلافة المأمون، وقد بعث إليه بكتاب، يدعوه فيه إلى طاعته، فما زاده إلا عتواً في أمره حتى خرج إليه "عبد الرحمن النيسابوري" فهزم حمزة وقتلت الآلاف من أصحابه، وانفلت منهم جريحاً ومات في هزيمته.

انظر: الفرق بين الفرق (٩٨). الملل والنحل (١٢٩).

(٤) أتباع "ميمون بن خالد"، وكان على مذهب "العجاردة" من "الخوارج"، ثم خالفهم في الإرادة والقدر والاستطاعة، وقال فيها بقول القدرية المعتزلة، ووافق المجوس فيما أباحوه من نكاح بنات الأولاد من الأجداد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، إذ آية التحريم لم تشملهن، وأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن الكريم. فهي من الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه في شيء.

انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٠، ٢٨١).

ومن الأفضل أن أذكر هنا نصوص كتب الفرق، حتى يتبين لنا حقيقة مذهب الخلفية.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري:

«الفرقة الثالثة من العجاردة الخلفية أصحاب رجل يقال له: "خلف" فارقوا الميمونيَة في القول بالقدر، وقالوا: بالإثبات»[(١)].

ويقول البغداديّ: «هم أتباع "خلف" الذي قاتل حمزة الخارجي، و"الخلفية" لا يرون القتال إلا مع إمام منهم، وصارت "الخلفية" إلى قول "الأزارقة" في شيء واحد، وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم في النار»[(٢)].

ويقول الشهرستاني: «الخلفية أصحاب "خلف الخارجي"، وهم خوارج "كرمان" و"مكران"، خالفوا "الحمزية" في القول بالقدر، وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله -تعالى- وسلكوا في ذلك مذهب أهل السنة. وقالوا: "الحمزية" ناقضوا، حيث قالوا: لو عذب الله العباد على أفعال قدَّرها عليهم، أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً، وقضوا بأن أطفال المشركين في النار، ولا عمل لهم ولا ترك، وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض»[(٣)].

وقال الإيجي: «الخامسة الخلفية (أصحاب خلف)، أضافوا القدر خيره وشره إلى الله -تعالى- وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك»[(٤)].

فنستخلص من هذه النصوص أن "خلفًا" كان تابعًا "لميمون" و"حمزة" ثم خالفهما في مسألة القدر والاستطاعة، وجعل لنفسه مذهبًا، وتبعه على ذلك خوارج "كرمان" و"مكران"، وصارت فرقة مستقلة عن "الحمزية" و"الميمونية".

وأما "خلف بن عمر" فهو رجل مجهول نسبًا وشخصًا لم يعرف منه سوى الاسم والعقيدة. وقال الإمام الأشعري: "رجل يقال له: خلف"[(٥)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين(١/١٦٤).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٩٦).

(٣) انظر: الملل والنحل (١٣٠).

(٤) انظر: المواقف (٤٢٦)، عالم الكتب، بيروت.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين(١/١٦٥).

وهذا ما قيل عن علاقة الذكريين بالخلفية، بأن "الذكرية" نشأت وتطورت في أماكن "الخلفية" وهي "مكران". وكون "خلف بن عمر" مات ودفن في بلدة "تربت" في "مكران" يشعر أن متبعيه كانوا موجودين في "تربت" وضواحيها. واتخاذ الذكريين هذه المدينة عاصمة لهم أيام عروجهم مما يؤيد علاقتهم مع "الخلفية". فهل الذكرية نشأت من الخوارج؟.

وإذا كانت دعوى نسبة "الذكرية" إلى "المهدوية" وضعت على أسس واهية فإن نسبتها إلى "الخوارج" وضعت على قواعد أوهى منها؛ لأن شبهة انتمائهم إلى "الخوارج" جاء ت من أمرين:

الأمر الأول:

اختلافهم في شخصية "أبي سعيد البليدي"، "فأبو سعيد البليدي" زعيم الذكريين غير "أبي سعيد العماني" الذي كان حاكمًا "لعمان" و"زنجبار" ومؤسسا للدولة البوسعيدية.[1]

الأمر الثاني:

موت "خلف بن عمر الخارجي" زعيم "الخلفية" ودفنه في "تربت" موطن الذكريين ومركزهم. "فالخلفية" وأخواتها من حركات الخوارج كانت في القرن الثاني والثالث الهجريين، ثم اندثرت. وأما الفرقة "الذكرية" فقد نشأت في القرن العاشر الهجري، وتطورت في القرن الحادي عشر. ثم إنه لا يلاحظ أي أثر للتفكير الخارجي على "الذكرية" لا في العقائد ولا في الأعمال، فلا علاقة بين الفرقتين على الإطلاق، بل الذكرية حركة مستقلة نشأت على يد "الملا محمد الأتكي".

ثالثاً : بين الذكرية والباطنية:-

ويذهب فريق ثالث إلى أن الذكرية نشأت من "الباطنية"، وذلك أن نفراً من الدعاة الإسماعيلية هاجروا من "إيران" إلى مناطق "مكران" هرباً من اضطهاد الملوك الصفويين - إذ كانوا من "الإمامية الاثنى عشرية" ويجبرون الناس على اعتناق هذا المذهب-

---

(١) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ترجمته في ذكر أهم الدعاة.

فغادروا "إيران" وتوجهوا إلى هذه المناطق من "بلوشستان"، فتأثر "أبو سعيد البليدي" بهؤلاء الباطنيين – وكانوا يُعرفون "بالسادات"– واختار مذهبهم.

ومن جهة أخرى وصل "الملا محمد الأتكي" هو الآخر إلى هذه المنطقة بعد جولاته ورحلاته، وهناك تعرف ودرس عقائد "الباطنية" فخلط بين ما يعتقد وبين عقائد "الباطنية" وأنشأ مذهبًا جديدًا سماه "الذكرية"، وادعى الإلهام والمهدوية، فلم يعد هذا المذهب تابعًا "للباطنية"، بل صار مذهبًا جديدًا، ومعجونًا مركباً، واشتهرت "بالذكرية"[١].

فتبين أن "الذكرية" نشأت بالخلط مع عقائد "الباطنية"، وهذا الرأي هو الذي أؤيده وأذهب إليه؛ لأنه من الأمور البديهية أن "الذكرية" تأثرت "بالباطنية" إلى حد كبير، سواء أكان ذلك في العقائد أم في الأعمال، كما تبين ذلك من دراسة عقائدهم وأعمالهم.

وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من الباحثين:

قال الدكتور ضياء الحق صديقي: «إن هذا المذهب يميل إلى "الباطنية"، وهم لا يظهرون عقائدهم وتقاليدهم خاصة تلك التي تتنافي وتعاليم الإسلام»[٢].

وقال الشيخ عبد الغفار الضامراني: «... وكانوا يعيشون بجوار الشيعة الباطنية والإسماعيلية»[٣].

وقال الشيخ محمد حيات: «... اعتنق "الملا محمد الأتكي" المهدوية على شكل "الباطنية"، وكتب "الذكرية" التي مازالت مخطوطات لا تميز بين النكاح والطلاق والمحارم وغيرهن»[٤][٥]

---

(١) انظر: مقال: "بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ" (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)، بقلم السيد عبد المجيد قصر قندي، في مجلة "الحق"، عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).

(٢) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٢).

(٣) انظر: الفئة الذكرية وفتنتها في مكران (ص ١).

(٤) ذكري فرقه پر ايك نظر (ص ١٣).

(٥) وقد تأثر الذكريون أيضاً في عقائدهم وأعمالهم بالوثنية وأفكار الصوفية.

"ب" : أشهر الدعاة:-

لقد قامت "الذكرية" على أكتاف العديد من رجالها ، الذين حملوا مبادئها، وبذلوا قصارى جهدهم في الدعوة إليها، وجذب الجماهير إلى ساحتها.

ولا أتناول هنا بالدراسة كل دعاة الذكرية ورجالها، ولكن سأقتصر في دراستي على الإشارة إلى بعض دعاتها المشهورين الذين تركوا آثارًا واضحةً في حياة "الذكرية" ونشاطهم، واشتهروا بأعمالهم ومواقفهم.

ومنهم:

١- ملا محمد الأتكي:

وهو المؤسس الحقيقي، والعقل المدبر لهذه الفرقة الخطرة التي نشأت في القرن العاشر الهجري، والتي سميت "بالذكرية"، وهو مهديهم ونبيهم، بل أفضل من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين – على حد زعمهم-.

وهناك اختلاف شديد في شخصية "ملا محمد الأتكي" ولا يوجد رأى موحد عند أتباع هذه الفرقة حول تحديد هذه الشخصية، فإذا دار الحديث في مجالسهم عن المهدي يسأل بعضهم بعضًا من المهدي؟ ومن أين جاء؟ وكل يدلي بدلوه، ولا يتفقون على شيء، وكل ما يقال عنه يتلخص فيما يأتي:

فمنهم من يرى أنه من "البتان"[١].

ومنهم من يرى أنه قدم من "الهند"، ويتمثل ببيت شعر بالفارسية:

چون بشد از سال نو صد هفتاد هفت

ذات پاك او قدم بنهاد در هندوستان

معناه: لما اكتمل (٩٧٧) سنة من هجرة النبي أحمد -ﷺ- وضع المهدي قدمه في "الهند" بجسمه الطاهر. فعلى ما جاء في هذا الرأى أن المهدي قدم من "الهند" إلى "بلوشستان".[٢]

---

(١) جنس من الناس يطلق على الساكنين في إقليم "سرحد" الواقعة حاليًا بين "باكستان" و"أفغانستان".

(٢) انظر: مقال: "بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ" (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها) بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي في مجلة "الحق"، عدد ربيع الثاني لعام (١٣٩٧هـ).

والمشهور عند هذه الفرقة أن "المهدي" غير مولود من أب وأم، بل كان نوراً خلقه اللّه – تعالى – من نوره، وسير روحه في السموات العلا، ظهر في صورته الجسمانية سنة (٩٧٧هـ) في قرية "أتك" بالبنجاب، وبعد رحلاته حول العالم استقر في "تربت" "بمكران" من إقليم "بلوشستان"، وبعد انتهاء مدة إقامته على الأرض اختفى من هناك عام (١٠٢٩هـ).(١)

وفي الواقع لا يوجد عند أتباع هذا المذهب وثيقة تاريخية تحدد شخصية "المهدي" وتتحدث عن تاريخه، فكل يجري وراء هواه، وما يذكره الملائيون من روايات شفوية، وهي التي دونت في الكتب ولا سند لها في الواقع.

وليس لهذا الداعية الذكري أية آثار علمية، أو مؤلفات تدل على حقيقة شخصيته، وأصول دعوته. وكل ما يكتب عنه كمؤسس للفرقة مصدره النقول الشفوية من أتباعه. ومن المعروف أن مثل هذه النقول تجري مجرى الشائعات، وتكتنفها المبالغات من كل ناحية،

وكان مما يضفي كثيراً من ظلال الغموض، أو الشكوك على الكثير من جوانب هذه الشخصية.

٢- ملا مراد:-

يُعَدّ "ملا مراد الكجكي" الرجل الثاني في الحركة "الذكرية" بعد "ملا محمد الأتكي"، إذ أسس الأول هذا المذهب وقرر مبادئه وأسسه، وقام الثاني بإقرار الذكر والشعائر الأخرى وتعيين الأماكن المقدسة.

كان "ملا مراد" من وجهاء قبيلة "كجك" ومن الشخصيات القوية المؤثرة، ومن أوائل معتنقي هذا المذهب. وكان من خواص أتباع "المهدي" ورجال حاشيته، وقبل اختفائه عينه خليفة له، فاجتهد في نشر هذه الفرقة بين أفراد قبيلته وأبناء وطنه وتمكن ولده "ملك دينار" أن ينشرها في منطقة "مكران" كلها بالقوة والإكراه، كما تقدم.

وبعد اختفاء "المهدي" قام خليفته "ملا مراد" بالدعوة والتبليغ لهذه الحركة، وقرر

---

(١) انظر: ذكري كون هين (ص ١٤).

– ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص ٦).

الذكر والشعائر الدينية الأخرى، وأهم شيئ يذكر عنه هو تعيين الأماكن المقدسة[١] لأتباع هذه الفرقة في مدينة "تربت"، كما تقدم ذكرها عند ذكر العبادات.[٢]

ولم يترك "ملا مراد" خلفه أثرًا علميًا أو مؤلفًا يحدد الجوانب والملامح الهامة في شخصيته، وإنما مصدر المعلومات عنه هي الروايات الشفوية التي يتناقلها أتباع الذكرية.

٣- أبو سعيد البليدي:-

يُعَدُّ أبو سعيد البليدي من أوائل المعتنقين لهذه الحركة، ومن الدعاة البارزين فيها، وكان ثالثة الأثافي بعد "ملا مراد"، إذ نشرها بقوة ساعده وأركان دولته، وكان الحاكم الأول للمناطق التي نشأت فيها "الذكرية". كما تقدم في المبحث الأول.

وحسب معتقدات الذكرية أن "الملا محمد المهدي" أثناء تجواله حول العالم مر على شاب يدعى/"أبو سعيد" فآمن به ورافقه في السفر، وعند اختفائه وغوصه في الأرض كان "أبو سعيد" مستيقظًا، فسلم إليه بعض الودائع.

ويعترف جميع أتباع "الذكرية" أن حاكمهم الأول كان "أبو سعيد البليدي". ويوجد حاليًا في مدينة "تربت" "بمكران" قلعة قديمة تنسب إلى "أبي سعيد". يزعم الذكريون أنها تحمل ذكريات حكمه في هذه المنطقة.

فهل يا ترى؟ من هذا الشخص الذي يسمى بـ/"أبي سعيد" لم يتفق الذكريون على رأي معين - كما هو حالهم - في مهديهم "الملا محمد الأتكي"، لا يعرفون عنه شيئًا، هكذا شأنهم أيضًا في "أبي سعيد البليدي" يذهبون فيه مذاهب شتى، لا يتفقون على شيء.

فمنهم من يرى أنه من أهالي منطقة "مكران".

ومنهم من يرى أنه "بوسعيد بن السلطان محمد بن ميران شاه بن تيمور".

ومنهم من يرى أنه من سكان نواحي منطقة "فراه" الأفغانية، وكان هناك بعض الناس يسكنون في أطراف "فراه" يقال لهم: "بليديون"، وأثناء مرور "السيد الجونبوري" عليهم اعتنقوا المهدوية، منهم "أبو سعيد"، وبعد وفاة "السيد الجونبوري" ارتحل نفر من

---

(١) ليس هناك أماكن مقدسة إلا ما ورد نص شرعي بتقديسه، والأماكن المقدسة في الإسلام هي المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال.

(٢) انظر: ذكري فرقه پر ايك نظر (١٣). أيضًا: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٤).

هؤلاء الناس بقيادة "أبي سعيد" إلى منطقة "مكران" في "بلوشستان" والأماكن التي عمروها وسكنوا فيها سميت باسمهم "البليدة".

ويذهب بعض زعماء "الذكرية" المعاصرين أن "أبا سعيد" ينحدر من الأسرة الحاكمة في "مسقط". يقول "رحيم داد خان" الملائي الشيدائي: «إن "مير أبا سعيد البليدي" كان من العائلة الملكية في "مسقط"، ولما سمع عن المهدي اعتقد به غيباً، وعند ما كان المهدي في "خراسان" توجه "أبو سعيد" من "مسقط" إلى "خراسان" وبايعه في "كرم سيل"[(١)] وتشرف بتصديقه»[(٢)].

وذكر "الشيدائي" "لأبي سعيد" هذا أعمالاً جليلةً لا يمكن لشخص القيام بها إلا إذا كان صاحب دولة قوية مرهوبة الجانب، حيث ذكر في كتابه "الحركة المهدوية": «أن هذه الحركة بدأت تشق طريقها في "مكران" على يدى "أبي سعيد البليدي"، وكان جريئًا مقدامًا، سياسيًا محنكاً، وأعماله الجليلة في خدمة المسلمين في شبه القارة الهندية تكتب بأحرف من نور، وفي أيامه سيطر قراصنة "الفرنج" على الخليج العربي، وكانوا يغيرون ليلاً ونهاراً على سفن التجار والحجاج – إلى أن قال–: وفي نفس الوقت كانت الأسرة الصفوية الغالية في التشيع كانوا يحكمون في "إيران"، ورجالهم كانوا يغيرون على حجاج البر، فتصدى لهم "أبو سعيد البليدي" وفتح لهم طريق خليج "العمان"، فكانت قوافل الحجاج تسير إلى الحجاز بأمان.

ولما هزم "السلطان سليم الأول"[(٣)] جيوش "الدولة الصفوية" في "إيران"، وأرسل

---

(١) اسم قرية في خراسان.

(٢) انظر: مهدوي تحريك (الحركة المهدوية) (ص ٦٥)، نقلاً عن المقال "بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)، بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة "الحق" عدد ربيع الثاني لعام (١٣٩٧هـ).

(٣) هو السلطان سليم الأول بن با يزيد خان الثاني بن السلطان محمد الفاتح (٨٧٥هـ – ٩٢٦هـ).
تولى عرش السلطنة العثمانية بعد أن تنازل أبوه عن الحكم. وفي أيامه انهزمت الدولة الصفوية، وتم الاستيلاء على "تبريز"، ثم انهزم المماليك في "مصر"، وتم الاستيلاء على "القاهرة"، وضمها إلى السلطنة العثمانية.
توفي في رحلته من "القسطنطنية" إلى "أدرنة".
انظر: تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد بك (٧٣–٧٨)، طبعة (١٣٩٧هـ)، دار الجيل، بيروت.

"السلطان سليمان الأعظم"[١] اسطوله البحري إلى الخليج العربي للقضاء على "البرتغال" ساعد "أبو سعيد" جيوش الخلافة العثمانية، وكسر شوكة قراصنة "البرتغال" ففتح أمام الحجاج طريق البر والبحر»[٢].

ولا ينكر أحد الأعمال التي قام بها "أبو سعيد" ولكن من "أبو سعيد" هذا الذي قام بهذه الأعمال الجليلة. ذكر الكاتب الذكري أنه من الدعاة الذكريين، وجاء في التاريخ ذكر "أكثر" من "أبي سعيد" فالمعلومات التي ذكرها الكاتب لبرهنة أنه "أبو سعيد البليدي" زعيم الذكريين لا تثبت أمام الحقائق التاريخية.

وذلك لأن "السيد محمد الجونبوري" وصل إلى منطقة "فراه" في شهر ربيع الأول سنة (٩١٠) من الهجرة - الموافق (١٥٠٤م)، وفي نفس العام في شهر ذي القعدة وافاه الأجل المحتوم وهو في "فراه" ويعني ذلك أنه أقام هناك تسعة أشهر فقط، فإن صح قول "الشيدائي" أن "أبا سعيد" ذهب إلى "فراه" وبايع "السيد الجونبوري" ونشر "المهدوية" في "مكران" كان كله في القرن العاشر الهجري وهو زمن مهديهم "الملا محمد الأتكي".

وبهذا تبين أن "أبا سعيد البليدي" داعية الذكري غير "أبي سعيد العماني" الذي كان من مسقط، وكان حاكمًا "لعمان" و"زنجبار" ومؤسسًا للدولة البوسعيدية، وهو "أحمد بن سعيد"[٣] الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وكان مدافعًا عن الأتراك،

---

(١) هو السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد خان الثاني (٩٠٠هـ-٩٧٤هـ).
تولى عرش الخلافة العثمانية بعد وفاة أبيه سليم الأول، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية أوجها، وتم فتح مدينة "بلغراد" وجزيرة "رودس" و"بلاد المجر" وعاصمتها.
توفى في حصار مدينة "سكدوار" المجرية.
انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (٧٩، ١٠٧).

(٢) انظر: بلوچستان مين مهدوي تحريك (الحركة المهدوية في بلوشستان) (ص ٥٨ ، ٦٥) نقلاً عن المقال: "بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها) بقلم السيد عبد المجيد قصر قندي في مجلة "الحق" عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).

(٣) هو أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزدي العماني (٠٠٠ - ١١٩٦هـ).
مؤسس الدولة البوسعيدية. كان واليًا على إقليم "صُحَّار" في عهد إمام "عمان" اليعربي سيف بن سلطان الثاني، ونجح في الدفاع عن "صُحَّار" ضد قائد "نادر شاه" "محمد تقي خان شيرازي" الذي تصالح معه ثم تمكن من الاستيلاء على السلطة في "عمان" بالقوة والدهاء، وخضعت له البلاد =

ويساعدهم في القضاء على قراصنة البحر في الخليج العربي، وكان واليًا في إقليم "صُحَّار" في حكومة الإمام سيف بن سلطان الثاني.[١]

٤- شيئ محمد درفشان:-

هو شيئ محمد درفشان بن الشيخ جلال، عاش ما بين (١٠٤٠هـ - ١١٢٠هـ).

ولد في مسجد الشيخ في بلدة "قصر قند" وكانت أمه "مريم بنت عبد الله الجنكي[٢]" وتربى على مبادئ الذكريين، وعقائدهم. يزعم الذكريون أنه لم يتتلمذ على أستاذ، بل فاز بالعلوم الظاهرة والباطنة بفيض المهدي، وحصل له ذلك عن طريق أمه.

وجاء ت البشارة إلى أمه وهو صغير بأنها ولدت من ينشر دين المهدي - على حد زعمهم- ولما بلغ طور الشباب شرع في الرياضة، والمجاهدة، والتعمق في العلوم كلها.

وكان شاعرًا مجيدًا، ترك العديد من مؤلفاته وآثاره الشعرية في أغراض مختلفة: كالزهد، والأخلاق، ووصف المهدي ومدحه.

ومن أهم دواوينه "در وجود" ويتكون من اثنى عشر وأربعمائة وألفي (٢٤١٢) بيت.[٣]

= كلها، واستمر على الحكم إلى أن توفى.

انظر: الأعلام للزركلي (١/١٣١).

- دائرة المعارف الإسلامية (٨/٣٤٤).

(١) انظر: مقال: بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ، بقلم السيد عبد المجيد قصر قندي، في مجلة "الحق" في عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).

- اردو دائرهء معارف اسلامية (٥/١٢).

(٢) كان "عبد الله الجنكي" حاكمًا في منطقة "قصر قند" من إقليم "بلوشستان" ومن أصحاب "الملا محمد المهدي". وزعموا في قصة إيمانه بالمهدي أنه رأى في المنام أن "المهدي" قادم إلى "مكران" فقام من نومه، وخرج في طلب المهدي وهو لا يعلم بمكان وجوده، فأخذته عاصفة شديدة وأوصلته إلى حضرة "المهدي" فآمن به، وترك ماله وولده وإمارته، وهاجر مع المهدي إلى "تربت" "بمكران". وتوفى هناك.

انظر: نور هدايت (ص ١٢٧، ١٢٨).

(٣) وهو باللغة الفارسية، وقد طبع مختارات من هذا الديوان بإشراف الشيخ محمد نوري في "تربت" "بلوشستان".

توفى عام (١١٢٠هـ) في "قصر قند".[١]

ويجدر بالذكر أن لفظ "شيئ" مرادف "الشيخ"، وهو من ألقاب الدعاة الذكريين، ولذا لا تذكر أسماء أكابر الدعاة الذكريين إلا مع لفظ "شيئ". وهذا كان في القديم. وأما المعاصرون فإنهم قد استبدلوا لفظ "شيئ" بلفظ "الشيخ"؛ وذلك للتمويه والتغرير. وأما الذي يقوم بطقوسهم الدينية فيسمونه "بالملائي" كما تقدم.

٥- مُلْك دينار :-

هو مُلْك دينار بن ملا مراد (... - ١١٨٨هـ).

كان خليفة على الذكريين بعد موت أبيه. وتولى رئاسة "مكران" بعد "شاه بلال" الذي هداه الله إلى الإسلام الصحيح، فقتله واستولى على السلطة، وذلك عام (١١٥٣هـ)، كما تقدم ذلك في المبحث الأول.

أصبح الذكريون في أيامه في أوج قوتهم، وحصل لهم من السيطرة ما لم يحصل لأي زعيم ذكري في أي دور من الأدوار، حيث استولى على منطقة "مكران" بأكملها، وأدخل المسلمين في الفرقة "الذكرية" بالقوة والإكراه، ومن يرفض ذلك فالموت مصيره، حتى أصبح من العسير جداً مرور المسلمين إلى مناطقهم. وقيض الله الحاكم المسلم خان "قلات"[٢] "مير نصير خان"[٣] فحمل راية الجهاد، وقام بعدة هجمات على مناطق الذكريين حتى وصل على مشارف "تربت" مقرهم الرئيسي.

وهناك أقام مع جنوده، ولم يدخل المدينة للقتال خشية أن يصيب الأبرياء، فكان ينتظر خارج المدينة حتى يخرج "ملك دينار" برجاله، ولكن الذكريين أشاعوا أن امتناع "نصير خان" دخول المدينة إنما كان جبناً منه، وخوفاً من الذكريين، واعتبروا ذلك من قبيل الكرامات التي خص بها زعيمهم "ملك دينار". فكان الأخير يتحدى ويردد في رقصاته في الحفلات الدينية[٤] بيتاً من الشعر يقول فيه:

---

(١) انظر: نور تجلي: (٦٦).

(٢) اسم منطقة في إقليم "بلوشستان" تقع حالياً في باكستان.

(٣) سيأتي مزيد تفصيل عنه -إن شاء الله- في الفصل الثامن.

(٤) هذه الرقصات هي التي تسمى بـ/ شوكان (چوكان)، وقد تقدم الحديث عنها عند ذكر العبادات.

دين داعي چونكه بر ما يار شد　　　تخت مكران بر "ملك دينار" شد.

معناه: لما صار الدين الذكري معينا لنا، أصبح "ملك دينار" على عرش "مكران".

ولما ورد هذا البيت على مسامع "مير نصير خان" سجّله عنده، وانتظر حتى خرج على رأس جمع عظيم من أتباعه، فاصطف الفريقان، وكانت معركة عظيمة صال فيها كلا الفريقين وجال، ولكن النصر في النهاية كان حليفًا "لمير نصير خان" وحاقت الهزيمة المنكرة "بملك دينار" ومن معه، فهرب وتحصن في قلعة، وتقدم المجاهد "مير نصير خان" إلى القلعة بعد الفراغ من السيطرة على "تربت" وحاصرها، حتى اضطر "ملك دينار" إلى إلقاء السلاح وتسليم نفسه.

فبعد إلقاء القبض عليه حاول "مير نصير خان" إصلاحه وإرجاعه إلى دين الحق، واستعان بالقضاة والعلماء لإرشاده وهدايته، وطلبوا منه إعلان التوبة، وأداء الصلوات الخمس، ولكنه لم يزل رافضًا للتوبة، ومنكرًا للصلاة، فلما يئسوا من رجوعه إلى الحق أمر "مير نصير خان" لقتله؛ لأنه كان قد قتل من قبل "مير بلال البليدي"[1] وتولى تنفيذ القتل ولده "مير نور محمد بن مير بلال البليدي" وقبيل تنفيذ القتل ذكّره "مير نصير خان" ببيت الشعر الذي كان يردده، وعارضه بهذا البيت:

دين أحمد چونكه بر ما يار شد　　　طوق لعنت بر "ملك دينار" شد.

معناه: لما صار دين أحمد -ﷺ- معينًا لنا أصبح طوق اللعنة على عنق "ملك دينار".

وهكذا تم القضاء على أحد دعاة الذكرية النشيطين فوقى الله المسلمين شر فتنته، وكان ذلك عام (١١٨٨ هـ).[2]

وهناك دعاة آخرون لعبوا أدوارًا هامة في الحركة الذكرية. منهم: "القاضي إبراهيم الكاشاني"، "مير عبد الله الجنكي"، وعزيز اللاري"، والحاج قاسم"، شيخ جلال"، "الشاه أماني"، "السيد أبو بكر"، و"السيد رحمت"، "مير الله يار"، "مولانا دينار"، وغيرهم من

---

(١) حاكم الذكريين الذي هداه الله إلى الإسلام وتاب، فثار عليه "ملك دينار" وقتله، واستولى على السلطة.

(٢) انظر: مقال: بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ. (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها) بقلم: السيد عبد المجيد قصر قندي، في مجلة "الحق"، عدد رمضان المبارك لعام (١٣٩٨هـ).

أصحاب الفكر والدعوة في "الحركة الذكرية". ولا أستطيع تتبع سير حياتهم لأمرين هما:

١- أنه ليس عندهم جديد والنماذج التي ذكرتها فيها الكفاية.

٢- أن الإتيان على قصصهم جميعًا يؤدي إلى الإسهاب الذي لا طائل تحته.

المبحث الثالث : آثارها :

ظهرت الحركة "الذكرية" قبل أربعة قرون ونصف القرن تقريبًا، وتمثلت في فرقة لا تقل خطرها على الإسلام عن الفرق الأخرى المنتسبة إلى الإسلام، طالما كان أتباعها موجودين في أرض الواقع، يتمسكون بعقائدهم، وينافحون عنها.

وتركت هذه الحركة آثارًا سيئة على أتباعها في دينهم ودنياهم حيث صرفتهم عن أوجب ما ينبغي أن يتمسك به المسلم في حياته، وهو كلمة التوحيد التي تنجي قائلها من النار، كما جعلتهم يتخلفون عن مواكبة ركب الحضارة بما يسمعون عن ملائيهم من أساطير وحكايات ومبالغات عن مهديهم ومنقذهم المزعوم، مما جعلهم يفضلون العيش، في الأودية والصحارى، وبين الجبال والتلال، وشواطئ البحار. ويكتفون بالرعي والزراعة، وصيد الأسماك.[1]

ويمكن تلخيص أهم آثارها في النقاط الآتية:-

١- زعزعة العقيدة الإسلامية:-

إن ظهور أية فرقة ضالة أو دعوة باطلة في داخل الصفوف الإسلامية لها آثارها السيئة في بلبلة أفكار بعض المسلمين، وزعزعة العقيدة في نفوسهم. والفرقة "الذكرية" من كبرى الحركات وأخطرها التي نشأت في القرن العاشر الهجري، وتطورت، وارتمى في أحضانها عدد كبير من عامة المسلمين، زعمًا منهم أنها حركة إسلامية مهدوية، و"محمد الأتكي" هو المهدي الموعود، والمنقذ الوحيد في الدنيا من الضلال، وفي الآخرة من النار. ووقعوا فريسة الدجل والإفك المبين.

ومما زاد من خطرهم أنهم يدعون دائمًا أن "الذكرية" مذهب كالمذاهب الفقهية المشهورة عند المسلمين كالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية.[1] ، مما جعل علماء هذه

---

(١) وقد ظهرت حديثًا حلقات من الدراسة عنهم في مجلة "صراط مستقيم" الشهرية التي تصدر في "برمنغهام" في "بريطانيا" بقلم الدكتور: طارق أبو معاذ، وبلغت هذه الدراسة إلى عشر حلقات، وهي تصور حياتهم الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

انظر: الحلقة السابعة في العدد الرابع لسنة (١٤١٥هـ).

(٢) انظر: مين ذكري هوں (ص ١).

المناطق[1] يطالبون الحكومات لاعتبار أتباع هذه الفرقة أقلية غير إسلامية حتى لا ينخدع بها عوام المسلمين.

وأما إذا اعتبرت أنها دعوة مستقلة مغائرة للمسلمين، فإن خطرها يقل أثره إلى حدما، وإن كانت لا تزال تمثل جانبًا من الخطورة، ولكن ذلك أقل من بقائها منتسبة للإسلام.

٢- تفريق شمل الأمة:-

إن الأمة الإسلامية ما بقيت خاضعة لقيادة الكتاب والسنة تتوحد صفوفها، ويتجمع شملها، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2]. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[3].

ونشأة أية حركة ضالة مدعاة لتفريق هذه الأمة وانقسامها إلى تجمعات وتكتلات متنافرة ومتعادية، وكلما زادت هذه الحركات، كلما زاد هذا التفرق، فتتمزق الأمة، وتضعف بذلك أسس المجتمع الإسلامي.

ولقد رأينا عبر التاريخ ونشاهد الآن كيف عملت هذه الحركات الباطلة في تمزيق جسم الأمة الإسلامية وكيانها. وهكذا الفرقة "الذكرية" مزقت صفوف المسلمين في هذه البلاد حيث أخذت أتباعها في طريق يختلف تمامًا عن طريق المسلمين، وجعلت لهم مناطق خاصة يعيشون فيها، ولهم أماكنهم المقدسة الخاصة بهم، ودور عبادات تخصهم، ولهم مقابرهم الخاصة التي يدفنون فيها موتاهم، وما إلى ذلك من مظاهر التفرق والانقسام، ومع هذا فإن هذه الحركة تمثل مظهرًا سيئًا وتشويهًا للإسلام، وذلك لأن غير المسلمين يحسبونها على الإسلام، ويعدونها ضمن أمتها؛ بل ويعتبر الكثيرون منهم أن ما تعتقده هذه الطائفة، أو تقوم به من عبادات وطقوس إنما هو من الإسلام.

---

(١) وهم علماء باكستان حاليًا.

(٢) الآية: ٩٢، سورة الأنبياء.

(٣) الآية: ٥٢، سورة المؤمنون.

٣- تشتيت جهود الأمة:-

عند ما تتعرض الأمة الإسلامية لخطر يهدد عقيدتها أو شيئًا من دينها، فإنها تتحرك للقضاء على ذلك الخطر. والحركة "الذكرية" من أخطر الحركات التي تهدد الوحدة الإسلامية مما دفع المسلمين إلى مقاومة تلك الحركة، واستنفدت كثيراً من جهودهم وقواهم، وإمكاناتهم العلمية والمادية. وأدت إلى نشوب حروب أهلية، وصراعات مريرة ذهبت فيها آلاف النفوس، وأنفقت فيها الأموال، ولحق الخراب والدمار بالبلاد. وهكذا شغلت هذه الفتنة "الذكرية" حيزاً كبيراً من حياة المسلمين في إقليم "بلوشستان" المسلم عبر القرون، كان يمكن أن يصرف في أمور أخرى، تعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم.(١)

وبالإضافة إلى ذلك أخذت هذه الفتنة نصيبًا كبيرًا من جهود العلماء والمفكرين، وكان من نتيجة ذلك المناظرات الشفوية، وظهور عشرات الكتب والرسائل، ومئات المقالات في الصحف والمجلات التي تبين خطورة هذه الفرقة وتكشف زيغها وضلالها، ولا شك أن ذلك تشتيت لجهود الأمة المادية والمعنوية كان يمكن أن تستفاد منها في سبيل الدعوة الإسلامية، وبناء الأمة.(٢)

---

(١) وقد تقدمت نماذج من هذا الصراع في المبحث الأول والثاني، وقد استمر هذا الصراع منذ أربعة قرون ونصف قرن تقريباً حتى هذه الأيام. وقد سُجلت في الآونة الأخيرة حوادث عنف كثيرة بأيدي الذكريين، وكان آخرها - حسب علمي- ما حدث في قرية "مرغوطي" بمدينة "تربت" أثناء أداء صلاة العشاء، حيث كان المسلمون يؤدون صلاة العشاء في مسجد القرية، وفي الركعة الثانية فوجئوا بإطلاق النار عليهم من الهضبة القريبة من المسجد. وأسفر هذا الهجوم عن إصابة ثمانية منهم بجروح خطيرة، وأصيب آخرون بإصابات طفيفة، وقامت عدة مظاهرات للقبض على المجرمين الذكرين. وقد شكلت لجنة للتحقيق في الحادث كان أحد أعضائها من الذكريين، وما زالت القضية معلقة لم يبت فيها بشيء.
انظر: مقال: "ذكري كيس كے نشيب وفراز" (تطور وانحطاط القضية الذكرية)، بقلم الشيخ عبد الحق، في مجلة "بينات" الشهرية، الصادرة من كراتشي، في عدد رجب لسنة (١٣٩٨هـ).

(٢) أمثال: المقالات التي صدرت في مجلة "الحق" الشهرية الصادرة من مدينة "بشاور" الباكستانية، وفي مجلة "بينات" الشهرية الصادرة من مدينة "كراتشي" الباكستانية، وفي مجلة "صراط مستقيم" الشهرية الصادرة من "برمنغهام" البريطانية، بالإضافة إلى المقالات الكثيرة التي صدرت وتصدر في الصحف اليومية، والكتب والرسائل التي نشرت وتنشر في الكشف عن هذه الفرقة وعقائدها.

٤- العمل في خدمة الاستعمار الإنجليزي:-

كان الذكريون موضع سخط المسلمين السنيين الذين كانوا يرون في "الذكرية" خروجا على الإسلام، ومن ثم أخذوا يحاربونها ويضيقون الخناق على أتباعها حتى جاء الاستعمار الإنجليزي فاهتبل هذه الفرصة، وقرب الذكريين، وأعانهم، ووفر لهم حرية إقامة الشعائر الخاصة بهم، وحمايتهم، والاستفادة بهم في خدمته؛ ومن ثم راح الذكريون يتفادون مخلصين في خدمة الاستعمار ردًا للجميل، وبهذا حقق الاستعمار هدفين كبيرين هما:

أ - تشويه صورة الإسلام الصحيح.

ب- تمزيق جسم الأمة الإسلامية جريا على سياستهم المعروفة "فرق تسد".[١]

---

(١) انظر: مقال: "مهدويت اور ذكري فرقه" (المهدوية والفرقة الذكرية)، بقلم الدكتور أبو معاذ طارق، في مجلة "صراط مستقيم" الشهرية، الصادرة من برمنغهام البريطانية في عددها الرابع لسنة (١٤١٥هـ).

المبحث الرابع : الذكرية في الميزان:

تكلمت في المبحث الأول عن نشأة "الفرقة الذكرية" والأدوار التاريخية التي مرت عليها. وتحدثت في المبحث الثاني عن عقائدها وعلاقتها بالفرق الأخرى، كما ذكرت أشهر دعاتها. وفي المبحث الثالث عن أهم آثارها. وفي هذا المبحث أتناول عقائد هذه الفرقة بالنقد والتقويم على ضوء الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لهما حتى يتبين لنا موقع هذه الفرقة من الإسلام الصحيح، والحكم الذي يستحقه. فأقول وبالله التوفيق.

أولا : كلمة التوحيد:-

تقدم أن الصيغة المشهورة لكلمة التوحيد عند الذكريين هي قولهم: "لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله". وهذه الصيغة تخالف الصيغة الصحيحة لكلمة التوحيد، وهي: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[١]. فهذه الكلمة ذات شقين: الشق الأول وهو الذي يتمثل في القول: "لا إله إلا الله" المتضمن بالشهادة بوحدانية الله -تعالى- وتفرده

---

(١) كما جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».
رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب "دعاؤكم إيمانكم" (١/٤٩، برقم: ٨)، المطبوع مع فتح الباري.
وعنه - رضي الله عنهما- أيضا: أن رسول الله -ﷺ- قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ... الحديث».
رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (١/٧٥، برقم: ٢٥).
وجاء في حديث وفد عبد القيس عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال): شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... الحديث».
رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/٤٦، برقم: ٢٣).
وجاء في حديث جبريل عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما سئل رسول الله -ﷺ- عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... الحديث».
رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/٣٦، ٣٧، برقم ٨).

بالألوهية. والشق الثاني وهو الذي يتمثل في القول: "محمد رسول الله" المتضمن بالشهادة برسالة نبينا محمد -ﷺ-، فكما أن من أنكر الشق الأول لا يدخل في حظيرة الإسلام، وهكذا من أنكر الشق الثاني أيضًا سواء بسواء.

وقد قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[١].

قال "الحافظ ابن كثير" في تفسير قوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ...﴾:

«هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله»[٢].

وقال في معنى قوله -تعالى-: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي خالفوا عن أمره ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله، ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي كان الأنبياء - بل المرسلون، بل أولوا العزم منهم- في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته»[٣].

وقال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «يخبر الله -تعالى- أنه أخذ ميثاق كل

---

(١) الآيتان: ٣١، ٣٢، سورة آل عمران.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥).

(٣) انظر: نفس المصدر.

(٤) الآيتان: ٨١، ٨٢، سورة آل عمران.

نبي بعثه من لدن آدم - عليه السلام- إلى عيسى - عليه السلام- لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به، ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته»[١].

وجاء في الحديث عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: «والذي نفسي بيده، لو أن موسى -ﷺ- كان حيًا، ما وسعه إلا أن يتبعني»[٢].

وهذا الحكم في الأنبياء الصادقين الذين تلقوا الرسالات من لدن حكيم خبير، فلو كان أحدهم حيًا بعد مجيئ نبينا محمد -ﷺ- ما وسعه إلا اتباع النبي -ﷺ- ولا يجوز لأحد أن يتبع ذلك النبي ويترك النبي محمداً -ﷺ-.

ويزعم الذكريون أن "نور محمد مهدي رسول الله" ويعبرون عن ذلك بقولهم: "لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله" فهذا قطعًا يخالف كلمة الشهادة التي يدخل بها المرأ في دين الإسلام، وهو أحد نواقض الإيمان، فدعواهم للإسلام دعوى باطلة، ودعوى الانتساب إليه محض زور وافتراء وبهتان.

وقد ذكر "شيخ الإسلام ابن تيمية" أن أصل الإسلام الشهادتان، وهو أصل عظيم، على المسلم أن يعرفه، وبهذا الأصل يتميز أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقال: «وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فإقرار المرأ بأن الله -تعالى- رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بأن "لا إله إلا الله" فلا يستحق العبادة أحد إلا هو، وأن محمداً رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر»[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٥٥).

(٢) جزأ من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق مجالد عن الشعبي (٣/٣٨٧). وحسنه الشيخ الألباني.

انظر: إراوء الغليل (٦/٣٤، برقم: ١٥٨٩)، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) انظر: التدمرية (١٩٥، ١٩٦) بتصرف، تحقيق: محمد بن عودة السعدي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

ثانياً : عقيدتهم في القرآن الكريم:-

إن عقيدة الذكريين في القرآن الكريم تتلخص في نقطتين:

الأولى: ٠أن المهدي هو صاحب الحق في تأويل آيات القرآن.

واستشهدوا على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[1]. أي بلسان المهدي، ولم يذكر أحد المفسرين المعتمدين عليهم هذا المعنى.

فقد ذكر الإمام القرطبي: «وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي تفسير ما فيه من الحدود، والحلال والحرام، قاله قتادة. وقيل: ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما. وقيل: أي إن علينا أن نبينه بلسانك»[2].

قال الحافظ ابن كثير ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، نلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا»[3].

فقولهم: "بلسان المهدي" تقول بالرأي في القرآن الكريم، وحمل النص على ما لا يحتمله.

وقد جاء الوعيد الشديد فيمن قال في القرآن برأيه بغير علم. كما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[4].

وعنه – رضي الله عنهما– أيضًا عن النبي –ﷺ– قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[5].

---

(١) الآية: ١٩، سورة القيامة.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٠٣/٨).

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله –ﷺ– وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (١٨٣/٥، برقم: ٢٩٥٠).
تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٥) رواه الترمذي في سننه، وقال: «هذا حديث حسن»، (١٨٣/٥، برقم: ٢٩٥١).

ولم يدَّعِ أحد عبر القرون أن تفسير القرآن حكر على فرد معين، ولهذا نرى مناهج المفسرين قد تعددت في عصورهم كما أبينه بعد قليل إن شاء اللّه تعالى.

والنقطة الثانية: المراد بالتأويل بيان الأحكام الباطنة.

ووضعوا قولا[١] على لسان نبي اللّه عيسى – عليه السلام– ليستشهدوا على هذا الزعم حتى يموهوا على الناس، ولن يجدوا له مصدراً إلا كتب الذكرية. فلفظ التأويل في اللغة هو الرجوع من آل يؤل إذا رجع.[٢]

وأما في الاصطلاح فيطلق التأويل على ثلاثة معان:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أم خالفه، وهو الذي عناه مجاهد بقوله: "إن العلماء يعلمون تأويله". ويقول محمد بن جرير الطبري في تفسيره: «القول في تأويل قوله كذا وكذا». «واختلف أهل التأويل في هذه الآية»، ونحو ذلك فإن مراده التفسير.

الثاني: الحقيقة والعاقبة التي يؤول إليه الأمر، وهذا المعنى هو الذي نزل به القرآن، ومنه قوله – تعالى–: {وكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[٣]. وقوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا﴾[٤].

وهذان المعنيان هما المقصودان في كلام السلف.

الثالث: وفي عرف المتأخرين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحدهم: هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا، قال الآخر:

---

(١) تقدم ما وضعوا على لسان عيسى –عليه السلام– في (ص ١٠٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٣٧، مادة: آل).

(٣) من الآية: ٦، سورة يوسف.

(٤) الآية: ٣٦، ومن الآية: ٣٧، سورة يوسف.

هذا نوعُ تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل.[١]

فعلماء الأمة سلفًا وخلفًا يستعملون لفظ التأويل في هذه المعاني والإطلاقات، وأما علماء "الذكرية" ودعاتها فإن للتأويل عندهم معنى آخر يختلف تمامًا عما اصطلح عليه علماء الأمة: وهو بيان الأحكام الباطنة لآيات القرآن الكريم، وهذا منهجهم الذي يسلكونه في تفسير كتاب الله -تعالى-، فمن الأفضل أن نلقي نظرة عابرة على مناهج المفسرين حتى نستطيع من خلالها تحديد المنهج الذي يسلكه الذكريون في تفسير كتاب الله -عزوجل.

مما لا شك فيه أن تفسير القرآن المجيد من أشرف العلوم التي عنيت بها الأمة الإسلامية، وفي صدر الإسلام كان الصحابة - رضي الله عنهم- يسألون رسول الله -ﷺ- عن مبهمه وما أغلق عليهم فهمه، ثم تطور هذا العلم كبقية العلوم حتى أصبح له منهج خاص، وأصول يجب اتباعها لمن أراد الاشتغال به.

فقد ذكر العلماء أن هناك علومًا يحتاج إليها المفسّر، وشروطًا يجب توفرها فيه قبل أن يدخل في هذا المضمار.

أما العلوم التي يحتاج إليها فهي علم اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وما إلى ذلك.

وأما الشروط التي تشترط في المفسر فهي كالآتي:

١- **شروط علمية** : أن يكون المفسر متقنًا للعلوم المذكورة إتقانًا جيداً.

٢- **شروط عقلية** : وهي أن يكون المفسر موهوبًا ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال، حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفًا اختلاف الأقوال على حقيقته؛ إذ كثيرًا ما يكون الاختلاف، اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

٣- **شروط دينية وخلقية** : وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤديًا للواجبات الدينية، ملتزمًا بالآداب والأخلاق الإسلامية، محرراً من سلطان الهوى، شديد

---

(١) انظر: تفاصيل هذا الموضوع في رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٢٨٨ - ٢٩٤).

الخشية لله -تعالى-.[١]

مناهج المفسرين:-

والمؤلفات التفسيرية التي بين أيدينا لا تعدو أحد منهجين:

١- منهج الرواية أو التفسير بالمأثور:-

وهو تفسير القرآن بعضه ببعض أو تفسيره بما نقل عن الرسول -ﷺ- أو بما نقل عن أصحابه ما هو بيان أو توضيح لمراد الله -تعالى- وهذا المنهج هو أقدم المناهج، وأجودها على الإطلاق، وقد سلكه كثير من العلماء في تفاسيرهم للقرآن الكريم كمحمد بن جرير الطبري، وابن أبي حاتم الرازي، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي، ومحمد أمين الشنقيطي وغيرهم كثير.

٢- منهج الدراية أو التفسير بالرأي:-

يطلق الرأى على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه أصحاب الرأى أي: أصحاب القياس.

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها وغير ذلك من العلوم التي يحتاج إليها المفسر[٢]. كما تقدم قبل قليل.

وهذا المنهج الأخير منه ما هو محمود.

وهو منهج الفقهاء واللغويين والقصاص.

١- **التفسير الفقهي:** وهو شرح آيات الأحكام، والتركيز على استنباط الأحكام منها.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (١/٢٥٥ - ٢٦٩)، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية.

- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، لمحمد الصباغ (١٢٥ - ١٢٨)، طبعة (١٣٩٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) انظر: نفس المرجع (١٧٧ - ١٩٢).

- التفسير والمفسرون (١/٢٥٥).

وقد سلكه كثير من العلماء، منهم: أبو بكر الجصاص، أبو بكر ابن العربي، والقرطبي وغيرهم.

٢- **التفسير اللغوي**: وهو شرح المفردات الغامضة من الآيات القرآنية وبيان معانيها، وشرح الإعجاز البلاغي فيها، إلى غير ذلك ما يستمد من اللغة، أمثال: غريب القرآن لابن قتيبة، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ومعاني القرآن للفراء وغيرها.

٣- **التفسير القصصي**: وهو جمع آيات القصص من القرآن الكريم، وضم بعضها إلى بعض، وجعلهما وحدة متكاملة. وقد أفرده كثير من السابقين واللاحقين بالتأليف.(١)

ومنه ما هو مذموم:-

وهو ما كان مستنداً إلى هوى من الأهواء كالمذهبية، أو السياسية، أو الشخصية، وهو تفسير لا ينهض عليه دليل أو برهان مشروع، وهذا القسم له خمسة وجوه:

الأول: التفسير من غير تحصيل للعلوم والشروط التي تؤهل المفسر لأن يضطلع بمهمة التفسير، وهي علوم تقدم الحديث عنها قبل قليل.

الثاني: تفسير المتشابه من القرآن، وفي ذلك يقول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾(٢).

الثالث: التفسير الذي يأتي تدعيماً لأحد المذاهب الضالة، وطريقة ذلك أن يجعل المفسر مذهبه هو الأصل المتبوع، والتفسير هو التابع، فالمفسر بذلك يصطنع أية أدلة ولو كانت موضوعة من أجل أن يعزز مذهبه الذي يتعصب له.

الرابع: أن يذهب المفسر إلى أن مراد الله - تعالى- من الكلمة أو السورة هو كذا وكذا على القطع دون استناد إلى دليل أو احتجاج ببرهان.

---

(١) انظر: لمحات في علوم القرآن (١٤٤ - ١٧٦).

- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين إلهي بخش (٢٦٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) مكتبة الصديق، الطائف.

(٢) من الآية: ٧، سورة آل عمران.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.[(١)]

وبعد هذه الإطالة الغير المقصودة نقول: إن علماء الذكريين ودعاتهم سلكوا سائر هذه الوجوه بصفة عامة، والوجه الثالث بصفة خاصة، كما رأينا ذلك في النماذج لتفاسيرهم التي تقدمت في المبحث الثاني، وهو منهج مرفوض وطريق خاطئ، وقد نهى عنه الشارع وحذر من التورط فيه.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[(٣)].

وجاء في الحديث:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[(٤)].

ثالثاً : عقيدتهم في النبوة المحمدية:-

يمكن تلخيص عقيدة الذكريين حيال النبوة المحمدية في ثلاث نقاط:

الأولى : يكفي الإيمان إجمالا بالنبي محمد -ﷺ- كالأنبياء السابقين. (ويسمونه أحمد العربي).

الثانية: أن المهدي هو نبي آخر الزمان، بل أفضل الأنبياء.

الثالثة: إنكار ختم النبوة.

---

(١) انظر: تفاصيل هذه الوجوه والأمثلة على ذلك في: دراسات في علوم القرآن، للدكتور أمير عبد العزيز (١٥٧ – ١٦٧)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، دار الفرقان، عمان – الأردن. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

(٢) من الآية: ٣٣، سورة الأعراف.

(٣) الآية: ٣٦، سورة الإسراء.

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

أما بالنسبة للنقطة الأولى فالعلماء على أن الإيمان واجب عمومًا بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله – تعالى– إلى البشر سواء عرفناهم أم لم نعرفهم، يقول الله –تبارك وتعالى– ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(١).

ويجب الإيمان خصوصًا بمن قصه الله – تعالى – علينا في كتابه، وعددهم خمسة وعشرون نبيًا، وهم كالآتي:

١– آدم، ٢– نوح، ٣– إدريس، ٤– إبراهيم، ٥– إسماعيل، ٦– إسحاق، ٧– يعقوب ٨– يوسف، ٩– لوط، ١٠– هود، ١١– صالح، ١٢– شعيب، ١٣– موسى، ١٤– هارون، ١٥– داود، ١٦– سليمان، ١٧– أيوب، ١٨– ذو الكفل، ١٩– يونس، ٢٠– إلياس، ٢١–اليسع، ٢٢– زكريا، ٢٣– يحيى، ٢٤– عيسى بن مريم بنت عمران، ٢٥– محمد – عليه وعليهم أزكى التحية وأفضل التسليم.(٢)

والدليل على ذلك قوله – تعالى–: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٣).

وكما جاء في قوله –تعالى–: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(٤).

وجاء في حديث جبريل عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لما سئل رسول الله –ﷺ– عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت»(٥).

---

(١) من الآية: ٧٨، سورة غافر.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/١٠٦١ – ١٠٧٣)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار ابن كثير، دمشق.

(٣) الآية: ١٣٦، سورة البقرة.

(٤) من الآية: ٢٨٥، سورة البقرة.

(٥) تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «..... لأن الإيمان بهم واجب عمومًا، واجبُ الإيمانُ خصوصًا بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردةٌ إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي»[١].

وأما ما ذكره علماء الذكرية من أن كل لفظ "محمد" الذي ورد في القرآن الكريم، فالمقصود به "محمد المهدي الأتكي" فلم يقدموا عليه دليلاً إلا تفسير الآيات حسب أهوائهم الحزبية، ونزعتهم الشخصية، وقد تقدم الحديث عن ذلك.

وأما قولهم: بأن المهدي هو النبي، بل هو أفضل الرسل، فهذه إحدى الطامات الكبرى التي ابتليت بها هذه النحلة، وهو إضفاء كل صفات الأنبياء على المهدي، ولكن القوم لم يقدموا لنا على ذلك دليلا إلا الافتراء والزور في تفسير آيات القرآن، والقصائد الطويلة التي سود بها دعاة الذكرية صفحات الكتب في بيان أوصاف زعيمهم والتي يسمونها "ثناء مهدي" والتي ادعوا فيها أن مهديهم هو نبي آخر الزمان، بل أفضل الأنبياء على الإطلاق.

ومن الحقائق المسلمة أن النبوة منة من الله – تعالى – وفضل منه – عزوجل – وهي اصطفاء واختيار الله – تعالى – عبداً من عباده بتبليغ الوحي إلى البشر، قال – تعالى– لموسى – عليه السلام –: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[٢]. وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[٣].

ولربنا –سبحانه وتعالى– أن يخلق ما يشاء، ويختار، فهو –سبحانه وتعالى– أعلم حيث يجعل رسالته، كما أنه –تعالى– لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وإذا كانت النبوة اصطفاءً واختياراً من عند الله – تعالى – فهي لا تنال باكتساب أو مجاهدة أو رياضة نفسية.

قال السفاريني:

---

(١) انظر: الصارم المسلول (١٤٠٨/٣)، تحقيق: محمد كبير شودري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، رمادي للنشر، الدمام – المملكة العربية السعودية.

(٢) من الآية: ١٤٤، سورة الأعراف.

(٣) من الآية: ٧٥، سورة الحج.

ولا تُنال رتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة

لكنها فضل من المولى الأجل لما يشاء من خلقه إلى الأجل.[١]

وإذا كان الأمر كذلك، فإن ادعاء النبوة من أشنع الكذب وأظلم الظلم، وأعظم الافتراء على الله -سبحانه وتعالى-، يقول -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: لا أظلم ممن تقول على الله، فادعى أن الله أرسله، ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذَّب بآيات الله وحججه، وبراهينه ودلالاته، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، أي: لا يفلح هذا، ولا هذا، لا المفتري، ولا المكذب»[٣].

ويقول – تبارك وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[٤].

يقول "الحافظ ابن كثير" في تفسير هذه الآية: «أي لا أظلم ممن كذب على الله -تعالى- فجعل له شريكًا أو ولدًا، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس، ولم يكن أرسله. ولهذا قال – تعالى-: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[٥].

ويقول – سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[٦].

يقول "الحافظ ابن كثير" في تفسير قوله -تعالى-: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ .....﴾ «هذا وعيد شديد من الله – تعالى – وتهديد أكبر لمن تكبر عن اتباع رسله

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/٢٦٧)، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ٦٨ شارع العباسية، القاهرة.

(٢) الآية: ٢١، سورة الأنعام.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٢٤١).

(٤) من الآية: ٩٣، سورة الأنعام.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/٢٩٥).

(٦) الآية: ١٢٤، سورة الأنعام.

والانقياد له فيما جاؤوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله "صغار" وهو الذلة الدائمة»[١].

فتبين مما تقدم أن ادعاء النبوة كذبًا وزورًا من أشنع الكذب وأعظم الافتراء على الله – سبحانه وتعالى– يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي –ﷺ– لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام: "والله لا أقول لك كلمة، إن كنت صادقًا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبًا فأنت أحقر من أن أرد عليك». فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم، وما أحسن قول حسان:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لابد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولابد أن يفعل أمورًا.

والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به، ويخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، ويفعله، ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة»[٢].

ويقول ابن أبي العز: «إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعَرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟»[٣]!.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٣٢٦).

(٢) انظر: شرح العقيدة الإصفهانية (٨٩، ٩٠)، دار الكتب الحديثة، لصاحبها: توفيق عفيفي، ١٤ شارع الجمهورية.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٤٠)، تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

وأما إنكارهم لختم النبوة، فإن من ادعى النبوة بعد نبينا محمد -ﷺ- ومن صدقه في دعواه فهم شركاء في إنكار ختم النبوة قطعًا، وكتب "الذكرية" متفقة على أن "نور محمد المهدي" هو خاتم الأنبياء، كما تقدم ذلك في الحديث عن عقيدتهم في "النبوة المحمدية"، وعقيدتهم في "مكانة المهدي".

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية هي إحدى العقائد الإسلامية الأساسية، والتي لا يكمل إيمان المسلم بدونها.

ومعنى ختم النبوة: انتهاء إنباء الله للناس.[١]

أجمعت الأمة الإسلامية على أن نبينا محمداً -ﷺ- خاتم النبيين، وأن رسالته هي آخر الرسالات الإلهية إلى البشر، والدليل على ذلك قوله -تعالى- ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[٢].

وادعاء النبوة تكذيب لصريح القرآن الكريم، حيث قال الله - تعالى - في القرآن الكريم أن نبينا محمداً -ﷺ- خاتم النبيين، يقول "الحافظ ابن كثير" في تفسير هذه الآية: «هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولاينعكس»[٣].

ووردت هناك أحاديث كثيرة صحيحة وصريحة في أن نبينا محمداً -ﷺ- خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، ومنها على سبيل المثال:

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه، وأجمله، إلا موضع لبنة[٤] من زاوية،

---

(١) انظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، لأحمد سعد حمدان (ص ١١)، رسالة علمية رقمها في المركز (١٨٧) فرع عقيدة.

(٢) الآية: ٤٠، سورة الأحزاب.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٤٢٣).

(٤) اللَّبِنَةُ - بفتح اللام، وكسر الباء - واحدة اللَّبِن، وهي التي يبنى بها الجدار.

انظر: النهاية لابن الأثير (٤/٢٢٩، ٢٣٠)، تحقيق: محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[١].

٢- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: سمعت رسول اللّه -ﷺ- يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[٢].

٣- عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن النبي -ﷺ- قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدي ... الحديث»[٣].

وما إلى ذلك من الأحاديث الصحيحة التي بلغت إلى حد التواتر، والتي تدل على ختم النبوة بنبوة نبينا محمد -ﷺ- فهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

يقول عبد القاهر البغدادي: «كل من أقر بنبوة نبينا محمد -ﷺ- أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل، وأقر بتأبيد شريعته ومنع من نسخها»[٤].

ويقول ابن حزم: «إن من ادعى إلهية إنسان، أو ادعى نبوة لأحد بعد رسول اللّه محمد -ﷺ- حاشا عيسى بن مريم - فهو كافر؛ ولا خلاف في ذلك من أحد من أهل الإسلام؛ وذلك لخلافه القرآنَ، والثابتَ عن رسول اللّه -ﷺ-»[٥].

ويقول القاضي أبو يعلى: «ونبينا -ﷺ- خاتم الأنبياء، ولا يبعث اللّه نبيًا بعد نبينا، خلافًا "لأهل التناسخ"[٦] و"الخرمية"[٧] في قولهم: يجوز أن يبعث اللّه نبيًا بعد نبينا، وإن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين -ﷺ- (٦/٥٥٨، برقم: ٣٥٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب المبشرات (١٢/٣٧٥، برقم: ٦٩٩٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٦/٤٩٥، برقم: ٣٤٥٥).

(٤) انظر: أصول الدين (١٦٢)، الطبعة الأولى (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، استانبول، تركية.

(٥) انظر: الدرة فيما يجب اعتقاده (٢٠٥، ٢٠٦)، تحقيق: الدكتور أحمد ناصر الحمد، والدكتور سعيد عبدالرحمن القزقي، الطبعة الأولي (١٤٠٨هـ)، مطبعة المدني، شارع العباسية، القاهرة.

(٦) أهل التناسخ ليسوا فرقة بعينها، وإنما المقصود القائلون بالتناسخ، وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في الفصل الأول (ص٧٣-٨٢).

(٧) أتباع "بابك الخرمي" الذي ظهر بناحية "أذربيجان"، وكان يستحل المحرمات، ويظهر الإلحاد. وهم فرقة خارجة عن الإسلام. كان "بابك" معتصما بجبل البذين بناحية أذربيجان ويعلن العصيان، وكان خلفاء بني العباس =

الأنبياء لا ينقطعون عن الخلق أبدًا»[١].

ويقول القاضي عياض:

«وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا -ﷺ- أو بعده "كالعيسوية"[٢] من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، و"كالخرمية" القائلين بتواتر الرسل، كأكثر "الرافضة"[٣] القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي -ﷺ- وبعده، وكذلك كل إمام عند

= يرسلون إليه الجيوش إلى أن ألقى عليه القبض في أيام "المعتصم" وصلب.

انظر: الفرق بين الفرق (٢٦٦ - ٢٦٨).

(١) انظر: المعتمد في أصول الدين (١٦٧)، تحقيق: الدكتور وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت - لبنان.

(٢) وهم أصحاب "أبي عيسى الإصبهاني" رجل من اليهود كان "بإصبهان".

وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم - عليه السلام - ومحمد -ﷺ- بأن عيسى - عليه السلام - بعثه الله -عز وجل- إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل. وأن محمدًا -ﷺ- نبي أرسله الله -تعالى- بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل - عليه السلام - وإلى سائر العرب.

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٧٩).

(٣) الرافضة في اللغة من "الرفض" وهو ترك الشيء. تقول: رفضني فرفضته، والروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة. والنسب إليهم رافضي.

انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٥، ١٦، مادة: رفض).

وفي الاصطلاح: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن علي -رضي الله عنهم - ثم طلبوا منه البراءة من الشيخين فأبى وقال: «معاذ الله كانا وزيري جدي». وقال أيضا: «رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدًا من أهل بيتي يتبرئ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيرا» فتركوه ورفضوه فسميت الرافضة.

وقال الأشعري: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- وهم مجمعون على أن النبي -ﷺ- نص على استخلاف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي -ﷺ-، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة ...».

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٨٨، ٨٩)، المعتمد في أصول الدين (٢١١). تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/٢٢)، تهذيب: عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت - لبنان. تاريخ الطبري (٧/١٨٠، ١٨١) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، طبعة (١٩٦٢م)، دار المعارف بمصر.

البداية والنهاية ٩/٣٢٩ - ٣٣١).

هؤلاء يقوم مقامه في النبوة ... إلى أن قال ......:

وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل، ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا سمعًا»[١].

يقول "الحافظ ابن كثير": «فمن رحمة الله – تعالى- بالعباد إرسال محمد -ﷺ- إليهم، ثم تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر -تعالى- في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب، أفاك دجال، ضال مضل»[٢].

يقول "ابن نجيم": «إذا لم يعرف أن محمداً -ﷺ- آخر الأنبياء، فليس بمسلم؛ لأنه من الضروريات»[٣].

رابعاً: عقيدتهم في المعراج:

عرفنا أن المقصود بالمعراج عند علماء الذكرية هو إظهار مكانة المهدي من ناحيتين:

الأولى: زعمهم أن المهدي كان نوراً نزل من السماء ثم صعد إليها، وهو الآن يجالس الله – تعالى- على عرشه.

الثانية: زعمهم بأن الله – تعالى – قد عاتب نبينا محمد -ﷺ- لقوله: "محمد وخاتم النبيين ولا نبي بعده".

وقدموا على ذلك دليلين آية وحديثًا:

أما الآية فقوله -تعالى-: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤]. على أن المراد "بالأمر" هو نور المهدي الذي نزل من السماء إلى الأرض ثم صعد إليها، وهو الآن موجود على العرش مع – سبحانه وتعالى-. فهذا مثال صارح للتأويلات الباطنية لمعاني آيات القرآن الكريم، وهو ما يزعمه الذكريون

---

(١) انظر: الشفا (٢/٢٨٥، ٢٨٦)، الطبعة الأخيرة (١٤٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٤٢٥).

(٣) انظر: الأشباه والنظائر (٢٢٢)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، تقديم وتحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

(٤) الآية: ٥، سورة السجدة.

أنه من اختصاصات المهدي، وبالتالي فالذكريون هم المخولون بهذه الصلاحية[١]. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾[٢].

يقول "الحافظ ابن كثير" في تفسير هذه الآية: «أي: يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال -تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٣]. وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينهما وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة».

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين، ولهذا قال -تعالى-: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤].

فقول الذكريين بأن المراد "بالأمر" "نور المهدي" تقول على الله -تعالى- وافتراء على القرآن الكريم.

وأما الحديث فهو الذي تضمن اعتراض أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على نبينا محمد -ﷺ- عند قوله: "أنا محمد خاتم النبيين ولا نبي بعدي" إلى آخر القصة التي تقدمت في بيان عقيدتهم في المعراج.

وهي قصة باطلة من أساسها، ومختلقة على ألسنة الدعاة الذكريين لإظهار مكانة مهديهم المزعوم ولم يروها أحد من أصحاب كتب السنة إلا أن يكون صاحب "معراج نامه"[٥]. ومن علامات الوضع في الحديث أن تكون ألفاظ الحديث ركيكة بحيث يدرك من

---

(١) كما تقدم الحديث عنه مفصلاً في الرد على عقيدتهم في القرآن الكريم.

(٢) من الآية: ٥، سورة الكهف.

(٣) الآية: ١٢، سورة الطلاق.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٦١/٦، ٣٦٢).

(٥) "معراج نامه" أي: حديث المعراج أو كتاب المعراج، للملا نور الدين بن كمالان. وهو من الكتب المعتبرة عند هذه النحلة، والخاص بوقائع "معراج المهدي" والذي مازال مخطوطًا في أيدي الدعاة الذكرية، والذين اطلعوا عليه ذكروا ملخص ما جاء في هذا الكتاب.

له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي -ﷺ- كما أن من قرائنه فساد المعنى، وتناقض نص الكتاب، أو السنة الصحيحة، أو الإجماع[(١)].

والادعاء من أحد أنه يصعد إلى السماء، ويجالس الله -تعالى- على عرشه، ويكلمه؛ فهذه الأمور كلها وأمثالها تخالف صراحة الكتاب والسنة، وكفر بإجماع الأمة الإسلامية.

يقول القاضي عياض: «... فذلك كله كفر بإجماع المسلمين ... وكذلك من ادعى مجالسة الله، والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض "المتصوفة"، و"الباطنية"، و"النصارى"، و"القرامطة"[(٢)]»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه، وإن لم يدع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة، ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي -ﷺ-»[(٤)].

---

(١) انظر: أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب (٤٣٢-٤٣٥)، الطبعة الرابعة (١٤٠١هـ -١٩٨١م) دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) القرمطة في اللغة: دقة الكتاب، وتداني الحروف والسطور، ومقاربة الخطو. يقال: قرمط الكاتب: إذا قارب بين كتابته. وقرمط البعير إذا قارب خطاه.

انظر: تهذيب اللغة (٤٠٨/٩، ٤٠٩، مادة: قرمط).

وفي الاصطلاح: القرامطة فرقة من الباطنية، وهم الذين ينتسبون إلى "حمدان بن الأشعث" ولقب بقرمط، لقرمطه في خطه، أو خطوه، وإليه تنسب القرامطة.

ذكر ابن الجوزي: أنهم قوم من الباطنية، اتبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع، وادعوا أن لظواهر القران والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر، وأنها توهم الأغبياء صوراً، وتفهم الفطناء رموزاً وإشارات إلى حقائق خفية.

وقال ابن خلكان: «إن القرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له: قِرْمِط - بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة- ولهم مذهب مذموم، وقد كان ظهورهم في سنة إحدى وثمانين ومائتين في أيام المعتضد بالله».

انظر: مقالات الإسلاميين(٩٨/١). الفرق بين الفرق (٢٦٦، ٢٦٧). المنتظم (١١٠/٥ - ١١٩)، الطبعة الأولى (١٣٥٧هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند.

وفيات الأعيان (٣٣٥/٤).

(٣) انظر: الشفا (٢٨٣/٢).

(٤) انظر: نفس المصدر (٢٨٥/٢).

معجزة الإسراء والمعراج ثابتة لنبينا محمد -ﷺ- بالكتاب والسنة الصحيحة.

والمراد بالإسراء: هو ذهاب الله بنبيه محمد -ﷺ- من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بإيلياء - مدينة القدس- في جزأ من الليل ثم رجوعه من ليلته.

والمعراج: هو العروج به -ﷺ- من بيت المقدس إلى السموات السبع، وما فوق السبع، ثم رجوعه إلى بيت المقدس في جزء من الليل.[١]

والإسراء ثابت بالقرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة.

أما القرآن فقوله -تعالى-: ﴿سُبْحَـٰنَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

وأما السنة فلقد روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم- تلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون، وخرجها أئمة الحديث في كتبهم كالأئمة: البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، والبيهقي وغيرهم. والإمام محمد بن إسحاق وابن هشام في سيرتيهما.[٣]

خامساً : عقيدتهم في المهدي:

المهدوية هي محور الدعوة الذكرية، والمهدي هو نبيها الناسخ لشريعة أحمد العربي نبي المسلمين - كما يزعمون - ومحور العقيدة الذكرية يدور حول شخصيته. وهذه العقيدة ذات شقين:

الأول : ظهور المهدي.

الثاني: مكانة المهدي.

أما بالنسبة للشق الأول، فقد تقدمت رواية الذكريين عند الحديث عن عقيدتهم في

---

(١) انظر: الإسراء والمعراج، لمحمد بن محمد أبي شهبة (٢٥)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، مكتبة السنة، عابدين، القاهرة.

(٢) الآية: ١، سورة الإسراء.

(٣) انظر تفصيلات الإسراء والمعراج في كتاب "الإسراء والمعراج: لمحمد أبي شهبة. وكتاب "الإسراء والمعراج" من تفسير الحافظ ابن كثير، جمع وترتيب: إسماعيل الأنصاري، طبع بمطابع الحديثة بالرياض.

ظهور المهدي بأنه نور من نور الله – سبحانه وتعالى– بدون أب ولا أم، ثم سار هذا النور في الملأ الأعلى، ويسوقون في ذلك حكايات وأساطير لا تستسيغها العقول، وتمج الآذان سماعها، وقد تقدم بعضها عند الحديث عن مكانة المهدي[1] وبعد ظهوره في الصورة الجسمانية كان سيره في الآفاق حتى استقر في مدينة "تربت" في إقليم "بلوشستان" ومن هناك غاب عن الأنظار، وذلك بعد انتهاء مدة بقائه على الأرض، ولهم قول مشهور في ذلك: «نورے بود بعالم بالا رفت». (كان نوراً ذهب إلى العالم الأعلى).

ومن أجل هذا لم يذكر علماء الذكرية عن ولادة مهديهم شيئًا، ولا عن والديه، ولا نسبه، كما لم يتعرضوا لوفاته، وكفنه، ودفنه، ومن صلى عليه؟ وأين دفن؟. بل يكتفون بالقول: "أنه كان نوراً من الله –تعالى– ظهر في الصورة الإنسانية في يوم كذا، واختفى في يوم كذا، ليصعد إلى الملأ الأعلى، وليجالس الله –تعالى– على عرشه.

ويتناقل مسلموا "بلوشستان" كابراً عن كابرٍ أنه قبل أربعة قرون ونصف قرن تقريبًا، خرج رجل من "أتك" "بالبنجاب" قاصداً حج بيت الله الحرام، وهناك سولت له نفسه ادعاء النبوة، وفي طريق عودته من الحج زار كُلاً من العراق، والشام، والفارس. وبدأ يبحث عن مكان مناسب لادعاء نبوته، وتنفيذ خطته حتى وصل إلى إقليم "بلوشستان" وحين زار المناطق المتخلفة عند مساكن قبيلة "كيج" وجد أن هذه المناطق هي المناسبة لإعلان نبوته، فأقام عند جبل عُرِفَ بـ"جبل مراد" عند مدينة "تربت" فبعد أن ذاع صيته، وعرف مكانه، وصار له أتباع ومعتقدون، كتب كتابًا ووضع على شجرة قديمة في غرب مدينة "تربت" وأعلن بين أتباعه أنه علم عن طريق الإلهام بأن كتابًا من السماء نزل عليه وهو الآن محفوظ في المكان الفلاني على الشجرة الفلانية، فذهب مع أتباعه إلى ذلك المكان، وادعى أنه نبي ومهدي آخر الزمان.[2]

وهذا ما يروي مسلموا هذه المنطقة وهم العائشون مع أتباع هذه النحلة، والمحتكون بهم يبدو أقرب إلى الصحة إذا قارنًا مع ما يقوم به الأفاكون والدجالون مع جهال المسلمين في مناطق كثيرة من العالم.

---

(١) انظر: (ص ١١٦–١٢٠).

(٢) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٣، ٤).

وأما الشق الثاني فهو مكانة المهدي عند هذه النحلة، وأبرز مظاهر هذه المكانة تتلخص في الأمور الآتية:

الأول: نور محمد المهدي رسول الله وخاتم النبيين، وقد تقدم الحديث عنها.(١)

الثاني: المهدي سبب لإيجاد الكون، ولم يقدموا على ذلك دليلاً إلا الأبيات الشعرية في وصف المهدي (ثناء مهدي) لكبار دعاة الذكرية وعلمائهم الذين يخلعون على مهديهم المزعوم كل صفات التبجيل والقداسة، وكثيرا ما يرددون حديث "لولاك لما خلقت الأفلاك" على أنه خطاب من الله – تعالى- لمهديهم – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. مع أن الحديث نفسه موضوع.(٢)

الثالث: الله عاشق والمهدي معشوقه.

واستدلوا على ذلك بآيتين من القرآن الكريم.

الأولى: قوله –تعالى-: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾(٣).

على أنه خطاب من الله –تعالى- للمهدي – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، هذه الآية جاءت في سياق قصة موسى –عليه السلام- وتذكيره بنعم الله الجليلة التي أنعم عليه، واصطفائه لحمل رسالته. يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: «أنعمتُ عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباءً مني لك، واختياراً لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي»(٤).

فاستدلال الذكريين من الآية على عشق الله –تعالى- للمهدي استدلال خاطئ، وليس له سند من السياق.

والآية الثانية: قوله –تعالى- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ

---

(١) انظر: (ص ١٧٥–١٨٣).

(٢) كما ذكره الشيخ الألباني، ورد على الملا علي القاري لتصحيح معناه.

انظر التفاصيل: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٢٩٩، ٣٠٠، برقم: ٢٨٢)، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

(٣) الآية: ٤١، سورة طه.

(٤) انظر: جامع البيان (١٦/١٦٨).

قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[١].

على أن المراد بـ"ربي" معشوقي -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا- وهذا نموذج صارخ للتأويلات التعسفية لآيات القرآن الكريم، وليّ عنقها حسب أهوائهم.

وقد روى الإمام الطبري بسنده عن قتادة في قوله - تعالى-: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَـٰتِ رَبِّي﴾ يقول: إذًا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول -تعالى-: قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالة عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾. أي:مثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرًا بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].[٤]

فهذه الآية سيقت لبيان كمال علم الله -تعالى- وحكمه، وليس المراد بـ"ربي" معشوقي هو "المهدي" كما يزعم العلماء الذكريون.

وقال ابن أبي العز في مراتب المحبة: «السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب -تعالى- ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلق بعضهم. واختُلِف في سبب المنع. فقيل: عدم التوقيف. وقيل: غير ذلك. ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة»[٥].

فلا يجوز وصف الله -سبحانه وتعالى- بالعشق، وإنما يوصف بالمحبة والخلّة، كما يليق بجلال الله -تعالى- وعظمته كسائر صفاته -تعالى- حسبما ورد به النص.[٦]

---

(١) الآية: ١٠٩، سورة الكهف.

(٢) انظر: جامع البيان (٣٩/١٦).

(٣) الآية: ٢٧، سورة لقمان.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٠٠/٥).

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٦٦/١).

(٦) انظر: نفس المصدر (١٦٧/١).

العبادات:

وقد تقدم موقف الذكريين من الشعائر التعبدية في الإسلام، وهنا أتناول هذا الموقف بالرد والتقويم في ضوء الكتاب والسنة، فأقول وبالله التوفيق.

أولاً : الصلاة:

الصلاة المعروفة لدى المسلمين منسوخة عند الذكريين بدليل قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١].

وهذا بتر للآية الكريمة إذ تكملة الآية: ﴿... وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ ودعاة الذكرية يعلمون ذلك جيداً إلا أنهم يتعمدون بترها للتمويه على عامة بني نحلتهم حتى يقدموا لهم دليلاً من القرآن الكريم – على حد زعمهم– على نسخ الصلاة، وأن الذكر يحل محلها، بل الذكر أفضل من الصلاة بدليل قوله -تعالى- ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢]. وهذا أنموذج آخر من التقول على الله – سبحانه وتعالى–، والقول في القرآن بغير علم، ولم يقل أحد من أهل العلم سلفًا أو خلفًا بأن المراد من "الذكر" في الآية هو الذكر الخاص الذي تزاوله النحلة الذكرية.

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.

الثاني: ولذكركم الله أفضل من كل شيء.

الثالث: لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة.

وساق الآثار لبيان هذه الأقوال، ورجح القول الأول.[٣]

وأما الذكر الخاص الذي عنيَ به الذكريون وتمسكوا به، فما أنزل الله به من سلطان ويصدق فيهم قول الله -تعالى-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٤].

---

(١) من الآية: ٤٣، سورة النساء.

(٢) من الآية: ٤٥، سورة العنكبوت.

(٣) انظر: جامع البيان (٢٠/١٥٦ – ١٥٨).

(٤) من الآية: ٢١، سورة الشورى.

وهو افتراء على اللّه -تعالى- كذبًا، ولا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممن افترى على اللّه -تعالى- كذبًا، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ﴾[1].

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وفي الحديث عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت: قال رسول اللّه -ﷺ-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[3].

قال "الحافظ ابن رجب" في شرح هذا الحديث: «فمن تقرب إلى اللّه بعمل، لم يجعله اللّه أو رسوله قربة إلى اللّه، فعمله باطل مردود عليه، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصديةً،؟ وهذا كمن تقرب إلى اللّه -تعالى- بسماع الملاهي، أو بالرقص، أو بكشف الرأس في غير الإحرام، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع اللّه أو رسوله التقرب بها بالكلية»[4].

فالذكر الخاص الذي يزاوله الذكريون عمل باطل مردود عليهم، ولا ينهض لهم دليل على صحته.

ثانياً : الصوم:-

يدعي الذكريون أنهم يصومون، ويسوقون في فرضيته قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ

---

(١) الآية: ٢١، سورة الأنعام.

(٢) من الآية: ١١٦، والآية: ١١٧، سورة النحل.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣٠١/٥، برقم: ٢٦٩٧).

ومسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣، برقم: ١٧١٨)، وفي رواية له بلفظ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

(٤) جامع العلوم والحكم (١٧٨/١)، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

فَمَن كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. ولكنهم يتجاهلون تمام التجاهل عن ذكر آية شهر الصوم، وهي قوله -تعالى-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[2].

وذلك لأنهم لا يصومون شهر رمضان. وقد توعد الله -سبحانه وتعالى- من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض بأن جزاءه الخزي في الدنيا والعذاب الأشد في الآخرة، حيث قال -جل من قائل-: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

ويصومون بدلا من شهر رمضان العشرة الأولى من شهر ذي الحجة وأيام البيض من كل شهر، ويوم الاثنين من كل أسبوع. ويسوقون في ذلك الكثير من الأدلة، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو باطل مردود، والصحيح منها لا تثبت بها فرضية صيام تلك الأيام، بل هي وردت في صيام التطوع والنوافل وفضائل الأعمال، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- صيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة:-

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله -تعالى-: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[4].

روى الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إن الليالي العشر التي أقسم الله بها، هي ليالي العشر الأولى من ذي الحجة».

وروى عنه أيضاً: «قال: الوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم الذبح».

وروى عن الضحاك أنه قال: {وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال: أقسم الله بهن لما

---

(١) الآيتان: ١٨٣، ١٨٤، سورة البقرة.

(٢) من الآية: ١٨٥، سورة البقرة.

(٣) من الآية: ٨٥، سورة البقرة.

(٤) الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، سورة الفجر.

يعلم من فضلهن على سائر الأيام، وخير هذين اليومين لما يعلم من فضلهما على سائر هذه الليالي»[١].

فلا شك أن هذه الآثار دلت على أن هذه الأيام فاضلة ؛ تتضاعف فيها أجور الحسنات، ولكن لا يدل ذلك قطعًا على فرضية صيام تلك الأيام.

ويستدلون من السنة بقوله -ﷺ-: «ما من أيام أحبَّ إلى الله -تعالى- أن يتعبد له فيها ... الحديث».

تقدم أن "الإمام الترمذي" حكم عليه بالغرابة وعلى فرض صحة الحديث فإنه يدل على فضيلة الصوم في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، ولا يدل على فرضيته.

وأما الفضائل العشر التي ذكروها في هذا الصيام فلا شك أن النوافل من العبادات لها فضائل، وأما التحديد بفضائل معينة يحتاج إلى مستند شرعي؛ لأنها من الأمور التوقيفية.

٢- صيام أيام البيض:-

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله -تعالى-: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ﴾[٢].

على أن زكريا -عليه السلام- دعا الله -سبحانه وتعالى- ليهب له ولداً فأمره بصيام ثلاثة أيام، وكانت الأيام البيض، فصامها ووهبه الله النبي يحيى - عليه السلام- وفرض من بعده على الأمة.

وهذا مثال ما درج عليه علماء "الذكرية" من تحريف آيات القرآن الكريم على أهوائهم الشخصية، فإن الآية لم تتعرض لذكر الصيام البتة، بل ذكرت منع زكريا -عليه السلام- عن الكلام لمدة ثلاثة أيام، وذلك نتيجة طلب الآية من الله -تعالى- مع مشافهة الملائكة له، وبشارته بـ/"يحيى" - عليه السلام- فكان لا يطيق على الكلام، ولكن يؤمئ إيماءً[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان (١٦٨/٣٠ - ١٧٠).

(٢) الآية: ٤١، سورة آل عمران.

(٣) انظر: جامع البيان (٢٥٨/٣، ٢٥٩).

ويستدلون من السنة بقوله - عليه السلام- «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام: فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»(١).

وهذا حديث صحيح ورد في بيان استحباب صيام أيام البيض، ولا تثبت منه فرضية صيام تلك الأيام -كما يزعمه الذكريون-، فهو حديث صحيح، ولكن الاستدلال به في هذا الموضع غير صحيح.

٣- صوم يوم الاثنين:-

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله -تعالى-: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِيَ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٢).

على أن السيدة مريم -عليها السلام- كانت تصوم ذلك اليوم؛ لأن عيسى -عليه السلام- ولد في ذلك اليوم، كما ورد ذلك على لسان "المهدي".

وهذا نموذج آخر للافتئات على الحقائق. نعم! إن مريم أمرت بأن تمتنع عن الكلام في هذا اليوم، ولم تؤمر بأن تصوم عن الطعام بدليل سياق الآيات: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِيَ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾(٣). وفسر هذا الصوم بقوله - تعالى-: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٤).

كما روى الطبري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه يقول: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ قال: صمتًا».

وروى ذلك أيضًا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «قال: يعني بالصوم: الصمت».

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر. فقال بعضهم: أمرها بذلك؛ لأنه لم يكن لها حجة ظاهرة عند الناس، وذلك أنها جاءت بالولد، وهي أيم(٥).

ثم من أخبر الذكريين بأن هذا كان يوم الاثنين، إن ذلك لم يرد به نص صحيح في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من الآية: ٢٦، سورة مريم.

(٣) (٤) الآية: ٢٦، سورة مريم.

(٥) انظر: جامع البيان (٧٤/١٦).

كتاب الله، ولا في سنة رسوله، بل ولا في أقوال الصحابة.

ويستدلون من السنة بحديث قتادة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -ﷺ- عن صوم الاثنين فقال: «فيه ولدتُ، وفيه أنزل عليَّ»[١].

وهذا حديث صحيح، ورد هذا الحديث في بيان استحباب صوم يوم الاثنين، ولا يدل على فرضيته قطعًا، فهو حديث صحيح، والاستدلال به -على زعمهم- غير صحيح.

ثالثاً : الزكاة:-

يمكن تلخيص آراء الذكريين في باب الزكاة في النقاط الرئيسية التالية:

الأولى: مقدار الزكاة، وهو إعطاء العشر على الأموال.

الثانية: لا نصاب للزكاة، ولا يشترط حولان الحول.

الثالثة: تتحول الزكاة من العامة إلى الملائيين (رجال الدين).

ولكن القوم لم يقدموا على ذلك دليلاً من الكتاب والسنة بل هو تشريع من عند أنفسهم.[٢] يقول -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

وهناك أحاديث كثيرة في كتب السنة تفصل كل جزئية من جزئيات الزكاة من المقدار والنصاب، واشتراط حولان الحول، وممن تؤخذ الزكاة، وفيم تصرف. وإليك بعض هذه الأحاديث:

١- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ليس فيما دون خمس ذود[٤] صدقة من الإبل، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يبدو تأثرهم فيه بالنصارى تأثرًا واضحًا، فالنصارى يوجبون العشر في الأموال، ولا يشترطون النصاب أو حولان الحول، ويسلمون ذلك لقساوسهم غالبًا، وهذا ما يفعله الذكريون.

(٣) الآية: ٥٠، سورة القصص.

(٤) قال ابن الأثير: «الذود من الإبل ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر. واللفظة مؤنثة، ولا واحد لها من لفظها كالنعم. وقال أبو عبيد: الذود من الإناث دون الذكور، والحديث عام فيهما؛ لأن من ملك خمسة من الإبل وجبت عليه الزكاة ذكورًا أو إناثاً».

انظر: النهاية (٢/١٧١، باب الذال مع الواو).

دون خمسة أوسق صدقة»[١].

٢- عن علي -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «فإذا كانت لك مائتا درهم، وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم. وليس عليك شيء - يعني في الذهب - حتى يكون لك عشرون ديناراً، فإذا كان لك عشرون ديناراً، وحال عليها الحول، ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك- قال: فلا أدري أعليٌّ يقول: "فبحساب ذلك" أو رفعه إلى النبي -ﷺ-؟ وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول»[٢].

٣- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ- لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[٣].

رابعاً : الحج:-

الحج إلى بيت الله الحرام هو الركن الخامس في الإسلام، ولا يوجد في كتب الذكرية أي ذكر للحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة؛ لأنهم لا يؤمنون بذلك الحج، ويعتبرونه منسوخاً، ولا يقدمون على هذا النسخ أمارة ولا دليلاً. والحج عندهم -كما تقدم- هو القصد إلى "جبل مراد" في "تربت".

والأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على ثبوت فرضية الحج لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب زكاة الورق (٣/٣١٠، برقم: ١٤٤٧)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة (٢/٦٧٣، برقم: ٩٧٩).

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة (٢/٢٣٠، برقم: ١٥٧٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء حيث كانوا (٣/٣٥٧، برقم: ١٤٩٦).

ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «خطبنا رسول الله -ﷺ- فقال: «أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أ كُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله -ﷺ-: «لو قلتُ: نعم لوجبت، ولما استطعتم». ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(٢).

ولم يدّع نسخ ذلك أحد من علماء الأمة.

وأما الأماكن المقدسة – على حد زعمهم- لأداء مناسك الحج فهي أسماء وضعت على أماكن تقع حول "جبل مراد" لتضاهئ الأماكن المقدسة في "مكة المكرمة" فهي سرقة أسماء فقط لا غير – إن صح التعبير- والذي اقترف هذا الإثم المبين هو "ملا مراد" خليفة المهدي، وذلك اتباعًا للظن، وهوى النفس، ويقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾(٣).

وأما قولهم: أن "جبل مراد" هو "المقام المحمود" الذي ورد في الآية الكريمة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٤). وأن هذا الجبل هو موضع الشفاعة الكبرى، فهذا تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة، ولم يقل أحد بأن المراد بالمقام المحمود هو "جبل مراد" في إقليم "بلوشستان".

وقد أجمعت الأمة على أن الخطاب فيها لنبينا محمد بن عبد الله العربي -ﷺ- والقول الراجح عند علماء الأمة أن المراد بالمقام المحمود هو "الشفاعة".

---

(١) الآيتان: ٩٦، ٩٧، سورة آل عمران.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر. (٢/٩٧٥، برقم: ١٣٣٧).

(٣) الآية: ٢٣، سورة النجم.

(٤) من الآية: ٧٩، سورة الإسراء.

فقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري قولين في تفسير المقام المحمود: الأول: هو الشفاعة. والثاني: هو قعود النبي -ﷺ- على العرش. وقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح في الخبر عن رسول الله -ﷺ-». وساق الأحاديث على أن المراد بالمقام المحمود "الشفاعة".[١]

وذكر القرطبي في تفسيره أربعة أقوال: اثنان منهما ما ذكره الطبري، وزاد عليه قولين آخرين وهما:

١- إعطاءه -ﷺ- لواء الحمد يوم القيامة.

٢- إخراجه من النار بشفاعته -ﷺ- من يخرج.

ورجح أن أصح الأقوال في المقام هو "الشفاعة" للناس يوم القيامة.[٢]

وقال ابن الجوزي: "مقامًا محمودًا" هو الذي يحمده لأجله جميع أهل الموقف، وفيه قولان:

أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة. قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة، روى أبو وائل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية، وقال: يقعده على العرش، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث ومجاهد.[٣]

فذكر أن القول الأول هو الذي ذهب إليه الأكثرون.

وذكر الحافظ ابن حجر بالإضافة إلى هذه الأقوال أقوالا أخرى وهي:

١- أنه ثناؤه -ﷺ- على الرب -تبارك وتعالى.

٢- أن النبي -ﷺ- يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل، فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجنة.

---

(١) انظر: جامع البيان (١٥/١٤٤ - ١٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/٣٠٩ - ٣١٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/٥٤)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٣- أنه -ﷺ- يشفع بعد جبريل، وإبراهيم، وموسى -عليهم السلام - فلا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه.

وقال: «ويمكن رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة، فإن إعطاءه لواء الحمد بيده، وثنائه على ربه، وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه، وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق. وأما شفاعته في إخراج المذنبين، فمن توابع ذلك»[١].

فتلخص أن المراد بالمقام المحمود "الشفاعة" وليس "جبل مراد" في إقليم "بلوشستان" كما يزعم علماء "الذكرية".

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٢٧/١١).

الفصل الثالث

الفرقة المهدوية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث : آثارها.

المبحث الرابع : المهدوية في الميزان.

الفصل الثالث : الفرقة المهدوية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها:

نشأت الفرقة "المهدوية" في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري، ثم انتشرت وعمت في أرجاء شبه القارة، وتُعَدُّ من أنشط الحركات المنتسبة للإسلام وأقواها، وأكثرها أثرًا في حياة المسلمين في "الهند".

وتنسب هذه الفرقة إلى المدعو "السيد محمد بن عبد الله الجونبوري" الذي ادعى المهدية.(١)

ميلاده :-

ولد "السيد محمد الجونبوري" يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادي الأولى لسنة سبع وأربعين وثمانمائة (٨٤٧) من الهجرة النبوية الشريفة في مدينة "جونبور".(٢)

---

(١) انظر: حيات پاك (السيرة الطاهرة) للسيد محمود يد اللهي (ص ٧٧)، حيدر آباد - الهند.

(٢) اسم مدينة تقع حاليا في ولاية "أُتر پرديش" (الولاية الشمالية) الهندية، اسمها الأصلي "جونا پور"، و"جونا" كلمة تركية، وهي اسم السلطان "محمد تغلق". أسس هذه المدينة "السلطان فيروز شاه تغلق" تخليداً لذكرى "محمد تغلق" المذكور، وذلك عام (٧٧٢هـ) وسماها "جونا پور" وتنطق "جون پور" تسهيلاً.

انظر: تذكرة العلامة الشيخ محمد طاهر الفتني للبروفيسور أبو ظفر الندوي (ص ٦٤)، الطبعة الأولى (١٩٥٤م) ندوة المصنفين، اردو بازار، دهلي - الهند.

يزعم المهدويون أن البعثة المهدوية جاءت في هذه المدينة وفق الحديث الذي جاء فيه: «يخرج المهدي من قرية يقال لها "كريمة"». ومدينة "جونبور" كانت تسمى سابقًا "كريمة".

انظر: حيات پاك (٧٦).

وهذا الزعم ليس بصحيح، ولم أجد حديثًا بهذا المعنى، وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي: أن المهدي يخرج من قرية يقال لها: "كرجه" أي: في بعض خرجاته لبعض الحروب، حتى لا ينافي ما ثبت أن أول خروجه يكون من "المدينة"؛ لأنه من أهلها، ثم يبايع "بمكة"، ثم يذهب إلى "الشام" و"خراسان" وغيرهما، ثم يكون مستقره ببيت المقدس.

انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (ص ٣٦)، دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور، نشرته: مكتبة سيد أحمد شهيد، اردو بازار، لاهور، باكستان.

طلب العلم:-

يقولون إنه لما بلغ عمره أربع سنوات، وأربعة شهور، وأربعة أيام، بدأ في حفظ القرآن الكريم، واستظهره وهو في السابعة من عمره؛ ثم أقبل على طلب العلم الشرعي على يدي "الشيخ دانيال"[١] وغيره، وتمكن من الحصول على العلوم الدينية المعروفة المروجة في ذلك الزمان وهو في الثانية عشرة من عمره.[٢]

تلقيبه بأسد العلماء:-

كان "محمد الجونبوري" يتمتع بالذكاء الخارق، والحافظة القوية، وذا مهارة عالية في التحقيق، والتوفيق، والتدريس، والإفادة. وكان خطيبًا مصقعا، ومناظرًا لا يجارى. كما كان شجاعًا جريئًا منذ ريعان شبابه، قلقًا على أوضاع عصره، وظروفه، صادعًا بالحق، مشددًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه الخصال لقب بـ/أسد العلماء في عصره.[٣]

انخراطه في سلك التصوف:-

وقد كان القرن العاشر الهجري في هذه البلاد يزخر بمشائخ الصوفية، وطرقها وسلاسلها، وأكثر العلماء كانوا في ذلك الوقت من مشائخها، فأخذ "السيد محمد الجونبوري" البيعة على يد أستاذه "دانيال" على الطريقة الچشتية"[٤] وكان يشغل معظم

---

(١) هو دانيال بن الحسن بن حسام الدين البلخي (٠٠٠ – ٩٩٢هـ)
قدم من "البلخ" وتجول في بلاد "الهند" واستقر في "جونبور" وكان يدرس فيها ويفيد. أخذ عنه "السيد محمد الجونبوري المتمهدي".
انظر: نزهة الخواطر (٤/١٠٦، ١٠٧).

(٢) انظر: حيات پاك (٧٨ – ٨٣).

(٣) انظر: الإمام السرهندي (٤٦).
– حيات پاك (٨١، ٨٣).

(٤) إحدى الطرق الصوفية المنسوبة إلى "الشيخ معين الدين حسن السنجري" (٠٠٠ – ٦٢٧هـ) و"جشتية" نسبة إلى قرية "چشت"، وهي قرية شيخ "معين الدين" المذكور.
ومدار هذه الطريقة على الذكر الجلي بحفظ الأنفاس، وربط القلب مع الشيخ على وصف المحبة والتعظيم، والدخول في الأربعينيات مع دوام الصيام والقيام. إلى غير ذلك.
انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٨٠).

أوقاته بالأذكار والأوراد الصوفية، ويقضي كثيرا من أوقاته في الغابات والوديان في الرياضة النفسية الشاقة، ويعيش حياة التقشف والزهد، ويؤثر الفقر والفاقة؛ وفي هذه الأيام ذاعت شهرته، وعلا صيته، وأصبح مرجعًا للخاص والعام.

ويعتبر المهدويون هذه الفترة من حياة "السيد الجونبوري" بمثابة الإعداد المعنوي والنفسي من الله -تعالى- للإقدام على أداء المهمة المهدية، حيث قابله "خضر" -عليه السلام- وأخذه إلى أحد المساجد المهجورة، وسلمه الأمانة التي أخذها من الرسول -ﷺ- لإيصالها إلى المهدي في آخر الزمان، وحياه بالمرتبة المهدية.(؟). ويزعم المهدويون أن "السيد الجونبوري" خُصَّ في هذه الأيام "بالولاية" واشتهر بين الناس بـ/سيد الأولياء.[1]

التحول الخطير في حياة السيد الجونبوري:-

في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين كان الضعف قد بدأ يَدُبُّ في أوصال الحكومة المركزية في "دهلي" فأخذت أقاليمها تستقل بعيداً عن الحكومة المركزية، واتخذت لنفسها رئاسات مستقلة أو تابعة لرئاسة أخرى أقوى منها، وكانت "جونبور" في أيام "السيد محمد الجونبوري" يحكمها "السلطان حسين الشرقي"[2] الذي كان يدفع الخراج إلى ملك هندوسي يدعى/ "رائ دلپت" وكان "السيد محمد الجونبوري" يُفتي بعدم دفع الخراج إلى الهندوس، ويحث على الجهاد، ويبشره بالنصر والتمكين. فأوقف السلطان دفع الخراج إلى الملك الهندوسي، فهاج الأخير وهجم على المسلمين في

---

(١) انظر: أئمهٔ تلبيس (أئمة تلبيس)، لأبي القاسم دلاوري (٢/٢٦)، طبعة (١٩٨٧م)، مكتبة تعمير إنسانيت، اردو بازار، لاهور - باكستان.

- تاريخ شيراز هند جونبور، للسيد إقبال أحمد (٦٨٣، ٦٨٤). إداره شيراز هند پبلشنگ هاؤس، جونبوو - الهند.

- حيات پاك (٨٤، ٨٥).

(٢) هو: السلطان حسين بن محمود بن إبراهيم الجونبوري، المعروف بحسين الشرقي (٠٠٠).
من الملوك المشهورين في شرق "الهند". كان له صولات وجولات في الحروب مع الملوك المعاصرين، عرف فيها بالدهاء والشجاعة.
انظر: نزهة الخواطر (٣/٦٣، ٦٤).

"جونبور"، وواجه "السلطان حسين" بقواته، ولكن الفارق كان كبيرًا في العدد والعتاد بين الفريقين، مما جعل قوات السلطان تتراجع، وبدأت آثار الهزيمة تلوح في الأفق، ولكن "السيد محمد الجونبوري" الذي اشترك في المعركة بألف وخمسمائة رجل من أتباعه صمدوا جميعًا، وتقدم "السيد الجونبوري" بحصانه إلى الملك "رائ دلپت"، ووجه سهمًا على رأس فيله، فوقع الفيل على الأرض، وسقط الملك من ظهره، فضرب السيد بسيفه على رأس الملك ضربة قوية حتى وصل السيف إلى صدره، فخر صريعًا، ونزل قلبه إلى الأرض، وهربت قواته، فتحولت الهزيمة إلى فتح مبين لقوات المسلمين، وسيطر "السلطان حسين" على أراضي الملك "رائ دلپت" وضمها إلى مملكته، وكان الجميع في نشوة النصر، ولكن "السيد محمد الجونبوري" طرأ عليه شأن آخر، إذ أمعن النظر في قلب الملك الصريع، فلاحظ فيه صورة منقوشة للصنم الذي كان يعبده في حياته، فقال: «إذا كان هكذا أثر المعبود الباطل على قلب الإنسان، فماذا عسى أن يكون أثر المعبود الحق»؟ فأغمى عليه، وطرأت عليه حالة، يسميها المهدويون "حالة التجليات الإلهية ومشاهدة الأنوار الربانية" واستغرفت هذه الحالة اثنى عشر عامًا، في السنوات السبع الأولى كان في السكر المحض لا يفيق إلا للصلوات الخمس، ولم يشرب في هذه المدة شربة ماء فضلاً عن الأكل. وفي السنوات الخمس الأخيرة كان بين السكر والصحو، ويتناول الطعام والشراب أحيانًا، وفي هذا الاستغراق في الأنوار الربانية، والتجليات الإلهية جاءه النداء الرباني: «أيها السيد محمد أعطيناك ختم الولاية المحمدية، وجعلناك تقيم الصلوات، هذا من فضلي وإحساني عليك».(؟) وبهذا حظى بمنصب "خاتم الأولياء".(١) (٢)

رحلاته:-

ولما بلغ عمره أربعين سنة جاء النداء الثاني من الله -تعالى- قائلا: "أيها السيد

---

(١) انظر: رود كوثر (نهر كوثر) للدكتور شيخ محمد إكرام (٢٤ -٢٦)، طبعة (١٩٩٦م)، إداره ثقافت إسلامية، لاهور - پاكستان.
- أئمه تلبيس (٢/٢٧ - ٣٢).
- حيات پاك (٨٨ - ٩٧).

(٢) يبدو واضحاً ما في هذه القصة من تلفيقات المهدويين. قد يكون اشتراك "السيد محمد الجونبوري" في المعركة صحيحاً، ولكن الأباطيل التي يضيفها المهدويون لا تخفى على أحد.

محمد هاجر من أجلي، وتوجه إلى حج بيت الله الحرام، هناك تظهر دعوتك" – كما يزعم المهدويون – ومن هنا تبدأ رحلاته التي يسميها المهدويون بـ/الهجرة.

فغادر "السيد محمد" مدينة "جونبور" مودعًا دياره، وعشيرته، ومرافقًا أهله، وبعض خواص أتباعه، واستغرقت هذه الجولات والرحلات ثلاثة وعشرين عامًا، وهي مدة دعوة مهديته.

ويزعم المهدويون أن السنوات الثمانية عشرة الأولى كانت الدعوة فيها غير مؤكدة. وفي السنوات الخمس الأخيرة كانت الدعوة فيها مؤكدة وكاملة.

والمحطة الأولى لهذه الرحلة كانت منطقة "دانا پور"[١] والمحطة الأخيرة التي لقى فيها "السيد محمد الجونبوري" حتفه هي منطقة "فراه"[٢] ، وقد قدر دعاة المهدوية مسافة هذه الرحلات بعشرة آلاف وخمسمائة وأربعين (١٠٥٤٠) ميلاً بما في ذلك المسافة البحرية من "الهند" إلى "الحجاز" عن طريق "عدن".

وهذه الرحلة الطويلة التي امتدت ثلاثة وعشرين عامًا شملت معظم أرجاء بلاد "الهند" القديمة خاصة الأجزاء الجنوبية منها والغربية بما في ذلك منطقتي "قندهار" الأفغانية و"خراسان" الإيرانية. وفي كل منطقة أو مدينة يحط فيها "الجونبوري" رحله يقوم في الناس خطيبًا، ويتلو عليهم القرآن الكريم، ويؤثر فيهم بما أوتي من ملكات خطابية عجيبة. يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في هذا الصدد: «وكان – لكثرة مجاهداته، ورياضاته، وقوته الروحية، واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – يملك تأثيرًا قويًا، فكان يسحر الناس بشخصيته ومعاشرته، ويأخذ بألباب الناس بحديثه، وخطابه، حتى كان من يحضره من العامة، والملوك، والأمراء، ومن يجلسون عنده، كأن على رؤوسهم الطير، ويستمعون إليه في دهشة، وتأثر وانبهار، ويهون عليهم رفض المناصب الكبيرة، والإعراض عن الجاه والسلطان، والزهد في الدنيا، وهجر الأوطان، ومرافقته في السفر والحضر، والتسليم له، والانقياد لأمره»[٣].

---

(١) وهي تبعد (١٧٠) ميلا إلى الشرق من منطقة "جونبور".
انظر: حيات پاك (٩٨).

(٢) تقع حاليًا في جنوب أفغانستان، وكانت سابقًا تابعة لإيران.

(٣) الإمام السرهندي (٤٦).

كما أنه كان يلقى في كل بلد معارضة شديدة من العلماء والفقهاء، والقضاة، وتعقد حلقات المناظرة بينه وبين علماء البلد، وصدر في كثير من البلاد حكم النفي والطرد والإعدام، ما يطول بذكره المقام، واستقر في نهاية المطاف في منطقة "فراه".(١)

مراحل الدعوة المهدية:-

يكاد الباحثون يجمعون على أن "السيد محمد الجونبوري" قد ادعى المهدية لأول مرة في غابات "دانا پور" وهي المحطة الأولى لرحلاته، وفي أثناء سيره في الغابات جاء الإلهام "أنت المهدي" فادعى أنه المهدي الموعود. ويزعم بعض المهدويين أن "السيد محمد" ادعى المهدية لأول مرة في "مكة المكرمة". وأما في "دانا پور" فكانت رؤيا رأتها زوجته بأنها سمعت نداءً يقول: «زوجك المهدي الموعود، وخاتم الولاية المحمدية، وصاحب الزمان، وخليفة اللّه». فذكرت هذه الرؤيا لزوجها "السيد محمد" فصدقها، وقال: «تنزل علي الأوامر بأني المهدي الموعود، ولكن لم يأت الوقت لإظهارها، وفي الوقت المناسب سيظهر الأمر».

وأضاف قائلا: «أن اللّه -سبحانه وتعالى- لما تجلى علي بذاته لأول مرة جاءت البشرى من عنده: "أيها السيد محمد أعطيتك علم كتابي، ومرادي، وجعلتك ناصرًا للدين المحمدي». وبعد هذا الحوار آمنت زوجته بأنه المهدي، كما آمن ولده "السيد محمود" وكبار مرافقيه.(٢)

ادعاء المهدية للمرة الثانية:-

ثم رحل "السيد محمد الجونبوري" وواصل السير في المناطق الغربية "للهند" حتى وصل إلى منطقة "بيجا پور" وبعد الإقامة هناك لمدة أسبوع وصل إلى ميناء "دابهول"، ومن هناك ركب السفينة مع رفقائه متوجهين إلى "الحجاز" عن طريق "عدن" لأداء مناسك الحج حتى وصل إلى "جدة". ويذكر المهدويون كرامات وخوارق كثيرة للمهدي في هذه الرحلة

---

(١) انظر تفاصيل هذه الرحلات في: حيات پاك (٩٨ -٢١٤).
- تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٥٠ - ٦٠).
- تاريخ سندهـ، غلام رسول مهر (١٣٢ - ١٣٨)، سندهي ادبي بورڈ، بندر روڈ، كراتشي، پاكستان.

(٢) انظر: تذكرة العلامة محمد طاهر الفتني (٥٧).
- نزهة الخواطر (٣٢٢/٤).
- حيات پاك (١٠١، ١٠٢).

البحرية. وبعد أداء مناسك الحج وقف "السيد محمد الجونبوري" بين الركن والمقام، وادعى المهدية بأمر من الله تعالى، وأعلن بأعلى صوته «من اتبعني فهو مؤمن» فآمن به رفقاؤه فوراً، ويزعم المهدويون أن ممن آمن به أعرابي يسمى "خضر" كما آمن إمام المصلى الشافعي، وكان ذلك في شهر ذي الحجة عام واحد وتسعمائة (٩٠١) من الهجرة النبوية الشريفة. وكان "الجونبوري" في ذلك الوقت في العام الخامس والأربعين من عمره[١] [٢].

ادعاء المهدية للمرة الثالثة:-

بعد ادعاء المهدية، أقام "الجونبوري" عدة أيام في "مكة المكرمة"، ثم عزم على السفر إلى "المدينة المنورة"، ولكنه فوجئ بالأمر من عند النبي -ﷺ- للتوجه إلى "الهند"(؟)[٣] لتأكيد الدعوة المهدية، فكرَّ عائداً إليها، ووصل إلى "ديوبند"[٤] ، ومن هناك رحل إلى "كهنبايت"[٥] حتى وصل إلى مدينة "أحمد آباد"[٦]، ومكث هناك سنة ونصف سنة، فكان يخاطب الناس في جامع "أحمد آباد" ويقرأ عليهم القرآن، وهناك ادعى المهدية للمرة

---

(١) انظر: حيات پاك (١٢٥ - ١٢٧).

(٢) وقد استغرب البروفيسور أبو ظفر الندوي هذا الحدث الذي وقع في مستهل القرن العاشر الهجري في رحاب بيت الله الحرام، وقد توافد الحجاج من كل فج عميق، وعلماء الحرمين الشريفين متواجدون في ذلك الوقت، فلا ينقل عن أحد الرد ولا المناقشة حول هذا الادعاء فهذا مما لا يعقل.

انظر: تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (ص ٥٨).

يبدو لي - والله أعلم- أن هذا الحدث من تلفيق المهدويين حتى تنطبق على مهديهم - المزعوم- الأحاديث التي جاءت في بيعة "الإمام المهدي" بين الركن والمقام. وأما قدوم "السيد محمد الجونبوري" للحج، وادعاءه المهدية في "الهند" فهذا لم ينكره أحد.

ويحتمل أن تكون الحادثة صحيحة وأن الذين كانوا حول "الجونبوري" - وهو بين الركن والمقام - أتباعه وأقاربه، وهم كثيرون فلما رفع صوته كانوا أول من سمعه، ولم يلتفت إليه الآخرون؛ لأنهم مشغولون بالدعاء والطواف، فلم ينتبه إليه أحد، لا من الحجيج، ولا من العلماء.

بتوجيه من الدكتور المشرف - حفظه الله تعالى-.

(٣) ولا يخفى ما في هذا الكلام من خرافة، وهو ما دأب عليه "المهدويون" لإضفاء المجد والكرامة على مهديهم المزعوم.

(٤) مدينة تقع حالياً في ولاية "اتر پرديش" الهندية.

(٥) اسم منطقة في إقليم "كجرات" الهندي.

(٦) العاصمة الإقليمية "لكجرات".

الثالثة على رؤوس الأشهاد، فبايع على يده خلق كثير من العلماء، والوجهاء، والعامة وغيرهم. كما لقي معارضة من العلماء، وصدرت الفتاوى بقتله لكن حاكم "أحمد آباد" اكتفى بالنفي فغادر "أحمد آباد" متوجهًا إلى "الفتن"[(١)] [(٢)].

الدعوة الرابعة والأخيرة:-

وقد مكث "الجونبوري" في "الفتن" سنة وشهرين، ثم تابع السير، ووصل إلى "برلي"[(٣)] وبعد أن أقام فيها خمسة عشر يومًا، وقف يومًا بعد صلاة الظهر تحت شجرة كبيرة، واجتمع إليه جم غفير من الناس، فألقى عليهم خطبة جذابة ادعى فيها المهدية، وأكدها من جديد ويسميها المهدويون "الدعوة المؤكدة" فيما يلي ترجمة بعض الفقرات لهذه الخطبة:

«منذ ثمانية عشر عامًا، ترد إليّ الأوامر من عند اللّه -سبحانه وتعالى- بأني المهدي الموعود، ولكني لم أكن أظهر هذا الأمر؛ لأن الأمر لم يكن مؤكدًا، والآن لما وصلت من مدينة "نهرواله"[(٤)] إلى موضع "برلي" جاء التهديد من اللّه -تعالى- لإظهار الأمر، فأعلِنُ الدعوة المهدية، وأقول: أنا المهدي الموعود، وخليفة اللّه، وتابعُ محمد -ﷺ- فمن أطاعني فقد أطاع اللّه. ومن عصاني فقد عصى اللّه.

أيها الناس آمنوا بي، تنجوا. اسمعوا، وأطيعوا، تفلحوا. وإذا أبيتم سيأخذكم اللّه أخذًا شديدًا. ولا ترحلوا من الدنيا على هذه الحال فتهلكوا. كلام اللّه -تعالى- وسنة نبيه -ﷺ- يشهدان لصحة دعوتي. وهذا الأمر ما جاء في الرؤيا، ولا عن طريق الكشف، والإلهام، بل جاءني عن ذات اللّه -سبحانه وتعالى- مباشرة بدون واسطة. (!؟).

وفي هذا الوقت أنا صحيح؛ ليس بي مرض. وعاقل؛ ليس بي جنون. ومنتبه؛ ليس بي غفلة، ولا إغماء. ومتأهل؛ لست بأعزب. يأتيني رزقي من عند اللّه -تعالى- ولا أحتاج إلى أحد ولا أطلب الملك، والإنقاذ من حب الدنيا من واجبي. فرض اللّه -تعالى- عليكم

---

(١) اسم منطقة في إقليم "كجرات".

(٢) انظر: حيات پاك (١٢٧، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨).

(٣) اسم موضع على بعد خمسة أميال من "الفتن" (پٹن).

(٤) الاسم القديم لمدينة "الفتن".

إطاعتي. أبلغ دعوتي إلى الإنس والجن جميعًا».

وبعد الانتهاء من إلقاء هذه الخطبة أعلن الحضور جميعًا من الأصحاب والمهاجرين[١](؟) طاعتهم وولائهم للمتهدي، ورفعوا أصواتهم قائلين: "آمنا وصدقنا" وكان ذلك عام خمسة وتسعمائة (٩٠٥هـ)، وكان "السيد الجونبوري" في الثامنة والخمسين من عمره[٢].

وكان "السيد محمد الجونبوري" وجه بعد ذلك خطابات إلى السلاطين والعلماء في "الهند". ولما ذاع أمره، واشتهرت دعوته، جاءه وفد من علماء "الفتن" وأجروا مناظرة طويلة حول ادعاءاته.[٣]

وفاته:-

وبعد العمل الدؤوب، والجهد المستمر، الذي لا يعرف الكلل، ولا الملل لإيصال الدعوة المهدية إلى أرجاء البلاد، والذي استمر ثلاثة وعشرين عامًا، لقى "السيد محمد الجونبوري" حتفه في منطقة "فراه" الأفغانية.

ويزعم المهدويون أن "الجونبوري" لما أحس بدنو أجله جمع أصحابه ومتبعيه، وقرأ عليهم قوله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤].

وقال لهم: «لما اكتمل الدين من حيث الشريعة نزلت هذه الآية الكريمة على النبي محمد -ﷺ- فجمع أصحابه، وقرأ عليهم هذه الآية. ولما اكتمل من حيث الطريقة جاء النداء الرباني "أيها السيد محمد اجمع أصحابك واقرأ عليهم هذه الآية أيضًا".

---

(١) هذا من منكرات المهدويين حيث يستخدمون هذه التسميات للمرافقين لمهديّهم المزعوم ولا يجوز إطلاقها على غير صحابة رسول الله -ﷺ-.

(٢) انظر تفاصيل هذا الموضوع في: حيات پاك (١٠٠ - ١٦١).
- نزهة الخواطر (٤/٣٢٢، ٣٢٣).
- تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٥٧، ٥٨).

(٣) أوضح فيها المتمهدي آراءه حول الأسئلة التي وجهت إليه، وسيأتي بعض الفقرات من هذه المناظرة في المبحث الثاني عند استعراض عقائده.

(٤) من الآية: ٣، سورة المائدة.

وبعد ذلك وجه إلى الأصحاب والمهاجرين الوصية الأخيرة قائلا: «كل من وجد من العدم فالفناء مصيره، لم يبق خاتم النبيين في هذه الدنيا، وأنا لا أبقى أيضا. والذي بلغني من عند الله -تعالى- بلَّغتكم إياه. وما قلتُ لكم قلتُ بأمره. وما علينا إلا البلاغ. والمسؤولية تنصب الآن عليكم، فقوموا بها، وإن لم تقوموا بهذا الواجب تندموا -فلما سمع الحاضرون هذا الكلام بدأوا يبكون- فقال لهم: «ليس هذا وقت البكاء، البكاء عند الغفلة عن الواجب».

إذا نسيتم ذكر الله -تعالى- وطلب رؤيته والذي هو أصل أصول دعوتي، وآثرتم متاع الحياة الدنيا، وشهوات النفس، فاعلموا أن العبد -يقصد المتمهدي نفسه- ليس فيكم ولكن [أبشركم] سيبقى المهدي والمهدويون إلى يوم القيامة إن شاء الله -تعالى-». ثم قرأ هذه الآية: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[1].[2]

وبعد أداء هذه الوصية الأخيرة، ازداد مرضه، وغلبته السخونة، فارتدى برداء، ونام مستلقيًا على ظهره، فتوفاه الله -تعالى- على هذه الحالة.

وذلك في ضحى يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ذي قعدة لعام تسعمائة وعشرة (٩١٠) من الهجرة النبوية الشريفة. وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وستين (٦٣) عامًا. وبعد غسله وكفنه، صلى عليه ابنه الأكبر، وخليفته من بعده "السيد محمود بن السيد محمد الجونبوري" ودفن في أحد البساتين في منطقة "فراه" الأفغانية.[3]

الدعوة بعد وفاة المهدي:-

بعد وفاة المتمهدي "السيد محمد الجونبوري" في "فراه" أخذ دعاته وأتباعه ينشرون مبادئ هذه الفرقة في أرجاء "الهند"، وتمكن كثير منهم من استمالة الحكام والمحكومين إلى مبادئ هذه الفرقة واعتناقها على أنها الحركة المهدوية الإصلاحية التي تظهر في آخر الزمان، وثورة على واقع المسلمين الأليم، من جهل وتخلف، واتباع الشهوات، وإيثار الدنيا على الدين، والعادات والتقاليد التي ورثوها عن المجتمع الهندوسي. وقد وجدت هذه الدعوة آذانًا صاغية في مناطق كثيرة من "الهند"، خاصة المناطق الغربية والجنوبية، ففي إقليم

---

(١) من الآية: ١٠٨، سورة يوسف.

(٢) انظر: حيات پاك (٢١٠ - ٢١٣).

(٣) نفس المصدر (٢١٤، ٢١٥).

"كجرات" أقبل كثير من العوام والجهلة والجنود وبعض العلماء على هذه الفرقة، وتكونت منهم قوة كبيرة، ووصل الأمر إلى أنه من ينكر الدعوة "المهدوية" يكفر، وإذا كان المنكر من أصحاب العلم والمعرفة، ومن وجهاء البلد يُقْتل، وعاثوا في الأرض فساداً حتى اضطر السلطان "محمد بن لطيف" إلى طردهم من البلد، وذلك عام أربعة وأربعين وتسعمائة (٩٤٤) من الهجرة. ولكنهم رجعوا ثانيةً بعد وفاة السلطان.

ولما اشتغل حكام "كجرات" بالحروب الأهلية، وانقسم الإقليم إلى رئاسات، استغل المهدويون هذه الفوضى السياسية في البلاد، واستولوا على منطقة "الفتن" بعد أن اعتنقت الأسرة الحاكمة لهذه المنطقة مبادئ "المهدوية"، فعندئذ قويت شوكتهم، وعلا أمرهم، وعادوا إلى الفساد من جديد، فكانوا يقتلون كل من أنكر عليهم بعد تكفيرهم. وكانوا يحسبون التضحية بالأرواح في سبيل نشر المهدوية واجباً مقدساً، وأجراً عظيماً، فكانت الفتنة عمياء، والداهية دهياء.(١)

وهكذا انتشرت "المهدوية" أيضًا في حيدرآباد" و"الدكن" من الأقاليم الجنوبية للهند، وقويت شوكتهم هناك.(٢)

أماكن وجودهم في الوقت الحالي:-

ولم تكن "المهدوية" فرقة وجدت لتزول كغيرها من الفرق التي وجدت ثم ذهبت ولم يبق إلا تاريخها.

أما "المهدوية" فإن نشأتها القوية وحرص أتباعها ودعاتها على نشرها والتمكين لها قد ساعدها على البقاء. وفي الوقت الحاضر يوجد المهدويون في مناطق واسعة في "الهند" وفي بعض الأماكن في "باكستان"، ويتمركز معظمهم في مناطق "نكره" و"كهنبايت" و"رادهن پور" و"پالن پور" و"أحمد آباد" و"كجرات" وغيرها من المناطق الغربية في "الهند". كما يوجد عدد كبير منهم في "حيدر آباد" و"الدكن" من المناطق الجنوبية. وبعد تقسيم "الهند" القديمة إلى دولتي "الهند" و"باكستان" هاجر كثير من المهدويين إلى "باكستان" وسكنوا في إقليم "السند" وعاصمتها "كراتشي".

---

(١) انظر: تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٤٨).

وبعد محاولة التوحيد بين صفوف فرقتي "الذكرية" و"المهدوية" أنشئت مؤسسات وجمعيات مشتركة بينهما، منها: "ذكري مهدوي أنجمن" (الجمعية الذكرية المهدوية)، كما يوجد لشباب الفرقتين جمعية خاصة بهم باسم "ذكري مهدوي استوڈنس آرگنائزيشن" (جمعية طلبة الذكريين المهدويين)، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني. ويوجد لهم أيضًا "دائرة" في منطقة "شهداد پور" من إقليم "السند"[١].

عددهم في الوقت الحاضر:-

من الصعب جدًا تحديد عددهم في الوقت الحاضر؛ لأنهم ينتشرون في مناطق متباعدة، وفي دولتين مستقلتين. وذكر العلامة عبد الحي الحسني اللكنوي عن إجمالي عددهم في الهند، فقال: «فإنهم يزيدون مئات ألوف من النفوس في "رادهن پور" و"پالنپور" من بلاد "گجرات"، وفي أكثر بلاد "الدكن". والمنازعة قائمة بينهم وبين أهل السنة في تلك البلاد»[٢].

بعض مصطلحات المهدوية:-

أريد هنا توضيح بعض المصطلحات التي تتعلق "بالمهدوية".

١- دائره:-

يُنشأ المهدويون في مناطق نفوذهم أماكن خاصة بهم لاجتماعهم، ينظمون فيها أحوالهم، ويتدارسون مبادئ الفرقة، ويقيمون الشعائر الدينية، خاصة "النوبة الليلية" وتسمى هذه الأماكن "بالدوائر" وهي أشبه ما تكون بخلوات الصوفية، والتي تسمى في بلاد القارة الهندية بـ/خانقاه.

٢- النوبة :-

وفي الدوائر "المهدوية يتوزع الناس بعد صلاة العشاء إلى ثلاث مجموعات، ويقسم

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).
- اردو دائره معارف اسلامية (٥٢٣/٧، مادة: الجونبوري).
- رود كوثر (٣٠).
- حيات پاك (١٣٠).

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).

الليل إلى ثلاثة أجزاء، وكل مجموعة تتولى إحياء جزء منه بالذكر والعبادة حتى يؤذن لصلاة الفجر، وهذا العمل يسمى عندهم "بالنوبة".

٣- الأصحاب والمهاجرون:-

يستخدم المهدويون تعبير "الأصحاب" للذين رأوا مهديهم المزعوم، وصدقوه في دعوته، ويستخدمون تعبير "المهاجرين" للذين كانوا يرافقونه في رحلاته وجولاته. ويترضون عنهم.

٤- الاثنا عشر المبشرة :-

يستخدم المهدويون تعبير "الاثنا عشر المبشرة" لرفقاء مهديهم الاثنى عشر الذين بشرهم المتمهدي بالإيمان الصادق، ومنهم خلفاؤه الخمسة وسبعة من عداهم، وهم كالآتي:

١- ميران السيد محمود بن السيد محمد المتمهدي، الملقب بالمهدي الثاني.

٢- ميان السيد خوند مير الملقب بصديق الولاية.

٣- شاه نعمت.

٤- شاه نظام.

٥- شاه دلاور.

٦- ملك برهان الدين.

٧- ملك جوهر.

٨- شاه عبد المجيد نوري.

١٠- ملك معروف.

١١- ميان يوسف.

١٢- شاه أمين محمد.[١]

---

(١) انظر: حيات پاك (٢١٩، ٢٤٣).

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها:

أ - العقائد:-

بعد أن فرغت من الحديث عن تاريخ الفرقة "المهدوية" ونشأتها أشرع في البحث عن عقائدها، وبعد الفحص والتتبع في كتبها ودراستها تبين لي أن أهم عقائد هذه الفرقة تتمثل فيما يأتي:

أولا : العقيدة المهدية:-

وهي الاعتقاد بأن المهدي الموعود في آخر الزمان ظهر ومضى، وهو "السيد محمد الجونبوري". وهذه العقيدة هي السمة البارزة في هذه الفرقة، ومن أجلها سميت "بالمهدوية". وقد تقدم أن "السيد محمد الجونبوري" أعلن ادعاءه للمهدية أربع مرات على رؤوس الأشهاد، كما أكد على هذه الدعوة أثناء المناظرات التي أقيمت بينه وبين علماء عصره، فبعد ادعائه المهدية للمرة الرابعة جاء وفد من علماء "الفتن" ووجه إليه العديد من الأسئلة، فكان السؤال الأول:

- هل أنت تدعي لنفسك أنت المهدي الموعود؟

فرد قائلا: أنا لا أدعيها من تلقاء نفسي، بل جاءني الأمر من الله -سبحانه وتعالى- بأني المهدي الموعود، وأمرني لادعائه.[1]

ولما وصل "السيد الجونبوري" إلى منطقة "فراه" واشتهرت في تلك الناحية ادعاءاته بعث حاكم "خراسان" وفداً من علماء "هرات" إلى المتمهدي لمناظرته حول ادعاءاته، فكان السؤال الأول الذي وجه إليه:

- على أيِّ أساسٍ تدعي المهدية لنفسك؟

- فقال: «أنا لا أدعيها من عند نفسي، بل أدعيها بأمر من الله -سبحانه وتعالى-»[2].

---

(١) انظر: حيات پاك (١٦٣).

(٢) انظر: نفس المصدر (٢٠٣).

استدلال المتمهدي بالقرآن على صحة دعواه:-

كان "السيد محمد الجونبوري" يستدل بالكثير من الآيات القرآنية لإثبات صحة دعواه، منها ما يلي:

١- قوله -تعالى-: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾(١).

يقول "الجونبوري" في تفسير هذه الآية:

«أنا أسمع من الله -سبحانه وتعالى- مباشرةً بدون واسطة يقول: إن هذه الآية نزلت في شأنك، والمراد بـ/"من" في "أفمن كان" ذاتك، والمراد بـ/"بينة" اتباع الولاية المحمدية، وهي ولاية خاصة تتعلق بالذات المحمدي، والمراد بـ/"شاهد": القرآن والتوراة "أولئك" إشارة إلى أمة المهدي وأتباعه، والمراد بالضمير "به" في موضعين هو ذات المهدي.

٢- قوله -تعالى- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢).

يقول المتمهدي بعد سرد هذه الآية: «ولا أقول شيئًا من تلقاء نفسي، بل أقول من عند الله -سبحانه وتعالى- بدون واسطة.

٣- قوله -تعالى-: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾(٣).

واستدل المتمهدي بهذه الآية على صحة ادعائه، وقال: «من يتقول في القرآن برأيه، فهو داخل في هذا الوعيد».

٤- قوله -تعالى-: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾(٤).

والمراد من "من اتبعن" هو المهدي.

---

(١) من الآية: ١٧، سورة هود.

(٢) من الآية: ١٤٤، سورة الأنعام.

(٣) من الآية: ٢٨، سورة غافر.

(٤) من الآية: ٢٠، سورة آل عمران.

٥- قوله -تعالى-: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[١].

والمراد بالآية - كما زعم "الجونبوري"- «أي لأنذركم بهذا القرآن، وهكذا ينذركم به من يبلغ إليه هذا القرآن، وهو المهدي».

٦- قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

على أن المراد بـ/"من اتبعك" المهدي.

٧- قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

على أن المراد بـ/"من اتبعني" "المهدي"، "وما أنا من المشركين" أي: "أنا والمهدي لسنا من المشركين".[٤]

هذه بعض النماذج من الآيات الكريمة التي يسوقها الدعاة المهدويون على لسان المتمهدي بأنه استدل بهذه الآيات على صحة دعواه.

وقد ذكر داعية المهدوية المشهور "عبد الملك السجاوندي" آيات أخرى كثيرة التي وردت على لسان المهدي.[٥]

الاستدلال بالحديث:-

يستدل المهدويون بكثير من الأحاديث على صحة دعوى "السيد محمد الجونبوري" للمهدية، وأن الأحاديث التي وردت في المهدي الموعود في آخر الزمان، المراد به هو "السيد محمد الجونبوري" المذكور.

وشأن "المهدوية" في الاستدلال بالحديث أنهم يحاولون جهداً أن يطبقوا جميع

---

(١) من الآية: ١٩، سورة الأنعام.

(٢) الآية: ٦٤، سورة الأنفال.

(٣) الآية: ١٠٨، سورة يوسف.

(٤) انظر: حيات پاك (٥٤ - ٥٧).

(٥) انظر: منهاج التقويم (٥٧ - ٦٠)، طبعة (١٣٧١هـ) طبع بمطبعة الجمعية المهدوية، حيدر آباد، الدكن - الهند.

الأحاديث التي وردت في ظهور المهدي في آخر الزمان على مهديهم المزعوم. وإن تعذر ذلك يجيبون عنه بأحد أمرين:

إما برده كليًا على أنه لا يوافق أحوال مهديهم، وقد قال مهديهم في ميزان صحة الحديث وسقمه: «كثر الخلاف في الحديث، ويصعب تمييز الصحيح من السقيم، فالذي يوافق كتاب الله -تعالى- ويوافق أحوالي فاقبلوه كما جاء في الحديث عن الرسول «ستكثر لكم الأحاديث من بعدي فاعرضوا على كتاب الله -تعالى- فإن وافقوا[١] فاقبلوا وإلا فردوه»[٢].[٣]

وإما بتأويل الحديث بما يوافق توجهاتهم، وأضرب مثالا على ذلك بما جاء عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أبشركم بالمهدي، يُبْعثُ على اختلاف من الناس، وزلازل، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت جَوْرًا وظلمًا. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. يقسم المال صحاحًا. قيل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس. ويملأ قلوب أمة محمد -ﷺ- غنًى، ويسعهم عدله حتى يأمرَ مناديًا ينادي، من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس أحد إلا رجل واحدٌ. فيكون كذلك سبع سنين»[٤].

يقول داعية المهدوية "السيد شاه محمد": «المراد باختلاف الناس كثرة الفرق، والملل، والمذاهب الباطلة المشهورة. وزلازل: جمع زليلة من زلة القدم، مثل: خصيصة واحد خصائص، وليس جمع زلزلة التي تكون للأرض.

وينقل كلام "عبد الملك السجاوندي" من كتابه "سراج الأبصار" في تأويل قوله: "فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً" ويقول: «إن ملأ القسط والعدل مذكور في الحديث على وجه التشبيه بالجور والظلم، فلا يخلو إما أن يكون التشبيه في الكيفية أو الكمية. أما الأول: فمسلم أي

---

(١) هكذا ورد لعل الصحيح "فإن وافقه".

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٣) انظر: حيات پاك (٥٣).

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الترمذي باختصار كثير. ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات. (٧/٣١٣، ٣١٤).

كـيـفـمـا تمكن الجـور والظلم فـي أهل الأرض يمكن المهـدي العـدل والقـسـط فـي الـبـعض، ولادلالة في الحديث على الجميع أو الأكثر. أما التشبيه في الكمية أي كمية الأفراد والملؤ فيهم الجور، فغير مسلم، لما ذكرت من المعارضات، والحديث ... لا يحكم بصحته إلا بعد وجد أنه فيمن ورد في حقه(؟) ولا يفسر معناه بما يعارض الكتاب، والصحاح. فالتأويل الصحيح أن يقال: يملأ الأرض قسطًا وعدلاً أي: يملأ القسط والعدل في بعض أهل الأرض، والبعض مطلق في القلة والكثرة، فلو ملأ جزءً من أجزاء الأرض يصح أن يقال: ملأ الأرض بالقسط والعدل؛ لأن بين أجزائها ملابسة من حيث أنها قطع متجاورات مدحورات[1]»[2].

كما يضيف "السيد شاه محمد" في تأويل قوله – عليه الصلاة السلام– "يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض" أن المراد بالأرض والسماء "الروح والنفس"، والمراد بكثرة النعيم، النعيم الديني من الزهد، والتقوى، والمعرفة، والرؤية الإلهية في الدنيا؛ وليس المراد النعيم الدنيوي من المال والجاه، بل النعيم من هذا القبيل يكون للدجال في آخر الزمان.

ويفتخر "السيد شاه محمد" بابتكار هذه التوضيحات والمعاني للحديث ويقول: «إنه من العجيب أن وفق الله –سبحانه وتعالى– أهل الحق المؤمنين – يقصد بهم المهدوية– لفهم هذه المعاني الغامضة».

ويسرد في ذلك قوله –تعالى–: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3].

وقوله –تعالى–: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[4]. وكثيراً ما يردد القول: "كم ترك الأوائل للأواخر".

ويعتبر هذا الفهم كفهم الأئمة المجتهدين لنصوص الشريعة حول المسائل الفقهية، واختلافهم في ذلك، وضرب على ذلك أمثلة من المسائل المختلف فيها بين الفقهاء.[5]

---

(١) مدحورات: هكذا ورد في النص، والصحيح "مدحوات".

(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٥٥)، طبعة (١٢٩١هـ)، طبع في مطبعة الفردوس، بنگلور – الهند.

(٣) الآية: ٢٢، سورة الزمر.

(٤) من الآية: ٢٦٩، سورة البقرة.

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٠٤، ١٢٩).

ومن تلك الأحاديث التي يستدل بها المهدويون على صحة دعوى مهديهم المزعوم مايأتي:-

١- قوله -عليه السلام-: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي»[1].

٢- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ- : «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

٣- قوله -عليه السلام-: «المهدي مني يقفو أثري ولا يخطئ»[3].

٤- قوله -عليه السلام-: «كيف تهلك أمتي أنا في أولها، وعيسى بن مريم في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[4].[5]

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب خروج المهدي، عن ثوبان -رضي الله عنه- باختلاف في اللفظ (١٣٦٧/٢، برقم: ٤٠٨٤).

- والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي. (٦٤٣/٤، ٦٤٤).

- وقال الألباني: «الحديث صحيح المعنى دون قوله: "فإن فيها خليفة الله المهدي" فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية ثوبان الثانية. وإسناده حسن، وليس فيه "خليفة الله". وهذه الزيادة ليس له طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة».

انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١٩/١ - ١٢١، برقم: ٨٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب المهدي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- باختلاف في اللفظ (٤٧٢/٤، ٤٧٣، برقم: ٤٢٨٢).

- والحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- باختلاف في اللفظ،وقال عنه الذهبي: "صحيح" (٤٤٢/٤).

- وذكره المقدسي، وقال: أخرجه الحافظ أبو نُعيم في صفة المهدي.

انظر: عِقد الدُرر (٢٩)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، مكتبة عالم الفكر.

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٤) ذكره المقدسي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ: «لن تهلك أمة ...»، وقال: رواه أبو نعيم في عواليه».

ويسوقون أحاديث أخرى كثيرة وردت في شأن المهدي.

ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري:-

يؤكد الدعاة المهدويون أن القرن العاشر الهجري هو موعد ظهور مهدي آخر الزمان، ويستدلون على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١]. حيث ذكر "عبد الرزاق الكاشي"[٢] في كتابه "تأويلات القرآن" في تفسير هذه الآية: «أي اختفى في صور سماء الأرواح وأرض الأجساد في ستة آلاف سنة لقوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٣]. أي من لدن خلق آدم إلى زمان محمد -ﷺ- لأن الخلق هو اختفاء الحق في مظاهر الخلقية، وهذه المدة من ابتداء دور الخفاء إلى ابتداء ظهور الذي هو زمان ختم النبوة، وظهور الولاية كما قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه -تعالى- السموات والأرض»[٤] ؛ لأن ابتداء الخفاء بالخلق انتهاء الظهور، فإذا انتهى الخفاء إلى الظهور عاد إلى أول الخلق كما مرّ. [و] يتم بخروج المهدي في تتمة سبعة أيام، ولهذا قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة»[٥].

ومعنى ذلك أن بعد انقضاء ستة آلاف سنة من عمر الدنيا في متسهل الألف السابع

== انظر: عقد الدرر (١٤٦).

(٥) انظر: حيات پاك (٤٦ - ٥٠).

- منهاج التقويم (١١٠ - ١٢٠).

(١) من الآية: ٥٤، سورة الأعراف.

(٢) هو عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (٠٠-٧٣٠هـ).

مفسر صوفي، من أشهر مؤلفاته: "شرح فصوص الحكم لابن عربي"، و"تأويلات القرآن" و"كشف الوجوه في شرح تائية ابن الفارض".

انظر: الأعلام (٣/٣٥٠).

(٣) من الآية: ٤٧، سورة الحج.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله -عزوجل:﴿ إن عدة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهراً ..﴾عن أبي بكرة رضي اللّه عنه (٨/٣٢٤، برقم: ٤٦٦٢).

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٦٥، ٦٦).

يتم ظهور خاتم الأنبياء، وفي منتهاه يكون ظهور خاتم الأولياء وهو المهدي[١].

كما يستدلون أيضًا بقوله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٢]. الآية. فقوله: "اليوم" دليل على أن المهدي سيظهر في القرن العاشر الهجري؛ لأن اليوم عند الله -تعالى- ألف سنة على حساب الدنيا، وإتمام ألف من هجرة النبي -ﷺ- دليل على اكتمال الدين؛ لأن الدين يكتمل بأيدي المهدي، كما قال -عليه السلام-: «يختم به الله الدين»[٣] وهذا الحديث تفسير للآية المذكورة. فالمهدي "خاتم الولاية" وبه يكتمل الدين، فإذا اكتمل في أيام النبي -ﷺ- لم يبق شيء للاكتمال؛ لأن الناقص يكتمل والكامل لايحتاج إلى الاكتمال.[٤]

ويستدلون أيضًا بالحديث: «النبي لا يمكث في قبره ألف سنة»[٥].[٦]

تعليل ظهور المهدي في بلاد الهند:-

يعلل المهدويون ظهور مهدي آخر الزمان في بلاد "الهند" بأن أكثر النبوات ظهرت في بلاد "الشام" و"اليمن"، وكانت نبوة نبينا محمد -ﷺ- في "مكة" و"المدينة: ولم يبعث نبي في بلاد "الهند" وانتشر الإسلام هناك عن طريق الدعاة والصالحين، فشاء الله -تعالى- أن تكون بلاد "الهند" أرضًا لظهور المهدي الذي هو إمام الأنبياء، وسيد الأولياء،

---

(١) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٦٥، ٦٦).

(٢) من الآية: ٣، سورة المائدة.

(٣) جزء من حديث طويل عن علي -رضي الله عنه-.

ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذاب». (٣١٧/٧).

- وذكره المقدسي في "عقد الدرر" وقال: «أخرجه جماعة من الحفاظ في كتبهم، منهم أبو القاسم الطبراني، وأبو نعيم الإصبهاني، وعبد الرحمن بن حاتم، وأبو عبد الله نعيم بن حماد. (٢٥).

(٤) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٢، ١٠٧، ١٤٢، ١٦٤).

(٥) قال علي المتقي الهندي: «حديث باطل لا أصل له».

انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل ٣١/ب)، مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٤٨٧٣)، عقائد.

(٦) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٦٥).

وبه يكتمل الدين؛ لأن البلاد الهندية بلغت في الكفر منتهاه، فجاء المهدي، واكتمل الدين، وبلغ غاية الكمال، وهو المراد بقوله -عليه السلام-: «يختم الله به الدين»[١]، وملأ المهدي الأرض قسطًا وعدلاً كما جاء في الحديث.[٢]

ثانياً : مكانة المهدي:-

ولما أن الركيزة الأولى لهذه الفرقة هو الإيمان بأن المهدي الموعود في آخر الزمان ظهر ومضى، فهم يؤمنون لمهديهم بمزايا وخصائص، فهي من أهم عقائدهم التي تتبع الإيمان بالمهدي "السيد محمد الجونبوري".

وبعد دراسة أقوال مهديهم وأقوال الدعاة "المهدوية" حول هذه المكانة، يمكن تلخيص هذه الخصائص والمميزات في النقاط الآتية:-

أ : كلام الله -تعالى- مع المهدي بدون واسطة.

ب: عصمة المهدي.

ج: المهدي يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم.

د : المهدي خاتم الأولياء.

هـ: المهدي أفضل من بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد -ﷺ- في الدرجة.

و : تكفير من لا يؤمن بالمهدي.

وفيما يلي أقدم شرحًا موجزًا لكل نقطة من هذه النقاط.

أ : كلام الله -تعالى- مع المهدي بدون واسطة:

يعتقد المهدويون أن الله -سبحانه وتعالى- كان يتكلم مع المهدي بدون واسطة، وقد جاء ذلك على لسان المتمهدي مرات كثيرة في خُطَبه، وتفسيره للقرآن الكريم، وأثناء مناظراته مع العلماء حول ادعاءاته بأن الله - سبحانه وتعالى- يكلمه مباشرة بلا واسطة. وكان يقول: «كل ما أقول لكم، وأفعل، وأشرح لكم القرآن الكريم، كل ذلك بأمر الله -تعالى- ويعلمني ربي كل يوم بلا واسطة»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص ٢٢١).

(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٠).

(٣) انظر: حيات پاك (٥٤، ٥٧).

كما أن في كل خطواته ومواقفه التي يقوم عليها يقول لأتباعه: إن الله -تعالى- أمرني بقوله لي: "أيها السيد افعل كذا وكذا ...".

وقد نقل "السيد خوند مير" -الخليفة الثاني للمتمهدي- مقالته فقال:

«قال الإمام المهدي -ﷺ- علِّمتُ من الله -تعالى- بلا واسطة جديد اليوم، قل: إني عبد الله تابع محمد رسول الله، مهدي آخر الزمان، وارث نبي الرحمن، عالم علم الكتاب والإيمان، مبين الحقيقة والشريعة والرضوان»[(١)].

ولكن العجيب في الأمر أن الدعاة المهدويين يتحرجون أن يُعَبِّروا عن ذلك بالوحي، بل كانت ردودهم قاسية على الذين نسبوا إلى "المهدي" ادعاء نزول الوحي عليه، وقالوا: إن هناك فرقًا بين التنزيل والتعليم. أما التنزيل فهو نزول الوحي، وأما التعليم فهو كلام بلا واسطة كتعليم آدم وخضر -عليهما السلام- وغيرهما، كما جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[(٢)]. وقوله -تعالى-: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[(٣)]. وقوله -تعالى-: ﴿خَلَقَ الإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[(٤)]. فالتعليم عناية خاصة ورعاية ربانية كريمة لأوليائه -تعالى- والمهدي سيدهم، وإمامهم، وخاتمهم فهو أولى بهذه الرعاية الكريمة.[(٥)]

ب: عصمة المهدي:-

يعتقد المهدويون أن المهدي قائم مقام الرسول -ﷺ-، وبه يكتمل الدين فهو معصوم عن الخطأ، كما هو معصوم عن كل صغيرة وكبيرة، والسبب في ذلك أن المهدي تم ظهوره لرفع الاختلافات الكثيرة التي حدثت بين العلماء والفقهاء، وحمل المسلمين كلهم على اتباع الرسول -ﷺ- وحده، وهذا الأمر لا يتأتى إلا أن يكون المهدي معصوماً، وهنا الفرق بين النبي والمهدي إذ أن النبي -ﷺ- منبع لأمر الله -سبحانه وتعالى- ومحكوم بالوحي ﴿وَمَا

---

(١) انظر: هديه مهدويه (الهدية المهدوية)، لمحمد زمان شاه جهان پوري (ص ١٣)، طبعة (١٢٨٧هـ)، مطبعة نظامي، كانپور - الهند.

(٢) من الآية: ٣١، سورة البقرة.

(٣) من الآية: ٦٥، سورة الكهف.

(٤) الآيتان: ٣، ٤، سورة الرحمن.

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٤).

﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١]. ولهذا لا يتكلم النبي بالقياس ولا بالرأي.

وأما المهدي فهو عالم بمراد الله -تعالى- ورسوله بالتعليم من عند الله -تعالى- والتحقيق من الرسول -ﷺ- فهو معصوم عن الخطأ.[٢]

ويستدلون على ذلك بقوله -عليه السلام-: «المهدي مني يقفو أثري ولا يخطئ»[٣]. فهو -أي المهدي- مأمور من الله -تعالى- على ما جاء في الكتاب والسنة، وخليفته، وصاحب البينة، والتابع التام لرسول الله -ﷺ- فهو معصوم عن الخطأ[٤].

يقول داعية المهدوي المشهور "عبد الملك السجاوندي":

«فاعلم أيها الأخ الباحث عن الدين، والفاحص عن اليقين، أن الفقهاء والمتكلمين ما نطقوا في باب عصمة المهدي وعدم عصمته، بل هم ساكتون عن هذا الأمر، فلا نجد دليلاً عقليا عنهم حتى نذكر، ولكن يفهم من الأحاديث والآثار والأقوال أنه معصوم، فمنها قوله -عليه السلام-: «كيف تهلك أمتي أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[٥]. ذكر النبي -ﷺ - المهدي بين النبيين، وجعله سبباً لنجاة أمته من عذاب الاستيصال كما جعل نفسه وعيسى سبباً لنجاتها، فنفي الهلاك بوجود هؤلاء الثلاثة فلو لم يكن معصوماً لكان فرداً من أفرادها، فكيف يكون سبباً لنجاتها إذ لا مزية له على غيره ... إلى أن قال: «فلا يصدر عن المهدي صغيرة ولا كبيرة، كما لا يصدران عن الأنبياء، على هذا الاعتقاد وجدنا أرباب البصائر، من أصحاب المهدي، وهؤلاء أولى بالاقتداء، قال الله -تعالى-: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٦].[٧]

---

(١) الآيتان: ٣، ٤، سورة النجم.

(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٣).

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٤) انظر: حيات پاك (٢٢٧).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) من الآية: ٩٠، سورة الأنعام.

(٧) انظر: منهاج التقويم (١٠٨، ١٩٠).

ج : المهدي يحتفظ بحق تأويل القرآن الكريم:-

يعتقد المهدويون أن مهديهم المزعوم يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم، فكل تفسير للقرآن يأتي عن طريق المهدي أو يوافق أحواله وأقواله فهو المقبول، وإلا فمردود. ومن أجل هذا لم يكن المتمهدي يعتمد على أيّ تفسير؛ لأنه يتلقى هذه التأويلات من الله -سبحانه وتعالى- مباشرةً بدون واسطة. وجاء قوله في مناظرة مع علماء "خراسان" عندما وُجِّه إليه السؤال:

- "على أيّ كتاب تعتمد في تفسيرك للقرآن الكريم"؟

- فكان الجواب: "أنا لا أطالع أي كتاب في التفسير، والآية التي أتلقى تفسيرها من الله -تعالى- مباشرةً بدون واسطة أبينه. وأية معان للقرآن الكريم وتفسيره لا يوافق للذي أبينه، فهو غير صحيح، والذي يوافق هو الصحيح".[1]

ويستدل المهدويون على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2]. بأن يكون بيان وتفسير القرآن الكريم على لسان خاتم الأولياء وهو المهدي، وهو الذي يبين مراد الله -تعالى-. كما قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]. ولهذا قال الرسول -ﷺ-: «يختم الله به الدين». فهذه شهادة من الرسول -ﷺ- أن الدين لم يكتمل في زمنه؛ لأن الأحكام لم تتبين في عهده، وهذه الأحكام ورد بيانها على لسان المهدي؛ لأن المهدي هو مبين كتاب الله - تعالى- وكاشف مراده، وإن كان هذا الكتاب نزل على محمد -ﷺ-[4].

وقد ذكر داعية المهدوي "عبد الملك السجاوندي" أدلة كثيرة -على حد زعمه- أن المهدي مبين معاني القرآن الكريم، فقال: «وذكر الشيخ "عزالدين عبد الرزاق الكاشي" في تفسيره المسمى "بتأويلات القرآن" أن بيان معاني القرآن لا يكون كما هو إلا بلسان المهدي، حيث جعل "الٓمٓ" قسمًا وجوابه محذوفًا، وهو لأنا مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء، وفي كتبهم، أنه -أي القرآن- يكون مع المهدي في آخر الزمان، لا يعلمه

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٠٣).

(٢) الآية: ١٩، سورة القيامة.

(٣) من الآية: ٤٤، سورة النحل.

(٤) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٠ - ٨٢).

كما هو إلا هو، كما قال عيسى -عليه السلام-: "نحن نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فيأتي به الفارقليط في آخر الزمان". جعل الشيخ - أي عبد الرزاق- فارقليط بلسان عيسى عبارة عن المهدي»[١].

وذكر السجاوندي أيضًا: «ومنها قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢]. أي: بلسان المهدي.

ومنها قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٣]. أي: أحكمت آياته بلسان محمد -عليه السلام- ثم فصلت بلسان المهدي عليه السلام.

ومنها قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٤]. يعني الرحمن علم القرآن محمداً، وخلق الإنسان يعنى المهدي، "عَلَّمَهُ البيان" أي الألف واللام في "البيان" عوض عن المضاف إليه»[٥].

وهذه الشواهد تدل بجلاء على أن تأويل القرآن، وبيان معانيه ومراده إنما هو من اختصاصات المهدي.

د: المهدي خاتم الأولياء:-

يذهب المهدويون إلى أن مهديهم المزعوم خاتم الأولياء وسيدهم وإمامهم، ودرجة الولاية هذه أفضل من درجة النبوة[٦].

وقد تقدم أن "السيد الجونبوري" في حالة التجليات الإلهية، ومشاهدة الأنوار الربانية التي استغرقت اثنى عشر عامًا جاءه النداء الرباني "أيها السيد محمد أعطيناك ختم الولاية المحمدية، وجعلناك تقيم الصلوات، وهذا من فضلي وإحساني عليك"، وحظي

---

(١) انظر: منهاج التقويم (١٤، ١٥).

(٢) الآية: ١٩، سورة القيامة.

(٣) من الآية: ١، سورة هود.

(٤) الآيتان: ٣، ٤، سورة الرحمن.

(٥) انظر: منهاج التقويم (٥٩، ٦٠).

(٦) انظر: حيات پاك (٨٥).

بهذا الخطاب بمنصب خاتم الأولياء.[١]

وجاء في مناظرة علماء "الفتن" للمتمهدي لما وُجِّهَ إليه السؤال:

- "إنك تفضل الولاية على النبوة"؟

فرد عليهم بقوله: "أنا أفضل الولاية على النبوة أم الرسول -ﷺ-؟ ألا تسمعون قوله -عليه السلام-: «الولاية أفضل من النبوة»[٢].[٣]

ودعاة "المهدوية" يُسَوِّدون مؤلفاتهم بالنقول الكثيرة من "الفتوحات المكية" و"الفصوص" لابن عربي، و"اليواقيت والجواهر" "للشعراني"[٤] لإثبات منصب "خاتم الولاية" للمهدي وخصائصه ومزاياه، ويحاولون جهداً لتطبيق هذه النقول على مهديهم المزعوم.

و"السجاوندي" يوصي المهدويين وغيرهم الذين يريدون التحقيق في موضوع ختم الولاية أن يقرؤا كتب "ابن عربي" وغيره، ويحاول أن يلتمس من الألفاظ التي وردت في وصف المهدي مأخذاً لهذا الاصطلاح فيقول:

«فاعلم أيها الأخ! إن طلب بيان لفظ "خاتم الولاية" بالقرآن والأحاديث الصحيحة غير صحيح، إذ لا يخفى على العالم أن إطلاق هذا اللفظ على المهدي من مصطلحات الصوفية، ليس عليه حديث ضعيف فضلاً عن الصحيح والكتاب».

«وهل عليه دليل سوى أقوال الصوفية؟ والذي وقع في الأحاديث من الألفاظ "الإمام" و"الخليفة" و"خاتم الدين" - كما ذكرنا قبل- وهو قوله -عليه السلام-: «يختم به الدين كما

---

(١) انظر: حيات پاك (٩٦).

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٣) انظر: حيات پاك (١٦٤، ١٦٥).

(٤) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ).

من كبار علماء الصوفية. ولد في "قلقشندة" بمصر. نشأ بساقية "أبي شعرة" من قرى "المنوفية" وينسب إليها.

له مصنفات كثيرة من أهمها: "اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر"، و"الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر" و"الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية".

انظر: شذرات الذهب (٨/٣٧٢).

- الأعلام (٤/١٨١).

فتحه بنا»[١] وبين الدين والولاية مناسبة، فلعل المقتبس أخذ لفظ "خاتم الولاية" من هذه الأحاديث، ومن أراد تحقيق معنى ختم الولاية المحمدية فليطالع كتب "ابن عربي" "كالفصوص" وشرحه واصطلاحات "الشيخ عبد الرزاق الكاشي»[٢].

ومما يلفت النظر في هذه المسألة أن الدعاة المهدوية يقسمون النبوة إلى قسمين: نبوة تشريعية، ونبوة مطلقة وتابعة للنبوة التشريعية السابقة، ولكنها مخولة لبيان أحكام الشرع في نطاق صلاحياته. ويقولون: إن نبوة نبينا محمد -ﷺ- كانت نبوة التشريع، وانقطعت هذه النبوة بالختم عليها، كما جاء في قوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٣].

فليس هناك من يأتي بشريعة جديدة؛ لأن نبوة التشريع انقطعت بهذه الآية، ونبينا محمد -ﷺ- خاتم النبيين بهذا المعنى.

وأما مطلق النبوة فلم تنقطع وهي نبوة تابعة لنبوة محمد -ﷺ-؛ ولهذا يقال للمهدي: "نبي متبع" بصفته "خاتم الأولياء"، فالأحكام التي بينها "السيد محمد الجونبوري" لا تعتبر نسخ الشريعة المحمدية، ولا تعد تشريعًا جديدًا، بل هي بيان لأحكام الولاية المحمدية بتعليم من الله -تعالى- وتقرير من الرسول -ﷺ-.[٤]

هـ- المهدي أفضل من الصحابة ومن بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد -ﷺ- في الفضيلة.

يعتقد المهدويون أن مهديهم المزعوم أفضل من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وأفضل من الأنبياء، ومساوٍ في المناقب لرسولنا محمد -ﷺ-.

أما تفضيله على الصحابة فالدليل على ذلك أنه سئل محمد بن سيرين"[٥] "المهدي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: منهاج التقويم (١٣١، ١٣٢).

(٣) الآية: ٤٠، سورة الأحزاب.

(٤) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٤، ٢٥).

(٥) هو: الإمام أبو بكر محمد بن سيرين البصري (٣٣هـ - ١١٠هـ).

تابعي جليل. إمام وقته في علوم الدين. ولد بالبصرة، وتوفى فيها. تفقه وروى الحديث. اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.

خير أم أبو بكر وعمر؟ قال: "هو خير منهما"[١].

وعن "عوف بن محمد" قال: «كنا نتحدث أن يكون في هذه الأمة في آخر الزمان خليفة لا يفضل عليه أبو بكر وعمر»[٢].

وقوله -عليه السلام- عن المهدي: «يقفو أثرى ولا يخطئ»[٣].

يقول "السجاوندي" في تعليقه على هذا الحديث:

«وهذه مرتبة لايشترك فيها أحد من الصحابة؛ لأن أبو بكر مع غاية فضله، ونهاية شرفه، قال في حكم "الكلالة"[٤]:

«أقول في "الكلالة" برأيي، فإن كان صوابًا فمن الله ورسوله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[٥].

ويسوق في ذلك أحاديث، ويقول: «ثم ينبغي أن يعلم أن لا دليل في تفضيل "أبو بكر" على المهدي إلا العمومات الواردة في فضله على الأمة، كقوله -عليه السلام-: «والله ما

= انظر: تاريخ بغداد (٥/٣٣١ - ٣٣٨).

- سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦ - ٦٢٣).

(١) ذكره الهيتمي في القول المختصر (٧١).

- وعلي المتقي في البرهان (ل ٢٨/أ).

(٢) ذكره ابن حجر الهيتمي في القول المختصر (٧١).

وقال الفتني: موضوع. فيه ضعيف وكذاب.

انظر: تذكرة الموضوعات (٢٢٣).

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٤) الكلالة: اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة.

انظر: المفردات للراغب (٤٥٥)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.

(٥) رواه الخطيب البغدادي بسنده عن الشعبي.

انظر: الفقيه والمتفقه (١/١٩٩)، تصحيح: الشيخ إسماعيل الأنصاري، طبعة (١٣٩٥هـ)، دار إحياء السنة النبوية.

طلعت الشمس، ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر»[١].

وكقوله -عليه السلام-: «لو يزن إيمان أبي بكر مع أمتي لرجح»[٢].

والمهدي خارج من هذه العمومات لخصوصياته الواردة في حقه كقوله -عليه السلام-: «كيف تهلك أمتي أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[٣] عدّه النبي -ﷺ- سببًا لنجاة الأمة المفضول عليها، وأبو بكر -رضي الله عنه- وماعداه في الأمة الناجية»[٤].

وأما تفضيله على الأنبياء ومساواته لنبينا محمد -ﷺ- فالدليل على ذلك أن "محمد ابن سيرين" «كان يفضل على بعض الأنبياء، ويعدل بنبينا -ﷺ-»[٥].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومًا واحدًا، يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي، وخلقه خلقي»[٦].

وعن علي -رضي الله عنه- أنه نظر ابنه الحسين فقال: «إن ابني هذا سيد، كما سماه النبي -ﷺ- وسيخرج الله من صلبه رجلا يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا

---

(١) هذاجزء من حديث مروي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه-، رواه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" وقال المحقق: إسناده ضعيف، وفصل الكلام في وجوه ضعفه.
انظر: فضائل الصحابة (١/١٥٢، ١٥٣، برقم: ١٣٥)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى.

(٢) هكذا ذكره السجاوندي. روى الإمام أحمد بسنده عن هُزَيل بن شرحبيل الأودي، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «لو وزن إيمان أبي بكر إيمان أهل الأرض لرجح بهم».
قال المحقق: إسناده ضعيف جداً، ولكن الأثر صحيح، وفصّل الكلام فيه.
انظر: فضائل الصحابة (١/٤١٨، ٤١٩، برقم: ٦٥٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: منهاج التقويم (١٢٥ - ١٢٩).

(٥) ذكره ابن حجر الهيتمي في القول المختصر (٧١).

(٦) ذكره المقدسي، وقال: «أخرجه الحافظ أبو نُعَيم في صفة المهدي».
انظر: عقد الدرر (٣١).

يشبهه في الخلق»[١].

يقول "السجاوندي": «وهذان الحديثان يبينان عن فضله؛ لأنه كان إذا كان خُلُقه كخلق نبينا كان أفضل من الجميع، إذ هو سميه لمكارم الأخلاق. قالت عائشة -رضي الله عنها-: «كان خلقه القرآن»[٢]. ويفهم من الحديثين أن المهدي -عليه السلام- مستخلف بجميع أخلاق نبينا -عليه السلام- إذ لو كان مستخلفًا ببعضها دون بعض فما فائدة تخصيصه إذ جميع الأولياء مشتركون في ذلك»[٣].

أما تسويته مع النبي -ﷺ- فيذكرون لها أدلة كثيرة:

منها: أن المهدي مبعوث لدعوة الخلق إلى الله مأمور بإظهارها بينهم كالنبي -ﷺ-.

ومنها: ما روي عن المهدي أنه قال: "أسلم شيطاني"، كما روي ذلك عن النبي -ﷺ- هذه الفضيلة»[٤].

ومنها: استخراج الأنوار والأرواح من النور المحمدي، وقيام روح المهدي منه كما قام الولد من الأم. فلما أعطى النبي -ﷺ- نبوته، أعطي المهدي ولايته، فذاته كذات النبي -ﷺ-، وعلمه كعلم النبي -ﷺ- وتوكله كتوكل النبي -ﷺ- إلى آخر ذلك[٥].

ومنها: قوله -عليه السلام-: «يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان»[٦]. وقوله: «يختم الله به الدين»[٧].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب المهدي عن علي -رضي الله عنه- بتمام اللفظ إلا أن فيه "الحسن" بدلا من "الحسين".
وذكر المحقق أن في سنده انقطاع؛ لأنه من رواية "أبي إسحاق السبيعي" عن "علي" -رضي الله عنه- وهو رأى "عليًا" رؤية، ولم تثبت له رواية عنه.
انظر: سنن أبي داود (٤/٤٧٧، برقم: ٤٢٩٠).

(٢) روى الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها- بلفظ: «كان خلق رسول الله -ﷺ- القرآن». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي (٢/٣٩٢).

(٣) انظر: منهاج التقويم (١٢٦، ١٢٧).

(٤) انظر: نفس المصدر والصفحة.

(٥) انظر: نفس المصدر (١٣١).

(٦) لم أجد حديثا بهذا اللفظ.

(٧) تقدم تخريجه في (ص ٢٢١).

وهذان الحديثان أيضًا يدلان على أن المهدي مساوٍ للنبي -ﷺ-؛ لأنه يقوم بالدين في آخر الزمان، كما قام به النبي -ﷺ- في أوله. كما أن الله -سبحانه وتعالى- يختم به الدين ويكمله، ويرفع به الاختلافات الكثيرة التي حدثت بين الأمة، ومن أجل هذه المناقب أصبح مساويا للرسول -ﷺ- في الدرجة.(١)

وقد ذكر "الشيخ عبد الحق الدهلوي": «إن "السيد محمد الجونبوري" كان يعتقد أن كل كمال كان يتصف به الرسول -ﷺ- أو بلغ إليه، كان له هو أيضًا هذا الكمال نفسه، ولكن الفرق بينهما أن الرسول -ﷺ- كان له هذا الكمال بالأصالة وللجونبوري بالتبع»(٢).

و : تكفير من لا يؤمن بالمهدي:-

يعتقد المهدويون أن من لا يؤمن بمهديهم المزعوم فهو كافر.

ويستدلون على ذلك بالكثير من الأدلة:

منها قوله -تعالى-: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾(٣).

يقول "السجاوندي" في وجه الاستدلال بهذه الآية:

«خصَّص -أي المهدي- "من" في نفسه وجعل الضمائر راجعةً إلى "من"، و"أولئك" إشارة إلى قومه المفهوم من ذكر "من"، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٤). أي: لعل قوم موسى يهتدون، وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن ذكر موسى يدل عليه، فكذا ههنا إلى "قومه" - يقصد قوم المهدي، و"من يكفربه" أي: "بمن" وهو المهدي فالنار موعده. وأصحاب المهدي اتفقوا على أن الكفر بمجرد الإنكار حتى

---

(١) انظر: منهاج التقويم (١٣١).

(٢) انظر: تذكرة لمولانا أبي الكلام آزاد (٥١)، الطبعة الثانية (١٩٨١م)، ساهتيه إكاديمي، نئي دلي - الهند.

(٣) من الآية: ١٧، سورة هود.

(٤) الآية: ٤٩، سورة المؤمنون.

فرضوا أن "با يزيد"[١] لو كان حيًا وأنكر لكفر به»[٢].

ويقول -أي السجاوندي- في موضع آخر: «ومن لم يجب داعي الشرع تهاونا به كفر، أي: تهاونًا بالداعي، والمراد بالداعي القاضي، ومن هو منصوب لإجراء أحكام الشرع، فإذا كان إنكار دعاة الشرع كفرًا، فالمهدي لا يكون أدنى حالاً منهم فافهم جيداً، فإنه بين. نعم التهاون حاصل بعدم تصديقه، ونسبته إلى الخطأ والغلط، يظنه أن الأحاديث لا يوافقه، وهي صارفة عن التصديق وليس الأمر كما ظن»[٣].

وكان المهدي يقول للناس: «من قبل مهديتي فهو مؤمن وإلا كافر»[٤].

وبعد ادعاء المهدية للمرة الثالثة قال للحضور - وهو يمسك جلد جسمه بإصبعين-: «من أنكر مهدية هذا فهو كافر. أنا أتلقى الأحكام من الله -تعالى- مباشرة بدون واسطة. وقال -تعالى-: "أنا آتيتك علم الأولين والآخرين، وبيان معاني القرآن، ومفتاح خزائن الإيمان، من أطاعك فقد أطاعني، ومن أنكرك فقد كفر" فأعلن الجميع إيمانهم وولاءهم بالمهدي، ورفعوا أصواتهم قائلين: آمنا وصدقنا»[٥].

وجاء في مناظرة علماء "الفتن" مع المتمهدي حول ادعاءاته أنهم لما وَجَّهوا إليه السؤال:

- جاء في الحديث أن الناس يؤمنون بالمهدي، ولا ينكره أحد؟
- فرد عليهم قائلا: هل يؤمن المؤمنون أم الكافرون؟
- فقالوا: المؤمنون.

---

(١) هو: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، ويقال أيضًا: با يزيد (١٨٨هـ - ٢٦١هـ). صوفي مشهور. نسبته إلى "بسطام" - بلدة بين خراسان والعراق - ولد وتوفى فيها، يعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية.
انظر: الأعلام (٣/٢٣٥).

(٢) انظر: منهاج التقويم (٩٥).

(٣) نفس المصدر (٢٦).

(٤) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٥).

(٥) انظر: تذكرة علمائے هند (٤٤٧).

- فقال: فقد آمن المؤمنون، وأطاعوا»[1].

هذه من أهم العقائد التي تتبع العقيدة المهدية عند هذه الفرقة، وهناك أمور أخرى، خاصة ما تتعلق بخوارق المهدي ضربت عن ذكرها صفحًا خوف الإطالة.

ثالثاً : الأصول والأحكام:-

بناءً علي ما زعمه المتمهدي من الصلاحيات المخولة له في بيان أحكام الشريعة بصفته "خاتم الأولياء" فقد بين أصولاً وأحكامًا للشريعة بتعليم من الله -تعالى- وتحقيق من الرسول -ﷺ- ويسمونها أركان "الولاية المحمدية". والهدف من ذلك هو التقرب إلى الله -تعالى- والفوز برؤيته في هذه الدنيا، والمتابعة الكاملة للرسول -ﷺ-.

الأول: الأصول، وهي سبعة: ١- الهجرة، ٢- صحبة الصادقين، ٣- الذكر الدائم، ٤- ترك الدنيا، ٥- التوكل، ٦- العزلة، ٧- رؤية الله -تعالى-.

الثاني: الأحكام، وهي ستة: ١- العشر، ٢- التقسيم بالسوية، ٣- النوبة، ٤- الإجماع، ٥- تحية الوضوء، ٦- سلام الوداع.[2]

وفيما يلي أقدم شرحًا موجزًا لهذه الأصول والأحكام.

أولا : الأصول السبعة:-

١- الهجرة:-

المقصود من الهجرة ترك الوطن الذي لا يتمكن فيه المهدويّ أداء الشعائر الدينية.
والدليل على فرضية الهجرة قوله -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3].

وكان المتمهديقد أعلن أن ترك الهجرة نفاق[4].

---

(١) انظر: حيات پاك (١٦٤).

(٢) نفس المصدر (٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥).

(٣) من الآية: ٩٧، سورة النساء.

(٤) انظر: حيات پاك (٢٣٦).

- ختم الهدى سبل السواء (١٩).

وقد رأينا كيف أن المهدويين يتركون أهاليهم وأموالهم، ويرافقون المتمهدي في حله وترحاله، وأثناء وجوده في منطقة "ناكور" اعتنق حاكمها "مُلك جي" المهدوية حيث ترك الجاه والمال وخرج مهاجرًا مع المتمهدي، كما قَبِل المهدوية أناس آخرون من الوجهاء والعلماء، والعامة فقام فيهم المتمهدي وتلا قوله -تعالى-: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُوا وَقُتِلُوا﴾[1] الآية.

وقال: «إن هذه الآية نزلت أصالةً في شأن أصحاب النبي محمد -ﷺ- ومن يتصف بهذه الصفات من جماعة المهدي يتشرف أيضًا بفضل هذه الآية»[2].

والذين كانوا يرافقون المتمهدي في رحلاته كانوا يسمونهم "بالمهاجرين".

والدعاة المهدويون يقسمون الجهاد إلى قسمين: الأصغر، والأكبر، لقوله -عليه السلام- «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[3].

الأول : ما قام به الأولون النبي -ﷺ- وأصحابه.

والثاني: ما يقوم به الآخرون، وهم المهدويون،

فكانت الهجرة أيضًا هجرتان: صغرى، وكبرى. الصغرى للجهاد الأصغر، والكبرى للجهاد الأكبر، فلما كانت الأولى فريضة فتكون الأخيرة من باب أولى؛ لأن الرسول -ﷺ- كان يترقى دائمًا من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا.

فالهجرة الكبرى من أجل الجهاد الأكبر هي التي يقوم بها المهدويون، وهي تتأتى بهجرة شبرٍ من الأرض لقوله -عليه السلام-: «من فَرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان

---

(١) من الآية: ١٩٥، سورة آل عمران.

(٢) انظر: حيات پاك (١٧٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، فلا أصل له، ولا يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي -ﷺ- وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان».

انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٩٧).

شبرًا من الأرض استوجب له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد»[١].

وعملاً بهذا الحديث فإن كل المهدويين - سواء أ كانوا رجالاً أم نساءً، أغنياءً أم فقراءً، شبابًا أم شيوخًا - يموتون مهاجرين ومجاهدين، ويكونون في الجنة برفقة أبيهم إبراهيم ونبيهم محمد - عليهما الصلاة والتسليم-[٢].

٢- صحبة الصادقين:-

ويقصد بالصادقين: السلف الصالحين والمشائخ الكاملين[٣] في المهدوية، وفي مقدمتهم خلفاء المهدي وأصحابه. والدليل على فرضية صحبة الصادقين قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٤]. والأمر هنا للوجوب.

وقال المتمهدي في صحبة الصادقين: «وثِّقُوا علاقاتكم مع جماعة ترشدكم إلى ذكر الله -تعالى- وإلى سبيله»[٥].

٣- الذكر الدائم:-

المقصود بالذكر الدائم أن يشتغل المهدوي بذكر الله -تعالى- ليل نهار، ولا يغفل عن ذكره لحظة واحدة، والدليل على وجوب الذكر الدائم قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٦].

وكان المتمهدي تلا الآية المذكورة بأمر من الله -تعالى وأوجب "الذكر الدائم" للفوز

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «أخرجه الثعلبي في تفسير "العنكبوت" من رواية عباد بن منصور الناجي عن الحسن مرسلاً.

انظر: الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤٨، برقم: ٣٩٢)، المطبوع في نهاية الجزء الرابع لتفسير الكشاف، الطبعة الأولى (١٣٥٤هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي بمصر.

(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٩، ٢٠، ١٠٨، ١٠٩).

(٣) هذا على حد زعم المهدوية، وفي الحقيقة لا يوجد فيهم السلف الصالحون ولا المشائخ الكاملون.

(٤) الآية: ١١٩، سورة التوبة.

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٠، ٢١).

- حيات پاك (٢٣٧).

(٦) من الآية: ١٠٣، سورة النساء.

برؤية الله -تعالى- في هذه الدنيا[١]، وقال: «إن الله -سبحانه وتعالى- أنزل هذه الآية الكريمة في شأن الطائفة "المهدوية" وبيان صفاتهم. وقال أيضا: إن المؤمن الكامل الإيمان هو الذي يشتغل بذكر الله -تعالى- ليل نهار، ولا يغفل عن ذكره لحظة واحدة»[٢]. ومن هنا جاءت فكرة النوبة الليلية لإحيائها بالذكر عند هذه الفرقة.

٤- ترك الدنيا:-

يُقصد به خروج المهدوي من كل ما يملكه، وتَصَدّقه على الفقراء، وذلك لأن الميل إلى الدنيا يسبب الغفلة عن ذات الله -تعالى- وصفاته وأحكامه، وحَرَّم المهدي هذه الغفلة، والغافل هو الذي لا يخاف الله -تعالى- ويميل إلى الدنيا، ففرض المهدي على أتباعه ترك الدنيا بدليل قوله -تعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الأَخِرَةِ إِلا النَّارُ﴾[٣].

وقال المهدي: «من يرد رؤية الله -تعالى- فليعمل صالحًا، والمراد بالعمل الصالح ترك الدنيا، ومن ترك الدنيا، ترك الأنانية»[٤].

ويذكر الدعاة المهدويون كلامًا كثيرًا في ذم الدنيا وطلبها. ويقولون: إن من لم يتمكن من ترك الدنيا في حياته كلها يقطع قبل الموت جميع علاقاته مع أشغال الدنيا ويهاجر إلى المسجد ويقضي بقية حياته في صحبة أحد المشائخ المهدويين.[٥]

٥- التوكل على الله:-

من الأمور التي أوجبها المتمهدي على أتباعه "التوكل على الله"، وذلك بدليل قوله -تعالى-: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٦]. فيجب على كل واحد أن يتوكل على الله -تعالى- في كل شأن من شؤونه، واعتبر "التوكل" لازم ترك الدنيا.

---

(١) رؤية الله تعالى في هذه الدنيا من عقائد المهدوية، وسيأتي الرد على هذه العقيدة في (ص ٢٨٩).

(٢) انظر: حيات پاك (٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) الآية: ١٥، ومن الآية: ١٦، سورة هود.

(٤) انظر: حيات پاك (٢٣٨، ٢٣٩).

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٧، ١٨).

(٦) من الآية: ١٥٩، سورة آل عمران.

وكان المهدويون في الدور الأول من أصحاب المهدي وأتباعه (؟) قد حققوا معنى التوكل، ولهذا لم يكونوا يحملون معهم أي شيء من أسباب المعيشة في تنقلاتهم ورحلاتهم، وكان شعارهم "يوم جديد رزق جديد".[١]

يقول المتمهدي: «يجب على المتوكل أن يأكل ما رزقه الله -تعالى- ولا يدخر شيئًا»[٢].

٦- العزلة عن الخلق:-

المقصود من العزلة الابتعاد عن هؤلاء الناس الذين مالت قلوبهم إلى غير الله -تعالى- واتخدوا الدين لعبًا ولهوًا. والعزلة لازم "صحبة الصادقين"؛ لأن صحبة الصادقين تلزم الابتعاد عن صحبة غير الصادقين.

وألزم المتمهدي أتباعه هذه العزلة بدليل قوله -تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[٣]. ولما استأذن من المتمهدي أحد أتباعه في أن يقضي حياته كلها في العزلة عن الخلق، فقال: «أن تكون في مكان حيث لا تسمع أحداً، ولا يسمعك أحدٌ».

فاستنبط المهدويون من كلام إمامهم أن المقصود من العزلة الابتعاد عن صحبة غير الصادقين الذين هم غير المشائخ المهدوية.[٤]

٧- الرؤية:-

المقصود من الرؤية، رؤية الله - سبحانه وتعالى- في هذه الدنيا بعين الرأس، وهذه أعلى درجات الرؤية، وإن لم يكن يراه بعين الرأس فبعين القلب، أوفي المنام وهو أدنى درجات الرؤية. وتعد الأصول الستة المذكورة بمثابة الإعداد للفوز بهذه الدرجة[٥].

ومسألة الرؤية من أهم المسائل التي شغلت بال المتمهدي طوال حياته المهدية يدافع عنها بقوة، ويؤكد على أن الرؤية فريضة لكل مسلم ويوصي أتباعه قبل وفاته بأن الرؤية

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) نفس المصدر (٢٤٨).

(٣) الآية: ٨، سورة المزمل.

(٤) انظر: حيات پاك (٢٤٠، ٢٤١).

(٥) نفس المصدر (٢٣٨).

أصل أصول دعوته.[(١)]

وقد جاء في مناظرة علماء "الفتن" للمتمهدي حول ادعاءاته لما وُجِّه إليه السؤال:

- أنت تدعي أن الإنسان يرى الله - تعالى- بعين رأسه؟.

- فرد عليهم قائلا: قال الله -تعالى-: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[(٢)].

- قال العلماء: اتفق "أهل السنة والجماعة" على أن الرؤية تقع في الآخرة وليس في الدنيا.

- فقال المتمهدي: «إن وعد الله مطلق، وأنا أذهب إلى إطلاقه لا أقيده بالآخرة»، وأضاف قائلا: «لم يثبت عن "أهل السنة" أنهم أحالوا الرؤية في الدنيا، وكلامهم يحتاج إلى تفهم»[(٣)].

أثناء وجود المتمهدي في منطقة "فراه" احتج عليه بعض العلماء بقوله -تعالى-: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[(٤)].

وقالوا: لا يمكن للعيون رؤيته -تعالى- في هذه الدنيا.

- فقال المتمهدي: معنى الآية: أن العيون المجردة لا تشاهد الله -تعالى- في الدنيا، ولكن العيون التي أعطاها الله -تعالى- قوة الإدراك تشاهده.[(٥)]

ولما سأله وفد من علماء "خراسان":

- هل رأى أحد الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا ومن يشهد لذلك؟

- فقال المتمهدي: محمد رسول الله -ﷺ- وإبراهيم -عليه السلام- من الشاهدين على ذلك؛ لأنهما رأيا الله -تعالى- في هذه الدنيا وهما الآن واقفان عن يميني ويساري، فاسألوهما، وأنا أيضاً من الشاهدين.[(٦)]

---

(١) انظر: حيات پاك (٢١٣).

(٢) الآية: ٧٢، سورة الإسراء.

(٣) انظر: حيات پاك (١٦٦، ١٦٧).

(٤) من الآية: ١٠٣، سورة الأنعام.

(٥) المصدر السابق (٢٠٠).

(٦) نفس المصدر السابق (٢٠٤).

ولهذا نرى الدعاة المهدويين يخصصون حيزاً كبيراً من مؤلفاتهم لبيان هذه المسألة حيث يستدلون عليها بكثير من الأدلة. وكل آية وحديث يستدلون به يحملونه على الرؤية في الدنيا، ويتفننون في وجوه الاستدلال بها. ويشبهون "أهل السنة" المنكرين للرؤية في الدنيا "بالمعتزلة" الذين ينكرون الرؤية في الآخرة، ويؤكدون أن المهدويين حصلت لهم الرؤية في هذه الدنيا بوسيلة المهدي.[1]

ومن الأدلة التي يرددونها كثيراً ما يأتي:-

١- قوله -تعالى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

على أن المراد باللقاء هو الرؤية وجهًا لوجهٍ في الدنيا.

٢- قوله -تعالى-: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[3].

٣- قوله -تعالى-: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[4].

على أن "البصير" هو الذي يراه في الدنيا، و"الأعمى" لا يراه. ويفهم من صيغة الماضي "أبصر" و"عمى" أن الرؤية وعدمها تقع في الدنيا، وليس في الآخرة.[5]

كما يستدلون من السنة بقوله -عليه السلام- في حديث جبريل: «أن تعبد الله كأنك تراه»[6].

على أن المراد "بالإحسان" هو العبادة مع الرؤية، والذي يراه في هذه الدنيا، يصل إلى مرتبة المؤمن الكامل، ويحصل له النعيم الكامل في الآخرة، والعكس بالعكس.[7]

---

(١) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٥، ١٢٦، ١٢٧).

(٢) من الآية: ١١٠، سورة الكهف.

(٣) الآية: ٧٢، سورة الإسراء.

(٤) الآية: ١٠٤، سورة الأنعام.

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٣ - ١٢٦).

(٦) جزأ من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/٣٦، برقم: ١).

(٧) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٣ - ١٢٦).

ثانياً : الأعمال الستة: وهي كالآتي:

١- العشر:-

المقصود من العشر هو إخراج عشر ما يملكه المهدوي في سبيل الله سواء أكان كثيرًا أم قليلاً، وسواء أكان من المكتسبات، أم من الموهوبات، أم من المزروعات.

يقول المهدويون: إن إخراج العشر في أيام الرسول -ﷺ- كان عملا اختياريًا، وجاءت فرضيته عن طريق المهدي "السيد محمد الجونبوري" بدليل قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[١].

وقال المتمهدي: «أخرجوا العشر مما رزقكم الله كثيرًا كان أو قليلاً»[٢].

٢- السوية:-

المقصود "بالسوية" تقسيم الأموال متساوية بين أصحاب المهدي. وكان المتمهدي -كما يزعم المهدويون- يقسم كل شيء يأتيه من الناس على السوية بين أصحابه حتى إذا جاءه شيء مطبوخ فلا يعطى منه لقمة للأطفال إلا بعد التقسيم على الجميع بالسوية. وأثناء وجوده في منطقة "فراه" أهدى أحد الناس قطوفًا من العنب فتناول أحد أصحابه عنبةً، فناولها طفلا له، ولكن المتمهدي أمر بإخراجها من فم الطفل؛ لأنها لم تقسم بالسوية. ويستدلون على هذا التقسيم بما جاء في الحديث في وصف المهدي: «يقسم المال صحاحًا قيل: ما صحاحًا؟ قال بالسوية بين الناس»[٣].[٤]

٣- النوبة:-

قد تقدم في المصطلحات "المهدوية" أن المراد بالنوبة هي النوبة الليلية لإحيائها بالذكر، ويعمل بهذه النوبة في "الدوائر" -الخلوات المهدوية- حتى لا يمر جزء من أجزاء الليل بدون ذكر حيث يتوزع المرابطون في "الدائرة" إلى ثلاث مجموعات ويُقَسَّمُ الليلُ إلى ثلاثة

---

(١) من الآية: ٢٦٧، سورة البقرة.

(٢) انظر: حيات پاك (٢٤٢).

(٣) تقدم تخريجه في (ص ٢١٧).

(٤) انظر: حيات پاك (٢٤٢، ٢٤٣).

أجزاء، وكل مجموعة تتولى إحياء جزء منها، ويستمر هذا العمل إلى صلاة الفجر.

وكان في زمن المهدي يتولى أحد أصحابه يدعى/"إله داد حميد" إيقاظ كل مجموعة، وينادي كل فرد باسمه، وبعد مضي فترة من الزمن جاءه الإلهام(؟) بأن ينبه الراقدين بالكلمات الآتية: "لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه. اللّه إلهنا، محمد نبينا. القرآن والمهدي إمامنا. آمنا وصدقنا". فلما عرض المذكور هذه الكلمات الإلهية (؟) على المهدي استحسنها وأمر بإلقائها لإيقاظ أصحاب النوبة. ويستمر العمل على هذا حتى هذه الأيام.[١]

٤- الإجماع:-

المقصود من الإجماع "العمل الجماعي" كان المتمهدي في رحلاته وتنقلاته إذا نزل في مكان، وأراد القيام فيه يندب أتباعه "للإجماع" - أي العمل الجماعي- فيقوم الجميع بإعداد "الدائرة" و"عبادت خانه" - أي بيت العبادة- وهو المسجد، وأماكن لنزول زوجات المتمهدي- وكان يغضب كثيراً على من لا يشترك في هذا "الإجماع".[٢]

٥- تحية الوضوء:-

دعا المتمهدي أتباعه أن يصلوا ركعتين بعد كل وضوء، ويدعوا خفيةً وهم ساجدون، بدليل قوله -تعالى-: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[٣].[٤]

٦- سلام الوداع:-

يذكر الدعاة المهدويون أن الرسول -ﷺ- لما كان يقوم بعد صلاة العشاء، لينصرف إلى بيته يقف أصحابه حواليه صفوفًا، فيودعهم رسول اللّه -ﷺ- بقوله: "السلام عليكم". واتباعًا لهذه السنة كان المتمهدي إذا قام بعد صلاة العشاء لينصرف إلى بيته، كان الأصحاب والمهاجرون يقفون صفوفًا حواليه فيودعهم بقوله: "السلام عليكم" ومازال

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) المصدر نفسه (٢٤٤).

(٣) من الآية: ٥٥، سورة الأعراف.

(٤) انظر: حيات پاك (٢٤٥).

المهدويون يعملون بهذه البدعة إلى يومنا هذا.[١]

هذه الأعمال الستة ليست متساوية في الدرجة، بل بعضها أكثر أهمية من البعض، إذ أن بعضها أوجبه المتمهدي مثل العشر، والبعض الآخر رغب فيه وحبَّذه، ولهذا يسمونها "بالفروع" أيضاً.

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٤٦).

ب : أشهر الدعاة:-

تمكنت الحركة "المهدوية" من جلب دعاة أكفاء كثيرين إلى صفوفها، لعبوا دوراً هاماً في نشر مبادئ هذه الحركة في ربوع بلاد "الهند"، ونجحوا في استقطاب كثير من الحكام والمحكومين إلى هذه الفرقة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «أنجبت هذه الحركة رجالاً أقوياء مخلصين يستميتون في الدعوة، ويجاهدون في سبيلها، ولا يخافون سلطة وسطوة، ويقومون بواجب "كلمة حق عند سلطان جائر" -على حد زعمهم- بشجاعة نادرة، وجرأة خارقة، يتحملون مشاق التعذيب والإيذاء الشديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد وهبوا نفوسهم ومهجهم في هذا الطريق راضين مسرورين، لا يقف الإنسان على هذه البطولات، والمواقف الجريئة إلا بإعجاب وإكبار وانفعال، ويضطر إلى أن يعترف بتأثير تربية "السيد محمد الجونبوري" وصحبته»[(١)].

وأنا اكتفي هنا بذكر أشهر الدعاة فقط، الذين كان لهم دور بارز في نشر مبادئ هذه الفرقة. ومنهم:

أولاً : السيد محمود:-

هو السيد محمود بن السيد محمد الجونبوري المتمهدي (٠٠٠ - ٩١٩هـ).

وهو الابن الأول للمتمهدي، وأول خلفائه الخمسة، وأول اثنى عشر المبشرة، والمهدي الثاني - على حد زعمهم- ولد ونشأ بمدينة "جونپور" وتعلم على يد أبيه.[(٢)]

كان "السيد محمود" من المرافقين لوالده المتمهدي أثناء رحلاته، ومن أوائل من آمن بمهديته في منطقة "دانا پور" -المحطة الأولى لرحلات المهدي - وزوجته التي رأت الرويا وسمعت نداء الغيب حول مهدية زوجها، كانت والدة "السيد محمود" فآمنت هي وولدها بالمهدي، كما تقدم.[(٣)]

---

(١) الإمام السرهندي (٤٧).

(٢) انظر: حيات پاك (٢١٨، ٢١٩).

- نزهة الخواطر (٤/٣٤٧، ٣٤٨).

(٣) في المبحث الأول من هذا الفصل.

ولما وصل المتمهدي إلى منطقة "الفتن" سأله ابنه "السيد محمود" أي ترك الدنيا أفضل، تركها وهو لا يملك شيئًا، أم تركها وهو يملك مالاً ومتاعًا؟.

فقال المهدي: بينهما فرق كبير، والذي يترك الدنيا وهو يملك المال والمتاع أفضل من الذي يتركها وهو لا يملك شيئًا، فاستأذنه - أي السيد محمود - لكسب المال حتى يترك الدنيا على طريقة أفضل فأذن له، وأوصاه ألا ينسى ذكر الله -تعالى- في كل شؤونه.(١)

ولما استقر المتمهدي في منطقة "فراه" بعد سفر طويل وعناء شديد كتب إلى ابنه "السيد محمود" للقدوم إليه، وبعد وصول الخطاب توجه فورًا إلى لقاء أبيه.(٢)

وعند ما سمع المتمهدي بقدوم ابنه فرح، وبَشَّرَ أتباعه، أن الابن صار مثل الأب. واستقبله بمزيد من الفرحة والسرور والحفاوة البالغة، وخرج من "الدائرة" على مسافة ستين قدمًا لاستقباله، وكان ذلك قبل وفاة المتمهدي بستة أشهر ونصف شهر.(٣)

ولما أحس المتمهدي بدنو أجله جمع أهل بيته وأتباعه المهاجرين، وأوصى ابنه "السيد محمود" بهم، وقال: «ومن لم يصل منكم إلى درجة الكمال، فسوف يصل إلى هذه الدرجة بصحبة أخيكم "السيد محمود"(٤).

تلقيبه بالمهدي الثاني:-

بعد وفاة المهدي اجتمع الأصحاب والمهاجرون (؟). واتفق الجميع على تلقيب "السيد محمود" "بالمهدي الثاني" لما وجدوه يشبه في خَلْقه وخُلُقه وأوصافه بوالده المهدي.(٥)

وبعد وفاة أبيه أقام "السيد محمود" في منطقة "فراه" لمدة سنة كاملة يتعهد أتباعه، ويعلمهم كما يقوم بواجب الدعوة "المهدوية" إلى الناس عامةً، فآمن الكثير "بالمهدوية" على يديه، وبعد مضى سنة على هذه الحال جاءته الإشارة من روح المهدي - على حد زعمه-

---

(١) انظر: حيات پاك (١٥٤).

(٢) نفس المصدر (١٨٩).

(٣) نفس المصدر (٢٠٧ - ٢٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٢١٣، ٢١٤).

(٥) المصدر نفسه (٢١٥).

أن ملكًا جبارًا سوف يقدم إليهم فيجب عليهم مغادرة "فراه" والتوجه إلى إقليم "كُجرات" الهندية، حيث تجمع المهدويين ومقرهم الرئيسي، فجمع "السيد محمود" الأصحاب والمهاجرين(؟)، وعرض عليهم الموضوع، وبعد تداول الآراء قرروا مغادرة "فراه" فذهب هو مع أهل بيته ومعظم أتباع المتمهدي إلى إقليم "كجرات"[(١)] . كما انتشر آخرون في مناطق "بأفغانستان"، وفضّل البعض البقاء في "فراه".[(٢)]

وبعد وصول "السيد محمود" إلى "كجرات" توطن في منطقة "بهلوت" وأصبح مرجعًا لخلفاء وأتباع المتمهدي، وصارت "المهدوية" تنتشر وتتطور بسرعة فائقة. ولما علم حاكم "كجرات" "السلطان محمود بيكره"[(٣)] انحرافات هذه الفرقة وضلالاتها أمر بإلقاء القبض على "السيد محمود" وحبسه في سجن "أحمدآباد"، ووضع على رجليه سلاسل ثقيلة من الحديد، وقضى على هذه الحال واحدًا وأربعين يومًا، وتشفع إليه بعض كبار رجالات أهل بيته الذين كانوا على الطريقة المهدوية، فأمر السلطان بالإفراج عنه، ولكن الحديد الثقيل أثر في رجليه حتى أعجزهما؛ مما تسبب في وفاته، وكان ذلك عام (٩١٩هـ)، أي: بعد وفاة والده بتسع سنوات.[(٤)]

ثانياً : السيد خُوْنْدَ مِيْر:-

هو السيد خوند مير بن موسى بن جهجو بن سعيد النهروالي الكجراتي (٠٠٠-٩٣٠هـ).

---

(١) يزعم المهدويون أن بعد مغادرة "السيد محمود" منطقة "فراه" متوجهًا إلى "كجرات" وجّه "الشاه إسماعيل الصفوي" – شاه إيران – جيشًا قوامه خمسمائة فارس لنسف قبر "السيد محمد المتمهدي" وأثناء الطريق سلط الله -تعالى- عليهم عاصفة هوجاء أبادت هذه الحملة، فاعتبر الشاه بهذا الحادث، ولم يعد يفكر في مثل هذا الإجراء.
انظر: حيات پاك (٢١٧).

(٢) انظر حيات پاك (٢١٦).

(٣) هو سيف الدين محمود بن محمد بن أحمد الكجراتي، المشهور بـ/ محمود بيكرة" (٠٠٠ – ٠٠٠). عرف بالعدل والجهاد، وتنفيذ الشرع. حكم إقليم "كجرات" خمس وخمسين سنة. له مآثر جليلة.
انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٤١ – ٣٤٧).

(٤) انظر: أئمة تلبيس (٢/٤٤، ٤٥).

ثاني خلفاء المتمهدي الخمسة، وثاني اثنى عشر المبشرة، وصديق الولاية، وسيد الشهداء -على حد زعمهم، ولد ونشأ في "نهرواله".[١]

يزعم المهدويون أن "السيد خوند مير" كان من سلالة "الإمام موسى الكاظم"، ويلتقي مع نسب "السيد محمد الجونبوري" في البطن العاشر. كان أفراد عائلته يتولون مناصب عالية في حكومة "كجرات" إلا أن "السيد خوند مير" لم يكن يميل إلى هذه المناصب، بل يبحث عن شخص يدله على الحق، ويرشده إلى الصواب. وكان على هذه الحال إذ فوجئ بقدوم المتمهدي في إقليم "كجرات" فاشتاق إلى لقائه، ولما وصل إلى حضرته نظر إليه المتمهدي فخرّ مغشيا عليه، واستغرق في مشاهدة التجليات الألوهية، فرَشَّ عليه المتمهدي فضلة مائه فأفاق، وبايع على يديه، وعلمه "الذكر" على طريقة حفظ الأنفاس، وقرأ عليه الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله:﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[٢]. فطرأت عليه حالة مشاهدة الأنوار الإلهية، وتشرف برؤية اللّه -عزوجل- ولقبه المتمهدي بـ/صديق الولاية.[٣]

وكان "السيد خوند مير" مرافقًا للمتمهدي في رحلاته وتنقلاته، وبعد وفاته في منطقة "فراه" بأسبوع توجه إلى إقليم "كجرات"، وذلك بإشارة من روح المتمهدي -على حد زعمه- وبعد استقراره في مدينة "الفتن" شمر عن ساق الجد والاجتهاد في تبليغ الدعوة المهدوية، ونجح في جلب أعداد كبيرة من المسلمين إلى صفوف الفرقة المهدوية، ولما كثُر أتباعه وازدادت شوكته أحس حاكم "الفتن" بالخطر الداهم تجاه "خوند مير" فأمر بمغادرة "الفتن" فلجأ إلى أحد أتباعه يدعى بـ/ملك پيار - كان من الأثرياء - في موضع "كهانبيل"[٤].

وفي عام (٩٣٠هـ) أعدم حاكم مدينة "أحمد آباد" أحد الدعاة المهدويين بعد أن أفتى

---

(١) انظر: حيات پاك (٢١٩).

- نزهة الخواطر (٤/١٠٥، ١٠٦).

(٢) من الآية: ٣٥، سورة النور.

(٣) انظر: حيات پاك (١٥٥ - ١٥٧).

(٤) انظر: أئمه تلبيس (٢/٤٥).

بقتله عدد من العلماء، ولما بلغ هذا الخبر إلى "السيد خوند مير" بعث أربعة فرسان من رجاله لاغتيال هؤلاء العلماء، وقد نَفَّذ الفرسان هذه الاغتيالات، ورجعوا إلى "السيد خوند مير" ولما علم حاكم "كجرات" "السلطان محمود"[١] بهذا الخبر أرسل جيشًا لإخماد فتنة المهدويين، فحاصر الجيش منطقة "كهانبيل" حيث كان مقر إقامة "السيد خوند مير" فخرج -أي: خوند مير- في ستين فارسًا وأربعين راجلاً لمواجهة جيش السلطان، وأمده شرف الدين المهدوي - أحد زعماء المهدوية- بثمانين فارسًا أيضًا. وكانت المعركة شديدة قتل فيها أربعون من المهدويين، فتراجع "خوند مير" مع أتباعه إلى موضع "سدراسن" بعد أن جرح وفقد إحدى عينيه، ولكن جيش السلطان تعقبهم، وتمكن من قتل "السيد خوند مير" وابنه "جلال الدين" في أربعة وخمسين من أتباعه، وتسمى "المهدوية" هذه المعركة بـ/معركة بدر الولاية، وتلقب "السيد خوند مير" بـ/ سيد الشهداء، وتزعم أن الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢]. نزلت في هذا الشأن، والمراد بالأمانة هذه المعركة، كما أن المراد بالإنسان "السيد خوند مير"»[٣].

ومن مؤلفاته كتاب "بحر الفوائد وأم العقائد" في العقائد المهدوية.[٤]

ثالثاً: الشيخ علاء البيانوي:-

هو علاء بن الحسن المهدوي البيانوي (٠٠٠ - ٩٧٥هـ).

أحد كبار الدعاة المشهورين في الفرقة "المهدوية" وزعمائها. كان متفرداً في الذكاء، والفطنة، وسيلان الذهن، وقوة الحافظة.

أصله من إقليم "البنغال" خرج مع أبيه إلى مدينة "بيانه" وسكن هناك، وأخذ العلم

---

(١) هو السلطان محمود بن عبد اللطيف بن المظفر الكجراتي (٠٠٠ - ٩٦١هـ).

كان من خيار سلاطين "كجرات". من أعماله الصالحة الأوقاف الكثيرة على الحرمين الشريفين، قتله أحد رجال حاشيته.

انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٣٧ - ٣٤١).

(٢) من الآية: ٧٢، سورة الأحزاب.

(٣) انظر: أئمه تلبيس (٢/٤٥، ٤٦).

(٤) انظر: نزهة الخواطر (٤/١٠٦).

عن أبيه وعن عمه "الشيخ نصر الله"، كان أبوه من شيوخ الصوفية، وبعد وفاته جلس "علاء" في مجلس أبيه، واشتغل بالإرشاد والتلقين على طريقته.[١]

ولما قدم "الشيخ عبد الله النيازي"[٢] إلى مدينة "بيانه" وأخذ يدعو إلى "المهدوية" ظل الشيخ "العلاء البيانوي" يراقب أحواله وأعماله عن كثب حتى مالَ إليه، ورغب في طريقته، فترك مشيخة والده، وبايع "الشيخ عبد الله النيازي" على المبادئ "المهدوية"، ولازمه مدةً، وتلقى عنه "الذكر الدائم"، كما أخذ عنه تفسير القرآن الكريم، واشتغل عنده بالرياضة والمجاهدة حتى اشتهر أمره، وعلا صيته، وقصده الناس من أرجاء "الهند".[٣]

وبعد أن أعد العدة بدأ يتصدى للدعوة "المهدوية" وأعلن لأتباعه ومريديه السابقين أن الدين والإيمان هو اتباع الفرقة "المهدوية"، وأن المهدي الموعود هو "السيد محمد الجونبوري" وحسب المبادئ "المهدوية" ترك الدنيا، ووزع ما عنده من المال والمتاع على الفقراء والمساكين حتى الكتب الدينية التي ورثها عن الآباء تنازل عنها للفقراء. وخير زوجته بين الطلاق، وبين البقاء معه في حالة الفقر، وترك الدنيا، فاختارت البقاء معه، ووهبت جميع ما تملك من الحلي والمتاع، وخرجت مع زوجها.[٤]

وكان من أساليب الدعوة عند "الشيخ علاء" أن يقوم بعد كل صلاة، ويقرأ آيات من القرآن الكريم ويفسرها بطريقته الخاصة، فمن يسمعها يعتنق "المهدوية"، ويبايع على يده وينفق عشر ما يملكه في سبيل الله، أو يترك الدنيا، ويتنازل عن جميع ما يملك، ويرافق الشيخ. وكان من نتيجة ذلك أن حصل كثير من الخلاف والشقاق بين أفراد الأسرة الواحدة، فكان الابن يترك أباه، والأخ أخاه، والمرأة زوجها، ويفضلون صحبة الشيخ. وكان -أي شيخ علاء- إذا جاءه شيء من النذور أو الهدايا - التي يسمونها بالفتوح- يقسمها بين أتباعه بالسوية. وكان أتباعه يحملون معهم السيوف والسنان دائماً،

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٢٢٧/٤).

(٢) سيأتي الحديث عنه بعد قليل.

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٢٨/٤).

(٤) انظر: أئمة تلبيس (٥٢/٤، ٥٣).

ويتجولون في الأسواق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالقهر والقوة.[١]

ولما اشتهر أمره، وكثر أتباعه أشار عليه شيخه "عبد الله النيازي" بالذهاب إلى "الحجاز" لأداء مناسك الحج حتى لاتكون فتنة في البلاد. فلماأعلن "الشيخ علاء" عن عزمه للسفر إلى "الحجاز" رافقه ثلاثمائة وسبعون أهل بيت، ووصل معهم إلى منطقة "جودهاپور" فرحب حاكم هذه المنطقة "خواص خان" بالشيخ وأكرمه، واعتنق "المهدوية" هو ورجاله، ولكن سرعان ماأدرك بطلان مبادئ هذه الفرقة، والنتائج الوخيمة التي تترتب على اعتناقها، فانقلب رأسًاعلى عقب، ولكن الشيخ "البيانوي" كان ذكيًا، تدارك الموقف قبل أن يتفاقم، وقال لمرافقيه أن الأمير "خواص خان" لا يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المطلوب، فليس من المناسب البقاء هنا، فكَرَّ عائدًا إلى مقره الأصلي في "بيانه".[٢]

وكان ملك "الهند" في ذلك الوقت "الملك سليم شاه السوري"[٣] وقد بلغته أخبار "الشيخ البيانوي" فبعث إليه للتوجه إلى "آغرا" لمقابلته، فلما وصل إليه لم يلتزم بآداب مراسم التحية الملكية من الانحناء وغيره -جريًا على العادة المتبعة في ذلك الوقت- واكتفى بإلقاء السلام فقط. وجمع الملك كبار علماء الدولة لمباحثته حول خروج المهدي، وعقد مجلسًا للمناظرة، وذكر العلماء علامات مهدي آخر الزمان، وأفحموه ولما لم يجد ما يرد به عليهم لجأ -كعادته- إلى تفسير القرآن الكريم، فقرأ آيات من كتاب الله -تعالى- وشرحها بطريقته الخاصة، وألقى خطابًا أثر في قلب الملك، فقال له الملك: «تب من هذه العقيدة الباطلة أعينك رئيسًا لدائرة الحسبة» ولكنه رفض هذا المنصب. وأفتى أحد علماء البلاط -وهو "الشيخ عبد الله السلطانبوري مخدوم الملك"[٤] بقتله، ولكن الملك لم يعمل بفتواه ونفاه

---

(١) انظر: تاريخ فرشته لمحمد بن قاسم فرشته (٦٥٣/١، ٦٥٤)، ترجمة: عبد الحي خواجه، شيخ غلام علي اينڈ سنز، انار كلي، لاهور - پاكستان.

(٢) نفس المصدر (٦٥٤/١).

(٣) هو: سليم شاه بن شير شاه السوري (٠٠٠- ٩٦١هـ).
تولى عرش الهند بعد أبيه عام (٩٥٢هـ)، وحكمها تسع سنوات. وكان على طريقة أبيه في الحكم.
انظر: نزهة الخواطر (١٢٧/٤، ١٢٨).

(٤) هو: الشيخ عبد الله بن شمس الدين الأنصاري السلطانپوري، المشهور بمخدوم الملك (٠٠٠-٩٩٠هـ).
سيأتي المزيد عنه في الفصل السادس من هذا المبحث.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٢٠٦/٤ - ٢٠٨).

إلي حدود "الدكن" – البلاد الجنوبية– "للهند".[١]

فحط رحله في منطقة تسمى "بالهندية" فاستقبله حاكمها "الأمير نياز خان" ورحب به، وقام الشيخ بالدعوة المهدوية بين أهالي هذه المنطقة، وتأثر حاكمها بهذه الدعوة، فاعتنقها هو وجيشه وعدد كبير من أهاليها، وقويت شوكته هناك فخاف "الملك سليم شاه" من نفوذه المتزايد بين أمراء الأقاليم وجيوشها فاستدعاه إلى "آغرا" للمرة الثانية، وحاول الملك هذه المرة أيضًا الاستتابة والأخذ بيده إلى طريق الحق، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، وأخيراً بعثه إلى "الشيخ محمد بن طيب الحقاني" في إقليم "بهار" ليباحث معه في مسألة خروج المهدي، وبعد المباحثة أقر "الشيخ الحقاني" ما أفتى به "الشيخ عبد الله السلطانبوري" بإباحة دمه، وكتب بذلك محضراً، وبعثه إلى الملك "سليم شاه" فلما وصل الكتاب إلى الملك، ووصل "الشيخ البيانوي" وقد أصابه الجهد والهزال الشديد من جراء السفر الطويل، كما كان أصابه مرض الطاعون الذي كان قد انتشر في "الهند" في ذلك الوقت، فكان لا يقدر على الكلام، فهمس الملك في أذنه أن يعترف أنه ليس مهدويًا، فيصدر عنه عفواً . ولكنه رفض ذلك، فلما نفد صبر الملك أمر أن يضرب بالسياط، فمات في السوط الثالث، فأمر بربط رجله بقدم الفيل، وطيف به في المعسكر، كما أمر بترك جثته على الأرض بدون دفن[٢].[٣]

---

(١) انظر: تاريخ فرشته (١/١٥٥).

(٢) تقول الرواية الأخرى أن "الشيخ البيانوي" لما وصل في إقليم "بهار" لقي "الشيخ الحقاني" في منزله، وبينما هو كذلك، إذ سمع صوت الغناء من بيت الشيخ فأنكره "البيانوي" واعتذر إليه "الحقاني" وكتب إلى الملك "سليم شاه" أن مسألة خروج المهدي، ليست مما يدور عليه الكفر والإيمان، وهناك اختلاف كثير حول تحديد علامات مهدي آخر الزمان فلا ينبغي أن يكفر بها أحد المسلمين، وأن الكتب المتعلقة بهذه المسألة لا توجد في هذه البلاد، ولذلك لا أقدر على دفع شبهاته.

فلما رأى أبناء "الشيخ الحقاني" أن "الشيخ عبد الله السلطانبوري" – الذي أصدر فتوى بإباحة دمه– لا يعجبه هذا الكتاب، بدلوه، وكتبوا من عند أنفسهم إلى "الملك سليم شاه" أن "مخدوم الملك عبد الله السلطانبوري" يعد من كبار العلماء المحققين، وهو موجود عندكم، فارجعوا إليه في هذه المسألة، وبعثوا به إلى الملك، فلما وصله الكتاب سلَّمه إلى "الشيخ السلطانبوري: فأمر بضرب السياط ... القصة.

انظر: نزهة الخواطر (٤/٢٢٩).

(٣) انظر: تاريخ فرشته (١/٦٥٥، ٦٥٦).

وهكذا كانت نهاية هذا الداعية الذي أسهم بدور فعال في نشر مبادئ الفرقة "المهدوية" في ربوع القارة الهندية. ولكن الغريب في الأمر أن شيخه "عبد الله النيازي" الذي كان على قيد الحياة في ذلك الوقت لم يكن قد رجع عن "المهدوية" وتاب منها، وكان يعيش بعيداً عن أنظار الناس تاركًا للدنيا، ومشغولا بالذكر، والمجاهدة، والرياضة، وبعد أن قتل تلميذه على يد "سليم شاه" على المبادئ "المهدوية" رجع هو عنها وتاب - كما سيأتي- فياليت تاب في حياة تلميذه "الشيخ بيانوي" فيكون قد تاب هو أيضًا، ولم يهلك مهلك الردي، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

رابعاً : عبد الله النيازي:[1]

هو عبد الله النيازي السرهندي المهدوي (٠٠٠ - ١٠٠٠هـ). أحد أشهر الدعاة المهدوية. كان الشيخ "عبد الله النيازي" من "الأفغان"، ومن طائفة "نيازي" وأحد شيوخ الصوفية المشهورين في "الهند"، إذ كان يقصده الناس من كل حدب وصوب. وكان قد ذهب إلى "الحجاز" لأداء مناسك الحج، وفي طريق عودته تلقفه أحد خلفاء "السيد محمد الجونبوري المتمهدي"، وشرح له مبادئ الدعوة المهدوية، ولما أن الشيخ كان يفضل حياة الزهد والتقشف من البداية، فسرعان ما استجاب لهذه الدعوة، وارتمى في أحضانها، وأصبح من دعاتها وحماتها. وحسب الأصول المهدوية ترك الدنيا، وذهب إلى مدينة "بيانه" في منطقة "جے پور" وحط رحله خارج المدينة في بستان خرب، وأخذ يعيش عيش الفقراء والمساكين، ويدعو الناس إلى المبادئ "المهدوية".

كان من أساليب دعوته أن كان يعبئ جرات الماء بنفسه من الآبار، ويمر بها على الحطابين، والعمال ويسقيهم. وإذا رأى شيخًا مسنًا يحمل حزمة حطب أو شيئًا ثقيلاً يأخذ منه حزمته، ويمشي معه إلى أميال. وإذا حضر وقت الصلاة يجمع الحطابين والحمالين والسقائين والعمال ويحثهم على أداء الصلوات معه بالجماعة. وإذا رأى أحداً لا يستطيع أن يحضر للصلاة من أجل عمله، يهبه ما يملكه من المال، ويدعوه لأداء الصلوات مع الجماعة عنده. وكان من نتيجة ذلك أن قَبِلَ عدد كبير من المسلمين مبادئ "المهدوية"

---

(١) كان من الممكن أن يتقدم الحديث عن "النيازي" قبل البيانوي". وإنما رأيت تأخيره؛ لأن "النيازي" توفى بعد تلميذه "البيانوي".

وفي مقدمتهم الشيخ "علاء بن الحسن البيانوي"- وقد تقدم الحديث عنه[١].

كان "الملك سليم شاه" شديداً على "النيازيين" وكان قد خرج لإخماد فتنتهم في إقليم "البنجاب" فلما وصل على مقربة من منطقة "بيانه" أشار عليه رجال حاشيته أن "الشيخ عبد الله النيازي" المهدوي - المقيم حاليًا في منطقة "بيانه" - بصفته شيخًا "لعلاء البيانوي" وزعيمًا للمهدويين والنيازيين، يشكل خطراً على الدولة، فيجب التخلص منه، فأرسل "الملك سليم شاه" إلى حاكم "بيانه" لإحضار "الشيخ النيازي" إليه، وكان حاكمها أيضًا على الطريقة "المهدوية" مريداً له، فحاول أن ينقذ الشيخ من غضبة الملك، وعرض عليه أن يخرج خفيةً إلى إحدى المناطق النائية؛ ليتمكن من الاعتذار إلى الملك بأن الشيخ قد اختفى، ولكن الشيخ لم يرحب بهذه الفكرة، وأبدى استعداده للمثول أمام الملك، وقال: «وليكن ما يكون ليس لأحد أن يفر من القدر وقدر الله في الحال والمستقبل واحد، فلا فائدة في الهروب»[٢].

وخرج الحاكم مع الشيخ متوجهًا إلى الملك لينقذه إن أمكن الإنقاذ من غضبته، وكان الملك قد أقام على مسافة عشرة أميال ليواصل المسير إلى إقليم "البنجاب"، فوصل "الشيخ النيازي" في الصباح الباكر إلى معسكر الملك، وكان قد ركب، فوقف الشيخ أمام موكبه وسلم عليه قائلا: "السلام عليك" ولم يلتزم بآداب التحية الملكية من الانحناء وغيره، فأغضب ذلك الملك، ولكن الحاكم الذي كان يرافق الشيخ لإنقاذ حياته أخذ عنقه، وأخضعه أمام الملك، وقال: «هكذا يسلم على الملك"؟ ولكن الشيخ رفض هذه الهيئة وقال: «الطريقة المسنونة للسلام هي التي قمت بها، ولا أعرف غيرها» فاستشاط الملك غيظًا وأشار إلى الحرس لتأديبه، فانهال عليه العسكر بالضرب، وكان يردد الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ﴾[٣]. فسأل الملك أحد علماء بلاطه ماذا يقول الشيخ؟. فأجاب: يقول الشيخ: "إننا كفار" فزاد ذلك في غضبه

---

(١) انظر: تذكرة لأبي الكلام آزاد (٦٢، ٦٣).
- نزهة الخواطر (٢١٢/٤، ٢١٣).

(٢) انظر: أئمه تلبيس (٤٩/٢، ٥٠).

(٣) من الآية: ١٤٧، سورة آل عمران.

وأمر العسكر بمعاودة الضرب حتى أغمي عليه، فتركه الملك على هذه الحال وتحرك صوب "البنجاب" فجاء بعض الناس وحملوه.[١]

وفي هذه الأثناء أخذت حكومة "السوريين" في الانحسار، وبدأ صبح الدولة المغولية يشرق من جديد؛ إذ رجع الملك المخلوع "همايون"[٢] بن بابر المغولي" من "إيران" وأعاد الكرة على "الهند"، واحتل "قندهار" و"كابل"، ثم استعاد مملكة "الهند" بكاملها، وبهذا زالت دولة السوريين عن "الهند"، وتأسست دولة المغول من جديد، وفي هذه الفترة - وهي فترة التقلبات السياسية - كانت بالنسبة "للشيخ النيازي" فترة نقاهة من الوعكة الصحية التي أصابته من جراء الضرب المبرح الذي نزل به على أيدي العسكر للملك "سليم شاه".

كما كانت فترة استبصار واستبيان ومراجعة شاملة لمواقفه واختياراته، فكان ينتقل من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى أخرى، يقابل الناس، ويباحث معهم حتى انكشفت الغمة عن عيونه، وزالت الشبهات التي علقت بقلبه فتاب عن "المهدوية" وأناب إلى طريق الحق، فكانت "المهدوية" وكأنها سحابة صيف انقشعت ولو بعد حين.[٣]

فياليت الشيخ تاب وأناب في حياة تلميذه "الشيخ علاء بن حسن البيانوي" - الذي هز "الهند بشخصيته الفذة هزًا عنيفًا وضحى بكل شيء في سبيل "المهدوية" حتى مات شر ميتة- فيكون هو الآخر قد تاب أيضًا.

وقضى "الشيخ النيازي" بقية حياته في الفقر والعوز رافضًا هبات الملوك ومنحهم. وكان يعكف على دراسة كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي.

من أشهر مؤلفاته: "القربة إلى الله وإلى النبي -ﷺ- و"مرآة الصفا" و"الصراط المستقيم".

---

(١) انظر: أئمة تلبيس (٥١/٢)

(٢) هو: همايون بن بابر بن عمر المغولي (٩١٣هـ - ٩٦٣هـ).
تولى مملكة الهند بعد وفاة أبيه "بابر" وفي أيامه قويت شوكة "شير شاه السوري". ولم يتمكن "همايون" الصمود أمامه، فلجأ إلى "إيران" واستنجد "بالشاه طهماسب" وأعاد الكرة على "الهند" واستعادها.
توفي بالوقوع عن مدرجة مكتبته التي كان يطالع فيها.
انظر: ترجمته في: نزهة الخواطر (٣٨٩/٤ - ٣٩٢).

(٣) انظر: أئمة تلبيس (٢، ٥١).

توفى في "سرهند"، وله تسعون سنة.[١]

وماعدا هؤلاء كان هناك دعاةً آخرين كثيرين قاموا بهذه الدعوة بعد وفاة المتمهدي خاصة خلفاءه وأصحابه. (؟). وفي مقدمتهم "شاه نعمت" و"شاه نظام الدين" و"شاه دلاور" و"ملك برهان الدين" وغيرهم، إلا أن كتب التاريخ والتراجم لم تذكر شيئًا عن حياتهم.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٢١٣/٤).

المبحث الثالث: آثارها:-

خلفت الحركة "المهدوية" آثارًا سيئة ظلت شبه القارة الهندية تعاني منها حتى هذه الأيام، وذلك على الدين والمجتمع على السواء.

ويمكن تلخيص تلك الآثار في الأمور الآتية:-

أولا: التشويش والمغالطة في عقيدة المهدي:-

استغل "السيد محمد الجونبوري" عقيدة ظهور المهدي في آخر الزمان شر استغلال للتشويش والمغالطة، وادعى أنه هو المهدي الموعود، واستدل على ذلك -على حد زعمه- بكثير من الآيات القرآنية بعد تحريف معانيها، وحملها على غير محاملها. وهكذا بالأحاديث النبوية وتأويلها تأويلا بعيداً لا تستسيغها العقول.

مستعينًا في ذلك بقوة شخصيته، وسرعة تأثيره في الناس، وملكته الخطابية، وقدرته على الجدل، وجرأته في الدعوة، وسلوكه سلوك الزاهدين، استغل ذلك كله بقوة في التأثير على الناس، وكسب الدعاة والمريدين. وإرغامهم على الاعتقاد بأنه المهدي الموعود.

يقول الشيخ أبوالحسن الندوي:

«وكانت حياته حياة زهد وتجرد، واستغناء، وانقطاع كامل إلى الله -تعالى-، وكان الناس يشاهدون منه -سفراً كان أو حضراً- مظاهر الزهد والإيثار، والذكر والعبادة، يوزع الطعام على الناس بالسوية من غير تمييز بين غني وفقير، وأهله وأفراد أسرته لا يمتازون عن الناس في شيء. فكان هذا الجو الإيماني يؤثر على جميع الوافدين، فلا يرجعون من عنده إلا معجبين به، مأخوذين بتأثيره»[١].

ولهذا نرى كثيراً من العلماء والمؤرخين يشيدون بمواقفه، ويذكرونه بالثناء العطر لما قام به هو وأتباعه من أعمال جليلة ضد سيل الإلحاد والزندقة، وأعمال الشرك والبدعة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر عند الملوك والسلاطين، وذوي النفوذ، غير مبالين بما يلقون في سبيل ذلك من المعانات والأذى، ويُعذرونه في ادعاءاته[٢].[٣]

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٤٧).

(٢) انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٢٣، ٣٢٤).

....

---

(٣) هذا مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨م - ١٩٥٨م) يكيل المدح لهم ويثني عليهم ثناءً يبلغ حد الإطراء، ويعتبرهم مصداق قوله -تعالى-: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [من الآية: ٥٤، سورة المائدة]، وقوله -تعالى-: ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [من الآية: ٢٩، سورة الفتح].

ويصم العلماء الذين قاموا ضدهم بعلماء الدنيا وعبيدها، وفقهاء السوء، ويهود هذه الأمة، ويفصل الكلام في بيان مناقب الدعاة المهدويين وأعمالهم الجليلة يبلغ إلى حد الإطناب، ثم ذهب يعذر المتمهدي في عقائده وأقواله، ويقول: بأنها جاءت إما عن غلو معتقديه، وإما صدرت عنه في حال "السكر" و"الاستغراق" و"غلبة الأحوال" فهي إذًا تغتفر. انظر: تذكرة (٤٦ - ٧٣).

إن الذين أشادوا بمواقف المتمهدي وأتباعه، وعذروهم في ادعاءاتهم المخالفة للعقيدة الإسلامية، إذا لاحظ الباحث في جذور التماس هذا العذر يجد أن القوم -مع اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم- يصدرون عن مصدر واحد، وهو "الفكر الصوفي"، فتغلغل الفكر الصوفي في نفوسهم جعلهم يلتمسون الأعذار للموبقات التي أقدم عليها المتمهدي وأتباعه. فشيوخ الصوفية يأتون بشطحات فتغتفر، وينطقون بكلمات فتؤول، ويدّعون حالات فتفسّر، فلماذا لا يعذر هذا الشيخ وأتباعه، وقد أتوا بما لم يأت به الأوائل من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وصدع كلمة الحق عند السلطان الجائر. فهم وقعوا في نفس المحظور الذي أهلك هؤلاء أدعياء الإصلاح والتجديد.

وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم دلاوري: أن "مرزا محمود" -خليفة "القادياني"- ألقى محاضرة في الكلية الإسلامية في "لاهور" في عام (١٩٢٧م) واختار موضوع المحاضرة "سنة السواك"، وأطال الكلام في فضله، وتفلسف في بيان فوائده. وقال -أي دلاوري-: «لما سمعت هذا الكلام غلبني الضحك وقلت: هل الضفدع أصابه الزكام؟ - مثل يضرب للإعراب عن الشيء الغريب؛ لأن الضفدع عادةً يعيش في الماء فلا يعقل إصابته بالزكام- هذا الرجل -أي خليفة القادياني- وأتباعه معدن الكفريات ومنبعها، جعل "سنة السواك" ستارًا ليتظاهر بالتقوى فما هذه إلا حركة مضحكة».

انظر: أئمةُ تلبيس (٢/٤٤).

وهكذا كان المتمهدي وأتباعه فقد غيروا الدين وبدلوه ثم تباكوا على الإصلاح والتجديد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدع كلمة الحق ... وما قيل عن غير ذلك.

وأما وصمة العلماء -الذين قاموا ضد المهدوية - أنهم علماء سوء، وعبيد الدنيا، والمتملقون لدى السلاطين. فلا شك أن في ذلك الوقت كان يوجد بعض علماء السوء يتملقون الملوك والسلاطين، ولكن كون بعض العلماء على هذه الحالة لا يلزم منه أن يكون كل ما يقول هؤلاء العلماء باطلا.

ثم إن هناك علماء آخرين، شهد الناس لهم بالسلوك الطيب والتدين الصحيح، ولم يكونوا يتملقون

يقول العلامة مسعود عالم الندوي:

«فلا نعرف رجلاً من بين العلماء، تصدى لمقاومة تيار الزندقة والإلحاد، وانبرى لمقارعة فتن البدع، وتتبع الشهوات والأهواء غير "السيد محمد المهدي الجونبوري" الذي ادعى أنه مهدي آخر الزمان، فالتبس أمره على الناس، وأصبح العلماء والمؤرخون من معاصريه، والذين جاؤوا من بعده في شأنه على قسمين بين مادح وقادح، قسم يتجنب الحكم والقطع بشيء في شأنه، ويفوض أمره إلى الله -تعالى-؛ وذلك لما جاء به وأتباعه من مساع جليلة، وجهود مثمرة متتابعة لإصلاح ما فسد من تعاليم الدين، ومقاومة ما فشا في المسلمين من التهافت على البدع والمنكرات.

وذلك في عصر اتسع فيه الخرق على الراقع، وجاوز السيل الزبى، وبلغ اضطهاد الملوك مبلغًا تقشعرُّ لهوله الجلود، وتزل فيه أقدام الرجال.

وقسم لم يتحرج في تكفير "السيد محمد" وأتباعه، ولم يدخر وسعًا في استئصال شأفتهم»[١].

وهذا "الشيخ علي المتقي الهندي"[٢] من كبار علماء الحديث في القرن العاشر الهجري يتحير في شأن "السيد محمد الجونبوري" ويميل إليه، ولما وصل إلى "مكة المكرمة" بحث مع علمائها وتبين له الحق فنذر نفسه للرد على هذه الفرقة.[٣]

= سلطانًا، أو ملكًا، أو حاكمًا. هؤلاء العلماء أيضًا قد أفتوا ببطلان عقائد هذه الفرقة واعتبروها خارجة على الإسلام، واستباحوا دماء دعاتها وأتباعها باعتبارهم مرتدين عن الإسلام إن لم يتوبوا. وألفوا مؤلفات في الرد عليها، وفي مقدمتهم "الحافظ ابن حجر الهيتمي المكي، وفقهاء مكة في عصره، والشيخ علي المتقي الهندي، والشيخ محمد طاهر الفتني، وغيرهم كثير.

فتلك حجتهم داحضة، ورأيهم سقيم.

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٥٣، ٥٤).

(٢) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله -تعالى-.

(٣) ذكر الدكتور طارق أبو معاذ أن "الشيخ علي المتقي" حسب بعض الروايات كان قد اعتنق المهدوية، ولما وصل إلى "مكة المكرمة" بحث مع علمائها "مسألة خروج المهدي" حتى تبين له الحق، فشمر عن ساق الجد والاجتهاد للرد على هذه الفرقة.

انظر: مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (الفرقة المهدوية والذكرية)، الحلقة الثانية في مجلة "صراط مستقيم" الشهرية عدد محرم لعام (١٤١٤هـ)، الصادرة من برمنغهام البريطانية.

فدعوى "السيد محمد الجونبوري" المهدية أحدثت بلبلةً في عقيدة ظهور المهدي في آخر الزمان، فكثير من الناس اعتقدوا أنه المهدي، ولا مهدي بعده. وذهب آخرون إلى إشادة مواقفه وتمجيد خطواته مع عذره لما صدر منه من ادعاء للمهدية، وعقائد وأعمال تنافي العقيدة الإسلامية، وفريق ثالث يكفره هو وأتباعه لمخالفته الصريحة للكتاب والسنة.

ثانياً : تكفير المسلمين:-

من أهم آثار هذه الحركة الضالة أيضًا تكفير من لا يؤمن بالمهدي المزعوم، وقد تقدم في المبحث السابق قول المتمهدي ودعاة "المهدوية" أن من لا يؤمن بالمهدي فهو كافر.

وقد نقل عنهم هذا الحكم كبار علماء القرن العاشر الهجري في بلاد القارة الهندية هذا المحدث الشهير "الملا علي القاري" يقول عنهم:

«وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية، ولهم رياضات عملية، وكشوفات سفلية، وجهالات ظاهرية، من جملتها: "أنهم يعتقدون أن المهدي الموعود الذي ظهر، ومات ودفن في بلاد "خراسان" وليس يظهر غيره مهدي في الوجود. ومن ضلالتهم أنهم يعتقدون أن من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر»[(١)].

وكان من نتيجة هذا التكفير استخدام العنف، والعمل بالاغتيالات ضد من يسمونهم بـ/أعداء المهدوية. وكان المهدويون عبر التاريخ إذا غلبت شوكتهم في بلد ما، وزادت قوتهم، لا يتحرجون في قتل مخالفيهم بعد تكفيرهم، كما حدث في إقليم "كُجرات" بعد وفاة المتمهدي حيث رحل عدد كبير من الدعاة المهدويين من منطقة "فراه" إلى إقليم "كجرات"، فالتف حولهم المهدويون، فجعلوا ينشرون الدعوة "المهدوية" فقبلها كثير من العوام والجهلة وعسكر السلطان، فقويت شوكتهم، وبدأوا يستعملون القوة في إرغام الناس على قبول "المهدوية"، ومن يرفض ذلك فالموت مصيره، وإذا قتل منهم أحد يعتبرونه "أعظم الشهداء"، وقد ضحى بنفسه من أجل إصلاح الأمة حتى كثرت الاغتيالات، وعمت الفتن، وانتشر الفساد فاضطر السلطان "محمود بن لطيف" أن يطردهم ويحظر على نشاطاتهم، وذلك عام (٩٤٤هـ). ولكنهم لما توفى "السلطان محمود" وتولى "السلطان

---

(١) انظر: المرقاة شرح المشكاة (١٧٩/١٠)، مكتبة إمدادية، ملتان - باكستان.

مظفر" حكم البلاد أعادوا الكرة من جديد.[١]

وهكذا كان ديدنهم عبر التاريخ إثارة الفتن، وإحداث الفوضى، وإشاعة القلاقل، واستعمال السلاح لفرض آرائهم عن طريق القوة، والقيام بالاغتيالات للتخلص من مخالفيهم بعد تكفيرهم خاصة العلماء منهم.[٢] يقول "الشيخ علي المتقي الهندي":

«وكفى دليلا على بطلان اعتقاد هذه الطائفة قتلهم العلماء، فإن خصلتهم هذه تدل على عدم الدليل على اعتقادهم وعجزهم عن إثبات معتقدهم، فهذه الخصلة وحدها تكفي على البطلان»[٣].

ولأجل هذا أجد الباحثين والكتاب يشبهون هذه الطائفة بعصابة "الحسن بن الصباح"[٤] الذين اتخذوا القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم، ونشر الخوف والذعر في قلوب أعدائهم.[٥]

---

(١) انظر: تذكرة الشيخ محمد بن طاهر الفتني (٦٠ ، ٦١).

(٢) وقد حدثت كثير من الأحداث والحروب بين المهدويين ومخالفيهم من المسلمين سواء كانت في الأقاليم الجنوبية والغربية للهند التي كانت تتمتع بالاستقلال أو البلاد التي كانت تحت الحكومة المركزية في "دهلي".

انظر: تفاصيل هذه الأحداث في تذكرة "الشيخ محمد بن طاهر الفتني (٦١ – ٧٥).

(٣) انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل/٢/أ). مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم: (٨٧٣).

(٤) هو الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي (٤٢٨هـ – ٥١٨هـ).

داعية شجاع، من كبار أعيان الباطنية، طاف البلاد، دخل مصر، ولقى المستنصر الفاطمي، وصار داعيًا له. استولى على قلعة "أَلَمُوت" وكان يقوم باغتيالات مخالفيه.

قال عنه الذهبي: «صاحب الدعوة النزارية، وجَدُّ أصحاب قلعة أَلَمُوت، كان من كبار الزنادقة، ومن دهاة العالم».

انظر: الكامل لابن الأثير (٢٠١/٨، ٢٠٢).

– ميزان الاعتدال (٥٠٠/١).

(٥) انظر: تذكرة الشيخ محمد بن طاهر الفتني (٦٠).

– مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (الفرقة المهدوية والذكرية)، الحلقة الثانية، في مجلة "صراط مستقيم".

وقد ذهب عدد كبير من الحكام والمحكومين وكبار العلماء ضحايا لهذه الاغتيالات.[١] ومنهم: "الشيخ محمد بن طاهر الفتني"[٢] و"الشيخ أبو رجاء الشاه جهانبوري".[٣]

ثالثاً: استنزاف جهود العلماء:-

إن ظهور أية فرقة ضالة في الساحة الإسلامية يستدعي انتباه علمائها فيعكفون على دراسة مبادئها وأفكارها، ويردون عليها سواء كان ذلك عن طريق المناظرات الشفوية، أو عن طريق تأليف الكتب والرسائل بالأدلة الدامغة حتى يتبين الحق من الباطل، والهدى من الضلال. وهكذا شغلت أفكار هذه الفرقة أذهان علماء الأمة في هذه البلاد منذ

---

(١) تقدمت نماذج من هذه الاغتيالات في ترجمة الداعية "خوند مير".

(٢) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله -تعالى-.

(٣) هو: أبو رجاء محمد زمان خان الشاه جهان پوري (١٢٤٢هـ - ١٢٩٢هـ).

كان من كبار العلماء في إقليم "حيدر آباد"، وكان من قصته أن ألَّف داعية المهدوي "سيد عيسى" في عام (١٢٨٢هـ) ثلاثة كتب في العقائد المهدوية، وهي: "كشف الجذب" و"الدليل المتين" و"الثلاثية"، كما رد على فتاوى "ابن حجر الهيتمي المكي" بكتاب سماه "شهاب الفتاوى"، ورد أيضاً على فتاوى فقهاء مكة التي صدرت حول الفرقة "المهدوية: بكتاب آخر سماه "معارضة الروايات"، ووزعت هذه الكتب في أرجاء الهند، وبعد سنة رفع داعية المهدوي المذكور التماساً في محكمة "حيدر آباد" باسم رئيس القضاة "دلاور علي خان" قال فيه: «إن هذه الكتب وزعت على علماء البلاد، وانتظرت سنة كاملة فلم يرد عليها أحد، والآن أرفعها إلى حضرتكم للنظر فيها، فإذا كان فيها ما يخالف العقيدة الإسلامية نحن نتوب عنها ونرجع إلى الحق، وإذا كان ما فيها صحيحاً فالرجاء منكم الاعتراف بهذا المذهب والتصديق به، والمساعدة على نشرها، فبعث القاضي هذه الكتب إلى "الشيخ محمد زمان خان الشاهجهان پوري" فحملته الغيرة الدينية في الرد على هذه الكتب، وألف كتابه المشهور "هدية مهدوية"، وبعد نشر هذا الكتاب أعلن داعية المهدوي "سيد عيسى" في أتباعه أن من يقتل "الشيخ محمد زمان خان" فله قصران في الجنة، وأربع نخلات، فاندفع شاب مهدوي لتنفيذ اغتياله، وأخذ يتحين الفرص، وفي يوم من الأيام وجد الشيخ وحيداً في المسجد بين المغرب والعشاء يقرأ القرآن الكريم، فجاء من خلفه، وضربه بالسيف، وهرب، واستشهد الشيخ فوراً -رحمه الله رحمة واسعةً-.

وهكذا يتخلصون من خصومهم ومخالفيهم الذين يعتبرونهم أعداء "المهدوية".

انظر: تذكرهٔ علمائے هند (تذكرة علماء الهند). (٤٣٠ - ٤٣٢).

نشـأتهـا، وجـعلتـهـم يدرسـونهـا، ويزنونهـا بميـزان الكتـاب والسنة، ويردون عليـهـا في انحرافـاتها وضـلالاتها. ومن أبرز من رد عليـها "الشـيخ علي المتـقي الهندي"[١]، "الشـيخ محمد بن طاهر الفتني"[١] و"الشيخ محمد أسعد المكي"[٢]، و"أبو رجاء محمد زمان خان الشاهجهان بوري"[٣] و"الشـيخ صـديق حـسن خـان القنوجي"[٤] و"الشـيخ حـبيب الله الرائشوري"[٥]. وغيرهم كثير.[٦]

أضف إلى ذلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين "المهدوية" ومخالفيهم من المسلمين، والتي ذهبت ضـحيتهـا عدد كبير من المسلمين، كمـا كلفت جـهوداً وأموالاً طـائلة كل ذلك استنزاف لقوى الأمة وإمكاناتها.

كان من الممكن أن توجه إلى ميادين أخرى فيها نفع للإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية، ولكنها ضاعت بسبب هذه الفرقة الضالة.

---

(١) سيأتي التفصيل عنهما في الفصل الثامن - إن شاء الله - تعالى-.

(٢) ألف كـتـاب "الشـهب المحـرقـة" وهـو رد على كـتـاب "سـراج الأبصـار" للداعيـة المهـدوي عـبد الملك السجاوندي".

(٣) تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٤) في كتابه: "حجج الكرامة في آثار القيامة".

(٥) ألف كتاب: "الشهاب المحرق في الرد على المهدوية".

(٦) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).

المبحث الرابع : المهدوية في الميزان:-

عرضت في المباحث الثلاثة السابقة الفرقة "المهدوية" من حيث نشأتها وتاريخها، وعقائدها وأشهر دعاتها، وعن أهم آثارها.

وفي هذا المبحث أعرض عقائدها في ميزان الكتاب والسنة حتى يتبين الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، فأقول وبالله التوفيق:

أولا : العقيدة المهدية:-

وهذه العقيدة هي أساس هذه الفرقة والعمود الفقري لها، وعليها تنبني العقائد والأعمال الأخرى. وكان "السيد محمد الجونبوري" بطل هذه الحركة هو حامل هذه الدعوى، بأنه هو المهدي الموعود في آخر الزمان - على حد زعمه-.

وإذا نظر الباحث إلى الأدلة الشرعية التي يسوقها المهدويون على لسان مهديهم لإثبات مهديته يجد أنهم يثبتون مهديته بآيات من الكتاب وأحاديث من السنة، مع أن ظهور المهدي لم يثبت من الكتاب، بل ثبت بالسنة فقط، ولكن المتمهدي يتعمد الكذب على الله -تعالى- في إثبات مهديته بآيات من كتاب الله -تعالى- بعد تحريف ظاهر لمعانيها، وتحميلها ما لا تحتمل من الإيماءات والتوجيهات. فالآية الأولى مثلاً التي تتردد كثيراً على لسان المتمهدي ودعاته هي قوله - تعالى-: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾(١).

أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأنه، وأن المراد بـ"من" ذاته، والمراد بـ "بينة" أتباع الولاية المحمدية، و"أولئك" إشارة إلى أمته، ومرجع الضمير "ه" في الموضعين نفسه هو - كما تقدم في المبحث الثاني- وفي هذا تقول ظاهر على كلام الله -تعالى- وتحريف واضح لمعانيه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«يخبر -تعالى- عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله التي فطر عليها عباده

---

(١) من الآية : ١٧، سورة هود.

من الاعتراف له، بأنه لا إله إلا هو، كما قال -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١) .....».

وقوله: ﴿يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي: وجاءه شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد -ﷺ-. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم النخعي، والسدي وغير واحد في قوله -تعالى-: ﴿يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ إنه جبريل عليه السلام.

وعن علي، والحسن، وقتادة: هو محمد -ﷺ-، وكلاهما قريب في المعنى؛ لأن كلاً من جبريل ومحمد -صلوات الله عليهما- بلغ رسالة الله -تعالى-، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة».

«وقيل: هو علي، وهو ضعيف لا يثبت له قائل، والأول والثاني هو الحق. وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها. ولهذا قال -تعالى-: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وهو القرآن، بلّغه جبريل إلى النبي -ﷺ- وبلّغه النبي محمد إلى أمته».

ثم قال -تعالى-: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰ﴾ أي: من قبل القرآن كتاب موسى، وهو التوراة. ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أي: أنزله الله -تعالى- إلى تلك الأمة إمامًا لهم، وقدوةً يقتدون بها، ورحمة من الله بهم. فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن، ولهذا قال -تعالى-: ﴿أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

ثم قال -تعالى- متوعداً لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي: ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركيهم: أهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن .....»(٢).

فتبين من تفسير الآية المذكورة أنه ليس هناك أية علاقة بين الآية الكريمة، وبين

---

(١) من الآية: ٣٠، سورة الروم.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٢٤٥، ٢٤٦).

مزاعم المتمهدي بأنها نزلت في شأنه. وأصرح الأدلة على كذبه في تفسير الآيات القرآنية تصريحه أنه يتلقى هذا التفسير من الله -سبحانه وتعالى- مباشرة بدون واسطة. وهكذا الآيات الأخرى التي يسوقونها في صحة دعوى المتمهدي، هي حجة عليهم، ودالاهم في ذلك يكمن في تخويلهم للمتمهدي السلطة المطلقة في تأويل القرآن. كما سيأتي الحديث عنه عند معرض الرد على مكانة المتمهدي.

وكذلك الاستدلال بالحديث الشريف فالقوم لهم شأن آخر في هذا المجال، ولا يخلو تعاملهم بالحديث من أحد أمرين: إما رد الحديث كلياً بحجة أنه لا يوافق أحوال المهدي، أو تأويله.

ومن الأحاديث التي تتردد كثيراً على ألسنة المهدويين لإثبات مهدية "السيد محمد الجونبوري" حديث ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي»[1].

يقول "السيد عيسى المهدوي" في وجه الاستدلال بهذا الحديث: «إذا سمعتم برايات السيادة توجهت تجاه "خراسان" فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي. وحسب هذا الحديث لما سمعنا برايات السيادة توجهت تجاه "خراسان" أتيناها، وكان فيها خليفة الله المهدي، فصدقناه عملاً بما جاء في هذا الحديث. وهناك أحاديث أخرى كثيرة جاءت موافقة لأحوال السيد محمد الجونبوري»[2].

وقد عَدَّد "الشيخ أبو رجاء الشاهجهان بوري" الأخطاء التي وقع فيها داعية المهدوي المذكور وغيره في الاستدلال بهذا الحديث على صحة دعوى "السيد محمد الجونبوري" وهي كالآتي:

١- قوله: "رأيتم" ترجمه بـ/"سمعتم" وهو خلاف اللغة.

٢- قوله: "الرايات السود" تركيب توصيفي، جعله تركيب إضافي، وهو خلاف القواعد العربية.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: معارضة الروايات (ص ٤٧)، نقلا من كتاب هدية مهدوية (ص ٥٧).

٣- كلمة "السود" جمع "سوداء" وهي صفة "للرايات" جعلها مصدرًا بمعنى "السيادة" وهو أيضًا خلاف اللغة.

٤- كلمة "جاءت" من "المجئ" وهو عكس الذهاب فترجمها "بالتوجه" وهو عكس المجئ.

٥- كلمة "من" لابتداء المسافة، وليس لانتهائها فترجمها "تجاه خراسان". أي لانتهاء المسافة، وهو أيضًا خلاف القواعد.

ولعل "السيد محمد الجونبوري" ذهب إلى "خراسان" ليرجع منها إلى "الهند" بالرايات السود حتى ينطبق عليه الحديث المذكور، ولكن الله -سبحانه وتعالى- لم يمهله فتوفاه هناك[١].

بالإضافة إلى ما قال "الشيخ أبو رجاء" فإن فيه قوله: "خليفة الله" وهي زيادة منكرة - كما تقدم في تخريجه.

وقال "الشيخ ناصر الدين الألباني": «ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله -تعالى- من النقص والعجز. ونقل كلام "شيخ الإسلام ابن تيمية" في هذا الموضوع ما خلاصته: أن الله -سبحانه وتعالى- حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف. وسمي خليفة؛ لأنه خلف عن الغزو، وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله -تعالى-، وهو منزه عنها، فإنه حي قيوم شهيد لا يموت، ولا يغيب، ولا يجوز أن يكون أحد خلفًا منه، ولا يقوم مقامه»[٢].

ومن الأحاديث التي يستدل بها المهدويون كثيرًا حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي. يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا»[٣].

---

(١) انظر: هديه مهدويه (٥٨، ٥٩).

(٢) انظر: بتصرف سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/١٢٠، ١٢١).

(٣) تقدم تخريجه.

يقول المهدويون إن الشق الأول من هذا الحديث ينطبق على "السيد محمد الجونبوري" من ناحيتين:

الأولى: أنه من أهل البيت؛ إذ ينحدر من سلالة "الإمام موسى الكاظم"[١] ويسوقون نسبه هكذا: "هو السيد محمد المهدي بن السيد عبد الله بن السيد عثمان بن السيد خضر بن السيد موسى بن السيد القاسم بن السيد نجم الدين بن السيد عبد الله ابن السيد يوسف بن السيد يحيى بن السيد جلال الدين بن السيد إسماعيل بن السيد نعمت الله بن الإمام موسى الكاظم".

والثانية: اسمه "محمد"، واسم أبيه "عبد الله، واسم أمه "آمنة".[٢]

فهو إذاً المهدي الموعود الذي جاء خبره في الحديث المذكور.

ويقول العلماء والمحققون أن هذا الادعاء محض افتراء وزور وبهتان. وذلك لأمرين:

الأول: أن المتمهدي ليس من أهل بيت النبي -ﷺ-، وليس من سلالة "الإمام الكاظم" كما يزعمون، بل هو مقطوع النسب؛ لأن جده الأعلى "السيد نعمت الله" الذي يلتقى به نسبه إلى "الإمام موسى الكاظم" لا وجود له في الواقع، بل هو من إيجاد المهدويين؛ لربط نسبه بأهل البيت. وقد نقل "الشيخ أبو رجاء محمد زمان خان" عن كتب النسب جميع البطون والسلالات التي تنحدر عن "موسى الكاظم" عن طريق أولاده وأولاد أولاده، ولا يوجد فيهم من اسمه "السيد نعمت الله" كما لا يوجد فيهم من لُقِّبَ أو عرف بهذا الاسم.[٣]

فإيجاد هذا الابن "للإمام موسى الكاظم" لا أساس له من الصحة.

---

(١) هو: أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (١٢٨هـ - ١٨٣هـ).
سابع الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم. ولد في "الأبواء"، وسكن "المدينة"، أقدمه "المهدي العباسي" إلى "بغداد"، وتوفى هناك سجيناً.
انظر: الأعلام (٣٢١/٧).

(٢) انظر: هديه مهدويه (٤٨).
- حيات پاك (٧٧).

(٣) انظر تفصيل هذا الموضوع في : هديه مهدويه (٤٧ - ٥١).

أضف إلى ذلك أن هناك خلافًا بين المهدويين أنفسهم في سوق نسب المتمهدي، فبعضهم يسوقونه حيث يقع المتمهدي في البطن الثاني عشر "للإمام موسى الكاظم" وعند البعض الآخر يكون في البطن الرابع عشر، كما يوجد الخلط في سرد أسماء الأجداد والآباء والأبناء مما يدل على تخبطهم وعدم ضبطهم لهذا النسب.(١)

فتبين أن "السيد محمد الجونبوري" لم يثبت نسبه عن طريق "الإمام موسى الكاظم" فليس هو من أهل بيت النبي -ﷺ-. - كما يدعون-.

الأمر الثاني: اتفاق العلماء والمؤرخين على أن اسم والد "السيد محمد الجونبوري" لم يكن "عبد الله"، بل كان اسم أبيه "سيد خان" فبدل المتمهدي هذا الاسم ليوافق اسم المهدي الذي جاء في الحديث.(٢)

وجاء على لسان المتمهدي أنه لما سئل أن المهدي يكون اسم أبيه "عبد الله" وأنت ابن "سيد خان"؟

فأجاب قائلا: "أليس الله بقادر على أن يبعث ابن "سيد خان" مهديًا"؟ وجاء في معرض رده على هذا السؤال في موضع آخر: "اسألوا الله لماذا بعث ابن "سيد خان" مهديًا"؟ كما رد على السائلين في موضع ثالث قائلا: "اذهبوا فقاتلوا الله -تعالى- لماذا بعث ابن "سيد خان" مهديًا"؟(٣).

ولكن المهدويين يفسرون هذه الروايات على أنها جاءت عن المهدي على سبيل الإنكار على السائلين؛ لأن "سيد خان" لقب أبيه "عبد الله" حصل عليه من حكام عصره على الأعمال الجليلة التي قام بها.(٤)

---

(١) انظر: حيات پاك (٧٧).
- هديه مهدويه (٤٧، ٤٨).

(٢) انظر: أردو دائره معارف إسلامية (٧/٥٢١، مادة: الجونبوري).

(٣) انظر: هديه مهدويه (٥٥).
- حيات پاك (١٦٣).

(٤) انظر: حيات پاك (٧٧، ١٦٣).

وذهب البعض إلى أن اسم أبيه "يوسف" فهو "محمد بن يوسف الجونبوري"[١].

وخلاصة الكلام أن العلماء والمؤرخين أجمعوا على أن اسم والد "السيد محمد الجونبوري" لم يكن "عبد الله". وذهب الأكثرون إلى أن اسم أبيه كان "سيد خان"، وذهب البعض إلى أن اسم أبيه كان "يوسف". وعلى أية حال ثبت أن الشق الأول من الحديث لا ينطبق على المتمهدي، فليس هو من أهل بيت الرسول -ﷺ-، وليس اسم أبيه يؤاطئ اسم أبيه -ﷺ-.

وأما الشق الثاني من الحديث: «يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا» فلما كان هذا الشق لا ينطبق على المتمهدي فإنهم يلجئون إلى تأويله بطرق شتى ووجوه كثيرة لا يدل عليها عين ولا أثر.[٢]

وذكر "الشيخ أبو رجاء محمد زمان الشاه جهان بوري" أن شأن "المهدوية" في التعامل مع نصوص الشريعة شأن الرجل الذي كان يتخلف عن الصلاة، ولما سأله الناس عن سبب ذلك قرأ قوله -تعالى-: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ﴾[٣]، فقالوا: اقرأ الذي بعده. فقال: الذي بعده هو القرآن كله. فمن يعمل بالقرآن كله؟.

وهكذا شأن المهدويين لما رأوا أن الشق الأول من الحديث المذكور يتحدث عن أن المهدي يكون من أهل بيته -ﷺ-، واسمه يوافق اسمه، واسم أبيه اسم أبيه تكون لهم أربعة أعين، ويتسابقون إلى الاستدلال به - مع أنه لا يدل على مدلولهم- ولما رأوا أن الشق الثاني لا ينطبق على المهدي - ولو حسب مزاعمهم- يذهبون مذاهب شتى في التأويلات لا يكادون يتفقون على شيء.[٤]

ومما يدل على جهل المهدويين وقلة بُضاعتهم في علم الشريعة أن الأحاديث التي وردت في أخبار المهدي، لم يأت فيها ذكر لاسم أم المهدي. وقال السفاريني: «ولم نقف

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٣).
- نزهة الخواطر (٤/٣٢٢).

(٢) وقد تقدم الكلام في المبحث الثاني على هذا التأويل. انظر (ص١٧، ١٨).

(٣) من الآية: ٤٣، سورة النساء.

(٤) انظر: هديه مهدويه (٥٤).

على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع»[١].

ولكن المهدويين ظنًّا منهم أن اسم أمه يكون كاسم أم النبي -ﷺ- سموا أم مهديهم "آمنة"، وقد اتفق المؤرخون على أن اسم أمه كان "بي بي آقا ملك".[٢]

خلاصة الكلام أن الاستدلال بمثل هذه الأحاديث على صحة دعوى "السيد محمد الجونبوري" استدلال خاطئ، وحمل الحديث في غير محمله. واكتفيت بهذه النماذج من الردود على استدلالهم بالكتاب والسنة خشية الإطالة.[٣]

فالمهدي الموعود في آخر الزمان الذي جاءت أخباره وعلاماته في الأحاديث لا تنطبق على "السيد محمد الجونبوري" فدعوى مهديته دعوى باطلة.[٤]

ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري:-

أما ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري الذي يؤكد عليه المهدويون لإثبات صحة دعوى "السيد محمد الجونبوري" فليس بصحيح.

وإذا نظر الباحث إلى جذور هذه الفكرة، والأدلة التي يسوقونها في هذا الصدد يجد أنها مستمدة من "العقيدة الألفية" التي تدور في فلكها معظم الفرق الضالة التي نشأت في بلاد "الهند". وقد تقدم الرد عليها في المبحث الرابع من الفصل الأول.

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/٨١).

(٢) انظر: أردو دائره معارف إسلامية (٧/٥٢١، مادة: الجونبوري).

(٣) وتتبع "الشيخ أبو رجاء محمد زمان خان الشاه جهان بوري" جميع الأدلة التي يستدل بها المهدويون على صحة دعوى مهديهم المزعوم، ورد عليها دليلاً دليلاً بالتفصيل.
انظر: هديه مهدويه (٤٦ - ١٤٥).

(٤) جمع العلامة ابن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩هـ - ٩٧٤هـ) علامات المهدي في كتابه القيم: "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر"، رد به على الفرقة المهدوية هذه، وقد ذكر في مقدمة كتابه الدافع لتأليف هذا الكتاب فقال: «دعاني إلى تأليفه ادعاء جماعة في زماننا، وقيل: إنهم المهديون، وما دروا أنهم الضالون المضلون، وكيف لا؟! وصرائح السنة الغراء قاضية بتكذيبهم، وتسفيههم، وتعذيبهم، كما سيتلى عليك في هذا الكتاب».
والكتاب مطبوع بتحقيق: مصطفى عاشور، نشرته: مكتبة سيد أحمد شهيد، لاهور - باكستان.

وقال العلامة صديق حسن خان القنوجي: «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفًا عن خلف إلا من لا يعتد بخلافه»[١].

ظهور المهدي في بلاد "الهند":-

وأما ظهور المهدي في البلاد "الهندية" فلم يدل عليه عين ولا أثر. ولم يقدم المهدويون دليلاً على هذه الدعوى سوى بعض الهوس والظنون التي يلجأون إليها دائماً لتحقيق أهوائهم.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في أحوال المهدي: «يبعث ملك بيت المقدس، يعني المهدي جيشًا إلى الهند يفتحها، ويأخذ كنوزها، فيجعل حلية بيت المقدس، ويقدم عليهم ملوك الهند مغلغلين، ويفتح له ما بين المشرق والمغرب»[٢].

يؤخذ من كلام "الهيتمي" أن المهدي الحقيقي يبعث جيشًا إلى "الهند" ليعيد فتحها، وليس يأتي من "الهند"، كما يزعم المهدويون.

ثانياً : مكانة المهدي:-

تقدم في المبحث الثاني أن المتمهدي ادعى لنفسه خصائص ومميزات تخصه، وهي كالآتي:-

أ : كلام الله -تعالى- بلا واسطة مع المتمهدي:-

يعتقد المهدويون أن هذه الخصيصة منزلة خاصة بالمهدي ورعاية كريمة ربانية له، ويحاولون جهداً الابتعاد عن استخدام كلمة نزول "الوحي" عليه، بل يعتبرونه بمنزلة العناية الإلهية "لخاتم الأولياء"، ويسمونه "التعليم".

إذا نظر الباحث إلى جذور هذه القضية ومصدر هذا الادعاء، يجد أنه مأخوذ من "الفكر الصوفي"، ومصبوغ بالصبغة المهدوية. وإن الدارس لكتب الصوفية لا سيما كتب

---

(١) انظر: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٤٥)، طبعة (١٩٧٧م)، مطبعة الشركة التونسية للصحافة والتنمية في تونس.

(٢) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٦٨).

"ابن عربي" أمثال: كتاب "الفتوحات المكية"، و"فصوص الحكم"، وكتب "الشعراني"، وخاصة كتابه "الجواهر واليواقيت" يجد أن الصوفية قد عنوا عناية خاصة بما يسمونه "ختم الولاية" و"نبوة الأولياء".

"فابن عربي" هو الذي نادى بقضية نبوة الأولياء، والوحي إليهم، بأن الولي قد يصل بفضل الله -تعالى- ووهبه إلى درجة النبوة، فيوحى إليه كما يوحى إلى الأنبياء بكل الصور والطرق التي يوحى بها إلى الأنبياء، سواء أ كان ذلك بتكليم الله -تعالى- إياه من غير حجاب، أو من وراء حجاب، أو بإنزال ملك، فيأخذ الولي عنه ويعقل ما ألقاه عليه.(١)

وهذا ما تلقفه "الجونبوري" عن "ابن عربي" وصاغه بفلسفته الخاصة. ومادام كل ولي يتلقى وحيًا من الله -تعالى- فكيف لا يتلقى هو، وهو إمامهم وسيدهم وسمى هذا الوحي "بالتعليم".

الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه إجماع الأمة هو أن لا وحي بعد رسول الله -ﷺ-، فمن ادعى نزول الوحي عليه، فليس بمسلم، بل هو مرتد عن الإسلام، يجب قتله على الردة، إن لم يتب. ولا يفيد المهدويين كونهم قد استبدلوا كلمة "الوحي" "بالتعليم"؛ لأن المودى واحد.

قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٢).

ب : العصمة:-

أي عصمة المهدي من كل صغيرة وكبيرة؛ لأنه قائم مقام الرسول -ﷺ-، والأحاديث التي يسوقها "المهدويون" كأدلة في هذا الموضوع لم تثبت صحتها، ولو ثبتت ما تدل على مدلولهم.

---

(١) انظر: رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للملا علي القاري (١/٥٣٤)، رسالة علمية، تحقيق: الطالب/ عبد الله علي الملا، رقمها في المركز (١١٢٤) عقيدة.

(٢) الآية : ٩٣، سورة الأنعام.

وقد اعترف داعية المهدوي "عبد الملك السجاوندي" أن الفقهاء والمتكلمين لم يتكلموا في باب عصمة المهدي أو عدم عصمته. ولكن الجهل بالدين، والابتعاد عن الحق، والغلو في الأشخاص، واتباع الهوى جعلهم يركبون كل صعب وذلول، ويتفوهون بما يريدون، وكيف يشاؤن.

إذا نظر الباحث إلى مصادر هذه العقيدة يجد أن "الشيعة" هم الذين قرروا لأئمتهم العصمة، وذهبوا إلى أن أئمتهم معصومون في كل حياتهم، لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة من أول العمر إلى آخره، فلا يقع منهم الخطأ أصلاً، لا عمدا ولا نسياناً ولا سهواً، ولا غير ذلك[1].

يقول "المجلسي" في كتابه "حيات القلوب": «وهم -أي: الأئمة- معصومون من الذنوب صغيرها، وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا، لا عمداً، ولا نسياناً، ولا سهواً ولا غير ذلك»[2].

و"المهدوية" استمدت هذه العقيدة من "الشيعة" ولا غرو في ذلك؛ إذ أن دعاة الحركات الباطلة قد يستمدون أفكارهم وعقائدهم بعضهم من بعض لتحقيق أهوائهم خاصة المتأخر منهم من المتقدم - كما هو معروف في تاريخ الفرق- ثم إن الفلسفة المهدوية مصدرها الفكر الشيعي والصوفي، ويبدو ذلك جلياً في استشهاداتهم بتوجيهات الشيعة والصوفية وتأويلاتهم للكتاب والسنة.

"وأهل السنة والجماعة" لا يرون العصمة إلا للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ولا يرون العصمة لغير الأنبياء[3] فالمهدي الحقيقي الذي يظهر آخر الزمان غير معصوم. قال الإمام القرطبي في شرح حديث: «لا مهدي إلا عيسى»[4]، أي: لا مهدي كاملا معصوماً

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد جلي (٢٠٣)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

(٢) نقلاً عن ظهر الإسلام (١١٠/٤).

(٣) انظر: عصمة الأنبياء، لأبي النور الحديدي (٦٢، ٦٣)، مطبعة الأمانة، ٣ شارع جزيرة بدران شيرا، مصر.

(٤) جزء من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه.

رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب شدة الزمن (١٣٤٠/٢، ١٣٤١، برقم: ٤٠٣٩). =

إلا عيسى -عليه السلام-[١]؛ لأنه نبي، وله العصمة، وأما غير الأنبياء فليسوا بمعصومين.

ج : المهدي يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم:-

وهذا هو نفس الهراء الذي كان يردده الذكريون في إمامهم ومهديهم "الملا محمد الأتكي" ويبدو من المقارنة بين أدلة الفرقتين أن مصدرهما واحد، وهو "الفكر الصوفي" إذ كل من الطائفتين يستدل بكلام "عبد الرزاق الكاشي" في تفسيره المسمى "بتأويلات القرآن"، ويرددون في ذلك نفس الأدلة، وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على وحدة المصدر والفكر.

ومما يدل على غي الفرقة "المهدوية" وضلالتهم وابتعادهم عن الحق، تخويلهم للمتمهدي الصلاحية الكاملة، والحق المطلق لتأويل القرآن الكريم، وحظرهم تأويل كلام مهديهم المزعوم وحمله على الحقيقة مهما كان خلاف النقل والعقل والحس.

وقد نقل الشيخ "أبو رجاء الشاهجهانبوري" عن "السيد خوند مير" -الخليفة الثاني للمتمهدي- أنه قال في مجمع كبير من الخلفاء والمهاجرين(؟) وأمسك بيده غثاء وقال: ما هذا الشيء؟ فقالوا: هذا غثاء. ثم أعاد السؤال للمرة الثانية والثالثة وقال: انظروا جيداً ما هذا الشيء؟ فقالوا: هذا غثاء. فقال -أي خوند مير-: قال المهدي: هذا ملِكٌ، فقال الجميع بصوت واحد: هذا ملك آمنا وصدقنا.

ثم رفع حصاة وقال: ما هذا؟ قالوا: هذه حصاة. وأعاد السؤال ثلاث مرات، وأجابوا: هذه حصاة. فقال -أي خوند مير-: قال المهدي الموعود: هذه جوهرة لا تقدر بثمن. فقال الجميع: آمنا وصدقنا، لا اعتبار لرؤيتنا. من شك في كلام المهدي أو أوّله فليس منه.[٢]

= والحاكم في المستدرك (٤/٤٤١، ٤٤٢).

قال الشيخ صديق حسن خان القنوجي: «أخرجه محمد بن خالد الجندي عن أنس أيضاً، وسنده مختلف عليه، وفيه راو مجهول، ضعفه الحفاظ، وفيه اضطراب وانقطاع، كما قال الحافظ ابن القيم.

انظر: الإذاعة (١٣٦).

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٧٠٢)، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة.

(٢) انظر: هديه مهدويه (٦).

وموقف هؤلاء القوم من عقولهم يذكرنا كلام الإمام "الشعبي"[(١)] في "الرافضة" حيث قال: «إني درست الأهواء، فلم أر قومًا أحمق من "الخشبية"[(٢)] لو كانوا من الدواب كانوا حمرًا، ولو كانوا من الطير كانوا "رخمًا"[(٣)]»[(٤)].

وهذا ما ينطبق على هؤلاء القوم؛ لأن ما من بدعة أو فرقة من الفرق الضالة الموجودة اليوم على وجه الأرض إلا ولها جذورها وأصولها التاريخية من أرباب البدع والأهواء عبر التاريخ حتى ولو اختلفت الأساليب، وتنوعت الدعايات.

وأما الرد التفصيلي على هذا الشق فقد تقدم في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

د : المهدي خاتم الأولياء:-

قضية ختم الولاية إحدى الطامات الكبرى التي ابتليت بها أبطال الحركات الضالة، فكل يدعيها، ويزعم أنه خاتم الأولياء. والمهدويون يسودون صفحات كتبهم بالنقول الكثيرة

---

(١) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري (١٩هـ - ١٠٣هـ).
من كبار التابعين. يضرب به المثل في الحفظ والإتقان. استقضاه عمر بن عبد العزيز. كان فقيهًا شاعرًا.
انظر: طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦ - ٢٥٦)، دار صادر، بيروت.
- وفيات الأعيان (١٢/٣).

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الرافضة اشتهرت بهذا الاسم من زمن خروج "زيد بن علي" حين افترقت الشيعة إلى "رافضة" و"زيدية"، وكانوا يسمون قبل ذلك بغير هذا الاسم كما كانوا يسمون "الخشبية" لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم فقاتلوا بالخشب.
انظر: منهاج السنة (٣٥/١، ٣٦)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) الرَّخَمُ نوع من الطير، -واحدته "رَخَمَةٌ"- يوصف بالغدر. وقيل: بالقذر.
انظر: لسان العرب (٢٣٥/١٢).

(٤) انظر: السنة للخلال (٤٩٧)، تحقيق: الدكتور عطية الزهراني، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الراية، الرياض.

من كتب "ابن عربي" وغيره، ويحاولون جهداً لتطبيقها على مهديهم المزعوم "السيد محمد الجونبوري" بناءً على أنه "خاتم الأولياء".

وقد تقدم الحديث عن منصب "خاتم الأولياء" والرد عليه في المبحث الرابع من الفصل الأول.

ومما يضيف المهدويون في نظرية "ختم الولاية" تقسيم النبوة إلى نبوة تشريعية، ونبوة عامة تابعة للنبوة التشريعية: أما الأولى: فخُتِمَت. وأما الثانية: فظلَّت مفتوحة. وذلك لتبرير العقائد والأعمال التي أضافها "الجونبوري" في الشريعة الإسلامية، وإضفاء الشرعية عليها، إذ أنها تصرف في حدود الصلاحيات لصاحب النبوة العامة، والتي يتمتع بها المهدي ويسمونه "نبي متبع" كما تقدم.

وهذه صورة أخرى لتأثير الفكر الصوفي على "المهدوية"؛ إذ أن "ابن عربي" هو أول من نادى بهذا التقسيم، وذلك للتفريق بين نبوة الأنبياء، وبين ما يسميه هو بـ/"نبوة الأولياء".

فأما نبوة التشريع عنده فهو الوحي المقترن بتشريع من عند الله، يعمل به النبي، ويأمر به قومه. وهذه المرتبة من النبوة قد انقطعت؛ إذ لا نبي بتشريع جديد ناسخ لشرع نبينا محمد -ﷺ-.

وأما النبوة العامة: فهي المسماة بنبوة الأولياء، وهو تنزل الوحي على قلوب الأولياء المصطفين لهذا الوحي، من غير اقتران بتشريع جديد.

وأما النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، والتي دلت على أنه لا نبي بعد محمد -ﷺ-، وأنه خاتم النبيين: فإن "ابن عربي" يوجهها إلى نبوة التشريع، أي: لا نبي مشرعاً بعده، فهو خاتم النبيين المشرعين. أما الأنبياء غيرالمشرعين فما دل أيّ نص في زعم "ابن عربي" على انقضائهم وانقطاعهم.

ويستدل "ابن عربي" على صحة وجود الأنبياء غير المشرعين بعد النبي محمد -ﷺ- بنزول عيسى -عليه السلام- آخر الزمان، وهو مع كونه نبيًا عند نزوله إلا أنه ليس

صاحب تشريع جديد ناسخ لشريعة نبينا محمد -ﷺ-، بل هو عامل بشريعته، فظهور عيسى -عليه السلام- مع كونه نبيًا عاملاً بشرع محمد -عليه الصلاة والسلام- بعد وفاته دليل على أن باب النبوة العامة مفتوح لم يغلق.

يقول "ابن عربي" في هذا الصدد: «واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام. وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة. وفي محمد -ﷺ- قد انقطعت، فلا نبي بعده، يعني مشرِّعًا أو مشرَّعًا له. ولا رسول، وهو المشرِّع ... إلى أن قال: ... إلا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها»[1].

ويقول أيضا: «... الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة، وهي النبوة العامة، فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله -ﷺ- إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها. فلا شرع يكون ناسخًا لشرعه -ﷺ-، ولا يزيد في حكمه شرعًا آخر. وهذا معنى قوله -ﷺ-: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي، ولانبي. أي: لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان يكون تحت شريعتي. ولا رسول أي: لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرعٍ يدعوهم إليه، فهذا هو الذي انقطع، وسُدَّ بابه. لا مقام النبوة، فإنه لا خلاف أن عيسى -عليه السلام- نبي ورسول، وأنه لا خلاف أنه ينزل في آخر الزمان حكمًا مقسطًا عدلا بشرعنا لا بشرع آخر. ولا بشرعه الذي تعبد اللهُ به بني إسرائيل من حيث ما نزل هو به، بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد -ﷺ- ونبوة عيسى -عليه السلام- ثابتة محققة، فهذا نبي ورسول، قد ظهر بعده -ﷺ- وهو الصادق في قوله: "أنه لا نبي بعده" فعلمنا قطعًا أنه يريد التشريع خاصة، وهو المعبر عنه عند أهل النظر بالاختصاص، وهو المراد بقولهم: "إن النبوة غير مكتسبة"»[2].

وتلقف "الجونبوري" هذه الفلسفة من "ابن عربي" وادعى أنه نبي غير مشرع، وكيف لا وهو خاتم الأولياء وسيدهم وإمامهم - في زعمه- فهو أولى بهذه المرتبة إلا أنه "نبي متبع" لشريعة محمد -ﷺ-.

---

(١) انظر: فصوص الحكم (١٣٤، ١٣٥)، تحقيق: أبو العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: الفتوحات المكية (٢/٣)، أيضا (٢/٥٨)، دار صادر، بيروت - لبنان.

وهذا الباب هو الذي دخل منه "مرزا غلام أحمد القادياني"[١]، ولا عجب في ذلك؛ إذ أن دعوة "محمد الجونبوري" المهدوية قد هزت "الهند"، وتعالت أصداء هذه الدعوة في أرجائها، وعمت أطرافها، واستمرت عبر القرون إلى هذه اللحظة. وتلقف "القادياني" هذه الفلسفة، واعتبرها فرصة ثمينة، وادعى لنفسه أيضًا هذه المنزلة، وهي النبوة العامة تحت إطار النبوة التشريعية الخاصة. وما أشبه الليل بالبارحة.

ذكر "الأستاذ أبو القاسم رفيق دلاوري" أن "مرزا القادياني" استمد أشياء كثيرة من إلحاد "السيد الجونبوري" عن طريق الدعاة المهدويين، وعقد مقارنة بين أهم عقائد "المهدوية" وانحرافاتها، وبين عقائد "القاديانية"، وقال: إن أول شيء استفاد "القادياني" من "الجونبوري" في مسألة النبوة، فإن "الجونبوري" ذهب إلى أن المراد بـ/"خاتم النبيين" أن لا يكون هناك نبي صاحب شريعة جديدة بعد النبي -ﷺ- وإذا وُجد نبي متبع للشريعة المحمدية فلا ينافي قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢]. وكان "السيد الجونبوري" نبيا متبعًا -على حد زعمه- وتبنى "القادياني" هذه النظرية، ودخل منها في ميدان دعوته، وردد نفس الكلام الذي استمده من "الجونبوري"[٣].

وهكذا فتح "ابن عربي" باب النبوة المخالف لنصوص الشرع، وإجماع الأمة، وفتح بذلك بابًا من الشر عظيمًا على الأمة الإسلامية، حيث مهد الطريق أمام المتنبئين الدجالين، الذين يمزقون صفوف الأمة الإسلامية، ويهددون عقائدها ووحدتها، ولن تقف حركة التنبؤ عند حد معين؛ لأن ذلك الادعاء أصبح شيئًا ميسورًا لا يحتاج إلى كثير عناء.

---

(١) هو: غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني المتنبي (١٢٥٦هـ - ١٣٢٦هـ).
كان في أول حياته يظهر الزهد والتصوف ثم تدرج في دعاويه أنه مهدي موعود، ثم مسيح معهود، ثم ادعى النبوة. بلغ عدد مؤلفاته إلى أربعة وثمانين كتابًا، أشهرها: "براهين أحمدية" و"فتح إسلام"، و"إزاله أوهام" وغيرها. توفى في "لاهور" ونقلت جثته إلى "قاديان" ودفن هناك.
انظر: نزهة الخواطر (٨/٣٤٠ - ٣٤٥).
- الثقافة الإسلامية في الهند (١٨٢ - ١٨٤).

(٢) الآية: ٤٠، سورة الأحزاب.

(٣) انظر هذه المقارنة في: أئمة تلبيس (٢/٣٧١ - ٣٨٧).

يقول "الشيخ أبو الحسن الندوي" عن آثار الدعوة القاديانية: «لقد فتح الميرزا غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه، وقال: إن اتباع النبي -ﷺ- يمنح كمالات النبوة، وإن العناية بذلك والاهتمام به، ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم».

وقال نجله وخليفته "الميرزا بشير الدين محمود": «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت، ما قدروا الله حق قدره إنكم تتنازعون في نبي واحد وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد -ﷺ-»(١).

فدعوة فتح باب النبوة في الإسلام جناية شنيعة، وجريمة كبرى، إذ يؤدي ذلك إلى فوضى في ادعاء النبوة، ويُفقِد النبوة حرمتها وقداستها، ويجعلها ألعوبة في أيدي العابثين.

والحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة أن لا نبي ولا وحي بعد محمد -ﷺ- حتى تقوم الساعة، سواء كانت نبوة التشريع أم النبوة العامة. ومن ادعى ذلك من المسلمين يصير مرتداً يجب قتله.

وقد تقدم الرد التفصيلي على هذا الموضوع في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

هـ- المهدي أفضل من الصحابة ومن بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد -ﷺ- في الفضيلة.

هذا نموذج من نماذج غلو المهدوية المفرط لمهديهم المزعوم، بينما المهدي الحقيقي لايكون في هذه المنزلة فضلاً عن المتمهدي الدعي "الجونبوري".

والأدلة التي يسوقها المهدويون في هذا الموضوع منها ما هو صحيح، ومنها ما هو غير صحيح، والصحيح منها لا يدل على مدلولهم؛ إذ هم يثبتون ذلك بتأويلات بعيدة، وتوجيهات غريبة لا يقرها الشرع ولا العقل.

وأما ما يردده المهدويون من أن "ابن سيرين" كان يفضل المهدي على أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وعلى بعض الأنبياء -عليهم السلام-.

فقال العلامة ابن حجر الهيتمي: «ما جاء عن "ابن سيرين" المهدي خير من

---

(١) انظر: القادياني والقاديانية دراسة وتحليل (١١١، ١١٢)، الطبعة الثانية (١٣٨٢هـ)، مطبعة ندوة العلماء.

أبي بكر وعمر، قد كاد يفضل على بعض الأنبياء، وصح عنه لا يفضل عليه أبو بكر وعمر.

وهو إن كان أحق من الأول، إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث، وقيام الإجماع على أنهما أفضل منه، بل وأفضل بقية الأربعة بل الصحابة خلاف لما شذ "ابن عبد البر" أن يكون فيمن بعد الصحابة أفضل منهم».

وأضاف قائلا: «وكأن "ابن سيرين" أراد بقوله: «كاد أن يفضل على بعض الأنبياء» أنه يؤم عيسى، وللإمام فضل ما على المأموم من حيث التبعية، لكن في الحقيقة ليس هذا الفضل له، بل لنبينا -ﷺ-؛ لأن ائتمامه به علامة على نزوله بشريعة نبينا واتباعه له»[(١)].

وقال السفاريني: «جاء عن "ابن سيرين" أن المهدي خير من أبي بكر وعمر. قد كاد يفضل على الأنبياء. وجاء عنه أيضاً: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر. وهو إن كان أخف من الأول، فليس بصحيح، فإن الأمة مجتمعة على أفضليتهما عليه، بل وعلى جميع الصحابة خلافاً للرافضة - خذلهم الله -تعالى- كما سيأتي بيان ذلك- بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي»[(٢)].

ثم إن هذه التوجيهات من العلماء جاءت في شأن المهدي الحقيقي، وأما الجونبوري" فلم يكن مهدياً صادقاً، بل كان ضليلاً كذاباً، فلا يصدق عليه هذا الكلام.

ثم إن تناقض المهدويين يبدو هنا واضحاً حيث يزعمون المساواة بين متمهديهم و بين الرسول -ﷺ- وقد قالوا من قبل عن مهديهم أنه "نبي متبع" أي متبع للرسول -ﷺ-. فكيف يكون التابع مساوياً للمتبوع.(؟)

و: تكفير من لا يؤمن بالمهدي:-

وذلك كما جاء على لسان المتمهدي وخلفائه وأتباعه. ويسوقون في ذلك أدلة -حسب زعمهم- وهي لا تدل على ادعائهم.

وأول دليل يستدل بها المهديون على تكفير من لا يؤمن بالمتمهدي هو قوله -تعالى-:

---

(١) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٧١، ٧٢).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ....﴾[١] الآية.

على أنها نزلت في شأن المهدي "ومن يكفر به" أي: بالمهدي، "فالنار موعده" وهذا يدل على كفر من لا يؤمن بالمهدي. وقد تقدم الجواب عن هذه الآية في أول المبحث.

وتكفير المسلمين من الحركات الضالة ليس جديداً في تاريخ الفرق. وقد سبق "المهدوية" كثير من الفرق إلى تكفير المسلمين الذين لم ينضموا إلى صفوفهم من فرق "الخوارج" وغيرها. وتكفير "المهدوية" للمسلمين الذين لم يؤمنوا بمهديهم كانت نتيجة طبعية لمجانبتها الحق، وبطلان ما يدعو إليه المتمهدي.

كما ترتبت على هذه العقيدة آثار خطيرة، وعواقب وخيمة تمثلت في محاولة التخلص من كل من يقف أمامهم بالقتل بعد تكفيره. وقد ذهب عدد كبير من الضحايا من العلماء والحكام نتيجة هذه العقيدة الضالة جتى شبه المؤرخون والباحثون هذه الفرقة بعصابة "حسن الصباح" كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ويلزم أيضًا من هذه العقيدة أن ملايين المسلمين من الشرق إلى الغرب كفروا بإنكارهم لمهدية "الجونبوري" وانحصر الإسلام على هذه الطائفة عبر هذه القرون في بعض الأقاليم من بلاد "الهند".

ويذهب علماء الإسلام إلى أن "السيد محمد الجونبوري" لا توجد فيه علامات مهدي آخر الزمان فتصديقه يلزم منه تكذيب المهدي الحقيقي، فوجب إنكاره، وتكفير المسلمين على إنكاره كفر، وبهذا كفّر المتمهدي نفسه وأتباعه.[٢]

---

(١) من الآية: ١٧، سورة هود.

(٢) انظر: هديه مهدويه (ص

ثالثاً : الأصول والأحكام:-

يزعم المتمهدي أن هذه الأصول والأحكام وضعها بناءً على الصلاحية المخولة له بصفته "خاتم الأولياء"، وذلك بتعليم من الله -تعالى- وتقرير من الرسول -ﷺ-. ولا يدري هذا المهدي المزعوم أن فرض الأحكام، وسن التشريعات في الإسلام من خصوصيات الباري -عزوجل- ولا يملك أحد هذا الحق كائنًا من كان، قال -تعالى-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[١].

ففرض هذه الأصول والأحكام من الابتداء مرفوض شرعًا ومردود عقلا. وتفصيل ذلك كما يلي:

أولا : الأصول السبعة:-

١- الهجرة:-

ويُقصَدُ بها ترك المكان الذي يوجد فيه المهدوي، وذكر "الشيخ أبو رجاء الشاهجهان بوري" -وهو من الذين عايشوا المهدويين واكتووا بنارهم- أن المتمهدي كان يرتحل من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى؛ لأن حكام هذه البلاد كانوا من أهل السنة، فما كان يطيب له المقام في هذه البلاد، والمهدويون يرتحلون من قرية إلى أخرى، ومن موضع إلى آخر في نفس البلد تحت نفس الحكومة، ويحسبون أنهم أدوا فريضة الهجرة، وهذه الهجرة ليست فريضة في الإسلام.[٢]

والآية الكريمة التي يستدل بها المتمهدي على فرضية الهجرة وهي قوله -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ...﴾[٣] الآية. لا تدل على فرضية الهجرة التي قصدها المتمهدي.

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله -ﷺ-

---

(١) من الآية: ٢١، سورة الشورى.

(٢) انظر: هديه مهدويه (٢٠٤، ٢٠٥).

(٣) من الآية: ٩٧، سورة النساء.

يأتي السهمُ يُرمى به فيصيب أحدهم، فيقتله، أو يُضرَب فيُقتَلُ فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾(١) الآية.

ولا علاقة بين الآية المذكورة والهجرة التي فرضها المتمهدي على أتباعه.

ثم إن مفهوم الهجرة قد تطور لدى المهدويين حتى قالوا: إن الهجرة تتأتى ولو بهجرة شبر من الأرض، وتسقط الفريضة واستدلوا على ذلك بالحديث « من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً » ... الحديث. وهذا الحديث لم تثبت صحته - كما تقدم-.

ويبدو أن هذا التطور في مفهوم الهجرة لدى المهدويين إنما جاء بعد وفاة المتمهدي لما بدأ المهدويون العودة إلى ديارهم، والسكنى في منازلهم، وممارسة الحياة العادية، فذهب الدعاة المهدويون يفلسفون في تفسير الهجرة بأنها هجرتان: الأولى: صغرى للجهاد الأصغر، أي: قتال المشركين وهو ما قام به الأولون. والثانية: كبرى للجهاد الأكبر، أي: جهاد النفس وهو ما قام به المهدويون. ويستدلون بحديث «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ولا أصل له. -كما تقدم-. كما لا يخفى ما فيه من تأثير الفكر الصوفي في صرف معنى الجهاد. والهجرة من معناهما الحقيقي إلى المعنى المحرف.

٢- صحبة الصادقين:-

ويقصد المتمهدي بالصادقين مشائخ "المهدوية" ودعاتها. ويستدل المتمهدي على فرضية صحبة الصادقين بقوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢). على أن المراد بالصادقين هم مشائخ "المهدوية" وفي مقدمتهم خلفاء المهدي وأصحابه.

وهذا نموذج آخر من الافتراء والتقول على الله -تعالى- الذي درج عليه المتمهدي وأتباعه. ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾(٣).

قال السيوطي: «أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم....﴾ الآية. (٢٦٢/٨، برقم: ٤٥٩٦)، المطبوع مع الفتح.

(٢) الآية: ١١٩، سورة التوبة.

(٣) من الآية: ٥، سورة الكهف.

-رضي الله عنهما- في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١]. قال: مع محمد -ﷺ- وأصحابه».[٢]

ولعل مقصود المتمهدي من إلزام أتباعه صحبة الدعاة المهدويين هو إبعادهم عن علماء "أهل السنة" حتى لا يفتضح أمره، وحتى يظل أتباعه على الجهل والتقليد الأعمى لإمامهم.

ومما يؤكد هذا الأمر أن المتمهدي قد حظر على أتباعه طلب العلم. ويفسر المهدويون هذا الحظر بأن الإمام المهدي منع هؤلاء الأشخاص الذين لا يوجد لديهم صلاحيات طلب العلم؛ لأن العلم يضرهم. ويمثلون لذلك بغذاء الإنسان، لأنه شيء مهم، وعليه تعتمد حياة الإنسان، ولكن الطبيب الماهر يمنع المرضى عن تناول الغذاء في حالات خاصة، وهكذا الإمام المهدي فإنه طبيب روحاني للبشرية، يعرف ما يصلح، وما لا يصلح(؟). وبناء عليه منع الأشخاص الذين لا يملكون المواهب المؤهلة لهم عن طلب العلم.[٣]

وهكذا يبدو واضحًا تحايل أئمة التلبيس لإبعاد أتباعهم عن صحبة علماء الإسلام، وطلب العلم النافع، الذي يرشدهم إلى الحق، وينقذهم من الضلال.

٣- الذكر الدائم:-

المقصود بالذكر عند المتمهدي وهو الذكر على طريقة حفظ الأنفاس[٤] ويستدل على فرضيته بقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٥]. ويزعم -كعادته- أن الآية المذكورة نزلت في شأن المهدوية.

وهذا النوع من الذكر الذي فرضه المتمهدي على أتباعه هو "الذكر الصوفي" وإثبات فرضيته من الآية المذكورة تقول في الشريعة، كما أنها لم تنزل في شأن "المهدوية".

---

(١) الآية: ١١٩، سورة التوبة.

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور (٣١٦/٤)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٣) انظر: حيات پاك (٢٢٣، ٢٢٤).

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٣).

(٥) من الآية: ١٠٣، سورة النساء.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«يأمر الله -تعالى- بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف، وإن كان مشروعًا مرغبًا فيه أيضًا بعد غيرها، ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب، وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها»[١].

وهذا الأصل وهو :الذكر الدائم" على طريقة حفظ الأنفاس ساقهم إلى إيجاد الخلوات التي يسمونها "بالدوائر" وهي شبيهة بالخلوات الصوفية البدعية والتي تورث التوهمات لدى أصحابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا أصيب صاحب الخلوة بثلاث توهمات:

أحدها : أنه يعتقد في نفسه أنه أكمل الناس استعداداً.

والثاني: أن يتوهم في شيخه أنه أكملُ من على وجه الأرض.

والثالث: أنه يتوهم أنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، وأكثراعتماده على القوة الوهمية»[٢].

وهكذا المهدويون يحسبون أنهم أفضل الناس وأكملهم، وأنهم هم المسلمون فقط. كما يزعمون أن شيخهم وإمامهم "السيد محمد الجونبوري" المتمهدي أفضل من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وأفضل من بعض الأنبياء، ومساوٍ في الفضيلة مع نبينا محمد -ﷺ- ساء ما يحكمون.

٤- ترك الدنيا:-

فرض المتمهدي "ترك الدنيا" على أتباعه؛ لأن الميل إليها يسبب الغفلة، والابتعاد عن الله -تعالى-. واستدل على فرضيته -حسب زعمه - بقوله -تعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ إِلا النَّارُ﴾[٣].

وهذه الآية الكريمة لا تدل على "ترك الدنيا" أصلا، فضلاً عن فرضيته. قال الإمام

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٨/٢).

(٣) الآية: ١٥، ومن الآية: ١٦، سورة هود.

السيوطي: «أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في الآية قال: "ومن عمل صالحًا لالتماس الدنيا صومًا أو صلاةً أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول -تعالى- أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل، وهو في الآخرة من الخاسرين»[١].

فلا يوجد أدنى علاقة بين ما يزعم المتمهدي وما تدل هذه الآية الكريمة. وترك الدنيا الذي فرضه المتمهدي على أتباعه ليس من الدين في شيء، قال -تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢]. وقال -تعالى-: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٣].

وإذا قصد المتمهدي بترك الدنيا "الزهد" فليس هذا بزهد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله، فليس تركه من الزهد المشروع، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع»[٤].

وذكر "الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري" تناقض المهدويين في تطبيق هذا الأصل، حيث يتناقلونه عن المهدي كمبدأ مسلم ثم لا يعملون به، ويتهافتون على طلب الدنيا وجمعها تهافت الفراش على النار. وإذا أيس أحدهم من الحياة، وشَعُر بدنو الأجل، يأتيه أحد مشائخهم، ويعلمه طريقة ترك الدنيا، وبالمقابل يأخذ ملابسه المستعملة، وأثاث بيته القديم، ويحسب أنه صار بذلك "تارك الدنيا" وفي الحقيقة وهو "متروك الدنيا" وملك الموت ينتظره.[٥]

٥- التوكل على الله:-

من الأصول التي فرضها المتمهدي على أتباعه "التوكل على الله" ويقصد به الامتناع

---

(١) انظر: الدر المنثور (٤/٤٠٦).

(٢) من الآية: ٣٢، سورة الأعراف.

(٣) من الآية: ٧٧، سورة القصص.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٨، ٢٩).

(٥) انظر: هديه مهدويه (١٩٢، ١٩٣).

عن الكسب، والابتعاد عن اتخاذ الأسباب الشرعية، وهذا ليس التوكل الشرعي، بل هو "التواكل" بعينه.

قال -تعالى-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١]. يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: إذا شاورتهم في الأمر، وعزمت عليه، فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢].

وقال الرسول -ﷺ- للذي سأله: أرسل ناقتي وأتوكل، قال: «اعقلها وتوكل»[٣].

قال الإمام ابن القيم: «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد».

وقال أيضا: «فالتوكل حال النبي -ﷺ- والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته»[٤].

ذكر "الشيخ أبو رجاء" أن المتمهدي وخلفائه كانوا يمتنعون عن الكسب الحلال توكلاً على الله -تعالى-، وبعد رحيلهم انتقلت هذه الظاهرة إلى رجال الدين المهدويين الذين يسمون "بالمشائخ" و"الفقراء"، وهم يمتنعون عن الكسب الحلال كما يمتنع المسلمون عنالأشياء المحرمة شرعًا. وإذا سألهم أحد عن سبب امتناعهم عن الكسب، يقولون: «إن الكسب ليس حرامًا ولكن "الذكر الدائم" فرض، والذي يُخِلُّ بالذكر يُعَدُّ حرامًا سواء أ كان الكسب الحلال أم غير ذلك، فمن أجل هذا لا نكسب ونتوكل»[٥].

ولا يخفى ما في هذا الفهم من زيغ وخطأ في معنى التوكل. وقد ندب الشرع إلى

---

(١) من الآية: ١٥٩، سورة آل عمران.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٠).

(٣) رواه الهيثمي عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه.

انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٦٣٣، برقم: ٢٥٤٩). تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها.

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/٢١٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/١٢١)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٥) انظر: هديه مهدويه (١٧٣).

العمل وبذل الجهد. قال -تعالى-: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

وقال -تعالى-: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[٢].

٦- العزلة عن الخلق:-

فرض المتمهدي على أتباعه العزلة عن الخلق، ويقصد بالخلق غير المهدويين واستدل على -حد زعمه- بقوله -تعالى-: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[٣]. وهذه الآية لا تدل على فرضية العزلة عن الخلق كما يزعم المتمهدي.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: قوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[٤]. أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال.

قال ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح، وعطية، والضحاك، والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي: أخلص له العبادة.

وقال الحسن: اجتهد وبتل إليه نفسك»[٥].

فلا علاقة إذاً بين مدلول الآية، وما يدعي المتمهدي، ولا يخفى ما في هذه العقيدة من محاولة إبعاد أتباعه وبني نحلته عن المسلمين حتى لا تنكشف ضلالاتهم، وحتى يظلوا خاضعين لنحلتهم ومنقادين أوفياء لإمامهم ومهديهم.

وأما ضابط الخلطة والعزلة المشروعة هو كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «فحقيقة الأمر: أن "الخلطة" تارةً تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد

---

(١) من الآية: ١٠٥، سورة التوبة.

(٢) من الآية: ١٠، سورة الجمعة.

(٣) من الآية: ٨، سورة المزمل.

(٤) الآية: ٧، سورة الشرح.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٨١/٨).

يكون مأموراً بالمخالطة تارةً، وبالانفراد تارةً. وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها. وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها. فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات: كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله».

«وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، و"الخوارج" المارقين وإن كان أئمة ذلك فجاراً، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيماناً إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك».

«ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره، ومحاسبته نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لايشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه»[1].

٧- الرؤية:-

تُعَدُّ الرؤية عند المتمهدي من أهم أصول دعوته. والمقصود من الرؤية، رؤية الله -سبحانه وتعالى- في هذه الدنيا، وهي فريضة لتحقيق إيمان المرء. وتتفاوت درجة الإيمان حسب رؤية المسلم لربه بعين الرأس، أو بعين القلب، أو في المنام. ولكن الشيء الذي لا يمكن القطع به، هو موقف المهدويين حول الرؤية في الآخرة، فلم أجد لهم رأياً واضحاً في هذا الموضوع. يفهم من بعض العبارات في كتبهم أنهم لا ينكرون الرؤية في الآخرة. وفي نفس الوقت توجد عبارات في توجيه الأدلة وحملها على الرؤية الدنيوية أنهم ينكرون الرؤية في الآخرة. وعلى أية حال مادام لم يثبت إنكارهم للرؤية الأخروية صراحة فيكون حديثي في الرد عليهم من ناحيتين:

الأولى: فرضية الرؤية في الدينا.

الثانية: تعاملهم مع النصوص الشرعية في هذه المسألة.

فإذا نظرت إلى النقطة الأولى وهي فرضية رؤية الله -تعالى- في دار الدنيا، وتعويل إيمان المرء عليها، فهذا -حسب علمي- لم يقل به أحد في تاريخ الفرق إلا ما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٤٢٥، ٤٢٦).

حكى "الكعبي" عن بعض "المشبهة" أنهم أجازوا رؤية الله -تعالى- في دار الدنيا، وأنهم يزورونه، ويزورهم.[١]

وذكر "الأشعري" أنه قال قائلون: «يجوز أن نرى الله بالأبصار في الدنيا، ولسنا ننكر أن يكون بعض من نلقاه في الطرقات وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام وأصحاب الحلول إذا رأوا إنسانًا يستحسنونه، لم يدروا لعل إلههم فيه. وأجاز كثير ممن أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته وملامسته، ومزاورته إياهم. وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك»[٢].

بيد أن هؤلاء الحلوليين والاتحاديين الذين نقل عنهم "الأشعري" لم يفرضوا رؤية الله -تعالى- في دار الدنيا لتحقيق الإيمان، بخلاف "الجونبوري" فإن الإيمان عنده يعتمد على رؤية الله -تعالى- في الدنيا.

والقول بوقوع الرؤية في الدنيا وحده مخالف لما عليه جمهور المسلمين فضلاً من فرضيته لتحقيق الإيمان. وقد سئل "شيخ الإسلام ابن تيمية" عن أقوام يدعون أنهم يرون الله بأبصارهم في الدنيا، وأنهم يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى -عليه السلام- بالسؤال، فأجاب:

«أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلا في النبي -ﷺ-...»[٣]

«ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى، فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتِلوا. والله أعلم»[٤].

وقال أيضا: «وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: "لن تراني" وأن رؤية الله

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٠٥)، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٦٣).

(٣) ذكر الإمام ابن أبي العز الدمشقي اختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا بالتفصيل، وخلص إلى القول: «إن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لم تكن ممكنة، لما سألها موسى -عليه السلام- لكن لم يرد نص بأنه -ﷺ- رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية». وساق الأدلة على ذلك. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٢٢ - ٢٢٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٥١٢).

أعظم من إنزال الكتاب من السماء، فمن قال: إن أحداً من الناس يراه، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتاباً من السماء»[١].

وفي الحقيقة إن الذين يدعون الرؤية العينية في دار الدنيا فهم لا يرون الله -تعالى- وإنما هم يرون شيطاناً تمثل إليه أنه ربه وإلهه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد:

«وهذا كما أن كثيراً من العُبَّاد يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشاً عظيماً، وعليه صورة عظيمة، ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل، فيظنها الملائكة، ويظن أن تلك الصورة هي الله - تعالى وتقدس- ويكون ذلك شيطاناً. وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس، فمنهم من عصمه الله، وعرف أنه الشيطان "كالشيخ عبد القادر"[٢] في حكايته المشهورة حيث قال: كنتُ مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً، وعليه نورٌ، فقال لي: يا عبد القادر! أنا ربك، وقد حلَّلت لك ما حَرَّمْتُ على غيرك. قال: فقلت له أ أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ إخسأ يا عدو الله. قال: فتمزق ذلك النور، وصار ظلمة، وقال: يا عبد القادر! نجوت عني بفقهك في دينك وعلمك، وبمنازلاتك في أحوالك. لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً. فقيل له: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي: "حلَّلت لك ما حرمتُ على غيرك"، وقد علمت أن شريعة محمد -ﷺ- لا تنسخُ، ولا تبدل. ولأنه قال: أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا".

«ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله، وصار هو وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله -تعالى- في اليقظة، ومستندهم ما شاهدوه. وهم صادقون فيما يخبرون به، ولكن لم يعلموا أن ذلك هو الشيطان. وهذا وقع كثيراً لطوائف من جهال العُبَّاد، يظُن أحدهم أنه

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/٩٩، ١٠٠)، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

(٢) هو: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني (الكيلاني) (٤٧١هـ - ٥٦١هـ).
من الزهاد المعروفين. ولد في "جيلان" وانتقل إلى بغداد شاباً. سمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر للوعظ. تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد. من أهم مؤلفاته: "الغنية" "الفتح الرباني" "فتوح الغيب" وغيرها. تنسب إليه الطريقة القادرية، توفى في بغداد.
انظر: الأعلام (٤/٤٧).

يرى الله -تعالى- بعينه في الدنيا؛ لأن كثيراً منهم أُرِيَ ما ظن أنه الله وإنما هو شيطان»[١].

ولعل "السيد محمد الجونبوري" -وهو المعروف بالعبادة والمجاهدة والرياضة النفسية- تمثل له الشيطان، فتخيل إليه أنه ربه وإلهه، ولم يكن عنده من الفقه في الدين، ولا درجة اليقين ما يميز به بين الحق والباطل، فأعلن أنه شاهد الله -تعالى- بعينه، والحال أنه رأى الشيطان، فيا ليت الأمر توقف عند هذا الحد، ولكنه تقدم إلى خطوة أخرى، ففرض الرؤية على المسلم لتحقيق إيمانه.

وهذا ظاهر البطلان؛ لأنه لم يعتمد فيه على دليل، بل بنى القول على مجرد المشاهدة التي تقدمت بعض النماذج منها، والتي قال العلماء عنها: إنها من تلاعب الشيطان بعقول أولئك الناس، وإفساده لعقائدهم. والقول الذي لم يعتمد على دليل صحيح، هو مجرد دعوى، والدعوى بلا دليل لا يلتفت إليها.

وأما النطقة الثانية: وهي تعامل المهدويين مع النصوص الشرعية في هذه المسألة. فشأنهم في التعامل مع الأدلة الشرعية لا يخلو من أمرين، لا ثالث لهما: إما التأويل الفاسد، وإما الرد، ففي الآيات القرآنية يتعاملون بالتأويل، وقد رأينا - فيما سبق- كيف أن المتمهدي يلوي عنق النص لإثبات عقائده، ومنها الرؤية الدنيوية.

وأما الأحاديث فإذا لم توافق أهوائهم، ولا يمكن التأويل فيها يردونها، ولو كانت أحاديث صحيحة بحجة أنها لا توافق أحوال المهدي وأقواله. ولهذا نجدهم لا يستدلون بالأحاديث الصحيحة التي وردت في الرؤية؛ لأنها تصرح أن الرؤية تقع في الآخرة. وإذا وافقت أهوائهم فإنهم يستدلون بها مهما كانت درجة الحديث.

هنا يبدو تناقض المتمهدي مع نفسه واضحاً حيث يزعم أنه يتابع الرسول -ﷺ- متابعة كاملة، ولا يحيد عنها قيد أنملة، ثم يجعل موافقة أحواله وأقواله هي الميزان لصحة الحديث وسقمه، فكيف يوزن كلام المتبوع بميزان التابع؟.

ومن الأدلة التي يتردد كثيراً على لسان المتمهدي لإثبات الرؤية الدنيوية قوله

---

(١) انظر: التوسل والوسيلة (٢٨)، طبعة (١٤٠٤هـ) طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

-تعالى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١].

على أن المراد باللقاء هو الرؤية العينية في دار الدنيا -كما يزعم المتمهدي-، بل معناه كما قال الحافظ ابن كثير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ﴾ أي: ثوابه، وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحاً﴾ وهو ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له. وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله -ﷺ-»[٢].

وهكذا قوله - تعالى-: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٣].

على أن البصير هو الذي يراه في الدنيا، و"الأعمى" لا يراه وتأكد ذلك المعنى باستعمال صيغة الماضي "أبصر" و"عَمِيَ".

وهذا تقول سافر في كلام الله -تعالى- وحمله على ما لا يحتمله، ولا يوجد بين مسألة الرؤية الدنيوية وهذه الآية أدنى علاقة، ومعناها كما قال الحافظ ابن كثير:

«"البصائر": هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به الرسول -ﷺ- ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ مثل قوله: ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[٤] ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فإنها يعود وبال ذلك عليه، كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٥]. ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مبلغ، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء»[٦].

وأما قوله -عليه السلام-: «أن تعبد الله كأنك تراه» فإنه لا يدل على أن معنى الإحسان هو العبادة مع الرؤية العينية لله - تعالى- وقد ذكر الحافظ ابن رجب في قوله -ﷺ- في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه ... الخ. فقال:

---

(١) من الآية: ١١٠، سورة الكهف.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٢٠٠).

(٣) الآية: ١٠٤، سورة الأنعام.

(٤) الآية: ١٥، سورة الإسراء.

(٥) من الآية: ٤٦، سورة الحج.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٥).

«يشير إلى أن العبد، يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف، والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة – رضي الله عنه– "أن تخشى الله كأنك تراه" ويوجب أيضا: النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها، وإتمامها، وإكمالها»(١).

فتبين من هذا العرض أن القول برؤية الله في دار الدنيا باطل، فضلا عن فرضها لتحقيق الإيمان.

ثانياً: الأعمال الستة:-

وهي الأحكام التي وضعها المتمهدي على أتباعه بصفته مخولاً في بيان الأحكام الشرعية، ومنها:

١- العشر:-

يجب دفع العشر من كل ما يملكه المهدوي بدليل قوله –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾(٢).

وهذا ما تقوله المتمهدي في كلام الله –تعالى– فإنه لا يدل على فرضية دفع العشر، ولا يوجد هناك علاقة بين ما تدل عليه الآية المذكورة وبين ما يزعمه المتمهدي. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «يأمر –تعالى– عباده المؤمنين بالإنفاق –والمراد به ههنا الصدقة قاله ابن عباس– من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها.

قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم.

قال علي والسدي: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعني: الذهب والفضة، ومن الثمار، والزروع التي أنبتناها لهم من الأرض.

قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه. ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه – وهو خبيثه– فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ أي: تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: لو أعطيتموه ما أخذتموه

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (١/١٢٦)، تحقيق: شعيب أرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) من الآية: ٢٦٧، سورة البقرة.

إلا أن تتغاضوا فيه، فالله أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما تكرهون»[١].

فتبين أنه لا توجد أية علاقة بين ما تدل عليه الآية الكريمة وما يزعمه المتمهدي أنها تدل على فرضية العشر، كما يلاحظ بتر الآية الكريمة للاستدلال بها على هواه.

ذكر "الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري" أنه ليس المقصود بالعشر ما يدفع من المحاصيل الزراعية، بل هو تشريع جديد فرضه المتمهدي إلى جانب فرضية الزكاة، فكما أن المسلم يستحق الوعيد لمنع الزكاة، وهكذا يستحق الوعيد أيضًا إذا امتنع عن دفع عشر ما يملكه الإنسان.[٢]

وهكذا شرع المتمهدي حكمًا جديدًا في الشريعة، وقال -تعالي-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٣].

٢- السوية:-

يقصد بها تقسيم الأموال بالتساوي بين أصحاب المتمهدي. والدليل على ذلك قوله -عليه السلام- في وصف المهدي: «يقسم المال صحاحًا. قيل: وما صحاحًا؟ قال: بالسوية بين الناس»[٤].

وهو قول حق أريد به باطل، إذ أنه من أوصاف المهدي الحقيقي الذي يظهر آخر الزمان، ويفيض المال في زمنه، ويعم الرخاء، وتنعم الأمة. وعند ذلك يقسم المهدي المال صحاحًا أي بالسوية.[٥]

وأما المتمهدي لم يفض المال في زمانه بل عاش هو وأتباعه في فقر مدقع، وضيق شديد، ولم يملك البلاد بل كان شريدًا طريدًا يرتحل من بلد إلى آخر حتى هلك.

وأما تقسيمه بالسوية ما يأتيه من المال والطعام والذي كانوا يسمونه "بالفتوح" فكان لحاجتهم إليه إذ كانوا لا يكتسبون، يتوكلون على حد زعمهم.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٧٣/١).

(٢) انظر: هديه مهدويه (٢٩٨).

(٣) من الآية: ٢١، سورة الشورى.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٣٣).

ذكر "الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري" أن المتمهدي لم يكن يقسم ما يأتيه بالسوية بل كان يعطي البعض أكثر من نصيبه بشفاعة الآخرين، كما كان يعطي زوجته أنصبة ثلاثة أشخاص. وكان يعطي ابنه "محمود" وزوجته، وولده أنصبة تسعة أشخاص. وهو تناقض واضح مع ما يدعيه.(١)

٣- النوبة:-

يُقْصد بها التناوب الليلي لإحيائها بالذكر -وقد تقدم- أن المقصود بالذكر هو الذكر الدائم على طريقة حفظ الأنفاس، وتقام هذه النوبة في الخلوات المهدوية التي يسمونها "بالداوائر" هذه الأمور كلها بدعية، كما تقدم الكلام عليها.

٤- الإجماع:-

والمقصود به القيام بالعمل الجماعي أثناء الرحلات والتنقلات بين البلاد. ولا يخفى أن هذا الأمر فرض عليه الواقع، وظروف الحياة، إذ كان كثير الترحال يجوب البلاد الهندية من أقصاها إلى أقصاها حتى وصل إقليم "خراسان" خارج القارة الهندية – حيث لقي حتفه –، وكان يواجه هو وأتباعه ظروفًا قاسية في هذه التنقلات مما جعله يدعو أتباعه إلى هذا العمل الجماعي.

٥- تحية الوضوء :-

يقصد بها صلاة ركعتين بعد الوضوء، ثم الدعاء في حال السجود. بدليل قوله -تعالى-: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢).

أما الصلاة بعد الوضوء فهو أمر مرغوب فيه شرعًا، وكذلك الدعاء في حال السجود. قال -ﷺ-: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(٣) وأمر -ﷺ- بالاجتهاد في الدعاء في السجود، وقال: «إنه قَمِنٌ(٤) أن يستجاب لكم»(٥).

---

(١) انظر: هديه مهدوية (٩١).

(٢) من الآية: ٥٥، سورة الأعراف.

(٣) جزء من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٠، برقم: ٤٨٢).

(٤) يقال: قَمَنٌ وقَمِنٌ وقَمِينٌ : أي خليق وجدير.
انظر: النهاية (٤/١١١).

وأما الاستدلال بالآية المذكورة فغير صحيح؛ لأنها لا تدل على الحال المذكورة للدعاء فقط، بل هي مطلقة. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أرشد -تبارك وتعالى- عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، فقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ معناه: تذللاً واستكانةً ﴿ خُفْيَةً﴾ كما قال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾[1]. ...الآية.

قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال: السر.

وقال ابن جرير: ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً واستكانة لطاعته. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهاراً ومراءاة»[2].[3]

وحصر الدعاء في حال السجود فقط لا يدل عليه دليل، بل مجاله واسع في حال السجود وغيره.

ثم إن ندب المتمهدي أتباعه إلى الدعاء في السجود وبيان الفضائل الكثيرة له لايغطي ما جاء به من عقائد باطلة وانحرافات واضحة بل هو كبيان "القادياني" فضائل السواك، وفوائده، وترغيب الناس فيه، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

٦- سلام الوداع:-

يقصد به أن الرسول -ﷺ- لما كان يقوم لينصرف إلى بيته بعد أداء صلاة العشاء، يقف أصحابه صفوفًا، فيسلم عليهم النبي -ﷺ- سلام الوداع، ويودعهم. واتباعًا لهذه السنة هكذا كان يفعل المتمهدي، ودعا أتباعه إلى هذا العمل.

ولم أجد -فيما عرفته- في كتب السنة والسيرة أن الرسول -ﷺ- كان يفعل ذلك، كما لم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان أنهم كانوا يسلمون بعد

=(٥) جزء من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٣٤٨/١، برقم: ٤٧٩).

(١) من الآية: ٢٠٥، سورة الأعراف.

(٢) انظر: قول الطبري في تفسيره (٤٨٥/١٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/٣، ٤٢٤).

صلاة العشاء سلام الوداع. بل هو افتراء المتمهدي وكذبه على الرسول -ﷺ-، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١]. ولعله أراد من خلال هذا العمل أن يرى للناس مكانته لدى أتباعه.

وقد ثبت عن الرسول -ﷺ- عكس ما كان يفعل المتمهدي، كما جاء في الحديث أن الرسول -ﷺ- قال: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[٢].

بعد هذا الرد على عقائد "المهدوية" يحسن أن أذيل هذا المبحث بفتاوى فقهاء "مكة" -في القرن العاشر الهجري- إزاء هذه الفرقة، وكانت لهذه الفتاوى آثار فعالة حيث فضح هؤلاء الفقهاء مزاعم المتمهدي، وكشفوا عن عواره، مما حد من نفوذ هذه الفرقة وانتشارها، وكشفِ حقيقتها أمام المسلمين.

ذكر "الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري" أن هذه الفتاوى لما وصلت إلى إقليم "كجرات" استدعى حاكمها "السلطان مظفر" كبار دعاة "المهدوية"، وطلب منهم التوبة عن "المهدوية"، ولما رفضوا قتلهم جميعاً، وكان عددهم ثلاثة عشر داعية، كما ألقى القبض على "السيد علي بن السيد محمد الجونبوري المتمهدي"، وزَجَّ به في السجن حيث لقى مصرعه هناك.[٣] وهكذا كان أثر هذه الفتاوى طيباً في الحد من نفوذ هذه الفرقة.

وقد ضمن "الشيخ علي المتقي الهندي" هذه الفتاوى في آخر كتابه: «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان" وهذا نصها:

«ما يقول السادة العلماء أئمة الدين، وهداة المسلمين - أيدهم الله بروح القدس- في طائفة اعتقدوا شخصاً من بلاد "الهند" مات سنة عشر وتسعمائة ببلد من بلاد العجم

---

(١) جزء من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- تقدم تخريجه في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

(٢) حديث معاوية - رضي الله عنه- رواه أبو داود في سننه بتمام اللفظ في كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك (٥/٣٩٧، برقم: ٥٢٢٩).

والترمذي في جامعه بلفظ: «مَن سَرَّه ...» في كتاب الأدب، باب كراهة قيام الرجل للرجل، وقال: هذا حديث حسن (٨/٣٠، برقم: ٢٩٠٣).

(٣) انظر: هديه مهدوية (٣١، ٣٢).

يسمى "فره" أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، وأن من أنكر هذا المهدي فقد كفر. ثم حُكْم من أنكر المهدي الموعود. أفتونا - رضي الله عنكم- وكان هذا الاستفتاء في سنة اثنين وخمسين وتسعمائة.

فأفتى "الشيخ العلامة أحمد بن حجر الشافعي" -فسح الله -تعالى - في عمره- «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. اللّهم هدايةً لما اختلف فيه من الحق بإذنك، وتوفيقًا للصواب. اعتقاد هؤلاء الطائفة باطل قبيح، وجهل صريح، وبدعة شنيعة، وضلالة قطعية.

أما الأول : فلمخالفته لصرائح الأحاديث المستفيضة المتواترة بأنه من أهل بيت النبي -ﷺ- وأنه يملك الأرض شرقها وغربها. ويملأها عدلاً لم يسمع بمثله. وأنه يخرج مع عيسى -عليه السلام - فيساعده على قتل الدجال بباب لُدٍّ بأرض فلسطين قريب من بيت المقدس. وأنه يؤم هذه الأمة. وأن عيسى بن مريم يصلي خلفه. وأنه يذبح السفياني. وأنه يُخسف بجيشه الذي يُرسل إلى المهدي بالبيداء بين "مكة" و"المدينة" عند"ذي الحليفة"؛ فلا ينجو منهم إلا اثنان. وغير ذلك من العلامات الكثيرة. وقد أفردتها بتأليف سميته: "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر"(١) ذكرنا فيه نحواً من مائة علامة لم يُمَيِّز بها عن غيره، جاءت عنه -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه، وتابعيهم، وجمعته من كتب الأئمة المؤلفة على سعتها، وكثرة أحاديثها، وطرقها، وما فيها من الآثار الكثيرة، والأعاجيب الشهيرة؛ وكل ذلك يضلل هؤلاء الطائفة المعتقدين في ذلك الميت أنه المهدي، لم يوجد فيه أدنى شبهة تحمل ذا عقل بلغته السنة على أن يعتقدوا فيه ذلك.

وأما الثاني: فلأنه يترتب عليه تكفير الأئمة المصرحين في كتبهم بما يستلزم إنكار أن ذلك الميت هو المهدي، ومن كَفَّر مؤمنا لدينه فهو كافر يضرب عنقه، إن لم يتب ويجدّد إسلامه. ومن كفر الصحابة أو ضلّل الأمة، فهو كافر. فهؤلاء الضالون إن صرحوا بشيء من هذه اللوازم المكفرة كانوا كفاراً مرتدين من الدين، فعلى الإمام -أيد الله بسيف عدله معالم الدين، وأباد بصادق همته، وانتصاره للشريعة المحمدية طوائف الكفار والمفسدين - أن يجري على هؤلاء الطائفة ما ذكرناه من أحكامهم، وبينّاه من قبائحهم، وإيلامهم،

---

(١) وهو مطبوع. وتقدم الحديث عنه.

ويشدد عليهم أنواع العقوبة حتى يرجعوا للحق، ويعترفوا بالصدق».

«وأما الثالث: وهو لازم ما قبله فإن كان لإنكارهم السنة رأسًا فهو كفرٌ، يقضى عليهم بكفرهم وردتهم، فيقتلون -كما مر- وإن كان لا لإنكارهم لها، وإنما هو محض عناد لأئمة الإسلام، وجهابذة الأحكام، ومصابيح الهدى، ونجوم الظلام، فهو يقتضي تعزيرهم البليغ، وإهانتهم بما يراه الحاكم لائقًا بعظيم جريمتهم، وقبح طريقتهم، وفساد عقيدتهم، من حبسٍ وضربٍ وصفعٍ وغيرها مما يزجرهم عن هذه القبائح،ويكفهم عن تلك الفضائح، ويرجعهم إلى الحق، رغم أنوفهم، ويَرُدهم إلى اعتقاد ما ورد به الشرع ردعًا عن كفرهم وإكفارهم. والله -سبحانه وتعالى- أعلم. وهو ولي الهداية والتوفيق، وإليه الضراعة في أن يمنحنا مراتب الاتباع والتصديق، ومعالم العرفان والتحقيق. إنه جواد كريم رؤف رحيم».

«قال ذلك وكتبه فقير عفو ربه وكرمه الملتجئ إلى بيته وحرمه أحمد بن حجر الشافعي -عفا الله -تعالى- عنه وعن مشائخه، ووالديه- حامداً ومصليًا ومسلمًا».

«وأفتى الحنفي: «الحمد لله، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً. اعتقاد هذ الطائفة المذكورة المحكى عنهم هذه الأمور الشنيعة، والأحوال المنكرة القطعية باطل لا أصل له، ولا حقيقة. ويجب قمعهم أشد القمع، وردعهم أشد الردع لمخالفة اعتقادهم ما وردت به النصوص الصحيحة، والسنن الصريحة التي تواترت الأخبار بها، واستفاضت بكثرة رواتها من أن المهدي -رضي الله عنه- الموعود بظهوره في آخر الزمان يخرج مع سيدنا عيسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ويساعد سيدنا عيسى على قتل الدجال. وأنه يكون له علامات قبل ظهوره، منها: السفياني، وخسوف القمر في شهر رمضان. وورد أيضًا أنه يخسف في شهر رمضان مرتين، وكسوف الشمس في النصف من رمضان على خلاف ما جرت به العادة عند حُسَّاب النجوم.

كل ذلك لم يقع، فدل عدم ظهور شيء من هذه العلامات المنصوص عليها على فساد اعتقادهم، وغلط مرادهم، ولا يجوز تكفيرهم لأحد من المسلمين. فإن كفروا المخالفين ما اعتقدوه، واعتقدوا كفرهم بسبب أنهم خالفوا معتقدهم الباطل، فقد كفروا؛ لأن من اعتقد أن المسلم كافر، فقد اعتقد دينه كفراً، فيكفر ويجري عليه أحكام الكفر من الاستتابة أو القتل. والله ولي من نصر الحق، وقام، وقمع أهل الظلم، ومن تذرع به»».

«قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله -تعالى- أحمد أبو السرور بن الصبا الحنفي - عامله الله بلطفه الخفي حامداً، مصلياً، مسلماً، ومفوضاً متوكلاً - والله أعلم».

«وأفتى المالكي: «الحمد لله وحده ما شاء الله لا قوة إلا بالله. اعتقاد هؤلاء الطائفة في الرجل الميت أنه المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان باطل؛ للأحاديث الصحيحة الدالة على صحة صفة المهدي، وصفة خروج المهدي، وما يتقدم بين يدي ذلك من الفتن كظهور السفياني، والخسف بالجيش، الذي يخرج لمحاربته بالبيداء، وكسوف الشمس في نصف شهر رمضان، وخسوف القمر في أوله وغير ذلك من الفتن، والأحاديث الدالة على كون المهدي يملك الأرض، ويظهر الدجال في أيامه وغير ذلك، ولم توجد هذه الأمور في الرجل الميت المذكور، فظهر أن اعتقادهم فيه أنه المهدي، باطل لا أصل له.

وأما اعتقادهم أن من أنكر كونه المهدي فقد كفر بذلك. فإن صرحوا باعتقاد كفر جميع المسلمين المخالفين لمعتقدهم، ورأوا أنهم خرجوا من الإسلام بذلك، وصاروا كفرة لذلك، فقد كفروا بهذا الاعتقاد الباطل، فيستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا. فنسأل الله العافية من الزيغ والضلال. ونسأله الثبات على الإسلام في جميع الأحوال بجاه[1] سيد المرسلين، صلى الله وسلم، وآله وصحبه أجمعين».

«قال ذلك وكتبه: محمد بن محمد الخطابي المالكي غفر الله له ولوالديه، ولمشائخه ولجميع المسلمين. آمين».

«وأفتي الحنبلي: «الحمد لله، اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك. لا ريبة في فساد هذا الاعتقاد لما اشتمل عليه من مخالفة الأحاديث الصحيحة بالعناد. فقد صح عنه -عليه الصلاة والسلام - كما رواه الثقات عن الرواة الأثبات أنه أخبر بخروج المهدي في اخر الزمان. وذَكَرَ مُقدِّماتٍ لظهوره، وصفاتٍ في ذاته، وأمور تقع في زمانه. من أعظمها ما لا يمكن دعوى أنه وقع: وهو نزول سيدنا عيسى -صلوات الله على نبينا وعليه- في زمانه واجتماعه، وصلاته خلفه. وخروج الدجال. وقتله إياه معه، وهذه أمور لم تقع، ولابد من وقوعها، وقد فات ذلك هذا الرجل بموته. نعوذ بالله من الخذلان، وتزيين الشيطان.

وأما تكفير هذه الطائفة من خالفها من المسلمين على خلاف الحق ومعتقدهم، وأنهم خرجوا عن الإسلام بذلك فقد ارتدوا. والعياذ بالله.

---

(١) لم يثبت عن السلف الصالح التوسل بجاه النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو بدعة مستحدثة.

وأما من كذّب بالمهدي الموعود به، فقد أخبر -عليه الصلاة والسلام- بكفره، فإن أصرت هذه الطائفة الضالة على تكفير أهل الإسلام تكفيراً يخرج عن الملة، فلكل من الإمام، ومن يقوم مقامه من حكام المسلمين - أيد الله بهم الدين- أن يجري عليها أحكام المرتدين باستتابتهم ثلاثاً، فإن تابوا، وإلا ضربت أعناقهم بالسيف كي يرتدع أمثالهم من المبتدعين. ريَّح الله المسلمين منهم أجمعين. والله أعلم بالصواب.

قال ذلك وكتبه: الفقير إلى الله العلي " يحيى بن محمد الحنبلي" لطف الله به حامداً ومصلياً مسلماً محوقلاً محسبلاً مستغفراً»[١].

ومما يجدر بالذكر هنا أن طائفةً من الباحثين المعاصرين[٢] أنكروا ظهور المهدي الحقيقي آخر الزمان، يصمون أحاديثه بالتناقض والبطلان، وأن المهدي ليس إلا أسطورة اخترعها "الشيعة" ثم دخلت في كتب "أهل السنة".

وقد تأثر هؤلاء بما اشتهر عن "ابن خلدون"[٣] من تضعيف لأحاديث المهدي.[٤]

---

(١) انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل ٢٩/ أ - ٣١/ب)، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٨٧٣).

(٢) من أبرز هؤلاء الباحثين "الشيخ محمد رشيد رضا" في تفسيره "المنار" (٩/٤١٦ - ٤٢٣). و"محمد فريد وجدي" في "دائرة معارف القرن العشرين" (١٠/٤٨٠)، و"أحمد أمين" في كتابه "ضحى الإسلام" (٣/٢٣٥ - ٢٤٦)، و"محمد عبد الله عنان" في كتابه "مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام" (٣٥٩-٣٦٤)، و "عبد الكريم الخطيب" في كتابه "المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل" (٥٣٩). ولعل آخر من أدلى بدلوه في هذا المضمار هو "الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود" في كتابه: "لا مهدي ينتظر بعد الرسول -ﷺ- خير البشر".

لقد تصدى للرد على هؤلاء المنكرين نخبة من علماء المسلمين، لعل من أبرزهم "الشيخ عبد المحسن العباد". في كتابه القيم: "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي" وخص منهم الشيخ عبدالله آل محمود في رسالته المذكورة.

كما تولى الرد عليه أيضاً "الشيخ حمود التويجري" في كتابه: "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر".

(٣) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، المعروف بابن خلدون (٠٠٠-٨٠٨هـ).

مؤرخ مشهور. نشأ في تونس، وتقلد هناك مناصب كثيرة، ثم رحل منها إلى مصر وتولى قضاء =

قال "الشيخ أحمد شاكر" في رده على "ابن خلدون": «إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين الجرح مقدم على التعديل" ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئًا مما قال، وقد يكون قرأ وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه الرأى السياسي في عصره».

ثم بين أن ما كتبه "ابن خلدون" في باب المهدي مملوء بالأغلاط الكثيرة في أسماء الرجال، ونقل العلل، واعتذر عنه بأن ذلك قد يكون من خلط الناسخين، وإهمال المصححين.[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأحاديث التي وردت في مهدي آخر الزمان: «وأحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم»[٢].

وقال الشيخ السفاريني: «وقد كثرت بخروجه -أي المهدي- الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم»[٣].

وقد نقل الشيخ صديق حسن خان القنوجي كلام "الشوكاني" من "التوضيح" حيث قال: «الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثًا: فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك وشبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول. وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»[٤].

= المالكية فيها. من أشهر مصنفاته كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر". توفى في القاهرة.

انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٧/٧٦، ٧٧)، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت- لبنان.

(٤) انظر كلام ابن خلدون في : مقدمته (٣١١ - ٣٢٢).

(١) انظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد (٥/١٩٧، ١٩٨).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/٩٥).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

(٤) انظر: الإذاعة (١١٣، ١١٤).

كما تأثر هؤلاء -أي المنكرون للمهدي- بكلام بعض المستشرقين الذين قالوا: إن عقيدة المهدي كانت سبباً في إثارة الفتن، وإشاعة الفوضى في العالم الإسلامي، كما قال "جولد تسهير": «وقد أمكن استخدام هذه العقيدة -أي المهدوية- خلال عصور التاريخ الإسلامي لتبرير الفتن والقلاقل التي أشعل نيرانها بعض الثائرين السياسيين الدينيين، متطلعين إلى قلب النظم الحكومية القائمة، وساعين إلى استجلاب محبة الشعب حتى يفتتن بهم، على اعتبار أنهم يمثلون الفكرة المهدية، فدفعوا بأجزاء كبيرة من العالم الإسلامى إلى خوض غمار الاضطراب والحروب»[١].

وهذا ما جاء أيضاً في تعبير "ابن محمود" في أسباب إنكاره للمهدي، فقال: «لهذا رأينا كل من انتحل خطة باطلة من الدجالين المنحرفين فإنه يسمى نفسه بالمهدي، ويتبعه على دعوته الهمج السُّذّج والغوغاء الذين هم عون الظالم، ويد الغاشم في كل زمان ومكان»[٢].

وقد رد عليه الشيخ التويجري بقوله:

«فجوابه أن أقول: قد ذكرت مراراً أن دعوى المدعين للمهدية كذباً وزوراً، لا تقدح في الأحاديث الثابتة في المهدي، ولا تؤثر فيها، كما أن دعوى المدعين للنبوة كذباً وزوراً لا تقدح في دلائل نبوة الأنبياء، ولا تؤثر فيها. وذكرت أيضاً في عدة مواضع أن المهدي لا يطلب الأمر لنفسه ابتداءً مدعياً أنه المهدي، كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كذباً وزوراً، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه، ثم يسميه الناس بعد ذلك بالمهدي لما يرون من صلاحه وعدله، وإزالته للجور والظلم، وقد التبس الأمر في المهدي على "ابن محمود" فخلط بين المهدي الذي بشر النبي -ﷺ- بخروجه في آخر الزمان، وبين الكذابين الذين ادعوا المهدية كذباً وزوراً، وجعل الجميع من باب واحد، وهذا خطأ كبير»[٣].

---

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام (٢١٨، ٢١٩)، ترجمة: الدكتور محمد يوسف موسى وآخرون. الطبعة الثانية (٠٠٠٠٠)، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

(٢) انظر: لا مهدي ينتظر بعد الرسول -ﷺ- خير البشر. (ص ٧١).

(٣) انظر: الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣٠٢/١، ٣٠٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

ومن أهم أسباب إنكار ظهور المهدي الحقيقي في آخر الزمان عند منكريه، أن فكرة المهدي جاءت عن الشيعة يقول ابن محمود: «وأن أصل من تبنى هذه الفكرة والعقيدة هم "الشيعة" الذين من عقائدهم الإيمان بالإمام الغائب المنتظر، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الإمام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري"، فسرت هذه الفكرة، وهذا الاعتقاد بطريق المجالسة والمؤانسة والاختلاط إلى أهل السنة، فدخلت في معتقدهم، وهي ليست من أصل عقيدتهم»(١).

فرد عليه "الشيخ عبد المحسن العباد" بقوله:

«والجواب أن هناك فرقاً كبيراً، وبوناً شاسعاً، بين "أهل السنة" و"الشيعة"، فالمهدي عند "أهل السنة" لا يعدو كونه إماماً من أئمة المسلمين، الذين ينشرون العدل، ويطبقون شريعة الإسلام، يولد في آخر الزمان، ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- من السماء في زمانه، وهو غير معصوم، ومستندهم في ذلك أحاديث ثابتة عن رسول الله -ﷺ- مدونة في دواوين أهل السنة، قال بصحتها وثبوتها جهابذة أهل العلم المعتد بهم، مثل: البيهقي، والعقيلي، والذهبي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير وغيرهم.

أما المهدي عند الشيعة فهو "محمد بن الحسن العسكري"(٢) ولد في منتصف القرن الثالث تقريباً، ودخل سرداباً في "سامرا" وهو صغير -في زعمهم- ولا يزالون في انتظار خروجه من سردابه، وهو الإمام الثاني عشر(٣) من أئمتهم الإثنى عشر، الذين يعتقدون

---

(١) انظر: لا مهدي ينتظر (٣، ٤).

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن "الحسن بن علي العسكري" لم يكن له نسب ولا عقب، فعلى هذا لا وجود لولده "محمد بن الحسن العسكري".
انظر: منهاج السنة النبوية (٤/٨٧).

(٣) هذه عقيدة الفرقة الإمامية الاثنى عشرية. وأما الكيسانية -وهم أول من اخترعوا فكرة الإمام الغائب- فزعموا أن "محمد بن الحنفية" الذي غاب في جبل "رضوى" -على حد زعمهم- هو المهدي المنتظر. وأما "الإسماعيلية" فقد نسبوا المهدية إلى "عبيد الله المهدي" (٠٠٠- ٣٢٤هـ)، الذي ظهرت على يده الدولة العبيدية أو الفاطمية. وهكذا يبدو التناقض واضحاً في تحديد شخص المهدي عند فرق "الشيعة" بينما أهل السنة" لا يوجد بينهم أي خلاف كما تقدم في كلام "الشيخ العباد".
انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٥٩).

فيهم أنهم معصومون، ويصفونهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود ...»[١].

ثم إن الذي ذهب إليه الشيعة لا يدل عليه دليل، بل هو من هوس الشيطان وتلبيسه عليهم. قال الحافظ ابن كثير:

«ويكون ظهوره -أي المهدي- من بلاد المشرق، لا من سرداب "سامرا" كما تزعمه جهلة "الرافضة" من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من معقول صحيح، ولا استحسان»[٢]. والله أعلم.

---

(١) انظر: تفصيلات هذا الجواب في: الرد على من كذب بالأحاديث الواردة بالمهدي (٨، ٩)، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ)، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٥٥).

الفصل الرابع

الفرقة الروشنية أو الروشنائية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث : آثارها.

المبحث الرابع : الروشنية في الميزان.

الفصل الرابع : الفرقة الروشنية[١] أو الروشنائية:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تاريخها ونشأتها:

تُعَدُّ "الفرقة الروشنية" إحدى الفرق النشطة التي نشأت في القرن العاشر الهجري في الأطراف الشمالية للقارة الهندية، وبلاد الأفغان[٢]. تنسب هذه الفرقة إلى "با يزيد بن عبد الله بن محمد الأنصاري"[٣] الذي ينحدر من قبيلة "ارمر" الأفغانية التي تعرف "بالبتان"، وكانت مساكنها في منطقة "كاني كرم"[٤].[٥]

ميلاده:-

ولد "با يزيد" في مدينة "جالندر" الهندية عام (٩٣١هـ). وذلك أن بعض الأسر الأنصارية المذكورة استوطن في مدينة "جالندر" الواقعة في "الهند"، وكان أجداد "با يزيد الأنصاري" يقومون بشراء الخيول من "أفغانستان" ويبيعونها في "الهند"، ويأتون

---

(١) كلمة "الروشنيه" نسبة إلى كلمة "روشن" بمعنى النور. وسيأتي بعد قليل وجه تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم.

(٢) يجدر بالذكر هنا أنه في أيام الحكم الإسلامي على بلاد "الهند"، كانت "أفغانستان" تابعة للحكومة المركزية للهند، وقبل دخول "الملك بابر المغولي" إلى "دهلي" -ليؤسس الدولة المغولية في الهند- عام (٩٣٢هـ)، كانت الأسرة اللودية الأفغانية هي الحاكمة لبلاد الهند و"أفغانستان". وكان آخر حكامها "إبراهيم اللودي" الذي انهزم أمام "الملك بابر المغولي" في موقعة "پاني پت" الشهيرة عام (٩٣٢هـ).
انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم للساداتي (٢٤٩/١).

(٣) هناك رأيان للباحثين في تلقيبه بالأنصاري: يرى البعض أن هذه النسبة ليست صحيحة، بل ادعاء من "بايزيد" ليضفي على حركته احتراماً وتقبلاً من قبل المسلمين لنسبته إلى "الأنصار". ويرى الآخرون أن فرعًا من قبيلة "ارمر" التي ينحدر منها "بايزيد" كان يعرف "بالأنصاري"؛ إذ أن أحد أجداد هذا الفرع ينتمي إلى سلالة "الصحابي أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- وكان "با يزيد" من هذا الفرع.
انظر: تذكره صوفيائے سرحد (تذكرة صوفية سَرْحَد) إعجاز الحق قدوسي (٨٣، ٨٤) مركزي اردو بورڈ، لاهور - پاكستان.

(٤) اسم منطقة تقع حاليًا في أفغانستان.

(٥) انظر: تذكرهء صوفيائے سرحد (٨٣).

بالبضائع الهندية إلى "أفغانستان" فسافر مرة جد "با يزيد" "الشيخ محمد" في مهمة تجارية إلى "الهند" وأقام عند أخيه "الشيخ أبي بكر" في مدينة "جالندر" وأعجب هناك "بأيمنة" بنت أخيه "الشيخ أبي بكر" فخطبها لأحد أبنائه، ووافق عليه "الشيخ أبو بكر" بشرط أن يحضر ابنه إلى "جالندر" فحضر ابن "الشيخ محمد" إلي "جالندر" وتزوج "بأيمنة"، وأنجب منها بنتًا ثم توفى هناك ولما بلغ خبر وفاته أخاه "عبد الله" في "كاني كرم" شد رحله، وقدم إلى "جالندر" حيث عقد على "أيمنة" أرملة أخيه المتوفى، وأنجب منها "با يزيد الأنصاري" عام (٩٣١هـ).

ولما كانت "لعبد الله" زوجة أخرى في "كاني كرم" بالإضافة إلى ثروته الطائلة هناك، رجع إلى وطنه الأصلي "كاني كرم" بعد ولادة "با يزيد الأنصاري: بأربعين يومًا، تاركًا ولده، وزوجه في "جالندر". وهكذا حرم "با يزيد" من عطف أبيه وهو رضيع.[1]

نشأته:-

بعد ولادة "با يزيد الأنصاري" بقليل بدأ "الملك بابر المغولي"[2] يزحف بجحافل جيشه إلى "الهند" وتمكن من طرد "السلطان إبراهيم اللودي الأفغاني" آخر ملوك الأسرة اللودية الأفغانية، وذلك عام (٩٣٢هـ)، فاضطربت بذلك الأسر الأفغانية في "الهند"، وتعرضت لضروب من المحن والمظالم، فقررت أغلب الأسر الأفغانية مغادرة "الهند" والسفر إلى "أفغانستان" فبدأت القوافل تتوجه إلى "أفغانستان" وانضمت والدة "بايزيد" مع ابنه إلى إحدى القوافل، ووصلت إلى زوجها "عبد الله" في "كاني كرم".

ولما كان "لعبد الله" زوجة أخرى، وكان يعتني بها أكثر من عنايته "بأيمنة" -أم

---

(١) انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (الأدب الفارسي في باكستان) للدكتور ظهور الدين أحمد (٥٦٠، ٥٦١)، يونيورسٹي بوك ايجنسي، أنار كلي، لاهور - پاكستان.

(٢) هو: ظهير الدين محمد بابر بن عمر بن أبي سعيد التيموري المغولي (٨٨٨هـ - ٩٣٩هـ).
جلس على سرير الملك في "اندجان" من بلاد ما وراء النهر، وله اثناعشرعامًا ثم دخل "كابل" وزحف على بلاد "الهند"، وهزم "إبراهيم اللودي" ملك "الهند" في ذلك الوقت في معركة "پاني پت"، وأسس الدولة المغولية في بلاد "الهند" والأفغان. توفى في "آغرا".
انظر: نزهة الخواطر (٤/٤٦ - ٤٨).

بايزيد- وقعت بينهما المشاحنة والمشاجرة، واشتد الخلاف حتى أصبحت الحياة الزوجية نكدًا فاجتمع أقرباء "الشيخ عبد الله" وطالبوه بالمساواة بين الزوجين أو الطلاق، وهددوه بالقتل، إن لم يخضع لأحد الأمرين. ولم يستطع "عبد الله" المساواة بينهما فطلق "أيمنة" -أم با يزيد- فرجعت هي إلى "جالندر" وطنها الأصلي، تاركة ابنها "با يزيد" لدى أبيه، وقد بلغ "با يزيد" في ذلك الوقت من العمر سبع سنوات. وهكذا حرم "با يزيد" من عطف أمه وحنانها، كما قد حُرِم من قبل من رعاية أبيه وشفقته، وكان لهذين الحرمانين أثر بالغ في نفس "با يزيد" واختياره حياة العزلة والتفكير.(١)

طلب العلم:-

كان والد "با يزيد" "الشيخ عبد الله" قاضيًا في بلدته "كاني كرم" وأحد المشائخ المعروفين، وكان يرغب في أن يتعلم "با يزيد" ويتسلم منه منصب القضاء إذا كَبُر، فكان يرسله إلى الكُتَّاب مع أخيه لأبيه "يعقوب" حتى ختم قراءة القرآن الكريم، وقرأ بعض كتب الفقه عند أبيه، أمثال: "اللباب" والقدوري"، كما درس بعض كتب التفسير والتصوف، ولكن "با يزيد" كان يعيش حياة قلقة غير مستقرة؛ إذ كانت زوج أبيه "فاطمة" تعامله معاملة قاسية، وتنظر إليه نظرة الكراهة والحقارة، ومما أضاف في حقدها وحسدها أن "با يزيد" كان ذكيًا في الدرس، وبارعًا في التعلم، ومتفوقًا على ابنها "يعقوب" في الحفظ والقراءة، فكانت تحيك له المؤامرات في البيت حتى أنها اتهمته بسرقة بعض متاعها، ولكن "با يزيد" برأ نفسه من هذه التهمة بالحلف إلا أنها تركت آثارًا مؤلمة في نفسه.

ومن ناحية أخرى كان أبوه "الشيخ عبد الله" يستغل ابنه "با يزيد" في تجارة الخيول، وزراعة الأراضي، ورعي الأغنام والحصان، وطحن الدقيق مما صرفه عن مواصلة التحصيل العلمي، ولكن رغبة "با يزيد" كانت شديدة في طلب العلم، وغلب عليه حب الاستطلاع حتى أنه خرج من بيته متوجهًا إلى "مكة المكرمة" مع قافلة الحجيج، قاصدًا حج بيت الله الحرام، وطلب العلم، ولما وصل خبر خروجه إلى أبيه "عبد الله" ذهب وراءه، واسترجعه من الطريق، وقال له: «إن حجك لا يقبل إذا لم تحصل على إذن مني». وهكذا

---

(١) انظر: رود كوثر (٤٣، ٤٤).

- مقدمة مقصود المؤمنين (٧، ٨).

توقف عن طلب العلم، ولم يجد فرصة لاستكماله.[١]

التحول في حياته:-

ولما رأى "با يزيد" أن حياته غير مستقرة ومهددة بالمشاكل العائلية، ومعرضة للأخطار من قبل زوج أبيه، طلب من أبيه "الشيخ عبد الله" أن يوزع ثروته، وأن يعطي منها نصيبه، ليعيش عيشة مستقلة هادئة، وقد عارض أبوه هذا الطلب لأول الأمر، ولكن رضح له في النهاية تحت ضغوط من شيوخ البلدة، وأعطى "با يزيد" نصيبه من المال، فبدأ حياة مستقلة بعيداً عن المشاحنة، وبنى بيتًا خاصًا به، وشرع يعمل ويكسب لنفسه، ثم تزوج بإحدى بنات عمه تدعى "بي بي شمسو".[٢]

ولما كان "با يزيد" قد جبل على حب الاستطلاع منذ صباه، يحب صحبة العلماء والمشائخ الصوفية، ويستمع إلى مواعظهم، ويتردد على حلقاتهم كلما أتيحت له الفرصة، ويستكثر قراءة الأوراد والأذكار، وسهر الليالي، ويفكر في الخالق والكون، وينظر إلى أهل زمانه، وإلى أقوالهم وأفعالهم حتى سمع يوماً من بعض المشائخ أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى معرفة الحق إلا عن طريق "الشيخ الكامل" وهنا تحرك ضميره، واشتد ولوعه للبحث عن "الشيخ الكامل" والمصلح الروحي ليبايعه، ويتبع طريقه، ولكنه رأى أن أغلب مشائخ الصوفية في زمانه يميلون إلى الدنيا أكثر من ميلهم إلى الدين، وكانوا يجعلون الدين وسيلة لكسب المال، وخداع عامة الناس، وإذا قدم أحد إلى منطقته من "الهند" أو "خراسان" يسأله عن "المرشد الكامل" والمشائخ الذين تصل أخبارهم إليه يعتبرهم "المرشد الناقص"؛ لا يصلح للمبايعة والمتابعة إلى أن وجد "الشيخ إسماعيل بن خدا داد" -ابن عمه- الذي زهد في الدنيا، وعرف بين الناس بالورع والتقوى، واشتهر بين القبائل بالمصلح الروحي، وكان يرشد الناس، ويهديهم إلى معرفة الحق، ويأمرهم بالاعتكاف -أي العزلة- فأراد "بايزيد" أن يبايعه، ولكن أباه "الشيخ عبدالله" منعه من ذلك بحجة أنه يُنَقِّص من شأنه، ويزدريه في أعين الناس؛ لأنه ابن أخيه، بل نصحه بالذهاب إلى "ملتان".[٣]

---

(١) انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٦١، ٥٦٢).

- مقدمة مقصود المؤمنين (٧ - ١٠).

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠، ١١).

(٣) اسم منطقة تقع حاليا في پاكستان.

ليبايع "الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني" ولكن "با يزيد" عارض هذه الفكرة؛ لأنه في نظره لا يمثل "الشيخ الكامل" بل من الشيوخ الناقصين الذين لا يحصل لديهم على شيء من المعرفة والدين.

ولما يئس "با يزيد" عن الحصول على الإذن من أبيه ليبايع "الشيخ إسماعيل" طلب منه أن يعلمه الأوراد والأذكار بدون بيعة، ولكن الشيخ رفض ذلك، فكان "با يزيد" في هذا الصراع النفسي، ما يدري إلى أين يذهب؟ وماذا يفعل؟ حتى يجد "الشيخ الكامل"، وكان يراقب "الشيخ إسماعيل" المذكور ماذا يأمر أتباعه؟ فرأى أنه يوصيهم بقلة الأكل، وسهر الليل، والعزلة عن الناس، فكان يفعل ذلك مع المواظبة على "الذكر الخفي" الذي تعود عليه منذ الصبا.

فبينما كان "با يزيد" منهمكًا في "الذكر الخفي" ومستغرقًا في البحث عن "الشيخ الكامل" حدث له حادث - على حد زعمه- كان نقطة تحول خطير في حياته، وذلك أنه رأى رؤيا في المنام، خلاصتها أن "خضر" -عليه السلام- جاءه في النوم وطلب منه أن يكون شريكه في الدين، وأخاه في الإسلام، ثم سقاه ماء الحياة -آب حيات- وجرت بعد ذلك محادثات ومكالمات بينهما، فابتهج "با يزيد" بهذه الرؤيا، وأصبح عنده أمل قوي في الوصول إلى معرفة الحق، وازداد شوقه إلى عبادة الله، واستكثر من "الذكر الخفي" وقطع في ذلك شوطًا كبيرًا في مراحل السلوك حتى إنه دخل نهائيًا في مرحلة ذكر "الاسم الأعظم"[1].

وداوم "با يزيد" على هذه الرياضة، واستمر فيها اثنتي عشرة سنة، لم يلتفت خلالها إلى شيء، ولم يقم فيها بعمل غير العبادة والذكر، وذهب إلى الغابات، وأمضى هناك فترة من الزمن، ثم رجع إلى البيت، وقد طرأ عليه خلال هذه الفترة -وهي مدة اثنتي عشرة سنة - حالات وكيفيات شتى، كغيابه عن النفس، وسماعه التسبيح من كل شيء، ورؤيته معظم الناس مبتلين بالشرك والنفاق وما إلى ذلك. وفي هذه الفترة لم يكن "با يزيد"

---

(١) ذكر الاسم الأعظم من خرافات الصوفية، فهم نسجوا حوله من الخيال والهالة وتحديد ثواب من ذكر الله بهذا الاسم ما لا يدل عليه نقل ولا عقل. كما زعموا حول هذا الذكر من الأوهام والخوارق والخصائص ما أنزل الله بها من سلطان.

انظر: تفاصيل هذا الموضوع في كتاب: اسم الله الأعظم للدكتور عبد الله الدميجي (١٢٣-١٢٧) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) دار الوطن، الرياض.

مستقراً على حالة واحدة، بل كان ينقلب ويتحول من طور إلى طور، طلبًا لمعرفة الحق فرأى أن المعرفة لا تحصل إلا عن طريق "الشيخ الكامل"، ولكنه لم يوفق في الحصول على مثل هذا الشيخ، ثم اختار طريقة لنفسه ظنها موصلة إلى معرفة الحق، وهي: العزلة عن الناس، والاعتكاف في بيت خاص، وقلة الأكل، والنوم، وكثرة الذكر، والصوم، فكان له شطط وعنف حتى لم يكن يسلم على الناس ظنًا منه أنهم ملوثون بالشرك والنفاق، وهكذا كان أمره غير مستقر في هذه الفترة.[١]

سفره إلى قندهار[٢]:-

ولما كان "با يزيد" قد اختار العزلة عن الناس، وترك القيام بأمور الدنيا، وانصرف إلى "الذكر الخفي" ومجاهدة النفس راغبًا عن الدنيا، اقترحت عليه زوجه "شمسو بي بي" أن يقوم بالتجارة حتى يكسب نفقة البيت والضيوف، واستصوب "با يزيد" هذا الاقتراح لعله يجد "الشيخ الكامل"، فرافق قافلة تجارية متجهة إلى "قندهار" ولما وصل هناك ترك القافلة، وخرج باحثًا عن "الشيخ الكامل" ولكنه لم يفلح في ذلك، فاشترى فرسين، وأخذهما إلى "الهند"، ولما وصل إلى منطقة "كالنجر" الهندية لقي هناك "ملا سليمان الإسماعيلي" وكان ملحداً يدعو الناس إلى "التناسخ" فتأثر به "با يزيد" وتعلم منه عقيدة "التناسخ" وعند ما وصل إلى "كاني كرم" بلده الأصلي، بدأ يدعو الناس إلى عقيدة "التناسخ" فحصلت بينه وبين أبيه أحداث وأعمال عنف من جراء دعوة الناس إلى هذه العقيدة.[٣]

وتقول رواية أخرى أن "با يزيد" أُمِرَ عن طريق "الإلهام"، وهو في "قندهار" أن يعتكف في بيته خمس سنوات متوالية، يذكر الله فيها، ويناجيه، لا يذهب فيها إلى أحد، ولا يقوم بأعمال الدنيا، وإلا لعَرَّض نفسه لغضب الله، ولما رجع "با يزيد" من "قندهار" بنى حجرة خاصة في داخل البيت، واعتكف فيها خمس سنوات متوالية يقوم فيها بالذكر

---

(١) انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٦٣ – ٥٦٦).
- تذكرۀ صوفيائے سرحد (٨٦ – ٩٤).
- مقدمة مقصود المؤمنين (١١ – ١٦).

(٢) تقع حاليا في جنوب أفغانستان على حدود إيران.

(٣) انظر: أئمۀ تلبيس (٢/١٣١، ١٣٢).

والعبادة، واختار لنفسه العيشة الضيقة، والحياة الخشنة، وفضل التقشف، والتزم العزلة عن الناس حتى أصبح قلبه قويًا بنور الإيمان(؟)، واشتد عزمه، وتوكل على الله في كل شيء، ثم خرج لإظهار دعوته.[١]

بداية الدعوة والتبليغ:-

بعد مُضيٍّ هذه الفترة التي تقلب فيها "با يزيد" على أحوال وأطوار، ثم استقر أمره على العزلة عن الناس، والاعتكاف في البيت، وذلك بناءً على ما جاءه الأمر عن طريق "الإلهام" -على حد زعمه- ثم خرج للناس ينشر دعوته، يقول "با يزيد" عن نفسه:

«ثم إنه بعد فترة من الزمن رأيت في المنام أن شخصًا يقول لي: إذا اعتقد فيك أحد، واختار خدمتك وطاعتك بإخلاص فأعلمه علم التوحيد[٢]، حتى يعرف التوحيد، ويبتعد عن الشرك، ولكني - يقصد با يزيد نفسه- لم أخبر أحدًا بهذه الرؤيا، ثم جاءني "الإلهام" في حال اليقظة، فقلت للناس: كل من بايعني، وقام بمجاهدة النفس، وعمل بالقرآن، والحديث، واتخذ طريقة المشائخ مسلكًا فإنه يفوز لا محالة بالشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، وعلم التوحيد، وإنه سيخرج من نجاسة الشرك، الخفي والجلي، وسيُقْبَل منه طاعته، وعبادته، وحسناته، وسيجد قلبه القرار، وراحة الإيمان، وسيصبح من زمرة الموحدين...»[٣].

فكان "با يزيد الأنصاري" يأمر من بايعه بالاعتكاف، ويلقنه "الذكر الخفي"، ويوصيه بقلة الأكل، والكلام، وينصحه بسهر الليالي، والعزلة من الناس.

فاستجاب له بعض الناس، وخالفه آخرون، ولكن "با يزيد" شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في نشر دعوته فازداد أتباعه من الرجال والنساء، وذاع صيته في القبائل المجاورة، وفي نفس الوقت ازدادت معارضة العلماء والمشائخ لهذه الحركة الجديدة على يد "با يزيد الأنصاري"[٤].

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٦، ١٧).

(٢) المراد بالتوحيد هنا "التوحيد الوجودي"، كما سيأتي في المبحث الثاني إن شاء الله -تعالى-.

(٣) انظر: صراط التوحيد (ص ٢٤)، نقلاً من تذكرهٔ صوفيائے سرحد (٩٨، ٩٩).

(٤) انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٦٦، ٥٦٧).

- مقدمة مقصود المؤمنين (١٨، ١٩).

رحلاته وتنقلاته:-

لما طارت شهرته، وازداد أتباعه، واشتدت مخالفة المعارضين له في مدينة "كاني كرم" أشار عليه بعض أتباعه بمغادرة هذه المدينة إلى بلدة "سنك توى"[١] حيث يوجد هناك أتباع له، فانتقل "با يزيد" إلى هذه البلدة، ونزل عند أحد أتباع يسمى "إبراهيم"، فجاء الناس رجالاً ونساءً لبيعته والارتماء في حلقته، وكان يقيم في هذه البلدة شيخ يدعى "بالشيخ أوريا" -الذي كان ذا نفوذ وأتباع- فاختلف مع "با يزيد" واشتد الخلاف حتى وصل إلى استخدام القوة، فخرج "با يزيد" بنفسه، ورجع إلى مدينة "كاني كرم" وبدأ يسكن عند أبيه "الشيخ عبد اللّه" واستمر في سبيله ودعوة إلى حركته.[٢]

"رحلته إلى منطقة دَوَر"[٣]:

كانت علاقة "با يزيد" قد ساءت مع أبيه منذ البداية نتيجة الظروف العائلية، والآن ازدادت سوءًا بسبب دعوته إلى ما يخالف عقيدة أبيه وطريقته، وقد عاد النزاع بينهما واشتد من جديد، طالما يسكن "با يزيد" في بيت أبيه، فكان يفكر دائمًا لإيجاد مكان يهاجر إليه، ويقوم فيه بدعوة الناس إلى التوحيد، ومعرفة الحق، بينما هو في هذا الصراع النفسي وصل إليه خطاب من أحد أتباعه يدعى/ محمد كمال - الذي قام بنشر دعوته في منطقة "دَوَرْ" يدعوه فيها بالرحيل إلى هذه المنطقة، حيث ينتظره جم غفير من الرجال والنساء الذين يريدون مبايعته واتباعه.

وقدم "محمد كمال" مع بضعة رفقائه إلى "با يزيد" لمرافقته عند الرحلة فقرر "بايزيد" استجابةً لرغبتهم مغادرة "كاني كرم" والذهاب إلى منطقة "دور" حيث كان الناس ينتظرون قدومه في شوق، ويتمنون لقاءه بشغف. ولما وصل "با يزيد" إلى هذه المنطقة، بدأ

---

(١) هي بلدة صغيرة على مسافة حوالي ثلاثين ميلاً من مدينة "كاني كرم" يسكن فيها حاليًا قوم "مسعود" و"وزير" وبعض الأسر عن "كاني كرم".

انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص: ٢٧، هامش: (٢)).

(٢) انظر: مقدة مقصود المؤمنين (٢٧، ٢٨).

(٣) هذه المنطقة تقع حاليًا في الشمال من باكستان، أغلبية سكانها من قبيلة "دور"، كما يوجد فيها بعض القرى من قبيلة "وزير"، وتسمى هذه المنطقة باسم "توجي"، ومركزها "مدينة ميران شاه".

انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص: ٣١، هامش رقم (١)).

الناس يتهافتون عليه، ويبايعونه، وأصبحت حلقته تزداد يومًا بعد يومٍ. وفي ذات الوقت واجه "با يزيد" الإنكار الشديد، والمعارضة من المشائخ المخالفين.

ومن أشهر من بايعه في هذه الفترة أيضًا "ملا مودود" و"ملا أرزاني" اللذان قدما من "الهند"، وانضما إلى حلقة "با يزيد" وأصبح كل واحد منهما خليفة "لبا يزيد" وداعيةً مشهورًا للدعوة "الروشنية" كما سيأتي.[١]

رحلته إلى إقليم بشاور[٢]:-

أثناء وجود "با يزيد" في منطقة "دور" رأى في المنام أن رؤساء "سَربَنْ"[٣] و"تيراه"[٤] يدعونه إلى وطنهم ليرشد الناس هناك إلى التوحيد ومعرفة الحق -على حد زعمه- فبعث أحد أتباعه يدعى "با يزيد" أيضاً إلى مواطن هذه القبائل لاستطلاع الأحوال، فقام بزيارة هذه القبائل ووجدها متعطشة للدعوة الجديدة، فكتب إلى شيخه "بايزيد الأنصاري" يخبره عن أحوال تلك المنطقة، ويستقدمه إليها، فتوجه مع أهله وبعض أتباعه إلى بلاد "تيراه"، وفي الطريق مرَّ على قبيلة "بنكش" فأكرمه أهلها، وبايعه كثير منهم، ثم تقدم إلى بلاد "تيراه" واستقبله أهلها من قبائل "ورك زئي"، وآفريدي" و"تيراه" وبعد نزوله فيهم دخل في بيعته عدد كبير من الرجال والنساء من أهالي تلك القبائل.

ولما دخل أغلب أهالي "ورك زئي" و"تيراه" في بيعة "با يزيد" واستجابوا إلى دعوته، أراد أن ينشر دعوته في بلاد "سربن" فغادر "تيراه" وهبط إلى وادي "بشاور" فبدأ أهالي قبائل "خليل" و"مهمند زئي" و"داود زئي" يتهافتون على "با يزيد" ويبايعونه.[٥]

إحضاره في "كابل"[٦] ومناظرته مع قاضي خان:-

ولما نالت دعوة "با يزيد" نجاحًا كبيرًا بين القبائل، وأقبل عليها أهلها إقبالاً شديداً

---

(١) انظر: پاكستان ميں فارسي أدب (٥٦٨).

- مقدمة مقصود المؤمنين (٣٣، ٣٤).

(٢) تقع حاليا في باكستان، وتمثل العاصمة الإقليمية لولاية سَرْحَدْ.

(٣) اسم قبيلة كبيرة في إقليم بشاور الباكستانية.

(٤) هذه منطقة جبلية في إقليم بشاور الباكستانية، يسكن فيها قبائل "ورك زئي، وآفريدي، وتيراهي".

(٥) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٤ - ٣٦).

(٦) عاصمة أفغانستان حاليًا.

رفع علماء هذه المناطق ومشائخها شكوى بإفساد دين المسلمين، ونشر العقائد الباطلة فيهم إلى حاكم عام كابل "ميرزا محمد حكيم" فأمر حاكم "بشاور" بإلقاء القبض عليه، وإرساله إلى "كابل"، ولما وصل هناك بعثه إلى قاضي "كابل" "الشيخ قاضي خان" للمناظرة حول ادعاءاته.

- فقال له القاضي: «أيها الشيخ! يقال: إنك ادعيت لنفسك أنك مهدي؟.
- فأجاب با يزيد قائلاً: إني لم أدع لنفسي أني مهدي، بل أقول إنّي أرشد الناس إلى التوحيد، ومعرفة ذات الحق، ولكن الحساد يحرفون الهادي بالمهدي، والولي بالنبي.
- ثم سأله القاضي: يقال: إنك تدعي نزول الوحي عليك؟
- فرد عليه با يزيد قائلا: إني لم أدع نزول الوحي عليّ، ولكن أقول: يُلْهَمُ إليَّ، وأسمع نداء الغيب.
- ثم قال له القاضي: كيف تفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين الصوت الرحماني، والصوت الشيطاني؟.
- فرد عليه با يزيد بقوله: إني أفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين النداء الرحماني، والصوت الشيطاني بالآيات والأحاديث، وأقوال المشائخ، فإذا كان الإلهام، أو النداء الغيبي موافقًا للآية، والحديث، وأقوال المشائخ، أحسبه إلهامًا، ونداء رحمانيًا. وإذا لم يكن موافقًا للآية، والحديث، وأقوال المشائخ، فأحسبه وسوسةً، ونداءً شيطانيًا.
- ثم قال له القاضي: إن الناس يقولون في حقك: إنك تدعي أنه قد نزل عليك عن طريق الوحي كتاب مشتمل على أربعين موضوعًا.
- فرد عليه با يزيد قائلا: هذا قول الحساد، وهو غير صحيح، إذ أني أقول: إن الله -تعالى- ألقى في قلبي عن طريق الإلهام كتابًا يسمى "خير البيان" يشتمل على أربعين موضوعًا ... إلى آخر المناظرة»[1].

---

(١) في نهاية هذه المناظرة أعجب القاضي بـ/"با يزيد الأنصاري" وأقر ما أجاب به على أسئلته، وأعلن أن "با يزيد الأنصاري" رجل صالح كلٌ من بايعه، ودخل في حلقته سيجد المعرفة الحقة، وسيحصل على التوحيد الصحيح حتى همَّ "ميرزا محمد حكيم" -حاكم "كابل"- اتباعه والبيعة على يده لولا تدخل الأمراء ورجال حاشيته.

يبدو من استصواب القاضي ادعاءات "با يزيد الأنصاري" بأنه الهادي -أي الشيخ الكامل- وبأنه يتلقى إلهامًا ربانيًا، ونداءً غيبيًا، وبأن الله -تعالى- ألهم إليه كتابًا عن طريق الإلهام، وأن عنده =

وبعد انتهاء المناظرة التي غلب فيها "با يزيد" على قاضي "كابل" أكرمه "ميرزا محمد حكيم" وأعطاه الهدايا الثمينة، وأذن له بالرجوع إلى "بشاور" فرجع "با يزيد" واستمر في دعوة الناس إلى حركته.(١)

الرحيل إلى "هشت نغر"(٢):-

وفي "بشاور" أقام "با يزيد" مدة من الزمن، ولكنه وجد أن معارضيه دائبون في معارضته ومحاولات إلحاق الأذى به فقرر ترك "بشاور" والابتعاد عنها ليكون في مأمن هو وأتباعه، فذهب إلى منطقة "هشت نغر" ونزل في قبيلة "مهمند زئي" وقد رحبت هذه القبيلة بمقدمه، وأكرمت مثواه، ودخل في بيعته جمع كبير من أبنائها.

ولما رأى "با يزيد" تفاني هذه القبيلة في حبه، وإخلاصهم له، صاهرهم، فزوّج بنته "بي بي كمال خاتون" إلى "علي خان بن پائنده خان" رئيس قبيلة "مهمند زئي" وزوج ابنه "الشيخ عمر بن با يزيد" بنت "بهار خان" رئيس آخر لهذه القبيلة، وتزوج هو أيضًا بامرأة من هذه القبيلة.(٣)

نشر دعاته في البلاد :-

بعد أن استقر أمره وكثر أتباعه، وقويت شوكته عمل على نشر دعوته في البلاد،

= العلم اللدني، إلى آخر ما جاء في المناظرة، لم يكن عنده علم من الشرع ما يدرك به خطورة ادعاء هذه الأمور، وأثرها في العقيدة الإسلامية.

ذكر الأستاذ أبو القاسم رفيق دلاوري: أن هؤلاء الفقهاء في "كابل" كانوا يعتمدون على العلوم التقليدية، ولكن "با يزيد" كان مسلحًا بالمعقولات، وبارعًا في المناظرة والمشافهة يعرف كيف يفحم الخصم، ويتغلب عليه، فغلب بذلك على فقهاء "كابل" مما زاد في حسن سمعته وقبوله لدى الناس.

انظر: أئمة تلبيس (٢/١٣٠).

(١) انظر: رود كوثر (٤٥، ٤٦).
- تذكره صوفيائے سرحد (١٤٤، ١٤٥).
- مقدمة مقصود المؤمنين (٣٧ - ٣٩).

(٢) اسم منطقة تقع حاليًا في أفغانستان.

(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٩، ٤٠).
- مذاهب الإسلام (٥٧٧).

ودعوة الملوك والحكام إلى مبادئ "الحركة الروشنية". فأرسل خليفةً له يسمى "الملا مودود" إلى "قندهار" داعيةً إلى هذه الجهة، فقام بهذه المهمة ﷺ وتمكن من جلب أعداد هائلة من سكان هذه المنطقة إلى "الفرقة الروشنية"، ثم تحول إلى بلاد "السند" و"بلوشستان"(١).

كما أرسل خليفةً آخر له يسمى "دولت خان" إلى "الملك محمد جلال الدين أكبر المغولي" -ملك الهند- مع نسخة من كتابه: "صراط التوحيد"، ولما رأى "أكبر" هذا الكتاب أعجب به، وقال للداعية "دولت خان" إنه -أي "الملك أكبر" اتبع "الشيخ با يزيد"، ومستعد لكل خدمة يعرضها عليه، وأرسل الهدايا "للشيخ با يزيد الأنصاري"، كما منح "دولت خان" أيضًا بعض الهدايا.

ثم بعث داعيةً ثالثًا يسمى "يوسف" إلى حاكم إقليم "بدخشان"(٢) "ميرزا سليمان" وأعطاه نسخة من كتابه "فخر الطالبين". وقد قام هذا الداعية بشرح الأصول الثمانية التي تقوم عليها "الدعوة الروشنية"، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. كما بين له أهمية هذه الأصول أو المقامات، فأعطاه "ميرزا سليمان" فرسًا وهدايا إلى "با يزيد" وكتب إليها رسالة قال فيها: إنه مستعد لخدمة "بايزيد"، وطلب منه أن يحسبه من أتباعه، كما أخبره بأنه يرغب زيارة "بشاور" ليتشرف بلقائه.

ثم أرسل "با يزيد" داعية آخر يدعى "الملا أرزاني" إلى "الهند" ليقوم هناك بدعوة الناس إلى مبادئ "الحركة الروشنية"، كما أرسل دعاة آخرين إلى "بلخ" و"بخارى" ومناطق أخرى.(٣)

يقول "الشيخ أبو الحسن الندوي" في سرعة انتشار الدعوة الروشنية: «وبايعته عدة قبائل أفغانية بمنطقة "بشاور"، ودخلت في دائرة مريديه وأتباعه. وبدأت قبيلة "مهمند زئي" بنشر هذه الدعوة، وتأثر بذلك السنديون، والبلوچيون، وكتب له النجاح الكبير رغم

---

(١) هما الآن ولايتان من الولايات الأربع في باكستان.

(٢) اسم منطقة تقع حاليا في "أفغانستان".

(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٤٠ - ٤٢).

معارضة العلماء، ومشائخ الطرق، وبعث "الشيخ با يزيد" دعاته إلى حكام البلدان المجاورة، وأمرائها، وعلمائها»[١].

تلقيبه بـ/"پير روشن":-

لُقِّبَ مؤسس هذه الفرقة "با يزيد الأنصاري" بلقب "پير روشن" ومن هنا اشتهرت حركته "بالفرقة الروشنيه أو الروشنائيه".

وهناك رأيان للباحثين في وجه هذه التسمية:

أحدهما: أن "با يزيد الأنصاري" رأى في المنام أن رجلا صالحًا يقول للناس: لا تدعوا "با يزيد" باسمه بل ادعوه بـ/"پير روشن" أي: الشيخ المنور.

كما أدرك أتباعه بدافع خفي أن لا يدعوه باسمه بل أن يدعوه باللقب المذكور، فبعد هذه الرؤيا من "با يزيد" والشعور الخفي من أتباعه بدأوا يدعونه بـ/ پير روشن، أي الشيخ المنور.

ولما ذاع هذا اللقب في البلد سأله بعض المعارضين على أي أساس يدعى هذا اللقب، فرد عليهم "با يزيد" قائلا: إن الله -سبحانه وتعالى- أنعم عليه، وهداه إلى التوحيد والمعرفة، واستدل بقوله -تعالى- ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

الرأي الثاني: أن "با يزيد" كان مع أتباعه في البيت مساء أحد الأيام، وانتهى الزيت من السراج الذي كان يضيئ لهم، وكاد أن ينطفئ، فأمر "با يزيد" أحد أتباعه أن يصب فيه ماءً، فبدأ يضئ أحسن من الأول، واشتهر بعد ذلك بـ/ پير روشن، أي الشيخ المنور، وأيًا كان السبب فإن "الشيخ با يزيد الأنصاري" قد اشتهر بين أتباعه وأعوانه بـ/ پير روشن، وعرفت حركته "بالفرقة الروشنية".

وبعد انتشار هذا اللقب، لقبه معارضوه بـ/ "پير تاريك" أي: الشيخ المظلم، ويقصدون بذلك الشيخ الضال والمضل.[٣]

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٤٣).

(٢) من الآية: ٢١٣، سورة البقرة.

(٣) انظر: مذاهب إسلام (٥٧٧).

- مقدمة مقصود المؤمنين (٢٢، ٢٣).

- تذكره صوفيائے سرحد (٨٦).

صراعه مع الدولة المغولية:-

أيام كانت "الدعوة الروشنية" تنتشر في بلاد "الهند" و"الأفغان" -وهي أملاك الدولة المغولية- انتشار الرياح، وتزداد قوتها كسرعة البرق، كانت الدولة المغولية في أوج مجدها، إذ كانت تضم في جنباتها بلاد القارة الهندية، وبلاد الأفغان من الشرق إلى الغرب، ويتربع على عرشها أعظم سلاطينها وهو: "أبو الفتح محمد جلال الدين أكبر". وكان المغول ينظرون إلى القوة المتنامية "للحركة الروشنية" نظرة قلق وريبة، إذ نشأت هذه الحركة، وترعرعت في أوساط الأفغان، وهم الذين دالت دولتهم على أيدي المغول، وكان الأفغان ينظرون إلى الحكام المغول بأنهم ظالمون وغاصبون لحقوقهم، فنشأة مثل هذه الحركة التي تجمع الأفغان تحت رايتها تعني أنها محاولة لاستعادة المجد الأفغاني الذي ضاع أمام المغول، ونزع بلاد الأفغان من سيطرتهم على الأقل.(١)

أول عراك بين الحركة والمغول كان أن قافلة تجارية قادمة من "الهند" متجهة إلى "كابل" مرت بقبيلة في "بشاور" تسمى "توى" وهذه القبيلة بايعت "با يزيد الأنصاري"، وصارت من غلاة أتباعه، حيث ترك أفرادها عمل الدنيا، واشتغلوا "بالذكر الخفي" ليل نهار، وجلسوا ينتظرون يوم القيامة القريب - في حد زعمهم- ولما رأوا رجالَ القافلة قالوا: هؤلاء منهمكون في حب الدنيا، وغافلون عن الآخرة يجب معاقبتهم، فهاجموهم، وسلبوا أموالهم، ومتاعهم، ففر رجال القافلة إلى "كابل"، واشتكوا إلى حاكمها "ميرزا محمد حكيم" فبعث خمسمائة فارس لتأديب قبيلة "توى" فهاجم الجيش القبيلة، وقتلوا رجالها وأخذوا النساء والصبيان أسرى إلى "كابل".

---

(١) يرى بعض الباحثين أن سبب الصدام الدامي بين الدولة المغولية و"الحركة الروشنية" هو أن "الملك أكبر" كان يقدم على إنشاء مذهب جديد لأهل "الهند" تجمع جميع الأديان والملل من جميع الطوائف، والذي عرف "بالمذهب الأكبري" أو "الدين الإلهي"، وكان "الملك أكبر" يرى في نشأة مثل هذه الحركة، وسرعة انتشارها تحديًا لمذهبه الجديد مما حمله على ضرب هذه الحركة والقضاء عليها. ومهما يكن الأمر أن هذه الحركة دوخت الدولة المغولية، وشغلتها فترة طويلة من الزمن حتى تمكنت من القضاء على قوة هذه الحركة العسكرية.

انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٥٤، ١٥٥).

- الإمام السرهندي (٤١).

وكتب "با يزيد الأنصاري" إلى "ميرزا حكيم" يطلب فيه إطلاق سراح النساء والأطفال فأغضبه ذلك، وأمر حاكم "بشاور" "معصوم خان" لإلقاء القبض على "با يزيد" وإرساله إلى "كابل"، وإذا امتنع عن تسليم نفسه يقاتله. فتحرك "معصوم خان" بجيشه إلى "با يزيد" وتحصن "با يزيد" مع أتباعه بالجبال، وكانت أول معركة خاضها "با يزيد" ضد المغول، وتسمى معركة "أغاز پور"[١] ، وكانت الدائرة فيها على الجيش المغولي، فرجع "معصوم خان" إلى "بشاور" بعد أن مُني بشر هزيمة أمام "با يزيد"، وذلك عام (٩٧٠هـ).

ثم نشبت بعدها معركة "تيراه" والتي انتصر فيها "با يزيد" أيضًا على الجيش المغولي للمرة الثانية، وكبده خسائر فادحة في الأرواح، كما خسر هو من أتباعه ثلاثمائة وعشرين فرداً. ثم خاض معركة "توراغة" الثالثة، وهي الأخيرة في حياته التي انهزم فيها، وتوفى بعد ذلك، ثم حمل أبناؤه وأحفاده لواء الحرب ضد الدولة المغولية، فكانت الحرب سجالاً بين الطرفين إلى أن وضعت أوزارها لما قتل آخر قواد "الحركة الروشنية" "الشيخ أحداد بن عمر بن با يزيد الأنصاري" أمام المغول، واستسلم آخرون، وحصلوا على المناصب العالية من الدولة، وذلك عام (١٠٣٢هـ). وبذلك انكسرت القوة العسكرية للفرقة "الروشنية" التي ظلت تشغل الدولة المغولية أكثر من ستين عاماً[٢] [٣].

وفاته ووصيته:-

بعد هزيمته في المعركة الأخيرة التي خاضها ضد المغول، ساءت صحته، وأحَسَّ

---

(١) "آغاز پور" كلمة فارسية، معناها "موضع البداية" وهذا تسمية "با يزيد" لهذه المعركة. وهذه التسمية تعكس عما يقصد "با يزيد" من أن هناك حروبًا أخرى سوف تقع مع قوات المغول.

(٢) ليس المهم الخوض في تفاصيل هذه الحروب الدامية التي استمرت أكثر من ستين عامًا ولكن المهم الإشارة إلى أن هذه الفرقة وصلت من القوة والشوكة إلى درجةٍ أن الدولة المغولية القوية لم تتمكن من كسر شوكتها إلا بعد اثنين وستين عامًا، تكبدت خلالها الخسائر الكبيرة في الأرواح والأموال.

(٣) انظر تفاصيل هذه الحروب في :

- مآثر الأمراء (٢/٢٤٤ - ٢٤٨).
- تذكره صوفيائے سرحد (١١٢، ١١٣، ١٥٤- ١٦٦).
- پاكستان ميں فارسي ادب (٥٧٠ - ٥٧٢).
- مقدمة مقصود المؤمنين (٤٢ - ٥٤).

بالصداع في رأسه، ولما اشتد الصداع، وأحس أتباعه بدنو أجله سألوه أن يوصيهم بما يريد. فقال: «ما ألهم الله -تعالى- في قلبي دونته في كتابي "خير البيان"، ولم أبخل فيه». بعد ذلك بقليل فاضت روحه، وبعد التجهيز والتكفين، والصلاة عليه دفن في بلاد قبيلة "يوسف زئي" التي لجأ إليها في آخر حياته، وذلك عام (٩٨٠هـ).

وترك "با يزيد" عند وفاته سبعة أبناء وبنتًا، وهم:

١- الشيخ عمر، ٢- كمال الدين، ٣- خير الدين، ٤- نور الدين، ٥- جلال الدين، ٦- الله داد، أو إله داد، ٧- دولت خان، والبنت هي: بي بي كمال خاتون.[١]

مؤلفاته:-

ألّف "با يزيد الأنصاري" كتبًا ورسائل نشر فيها آراءه وأصول دعوته، بعضها مطبوع، وآخر مفقود. وأهم المؤلفات التي يذكرها الباحثون كما يلي:-

١- صراط التوحيد:-

ألّف "با يزيد" هذا الكتاب عام (٩٤٨هـ). وهو باللغة الفارسية والعربية، بين فيه "بايزيد" حياته الشخصية، والكيفيات التي طرأت عليه أثناء بحثه عن المعرفة، وقيامه بالرياضة النفسية للحصول على علم التوحيد، والمعرفة الحقة، ثم شرح الأصول الثمانية التي تقوم عليها "الحركة الروشنية".

بعث "با يزيد الأنصاري" بنسخة من هذا الكتاب إلى "الملك جلال الدين محمد أكبر" فأعجب به الملك، وأرسل الهدايا إلى "با يزيد" -كما تقدم-[٢].

٢- خير البيان:-

يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم مؤلفات "با يزيد الأنصاري"، حيث أودع فيه الآراء والأفكار التي يزعم أنه ألهم بها من الله -تعالى-، ولهذا ألّفه بأسلوب خطابي، كأنه خطاب من الله -تعالى- واستجابة منه. ألّف "با يزيد" هذا الكتاب بأربع لغات، وهي:

---

(١) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٦١).

(٢) والكتاب مطبوع، نشرته "إدارة إشاعة سرحد" في بشاور عام (١٩٥٢م)، وبعد بذل الجهد الجهيد لم أحصل على نسخة منه.

العربية، والفارسية، والبختونية - أي لغة البشتو- والهندية. ويلاحظ من تتبع طريقته في التأليف أنه يكتب موضوعًا واحدًا بإحدى هذه اللغات، ثم يعيده بثلاث لغات أخرى. وأحيانًا يكتفي بلغتين أو ثلاث. يعرف مدى أهمية هذا الكتاب عند "با يزيد" أنه أوصى أتباعه قبل وفاته بالتزام ما جاء فيه؛ لأنه دون فيه ما ألقى الله -سبحانه وتعالى- في قلبه عن طريق "الإلهام". ومن أجل هذا نرى أبناءه ودعاته، يقدسون هذا الكتاب. ولا يتركونه في الحل أو الترحال.(١)

٣- حالنامه:-

ذكر فيها "با يزيد" حياته. وهو باللغة الفارسية، وهذا الكتاب مفقود. يوجد كتاب آخر باسم "حال نامه پير دستگير"، ألَّفه "علي محمد بن أبي بكر القندهاري" أحد أتباع "با يزيد الأنصاري" وهو ما زال مخطوطًا.(٢)

٤- فخر الطالبين:-

وهو أحد تأليفات "با يزيد الأنصاري"، وكان قد بعث بنسخة منه إلى "ميرزا سليمان" حاكم إقليم "بدخشان"، إلا أنه فُقِد فيما بعد فلم يعثر عليه أحد.

٥- مقصود المؤمنين:-

وهو آخر كتاب ألَّفه "با يزيد" في حياته، وكان الباعث على تأليفه هو طلب ابنه "الشيخ عمر". كما يقول "با يزيد" في مطلع كتابه بعد الحمد والصلاة:

«قال أصغر وأعجز وأضعف من أمة محمد -ﷺ- "با يزيد الأنصاري -رحمة الله عليه- بن عبد الله القاضي": قال لي ابني "الشيخ عمر -رضي الله عنه-: إن كان رضاك اكتب لأجل أبنائك وأهلك وعيالك من آيات القرآن، وأحاديث الأنبياء، وأقوال الأولياء نصيحةً، ثم أجبت قوله، وأريد أن أكتبها مفصلاً بمقدار علمي، وإدراكي بالعناية والمدد،

---

(١) وهو مطبوع، نشرته "پشتو اكيڈمي" في بشاور، كانت الطبعة الثانية عام (١٩٨٨م)، وقد حصلت على نسخة منه في بشاور.

(٢) يوجد هذا المخطوط في مكتبة جامعة عليگـڑهـ في الهند، كما توجد صورة منه في مكتبة جامعة بنجاب في لاهور.

وبتوفيق الله -تعالى- في واحد وعشرين فصلاً، وسميتها. مقصود المؤمنين»[١].

وقد ألف "با يزيد" هذا الكتاب باللغة العربية، دون ذكر أية عبارة بلغة أخرى[٢].[٣]

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (١٢٨، ١٢٩)، من النسخة المطبوعة.

(٢) قام "الدكتور مير ولي خان المسعودي" رئيس قسم العربي في جامعة بشاور الباكستانية بتحقيق هذا الكتاب تحقيقًا علميًا عصريًا، وقدمه لنيل درجة الدكتوراه في جامعة بنجاب في لاهور. وقد بذل المحقق جهدًا في إخراج هذا الكتاب، حيث وضع له مقدمةً طويلةً ومفيدةً، تتضمن حياة "بايزيد الأنصاري"، ودراسة الموضوعات التي احتواه، وكشف عن جوانب كثيرة عن "الحركة الروشنية" مما سهل على الباحثين العثور عليها، ولا سيما الناطقين بلغة الضاد. ولكن المحقق -مع احترامي له- قد جانبه الصواب في الحكم على ما يدعو إليه "با يزيد" من عقائد وأحكام، وهي في نظر المحقق كله إصلاح وتجديد للدين الإسلامي، وبالتالي يصور "با يزيد" كأنه مجدد القرن العاشر الهجري، ومصلح للانحرافات الدينية التي تلوثت بها جميع فئات المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

فأقول للمحقق: إن الانحراف لا يصلح بانحراف آخر أخطر منه، والفساد لا يصحح بفساد آخر أشد منه. وتصوير ما دعا إليه "با يزيد" بأنه إصلاح للدين يدل على أن المحقق يفتقد الرؤية الصحيحة للدين الإسلامي كما جاء في الكتاب والسنة، وينقصه المعيار الصحيح الذي يزن به أفكار الناس وآراءهم.

هذا، وقد طبع هذا الكتاب، ونشره مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد - باكستان، عام (١٣٩٦هـ). وقد حصلت على نسخة منه في إسلام آباد.

(٣) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية)، للبروفيسور خليق أحمد نظامي، (ص ١٢٧ - ١٢٩)، ندوة المصنفين، اردو بازار، جامع مسجد دهلي - الهند.

- اورينتل كالج ميگزين (مجلة الكلية الشرقية) (ص ٥٧ - ٥٩)، عدد فبراير لسنة (١٩٥٥م) لاهور- باكستان.
- مذاهب الإسلام (٥٨٠، ٥٨١).
- مقدمة مقصود المؤمنين (٦٦ - ٧٣).

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها:

أ : العقائد:-

أسس "با يزيد الأنصاري" "حركته الروشنية" في القرن العاشر الهجري بعد تحولات خطيرة وتقلبات مستمرة في حياته. وبعد قراءة مؤلفاته التي وضع فيها أفكاره، والدراسات التي أجراها الباحثون حول حياته وحركته يتبين أنه دعا إلى عقائد كثيرة زعمها أنها من صميم الإسلام. وأهم تلك العقائد كالآتي:

أولاً : فرضية طلب الشيخ الكامل:-

أول عقيدة نادى بها "با يزيد الأنصاري" هي فرضية طلب "الشيخ الكامل" أو "المرشد الكامل"، فمن يطلب الحق فرض عليه أن يبحث عن "الشيخ الكامل". ويستدل في ذلك -على حد زعمه- بالحديث القدسي: «جَعلت فرض على الإنسان أن يطلبوا "الشيخ الكامل" لأجل علم الأنبياء، ومعرفتي إن كان مكانه في الصين أو في العجم أو في الشام»[١].[٢]

يرى "با يزيد" أن الهداية الحقة لا تحصل إلا عن طريق الأنبياء، أو ورثة الأنبياء وهم " المشائخ الكاملون"، فلا بد لطالب الحق من "الشيخ الكامل" الذي يهدي إلى معرفة الحق، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد عن طريق القرآن والحديث، ويقول: «... تحصل الهداية الحقة، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد عن الأنبياء -صلوات الله عليهم- أو عن ورثة الأنبياء، وهم "المشائخ الكاملون" فخذوها منهم حتى لا تضلوا، ولا تشقوا كما قال -تعالى- ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾[٣] أي: نبي أو وارثه، وقوله -تعالى-: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤] أي: من عمل بالإخلاص بمتابعته، فلا يضل ولا يشقى»[٥].

---

(١) هكذا ورد لفظ الحديث، ولم أجد حديثًا بهذا اللفظ، ويبدو واضحًا أنه من وضع "با يزيد الأنصاري".

(٢) انظر: صراط التوحيد (٤٨)، نقلاً عن: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٧٥).

(٣) من الآية: ٣٨، سورة البقرة.

(٤) من الآية: ٣٨، سورة البقرة.

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (١٩٢).

ويرى "با يزيد الأنصاري" أن الإنسان إذا أراد التوبة، فليتب على يد "شيخ كامل" وليعاهده، وليبايعه، وليعمل بمتابعته؛ لأن العهد والبيعة مع "الشيخ الكامل" كالعهد والبيعة مع النبي، والعهد والبيعة مع النبي كالعهد والبيعة مع الله -تعالى-، ويستدل على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ويقول: «من أراد محبة الله فليتبع الشيخ الكامل، ومتابعة الشيخ الكامل، كانت متابعة النبي، وبمتابعة النبي يحصل له محبة الله. قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2]. حديث: قال -عليه السلام-: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[3].[4]

ويحدد "با يزيد" أوصاف "الشيخ الكامل" فيقول:

«بمتابعة المرشد الكامل يحصل البيعة، ومحبة الحق، ويخرج من الصفات المذمومة إلى الصفات المحمودة، ويخلص من الشرك الجلي والخفي، ويعرف جميع المقامات[5]، ويدخل في النور، ويخرج من الظلمات»[6].

يتبين من خلال هذه الأوصاف أنه يقصد من "الشيخ الكامل" نفسه، ومن اعتنق مبادئ حركته؛ لأنه هو الذي يدعي هذه الأمور، ويدعو الناس إليها.

يرى "با يزيد" أن "الشيخ الكامل" هو صاحب الهداية، ومفترض الطاعة، لا تقبل

---

(١) الآية: ١٠، سورة الفتح.

(٢) من الآية: ٣١، سورة آل عمران.

(٣) هذا الحديث مروي عن طريق ابن غنايم عن مالك. قال ابن حبان: «ابن غنايم يروي عن مالك ما لم يحدث به قط. لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار».

انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي (١/١٨٣)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٠، ٢٤١).

(٥) أي: المقامات الثمانية التي هي أساس الحركة الروشنية - كما سيأتي قريبًا-. ذكر الأستاذ إعجاز الحق قدوسي: أن "الشيخ الكامل" في نظر "با يزيد" هو من يحقق هذه المقامات الثمانية.

انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٠١).

(٦) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤١، ٢٤٢).

العبادة بدون طاعته، ويجب الاجتهاد في خدمته بالمال والنفس مادام حيًا. يقول -أي: بايزيد-: «إذا وجد أحد "الشيخ الكامل" فينبغي أن يحسبه صاحب الهداية بالإيقان قبل أن يجد عنه المقام، وأن يحسبه صاحب الهداية، ولم يدخل في طاعته لا يحصل مقصوده، فينبغي أن يضم الطاعة والمجاهدة بالإيقان حتى صار مقصوده إتمام»[(١)].

ويقول في موضع آخر: «لا يقبل عبادتهم بغير طاعة المرشد»[(٢)].

ويقول أيضًا: «يا بني! كل طالب إذا وجد عن "المرشد الكامل" الهداية الحقة، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد بذكر القرآن، فليخدمه كثيرًا بالإخلاص بالنفس والمال مادام في الحياة»[(٣)]. ويعتبر خدمة "الشيخ الكامل" كالجهاد في سبيل الله، وقيام الليل وصيام النهار، فيقول: «خدمة الشيخ كانت كالمجاهدة في سبيل الله -تعالى- أو كالذي كان قائمًا بالليل وصائمًا بالنهار»[(٤)].

ومن جهة أخرى أرى "با يزيد" يحذر الناس أشد التحذير من "الشيخ الناقص" فيقول: «والطالب يحذر ويجتنب عن متابعة الشيخ الناقص وإن كان عالمًا، أو ذا نسب، أو عابدًا، أو زاهدًا، أو غنيًا، أو سخيًا، ومتابعته آفة شديدة»[(٥)].

ويعتبر "الشيخ الناقص" مشركًا، فمن عاهده صار بريئًا من الله ورسوله، وشيطانًا في كل زمان، يعذب الله الإنسان بطاعته، فيقول: «والناقص مشرك فمن عاهد مع المشركين صار بريئًا من الله ورسوله، كما قال -تعالى-: ﴿بَرَآءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[(٦)].

ويقول أيضًا: «أشد الخصال والأعمال كان للشيطان، والشيطان كان الشيخ الناقص في كل زمان أن يحسب نفسه وعمله من الإنسان ومن عمل الإنسان»[(٧)].

---

(١) انظر: خير البيان (٢٦٥).

(٢) نفس المصدر (٢٧٥).

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (١٩٢).

(٤) انظر: خير البيان (٢٢٣).

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٢، ٢٤٣).

(٦) الآية: ١، سورة التوبة.

(٧) انظر: خير البيان (١٩٢).

وكما يعتبر "با يزيد" متابعة "الشيخ الكامل" كمتابعة النبي -ﷺ- يعتبر متابعة "الشيخ الناقص" كمتابعة الشيطان، فيقول: «والمؤمنون يحسبون متابعة "الشيخ الكامل" كمتابعة النبي -ﷺ- ومتابعة الشيخ الناقص كمتابعة الشيطان؛ لأن دعوة "الكامل" إلى دار السلام، وإلى الطاعة، وإلى الذكر، وإلى الرؤية، وإلى السماع، وإلى الوصال، وإلى التوحيد. ودعوة الناقص إلى الكفر، وإلى المعصية، وإلى الغفلة، وإلى العمى، وإلى الصم، وإلى الفصال، وإلى الشرك...»[١].

وهكذا يشنع "با يزيد" على "الشيخ الناقص" ويذكره بكل رذيلة، ونقيصة، ويفرض حظراً على الاقتراب منه وطاعته.

ثانياً: وحدة الوجود:-

بعد عقيدة "الشيخ الكامل" تَوَصَّلَ "با يزيد الأنصاري" بتفكيره في الخالق والكون، واعتكافه الطويل إلى عقيدة "وحدة الوجود" حيث لم ير للأشياء وجوداً منفرداً مستقلاً عن ذاته -تعالى-؛ لأنه كان يعتقد أنه لا يمكن أن تتحرك الأشياء إلا بمحرك، ولا يوجد محرك حقيقي إلا الله -تعالى-، فالله هو المحرك الحقيقي، وهو الموجود المستقل.[٢]

يقول "با يزيد" عن أول أمره في البحث عن معرفة الحق: «فبدأت أصحب العلماء والزهاد والنساك، وأخدمهم راجياً منهم الهداية إلى معرفة الحق، وكنت أبحث في ذلك الوقت عن "المرشد الكامل" ولكني لم أجده حتى تفضل الله عليّ، وتجلى لي الرب، ورفع ستار قلبي، وأطلعني على عين اليقين، فرأيت ذاته -تعالى- بعين القلب في كل جهة بلا مثيل. ولم أر أي شيء منفرداً ومستقلاً عن ذاته -تعالى-. ولم أسمع أي صوت بلا تسبيحه -تعالى- بل قد رأيت علامة هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٣]. في نفسي واضحة جلية»[٤].

كان "با يزيد الأنصاري" يدعو إلى عقيدة "وحدة الوجود" طول حياته، ولم يترك

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٤).

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٤).

(٣) من الآية: ٤٤، سورة الإسراء.

(٤) انظر: صراط التوحيد (١٠)، نقلاً عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٤، ١٥).

مؤلفًا إلا وتناول فيه هذه العقيدة، إما بالإجمال أو بالتفصيل، كما أراه يستعين بالوسائل التوضيحية لتقريب هذه العقيدة إلى أفهام الناس، فيقول: «ذات الله -تعالى- كان في الإنسان، وحول الإنسان، كالماء في الحيتان، وحول الحيتان»[١].

ويقول أيضًا: «قطرة السماء كانت من الماء، بسبب البرد صارت ثلجًا، إذا طلع عليه الشمس بسبب الحر يهلك عنه البرد فصار ماء، كذلك ذات الإنسان كان عن ذات الرحمن، تغير وصفهم بسبب "الظمان"[٢] إذا طلع عليهم شمس التوحيد بسبب نوره يهلك "ظمان" ثم يصير موحداً مع الرحمن»[٣].

ويضيف قائلا: «كل عدد صار من أحد، وليس عدد بغير الأحد، وكل عدد كان واحداً بالأحد»[٤].

وهكذا أرى "با يزيد" يعلن عقيدة "وحدة الوجود" في وضوح وصراحة، ويدعو الناس إليها، ويقول: «الخالق واحد مع كل مخلوق»[٥]. ويستدل لإثبات هذه العقيدة بآيات كثيرة -على حد زعمه-، منها قوله -تعالى-: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٦]. وقوله -تعالى-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٧]. وقوله -تعالى-: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٨].

ويزعم أن هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام، وخلافه الشرك، ولهذا أراه يحذر

---

(١) انظر: خير البيان (٤٠٠).

(٢) ذكر محقق الكتاب أن هذا اللفظ ورد هكذا في المخطوط، ويحتمل أن يكون "الظن" فكتب الناسخ "الظمان".

ويبدو لي -والله أعلم- أن با يزيد ذكر هذا اللفظ من اللهجات الدارجة في ذلك الوقت - كما هو عادته- ويدعي أنه إلهام من الله -تعالى-.

(٣) انظر: خير البيان (٤٠٤، ٤٠٦).

(٤) نفس المصدر (٤٢٢).

(٥) المصدر نفسه (٤٠٥).

(٦) الآية: ٢١، سورة الذاريات.

(٧) من الآية: ٨٨، سورة القصص.

(٨) من الآية: ١٦، سورة ق.

الناس عن العدول عن هذا التوحيد، والوقوع في الشرك، ويسوق في ذلك آيات قرآنية كقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[(١)]. وقوله -تعالى-: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[(٢)]. وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[(٣)]. ويذكر حديث: «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في ليلة الظلمة، ولا يطلع على الشرك أحد إلا بيد المرشد»[(٤)].[(٥)]

وهكذا يعتبر "با يزيد" أن التوحيد الوجودي هو التوحيد الحقيقي الذي جاء به الإسلام، ويدل عليه القرآن الكريم، وضده الشرك الحقيقي الذي يجب اجتنابه كما دل عليه الكتاب والسنة -على حد زعمه-.

ثالثاً : الإلهام:-

ومن أهم ما كان يعتقد "با يزيد" ويدعيه طول حياته، ويصر عليه، ويؤكده أنه ملهم من اللّه -تعالى- ويسمع نداء الغيب. وذكر حديثًا على لسان رسول اللّه -ﷺ- في تعريف الإلهام، وقال: «الإلهام نور ينزل في القلب يعرف به حقيقة الأشياء كما هي»[(٦)].[(٧)]

وقد تقدم في مناظرته مع قاضي "كابل" لما سأله القاضي:

- يقال: إنك تدعي نزول الوحي عليك؟

---

(١) من الآية: ١٥٠، سورة النساء.

(٢) من الآية: ٥١، سورة النحل.

(٣) من الآية: ٤٨، سورة النساء.

(٤) هكذا ذكره "با يزيد الأنصاري" ولا يخفى ما فيه من زيادة في الحديث، حيث زاد من عنده "ولا يطلع على الشرك أحد إلا بيد المرشد".

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: «رواه البزار، وفيه "عبد الأعلى بن أعين" وهو ضعيف». (١٠/٢٢٦).

(٥) انظر: خير البيان (٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٧).

(٦) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، ويبدو واضحًا أنه من كلام الصوفية.

(٧) انظر: خير البيان (٣٥٧).

- فرد عليه با يزيد بقوله: إني لم أدع نزول الوحي عليّ، ولكني أقول: يلهم إليّ، وأسمع نداء الغيب.
- ثم سأله القاضي: كيف تفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين الصوت الرحماني، والصوت الشيطاني؟.
- فرد عليه با يزيد وقال: إني أفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين النداء الرحماني، والنداء الشيطاني بالآيات والأحاديث، وأقوال المشائخ[١]، فإذا كان هذا الإلهام، أو ذاك النداء الغيبي موافقًا للآية والحديث، وأقوال المشائخ أحسبه إلهامًا، ونداءً رحمانيًا، وإذا لم يكن موافقًا بالآية والحديث، وأقوال المشائخ فأحسبه وسوسة ونداء شيطانيًا.
- ثم قال له القاضي: إن الناس يقولون: إنك تدعي أنه قد نزل عليك عن طريق الوحي كتاب يشتمل على أربعين موضوعًا؟.
- فرد عليه با يزيد قائلا: هذا قول الحساد، وهو غير صحيح، إذ أني أقول: إن اللّه -تعالى- ألقى في قلبي عن طريق "الإلهام" كتابًا يسمى "خير البيان" يشتمل على أربعين موضوعًا[٢] ... إلى آخر المناظرة.

وقد تبين واضحًا من خلال هذه المناظرة أن "با يزيد" يعلن ادعاء "الإلهام" بصراحة ووضوح، كما يعلن أن كتابه "خير البيان" مما ألهمه اللّه -تعالى- في قلبه، ولهذا أرى من المناسب أن أضع أمام القارئ بعض النماذج من هذا الكتاب حتى يعرف بعض ما ألهم إليه.(؟).

وقد استهل "با يزيد" كتابه بهذه العبارة:

«يا با يزيد، اكتب على بداية الكتاب بتعظيم الحروف بسم اللّه إتمام إني لا أضيع أجر الذين يكتبون ثم يخربون حرفًا أو نقطة، ثم يكتبون لأجل صحيح البيان»[٣].

---

(١) يقصد "با يزيد" بالآيات، الآيات القرآنية حسب فهمه هو؛ لأنه يدعي أنه -تعالى- كشف عليه معاني القرآن الكريم. وبالأحاديث الأحاديث المكذوبة التي تضعها أيديه الأثيمة، ويقصد بالمشائخ مشائخ الصوفية الذين يعتبر أقوالهم دليلاً شرعيًا يعرف بها الصواب من الخطأ.

(٢) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٤٤، ١٤٥).

(٣) انظر: خير البيان (١٣١).

وقد وضح "الدكتور مير ولي خان المسعودي" القطعة المذكورة بالعبارة التالية: «يا بايزيد! اكتب في بداية الكتاب بحروف واضحة صحيحة بسم الله كاملاً إني لا أضيع أجر الذين يكتبون ثم يشطبون حرفًا أو نقطةً ثم يكتبون لأجل البيان الصحيح»(١).

ويقول في موضع آخر:

«يا با يزيد! اكتب الحروف التي تفسر بكل لسان لأجل منفعة الإنسان. أنت عالم إني لا أعلم بغير حروف القرآن يا سبحان.

يا با يزيد! كتابة الحروف عليك ظهر، وعلم أسماء الحروف عليّ، اكتب بأمري بمثل حروف القرآن، وضع على بعض الحروف نقطةً أو جزمًا أو علامةً أخرى لأجل أن يعرف الإنسان، اكتب بعض الحروف أربعًا أربعًا عيان، سيعلمون إذا يقرأون يخرجون النفس مع بعض آخر الحرفين إنسان»(٢).

ويقول أيضا:

«يا با يزيد! اكتب حمدي حمداً كثيراً يبدو رضائي إذا قال من حمدي إنسان. انظر يسبح لي ما في سمائي وما في أرضي، ليس من شيء إلا يسبح حمدي فلتؤمن بهذا الكلام ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾(٣) كان في القرآن عيان، كل شيء قال تسبيح الرحمن، قال هادي -رحمة الله عليه- هذا الكلام: أنا رجل أمي كيف أكتب حمدك حمداً كثيراً، يا سبحان....»(٤) اهـ(٥).

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٨).

(٢) انظر: خير البيان (١٣٢).

(٣) من الآية: ٤٤، سورة الإسراء.

(٤) انظر: خير البيان (١٣٥).

(٥) يلاحظ أن التعبير ركيك، وهي ألفاظ متناثرة غير مركبة تركيبًا سليماً. ذكر الدكتور ظهور الدين أحمد أن "با يزيد" سلك هذا الأسلوب حتى في اللغة الفارسية أيضًا.

انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٥٨).

لعل السبب في ذلك -والله أعلم- إيهام القارئ أن هذه الألفاظ ملهمة من الله -تعالى- ليس بإمكانه التصرف فيها.

كما يلاحظ محاكاته لنزول الوحي عليه، حيث المخاطبات والمكالمات مع الله -سبحانه وتعالى- وهذا=

ستَرِد نماذج أخرى في ثنايا البحث إن شاء اللّه -تعالى-.

وبالإضافة إلى إدعائه "الإلهام" أراه أيضًا يدعي أنه حائز على "العلم اللدني"، كما جاء في مناظرة "كابل" المذكورة لما سأله القاضي:

- من أين لك هذا العلم؟
- فرد قائلا: إن اللّه -سبحانه وتعالى- وهبني "العلم اللدني"، وكشف عليّ معاني القرآن الكريم، وألقى في قلبي ترتيب "المقامات"[1] كما أمرني بدعوة الآخرين إلى ما ألهم إليّ.[2]

ويرى "با يزيد" أن علوم الأنبياء علوم لدونية، وهذه العلوم ليست علوم الشريعة، ولا يحصل عليها بمطالعة الكتب، ولا تلاوة القرآن، ومن استفاد علمًا من الكتب، أو عن طريق المعلمين لا يقال له: إنه من ورثة الأنبياء إلا من باب التوسع في لفظ الميراث، وعلم الأنبياء لا يستفاد إلا من اللّه -تعالى- مباشرة، ومن استفاد علمه من اللّه -تعالى- فهو من ورثة الأنبياء؛ لأنه حصل على "علم اللدني". ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ

= ما حمل كثيرًا من العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يذهبون إلى أن "با يزيد" ادعى نزول الوحي عليه، وبالتالي ادعى النبوة، ولكني لم أجد في مؤلفات "با يزيد" والدراسات التي أجريت حول دعوته أنه ادعى نزول الوحي عليه، أو ادعى النبوة، بل كانت ردوده قاسية على الذين نسبوا إليه ادعاء نزول الوحي، والنبوة حتى والمهدوية، وهو يصرح دائمًا ويكرر أنه ملهم، وأنه ولي، وأنه هادي، وأنه الشيخ الكامل، وعنده العلم اللدني، وما إلى ذلك، فلا أرى من الإنصاف أن ألصق به شيئًا وهو يرفضه، بل أرى التقيد بالمصطلحات التي التزمها لنفسه ودعوته حتى يتبين من خلال دارستها مدى مصداقيته في ادعاء هذه الأمور.

انظر آراء من نسب إليه ادعاء نزول الوحي، والنبوة في:

- تذكرة الأبرار والأشرار ، لأخوند درويزه ننگرهاري (١٤٦)، مكتبة الإسلامية، محلة "جنگي"، پشاور - پاكستان.
- مقال: تحريك روشنيه كے باني كے دعاوي اور نظريات (ادعاءات وآراء مؤسس الحركة الروشنية)، بقلم: مولانا مدرار اللّه مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد ربيع الأول لسنة (١٤٠١هـ)، الصادرة من پشاور - باكستان.

(١) وهي المقامات الثمانية، كما يأتي بعد قليل إن شاء اللّه تعالى.

(٢) انظر تذكره صوفيائے سرحد (١٤٥).

عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[١]. كما يستدل بالحديث: «إن من العلم كهيئة المكنون المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله -تعالى- فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله -عزوجل-»[٢].[٣]

ويرى "با يزيد" أن كل من وصل في سلوكه إلى حقيقة التقوى فلا بد أن يعلمه الله -تعالى- ما لم يعلم، وهو "العلم اللدني"، ويكون ذلك التعليم مباشرة وبدون واسطة. والدليل على ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٤].[٥]

وهكذا أراه أيضاً يعتمد كثيراً على "الرؤى والأحلام" ويبني عليها الأحكام.

رابعاً: الذكر الخفي:-

من أهم الأمور التي عنيت بها "الحركة الروشنية" عقيدة "الذكر الخفي" حيث اهتدى "با يزيد" إلى هذا الذكر أثناء اعتكافه، وعزلته عن الخلق، كما حكى ذلك عن نفسه[٦] ثم قرر فيما بعد هذا الذكر، كمبدأ من المبادئ الأساسية للفرقة.

ويرى "با يزيد" أن "الذكر الخفي" هو ذكر القلب بالنَّفَس، وهو أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله -تعالى-، ويعبر عنه "با يزيد" بـ/علم الحقيقة، ويرى أن الإنسان مأمور بهذا الذكر، ويسوق في ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم، مثل قوله -تعالى-: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٧]. وقوله -تعالى-: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَـٰفِلِينَ﴾[٨].

---

(١) الآية: ٦٥، سورة الكهف.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٣) انظر: خير البيان (٣٧٧).

(٤) من الآية: ٢٨٢، سورة البقرة.

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (١٣٩، ١٤٠).

- خير البيان (٣٧٧).

(٦) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٤).

(٧) الآية: ٥٥، سورة الأعراف.

(٨) الآية: ٢٠٥، سورة الأعراف.

وقوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[(١)]. وغيرها.

كما يذكر أحاديث كثيرة وردت في شأن "الذكر الخفي" -على حد زعمه- مثل حديث: «أفضل العباد عند الله من يذكر الله كثيراً»[(٢)].

وحديث: «اذكر الله ذكرًا حامداً، قيل: يا رسول الله! ما هو الذكر الحامد؟ فقال: الذكر الخفي»[(٣)]. وحديث: «خير الذكر، الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي»[(٤)].[(٥)]

ثم قسم "الذكر الخفي" إلى أربعة أقسام، وقال: «واعلم أن للذكر أربع درجات:

الدرجة الأولى: هي ذكر اللسان بأن يكون ذاكرًا باللسان، وغافلا في القلب، وهذا ذكر ضعيف، ولكن لم يكن بلا أثر، لأجل ذلك كل لسان يشغل بذكر الله أفضل من اللسان الذي يشغل بكلام اللغو والفحش والشرك أو يكون معطلاً.

والدرجة الثانية: هي أن يكون ذاكرًا بالقلب ولكن لا يسكن فيه ذكره بسبب غفلة النفس وكلامها.

والدرجة الثالثة: هي أن يكون الذكر ساكنًا في قلبه، لا يغفل عنه، وإن اشتغل بكلام الدنيا وعملها ...

والدرجة الرابعة: هي أن يذكر في قلبه ذاته المذكورة، وأن لا يكون فيه غير المذكور لا الذكر، ولا الذاكر، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[(٦)].

---

(١) الآيتان: ٤١، ٤٢ ومن الآية: ٤٣، سورة الأحزاب.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٤) حديث سعد بن مالك -رضي الله عنه- رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: «خير الذكر الخفي...» (١٧٢/١). وقال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده ضعيف لانقطاعه" انظر: المسند (٣/١٤٧٧).

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٢٩٩ - ٣٠١).
- خير البيان (٣٧٩).
- پاكستان ميں فارسي ادب (٥٦٧).

(٦) من الآية: ١٤، سورة طه.

وذكر المذكور هو الذكر الكامل، وهو مؤد إلى "الاسم الأعظم" والاسم الأعظم هو جامع الأسماء، يزيل الشرك ووصف البشرية، ويزيد علم التوحيد، ووصف الربوبية[١]»[٢].

ويرى "با يزيد" أنّ تعليم هذا الذكر -أي الخفي- من اختصاصات "الشيخ الكامل" فلا يُعلّمه إلا هو.[٣]

خامساً : الأصول أو المقامات الثمانية:

هذه الأصول أو المقامات هي خلاصة دعوة "با يزيد"، وهي أهم ما يميز هذه الفرقة عن مثيلاتها التي نشأت في القرن العاشر الهجري. ويرى "با يزيد" أن هذه المقامات حصل عليها عن طريق "الإلهام" من الله -تعالى-، ولابد لطالب الحق أن يحقق هذه المقامات.[٤]

وقد خصص "با يزيد" النصف الأخير من كتابه "مقصود المؤمنين" للحديث عن هذه المقامات، كما أشار إليها في مؤلفاته الأخرى، وهي تتلخص فيما يأتي:

١- الشريعة:-

يرى "با يزيد" أن الشريعة عبارة عن البناء المخمس، وهي: الكلمة الطيبة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. ويرى أن اتباع الشريعة ضروري لقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

يقول با يزيد: «ينبغي لأهل الشريعة ألا يتركوا علم الشريعة وعملها حتى يتم إيمانهم»[٦]. ويقول أيضاً: «الشريعة مثل جلد الشجر، والشجر بغير الجلد يصير يابساً ويهلك ثمره»[٧].

---

(١) هذا الكلام عن الاسم الأعظم هو من خرافات الصوفية، ويشير إلى عقيدة وحدة الوجود.

(٢) انظر: مقصود المؤمنين (٣٠٧ - ٣٠٩).

(٣) نفس المصدر (٣٠١).

(٤) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٤٥).

(٥) الآية: ١٨، سورة الجاثية.

(٦) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٤).

(٧) نفس المصدر (٢٨٥).

يرى "با يزيد" أن الاستقامة والدوام على الشريعة واجب على المؤمن، ثم يجب عليه الانتقال إلى مقام الطريقة، ثم الحقيقة، ثم المعرفة؛ لأن الشريعة مثل الليل ونجومه الطريقة، وقمره الحقيقة، وأما المعرفة فهي مثل الشمس التي لا شيء فوقها.

يقول با يزيد: «أما بعد الاستقامة في الشريعة فينبغي لأهل الشريعة ألا يتركوا علم الشريعة وعملها، وألا يسكنوا فيها دائمًا وأن يرفعوا أقدامهم إلى الطريقة حتى لا يصيروا محجوبين عن علم الطريقة وعالمها وعملها، وأن يطلبوها بالصدق حتى يروا، ويجدوا، ويعرفوا علم الطريقة وعالمها وعملها»[١].

ويقول أيضًا: «الشريعة مثل الليل، والطريقة مثل النجوم، والحقيقة مثل القمر، والمعرفة مثل الشمس، ليس فوق الشمس شيء»[٢].

٢- الطريقة:-

يرى "با يزيد" أن معرفة الطريقة والاستقامة عليها واجبة على المسلم، وعلمها فوق علم الشريعة، ويقول: «واعلم أن علم الطريقة وعالمها وعملها كان فوق علم الشريعة وعالمها، وعملها، فليفعلوا علم الطريقة، وعملها، إلى علم الشريعة وعملها»[٣].

ويقول أيضًا: «أما علم الطريقة فكان علم القلب، وعالم الطريقة: هو عالم الملكوت، وعمل الطريقة هو متابعة عالم الملكوت في العمل»[٤].

ويرى "با يزيد" أن هناك عالمين: عالم حزب الملائكة، وعالم حزب الشيطان. وسبيل عالم حزب الملائكة إلى القلب من الجانب الأيمن، وسبيل عالم حزب الشيطان إلى القلب من الجانب الأيسر. يدخل في القلب حزب الملائكة ليذكر الإنسان بالثواب والطاعة والصفات المحمودة. أما حزب الشيطان فهو يدخل في القلب لأجل وسوسة الشيطان، ويذكره بأعمال السوء، ويمنعه عن الأعمال الحسنة، والطاعة، والصفات المحمودة. وحذّر

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٦).

(٢) نفس المصدر (٢٨٣).

(٣) نفس المصدر (٢٨٦).

(٤) نفس المصدر (٢٨٨).

"با يزيد" من صحبة حزب الشيطان، وحث على صحبة حزب الملائكة.[١]

ثم يوصي ويقول: «فينبغي لأهل الطريقة ألا يتركوا علم الطريقة، وعملها، وألا يسكنوا فيها أبداً، وأن يرفعوا أقدامهم إلى الحقيقة، ليضموا علم الحقيقة وعملها إلى علم الطريقة وعملها، أي: أن يضموا إلى تزكية الجسد تصفية القلب حتى لا يصيروا محجوبين عن علم الحقيقة وعالمها وعملها»[٢].

٣- الحقيقة:-

يرى "با يزيد" أن علم الحقيقة يتعلق بالروح، وعالم الحقيقة هو عالم الجبروت، وعالم الجبروت في نظره هو عالم الروح، ويجب على السالك أن يكون على علم من معرفة التوحيد، وأن يدعو الناس إلى هذه المعرفة لقوله -تعالى-: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[٣] ولحديث: «من طلب شيئًا غير الله فهو جاهل»[٤].

أما علم الحقيقة فهو في نظره الذكر الخفي في القلب بالنفس، وهو أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله -تعالى-، ويستدل على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأُولِي الأَلْبَـٰبِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[٥]. ويرى أن الإنسان مأمور "بالذكر الخفي" لقوله -تعالى-: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٦]. ولقوله -تعالى-: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَـٰفِلِينَ﴾[٧]. والنجاة من الظلمات في نظره تكون بالتضرع والذكر الخفي لقوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[٨].

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٨ - ٢٩٠).

(٢) نفس المصدر (٢٩٦، ٢٩٧).

(٣) من الآية: ١٥، سورة لقمان.

(٤) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.

(٥) من الآية: ١٠، سورة الطلاق.

(٦) الآية: ٥٥، سورة الأعراف.

(٧) الآية: ٢٠٥، سورة الأعراف.

(٨) من الآية: ٦٣، سورة الأنعام.

وقسم "با يزيد" "الذكر الخفي" إلى أربعة أقسام: ذكر اللسان، وذكر القلب، وأن يكون الذكر ساكنًا في القلب، وأن لا يكون في القلب غير الذات الإلهية. والذكر الأخير هو الذكر الكامل الذي يؤدي إلى الاسم الأعظم، ويرى أنه يجب على المؤمنين أن يجمعوا بين علم الحقيقة، وعلم المعرفة حتى لا يصيروا محجوبين عن الله -تعالى-.(١)

٤- المعرفة:-

يرى "با يزيد" أن علم المعرفة هو علم يتعلق بذات الله -تعالى- وهو علم لدني من عند الله -تعالى- يحصل صاحبه على درجات عالية، ومناصب رفيعة لقوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢). ولقوله -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٣).

ويرى أن عالم المعرفة هو عالم العارفين، وعمل المعرفة هو رؤية ذات الله -تعالى- بعين القلب في كل جهة بلا مثل، كقوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤)، كما يرى أن ذات الله -تعالى- موجود مع كل كائن؛ لا يفارقه أبدًا، فيجب على العارف أن يرى بعين القلب ذات الله في كل مخلوق وكائن.(٥)

يقول "با يزيد": «واعلم أن مع كل مخلوق كان ذات الخالق، ومع كل عابد كان ذات المعبود، ومع كل مرزوق كان ذات الرازق، ومع كل مربوب كان ذات الرب، ومع كل عدد كان ذات الأحد، ويرى العارف كل شيء واحدًا مع الأحد، فمن صار مستقيمًا بهذه الأعمال صار عارفًا واجدًا».

ويضيف قائلا: «أما إذا رأى العارف مع المخلوقات ذات الله -تعالى- فينبغي له ألا يصيب المضرة على المخلوقات بغير حق لأجل رضاء الله -تعالى-، وأن يكظم غيظه بالحلم

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٩٨ - ٣١٨).

(٢) من الآية: ١١، سورة المجادلة.

(٣) الآية: ٦٥، سورة الكهف.

(٤) من الآية: ١١، سورة الشورى.

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٠ - ٣٢٢).

لقوله -تعالى-: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾(١).(٢)

٥- القربة:-

القربة -في نظر با يزيد- درجة أو مقام يسمع السالك فيه صوت الحق فقط، ويتلذذ بسماعه، ويرى أن الله -تعالى- قريب من عباده لقوله -تعالى-: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٣).

وأما علم القربة -عنده- فهو علم الأصوات، وعالم القربة هو عالم المقربين والسامعين، وعمل القربة هو معرفة الأصوات، وإدراك تسبيحها.

يقول با يزيد: «ينبغي للمقربين أن يحسبوا بالصدق أن كل صوت مع تسبيح الله، وإن كان بعض الأصوات من الغضب، والبعض الآخر من رحمة الله؛ لأن الغضب والرحمة كانا متحدين عند ذات الله».

ويقول أيضاً: «واعلم أنه لا يبدأ الصوت من الشيء بغير الحركة، ولا يتحرك الشيء بغيرة القوة، وكل قوة من قوة الله، فكل صوت يقول تسبيح الله، ولا يدركه غير أهل القربة لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(٤).(٥)

٦- الوصلة:-

الوصلة -في نظر بايزيد- مقام يترك فيه السالك صفاته، فلا يرى، ولا يسمع، ولا يتحرك، ولا يمشي إلا بإرادته -تعالى-، ولا يقع نظره إلا على ذاته -تعالى- وعلم الوصلة هو علم وصال الله -تعالى- وعمله هو كل عمل يتعلق بذات الله -تعالى- بترك الوجود.

ويرى "با يزيد" أن الذات الخفية تتجلى وتبرز بصورة الروح بصفة المحبوب، وليس للمحب في طور المحبة أثر ولا خبر؛ لأن المحب في حكم المحبوب محو، ليس له اختيار

---

(١) من الآية: ١٣٤، سورة آل عمران.

(٢) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٣).

(٣) من الآية: ١٦، سورة ق.

(٤) الآية: ٢١٢، سورة الشعراء.

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٨ - ٣٣٠).

سوى اختيار المحبوب، فهو لا يتكلم إلا باختياره وإرادته، ولا يمشي إلا بإرادته، ولا يضحك إلا باختياره، ولا يبكى إلا بإرادته، ولا يتحرك، ولا يسكن باختيار نفسه، كما قال -تعالى- ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[١].

يقول با يزيد: «يرى الواصلون ذات الله بعين الله، كما قيل: "رأيت ربي بعين ربي". ويعرفون ذات الله بذات الله، كما قيل: "عرفت ربي بربي". وويسمعون صوت الله بأذن الله، ويذكرون ذات الله بالذكر الذي يذكرون فيه أن الموجودات واحدة مع ذات المعبود، ويقولون الكلام الحق بفم الله، ويعملون كل عمل يتعلق بترك الوجود، وبذات المعبود حتى إنهم يرون علامة هذه الآية في وجودهم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾[٢].

كما قال الشاعر:

هـا أنا أم أنت هـذان الإلهـان	حاشاك حاشاك عن إثبات الاثنين
فـأين ذاتك حـيـث كـنـت أرى	قـد بـان ذاتي حـيـث لا أنا.[٣]

٧- الوحدة :-

الوحدة - في نظر بايزيد- مقام ينسى السالك فيه وجوده، ويترك الأوصاف البشرية، ويتخذ الأوصاف الربوبية، ويغيب عن نظره جميع الكائنات حتى نفسه.

ويرى أن علم الوحدة هو علم التوحيد، وعالم الوحدة هو عالم اللاهوت، وعمل الوحدة هو أن يذكر كل موحد وجوده بذكر "الاسم الأعظم" كالمذكور لا كالذاكر.

أما "الاسم الأعظم" فهو جامع الأسماء يهلك به الشرك ووصف البشرية، ويحصل به عالم التوحيد، ووصف الربوبية، ولا يجوز أن يقوله بالجهر.

ويرى "با يزيد" أن الموحد لا يشرك وجوده مع ذات المعبود مخافة الشرك، ويستدل بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

---

(١) من الآية: ٥٣، سورة الشورى.

(٢) من الآية: ٨٨، سورة القصص.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٣٣ - ٣٣٥).

مِنْ أَنْصَارٍ﴾[١]. وبالحديث: «من رأى نفسه فقد أشرك»[٢].

ويرى "با يزيد" أن الإنسن إذا وصل إلى مقام الوحدة فلا يشعر بنفسه، بل يرى ذات اللّه فقط، ويغيب كل شيء عن نظره، بل إنه يترك صفة العابد، ويتخذ صفة المعبود، ويتكلم الصدق والتوحيد، ولا يتكلم الكذب والشرك.

ويقول: «إن الأنبياء والمخلصين كانوا متحدين مع اللّه، ولم يكونوا متفرقين عنه، ومن يحسب الأنبياء متفرقين عن اللّه، فعليه خوف الكفر»[٣].

٨- السكونة:-

يرى "با يزيد" أن علم السكونة هو سكونة اللّه. وعالم السكونة هو عالم المساكين، وعمل السكونة هو أن يسكن روحه في سكونة اللّه، وأن يزداد فيه وصف الربوبية، وأن يزول عنه وصف البشرية، وأن يتخلق بأخلاق اللّه -تعالى-، وأن يسكن عن طلب شيء فان، وألا يريد بقاء أكثر من بقاء اللّه، ومالاً وملكًا أكثر من ماله وملكه، ولا علمًا وقوةً وقدرةً أزيد من علمه وقوته وقدرته، وألا يتمنى عزةً وسلطانًا أفضل من عزته وسلطانه، وإن أراد فلا يجده أبدًا.[٤]

يقول با يزيد: «يا بني! ليس من مقام السكونة مقام أفضل وأرفع. إن الأنبياء يريدون درجة أمة محمد -ﷺ- ويريد محمد المصطفى -ﷺ- درجة المساكين، كما قال: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»[٥].

«قال با يزيد المسكين: من وجد سكونة اللّه، صار غنيًا، وصمداً، يتحرك جسده ظاهراً، ولا يتحرك روحه باطنًا أبدًا»[٦].

---

(١) من الآية: ٧٢، سورة المائدة.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٨٨، ٣٤١).

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٣٤٥ – ٣٤٨).

(٥) حديث أبي سعيد الخدري -رضي اللّه عنه- رواه الحاكم في المستدرك، باختلاف في اللفظ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٣٢٢/٤)، المطبوع مع التلخيص.

(٦) انظر: مقصود المؤمنين (٣٤٨).

ويرى با يزيد: أن المسكين يصير مستقيمًا ظاهرًا وباطنًا، أي: ظاهرًا بالجسد، وباطنًا بالروح، حتى إنه يصير العالم الكامل، وصاحب علم الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة، كقوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾(١).

ويؤكد "با يزيد" أنه حققه هذه المقامات كلها، وفاز بمقام السكونة، ولهذا أراه كثيرًا ما يضيف إلى اسمه لقب "المسكين"، فيقول "با يزيد المسكين".(٢)

هذا من أهم العقائد والمبادئ التي أسست عليها "الحركة الروشنية" وهناك بدع وخرافات أخرى كثيرة دعا إليها "با يزيد الأنصاري" ضربت عن ذكرها صفحًا خوف الإطالة.

---

(١) من الآية: ٨٤، سورة الإسراء.

(٢) انظر: مقصود المؤمنين (٣٥٠).

ب : أشهر الدعاة:-

تمكن "با يزيد الأنصاري" من استقطاب دعاة كثيرين إلى صفوف حركته، الذين اعتنقوا مبادئ "الفرقة الروشنية"، ثم قاموا بدور مهم في نشر مبادئ هذه الفرقة في بلاد القارة الهندية وبلاد الأفغان، وفيما يلي ترجمة موجزة لأشهر هؤلاء الدعاة.

١- محمد كمال:-

هو محمد بن خدا داد، ابن عم "با يزيد الأنصاري"[(١)] وصديقه منذ صباه. كان "خدا داد" عم "با يزيد" قد استوطن في منطقة "دور"، ولما توفى "خدا داد" بقي ابنه "محمد" في قبيلة "دور" وكان صديقًا "لبايزيد" منذ صغره، وكان "با يزيد" يشتاق إلى لقائه، ويتمنى أن ينضم إلى حلقته، ولما لقيه "محمد" رحب به وعانقه ثم جرت بينهما مباحثات حول دعوة "با يزيد" فشرح "با يزيد" دعوته لصديقه "محمد" فلما اطمأن إلى دعوته طلب منه "محمد" أن يهديه إلى التوحيد، ومعرفة الحق، فأمره "با يزيد" بالاعتكاف أربعين يومًا، فقام "محمد" بهذا الاعتكاف وانتظره جمع غفير من الناس ليعرفوا حال "محمد" بعد الاعتكاف أ حقًا يحصل على التوحيد والمعرفة، أم لا؟ فلما أتم "محمد" الاعتكاف خرج إلى الناس وقال لهم: إنه قد حصل فعلاً على التوحيد والمعرفة، وشهد بأن دعوة "با يزيد" دعوة حقة، يصل بها الإنسان إلى التوحيد، والمعرفة، فانضم بعده عدد كبير من الرجال والنساء إلى حلقة "با يزيد" وبايعوه.[(٢)]

ولما رأى "با يزيد" أن "محمداً" قد استوعب مبادئ "الحركة الروشنية" وأتقنها عينه داعيةً من قبله وبعثه إلى منطقة "دور" ليقوم بنشر "الدعوة الروشنية" هناك، فقام بجد واجتهاد في نشر مبادئ هذه الحركة، ودعوة الناس إليها واستجاب له عدد كبير من أهالي هذه المنطقة، فبدأ "محمد" أن يأخذ منهم البيعة "لبا يزيد". ولما كثر أتباعه ألحوا على "محمد بن خدا داد" أن يدعو "با يزيد الأنصاري" إلى منطقة "دور" ليستفيد منه الخواص والعوام من الرجال والنساء، فأبلغ "محمد" إصرار هؤلاء الناس إلى "با يزيد" لقدومه إلى هذه المنطقة، وأخبره برغبتهم في الاستفادة منه، فغادر "با يزيد" استجابةً

---

(١) المصادر التي بين يدي لم تذكر عن تاريخ مواليد هؤلاء الدعاة، ووفياتهم شيئًا.

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٢٣).

لرغبتهم بلدة "كاني كرم" وذهب إلى منطقة "دور" حيث كان الناس ينتظرون قدومه في شوق بالغ.[(١)]

وبعد وصول "با يزيد" إلى هذه المنطقة رأى أن "الدعوة الروشنية" شقت طريقها إلى الأمام بفضل جهود "محمد بن خدا داد" ووجده مخلصًا "للدعوة الروشنية"، ومتفانيًا في سبيل نشرها، فلقبه "با يزيد" بـ/"محمد كمال"؛ لأنه -في نظر با يزيد- قطع المراحل، واستكمل المقامات حتى بلغ درجة الكمال، وبقي "محمد كمال" في منطقة "دور" يقوم بدعوة الناس إلى بيعة "با يزيد الأنصاري" إلى أن توفى.[(٢)]

٢- با يزيد الدوري:-

كان "با يزيد" هذا من سكان منطقة "دور". وكان رجلا تقيًا قبل انتمائه إلى "الدعوة الروشنية"، وكان قد بايع "با يزيد الأنصاري" أثناء إقامته في "دور" ولما رآه "بايزيد" مؤهلاً لحمل عبأ الدعوة بعثه إلى قبائل "تيراه" و"سربن" لمعرفة أحوال الناس هناك، إذ كان "با يزيد الأنصاري" نشر دعوته في تلك القبائل، فجاء "با يزيد الدوري" إلى قبيلة "بنكش" وبايعه جماعة من هذه القبيلة، وقبيلة "آفريدي" و"تيراهي" أيضًا.

وبينما كان "با يزيد" متنقلا بين مساكن هذه القبائل داعيًا إلى "الحركة الروشنية" إذ أغار عساكر المغول على قبيلة "ورك زئي" فلقي "با يزيد" مصرعه في تلك الغارة على يد جنود المغول، وكان قد كتب قبل أن يقتل إلى شيخه "با يزيد الأنصاري" أحوال هذه القبائل، وأخبره بأنهم دخلوا في طاعته وبيعته، وأنهم يرغبون في لقاء "با يزيد الأنصاري".

وكان "با يزيد الدوري" مقربًا ومحببًا إلى شيخه "با يزيد الأنصاري" إلى درجة أن "با يزيد الأنصاري" كان يقول في حقه: "إن با يزيد هذا وبا يزيد ذاك واحد"، وكان يقصد بذلك أنهما أصبحا كشخص واحد في قالب جسمين اثنين. وكان با يزيد الدوري" سببًا في دخول أهل "بشاور" في بيعة "با يزيد الأنصاري".[(٣)]

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣١، ٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٥٤، ٥٥).

(٣) المصدر نفسه (٥٥، ٥٦).

٣- ملا مودود:-

كان ملا مودود ينحدر من قبيلة "ترين" الأفغانية، ولكنه كان قد غادر بلاد الأفغان، واستوطن في مدينة "سرهند" الهندية، ولما وصل إليه الخبر عن "با يزيد الأنصاري" ودعوته عن طريق القوافل التجارية، حضر إلى "با يزيد" وارتمى في حلقة مريديه وبايعه، وبعد مضى فترة من الزمن فاز برتبة الخلافة من قبل "با يزيد" حيث عينه خليفة له يأخذ البيعة عن الناس والعهد على المبادئ الروشنية.(١)

أثناء وجود "با يزيد الأنصاري" في قبيلة "مهمند زئي" بعث خليفته "مودود" داعياً إلى منطقة "قندهار" الأفغانية لينشر دعوته بين قبائل "كاسئي" فأقام "ملا مودود" هناك ينشر مبادئ "الحركة الروشنية" حتى دخل في بيعته عدد كبير من أفراد قبائل "كاسئي"، وبقي فيهم "ملا مودود" عدة سنين، وعين فيهم دعاة آخرين لتوعيتهم، ثم توجه إلى إقليمي "سنده" و"بلوشستان"، ومكث هناك فترةً من الزمن، ودخل في بيعته كثير من أهالي تلك البلاد، واعتنقوا العقائد الروشنية، فعين فيهم "ملا مودود" خلفاءه للقيام بمهمة الدعوة والتوجيه، ثم رجع إلى وطنه الأصلي في "بشاور" وتوفى هناك.(٢)

كان "للملا مودود" أثر بالغ في نشر دعوة "با يزيد الأنصاري" في بلاد الأفغان والقارة الهندية خاصة في منطقة "قندهار" إذ دخل رجال "قندهار" عن طريقه في بيعة "بايزيد الأنصاري" الذين حاربوا في سبيل "الدعوة الروشنية" ودافعوا عنها بشجاعة وبسالة عند ما أعلنت الدولة المغولية الحرب ضد هذه الفرقة.(٣)

كان "الملا مودود" واعظًا بارعًا يعظ الناس ويدعوهم إلى "الفرقة الروشنية" أينما حَلَّ. وله كتاب "مقصود الطالبين" الذي يدور حول النصائح والمواعظ الدينية.(٤)

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٣).

(٢) نفس المصدر (٣٢، ٥٨).

(٣) المصدر نفسه (٥٨).

(٤) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٨).

٤- ملا أرزاني:-

كان "الملا أرزاني" ينتمي إلى قبيلة "خويشكي" الأفغانية، وقد استوطن في مدينة "قصور".[١] وقد قدم "ملا أرزاني" من "الهند" وقابل "با يزيد الأنصاري" أثناء إقامته في منطقة "دور"، فرغب في طريقة "با يزيد" وبايعه، وبقي في صحبته مدة، ثم بعثه "با يزيد" داعيًا إلى "الهند" لينشر "الدعوة الروشنية" هناك، فقام بهذه المهمة. وكان شاعرًا مجيدًا يقول الشعر باللغة الفارسية والأفغانية والهندية، كما ألّف كتابًا باسم "مرآة المحققين".[٢]

كان إلى جانب هؤلاء دعاة آخرون أمثال: "خليفة درويش داد" خليفة دولت" "خليفة يوسف:[٣] الذين نشروا "الدعوة الروشنية" في ربوع بلاد "الهند" و"الأفغان" في حياة "بايزيد الأنصاري"، وأما بعد وفاته فحمل لواء "الدعوة الروشنية" أبناؤه وأحفاده الذين قضوا معظم حياتهم في الصدام المسلح مع القوات المناوئة المحلية "للدعوة الروشنية" من جهة، ومع القوات الحكومية المغولية من جهة أخرى، بالإضافة إلى القيام بشئون "الدعوة الروشنية". وأبرز هؤلاء الدعاة كالآتي:-

١- الشيخ عمر:-

هو عمر بن با يزيد بن عبد الله الأنصاري (٠٠٠-٩٩٩هـ). أكبر أولاد "با يزيد الأنصاري" وخليفته من بعده، كان "با يزيد" يُجِلّه، ويقدّره، وألّف كتابه "مقصود المؤمنين" بطلب من ولده "عمر" هذا. ولما تُوفي "با يزيد الأنصاري" بايعه أولاده وأتباعه وصار مرجعًا لدعاة وأتباع "الحركة الروشنية". وكان "الشيخ عمر" يعيش في منطقة "هشت نغر" الأفغانية في قبيلة "يوسف زئي" إذ رأى في المنام أن والده "با يزيد" يستغيث به من الأشرار(؟) فأخذ معه نفرًا من أتباعه وجاء إلى قبر والده عند منتصف الليل، فوجد هناك جماعة من قرية "كوجر" تحفر قبر والده، تريد إخراج الصندوق الذي وضع فيه جثة

---

(١) تقع حاليًا في باكستان.

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٥٦، ٥٧).

- پاكستان ميں فارسي ادب (٥٦٨).

(٣) انظر عنهم في مقدمة مقصود المؤمنين (٥٧ - ٥٩).

"بايزيد". ولما شعر هؤلاء بقدوم "الشيخ عمر" ولّوا هاربين من هناك، ولكن "الشيخ عمر" تعقبهم وقبض على بعض منهم، بينما انفلت منه البعض الآخر، وبعد التحقيق معهم تبين بأن "حمزة خان" -أحد رؤساء يوسف زئي- هو الذي أمرهم بإخراج هذا الصندوق، فأغار أتباع "الروشنية" على مواشي "حمزة خان" وأخذوها كما أغاروا على قرية "كوجر" وأخذوا منهم الأسرى، وسلبوا أموالهم، فجمع "حمزة خان" القبائل للحرب ضد أتباع "الروشنية".

ولما أحسّ "الشيخ عمر" بخطر الحرب غادر قبيلة "يوسف زئي" متوجهًا إلى قبيلة "مندر"، ثم رحل منها إلى قبيلة "سركاوا"، وهناك وقعت معركة حامية بين "حمزة خان" و"الشيخ عمر". وكان الفتح فيها للأخير، ثم تقدم "الشيخ عمر" وواصل السير، و"حمزة خان" يتعقبهم حتى وصل مع أتباعه إلى ساحل البحر، وبعث إلى قبيلة "دِلاً زاك" يطلب منهم الأمان والحماية، فوعدوا لهم بذلك، ولما عبر بعض أتباع "الشيخ عمر" البحر غدروا بهم، وحاصروهم من كل جهة، فهجم عليهم "حمزة خان" مع رجاله من جهة البر، كما هجم رجال قبيلة "دلاً زاك" من جهة البحر، ووقعت هناك معركة دامية بين أتباع "الروشنية" ومناوئيهم، أسفرت عن مقتل خمسة من أبناء "با يزيد" وهم: الشيخ عمر، وخيرالدين، ونور الدين، وإله داد، ودولت خان، كما قتل مشاهير خلفاء "با يزيد"، أمثال: ملا زكريا، وملا عمر خويشكي، وأيوب، وعدد كبير من أفراد "الروشنية". ووقع عدد منهم في الأسر. وهكذا هلك "الشيخ عمر" مع إخوانه وخيرة أتباع "با يزيد".[١]

٢- جلال الدين:-

هو جلال الدين بن بايزيد بن عبد الله الأنصاري (٠٠٠ - ١٠١٢هـ).

تولى قيادة "الفرقة الروشنية" بعد مقتل أخيه "الشيخ عمر"، وذلك لما وصل خبر مقتل أهل "با يزيد" إلى "الملك جلال الدين محمد أكبر" -وكان مقيمًا في ذلك الوقت في "لاهور"- طلب من رؤساء قبائل "يوسف زئي" و"دلازاك" بتسليم أولاد "با يزيد" وأتباعه الذين وقعوا في الأسر، ولما امتثل أهل "با يزيد" أمام "الملك أكبر" وقع نظره على

---

(١) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٦٠ - ١٦٣).

- مذاهب الإسلام (٥٨١).

"جلال الدين بن با يزيد" فأعجب بوسامته ووجاهته، فأخذه معه وأكرم مثواه، وأذن للباقي بالرجوع إلى ديارهم وأوطانهم.

كان "جلال الدين" يعيش عيشًا هانئًا رغدًا في كنف "الملك أكبر"، ولكن أتباع "بايزيد الأنصاري" أخذوه خفيةً إلى جبال "كوهستان" الأفغانية، وهناك اجتمع حوله أتباع "با يزيد الأنصاري" من قبائل الأفغان المختلفة، وانتخبوه خليفةً لأخيه، فنظم "الفرقة الروشنية" من جديد حتى قويت شوكته، واستفحل أمره، وسد الطريق بين "الهند" و"كابل"، فبعث "الملك أكبر" أحد أشهر قواده يدعى/"راجه مان سنگهـ بن راجه بهگوان داس" للقضاء على "الحركة الروشنية"، واستمرت الحروب بين الفريقين، ولكن "راجه مان سنگهـ" باء بالفشل، ولم يتمكن من القضاء على شوكة هذه الفرقة.

كان "جلال الدين بن با يزيد" فارسًا شجاعًا، وبطلاً مغوارًا، لم يكن يستقر في مقر خاص، بل كان يتنقل بين القبائل، ويتعقب الجيش المغولي إلى أن لقي مصرعه في إحدى المعارك عام (١٠١٢هـ).[١]

٣- أحداد بن الشيخ عمر:-

هو أحداد بن الشيخ عمر بن با يزيد الأنصاري (٠٠٠ - ١٠٣٢هـ).

تولى الخلافة على "الفرقة الروشنية" بعد مقتل عمه "جلال الدين" عام (١٠١٢هـ)، ونظم "الفرقة الروشنية" تحت قيادته، وكان يكثر قراءة "خير البيان" و"مقصود المؤمنين" ويشرحهما لأتباع "الفرقة الروشنية" من الرجال والنساء.

كانت الحروب مستمرة بين "الحركة الروشنية" والحكومة المغولية، وخاض "أحداد ابن الشيخ عمر" عدة معارك ضد المغول، وكانت كفة "الروشنية" هي الراجحة في هذه الحروب مما شجع "أحداد" لمحاصرة "كابل" فوقعت هناك معركة حامية بين الفريقين أسفرت عن هزيمة "الروشنية"، فاضطر "أحداد" لرفع الحصار، واللجوء إلى جبل "لواغر"، ولكن الجيش المغولي لم يمهله، فحاصر الجبل وهاجمه، وهناك لقي "أحداد" مصرعه، وذلك عام (١٠٣٢هـ).

---

(١) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٦٣، ١٦٤).
- أئمةُ تلبيس (٢/١٤١).

وهذا الداعية هو آخر من حمل السيف ضد المغول، وبعد مقتله تصالح آخرون من أسرة "با يزيد الأنصاري؛ مع الحكومة المغولية، وحصلوا على المناصب العالية في الجيش والإدارة، وبهذا تم القضاء على القوة العسكرية "للحركة الروشنية" التي دوخت الدولة المغولية لأكثر من نصف قرن.[١]

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٥٢، ٥٣).

- مآثر الأمراء (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

المبحث الثالث: آثارها.

تركت "الحركة الروشنية" آثاراً سيئةً على الدين والمجتمع عانت منها بلاد "الهند" و"الأفغان" على حد سواء. ويمكن إجمال هذه الآثار فيما تأتي:

أولا : التفريق بين جماعة المسلمين:-

كانت البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري تزدحم بالفرق الضالة، والطرق الصوفية، وكان أكثر المسلمين مقيدين بهذه الفرق وتلك الطرق، إذ طلع "با يزيد الأنصاري" بدعوته الجديدة، سرت هذه الدعوة في نفوس الناس سريان النار في الهشيم، وسرعان ما تحولت هذه الدعوة إلى فرقة جديدة تخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة، التي جاء بها الكتاب والسنة، وتتهم كل من لم ينضم إليها بالكفر والشرك والنفاق والمروق من الدين. فزاد الأمر سوءًا، والوضع شراً.

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين أن دعوة "با يزيد" كانت إصلاحاً دينيًا وتهذيبًا خلقيًا، كما يقول "الدكتور مير ولي خان المسعودي" في إشادة أثر"الدعوة الروشنية" الديني: «رأى "با يزيد الأنصاري" أن الفساد والنفاق والخداع قد عم في المجتمع حوله، وأن العقائد الباطلة، والتقاليد الفاسدة قد فشت في الدهماء الذين يسودهم الجهل والغرور، وأن تلك العقائد قد رسخت في عقول هؤلاء الناس الذين انصرفوا إلى الدنيا، وتركوا الدين، والقيام بأموره، بل إنهم لا يقومون بأمور الدين إلا رسماً وعادةً».

ويضيف الدكتور المسعودي قائلا: «رأى "با يزيد الأنصاري" لزاماً عليه كأيّ مسلم أن يقوم بدعوة الناس إلى التوحيد، وهدايتهم إلى معرفة ذات الله، وأن ينقذهم من الضلال، والتقاليد الفاسدة، وأن يهديهم إلى طريق الصواب، فالذين استجابوا لدعوته أصبحوا صالحين، وزاهدين في الدنيا ومتاعها، وانصرفوا إلى العبادة والذكر الخفي، وتركوا التقاليد الفاسدة، والعقائد الباطلة».

«فكانت دعوته إصلاحاً دينيًا وتهذيباً خلقيًا، وكان إرشاده هذا خدمة دينية كبيرة استفاد منها الخواص والعوام فائدةً جمة، وقد تركت دعوته الدينية آثارًا حسنةً في المجتمع؛ إذ صرفت الناس من حب الدنيا، والانهماك في أمورها إلى التوحيد، ومعرفة

ذات الله -تعالى- بالقلب والروح معًا»[١].

كما أشاد الدكتور المسعودي بالأصول الثمانية التي وضعها "با يزيد" أساسًا للحركة الروشنية، وقال: «أعلن "با يزيد الأنصاري" في الناس أن العبادة الظاهرية لا تكفي إذا لم يتصل بها تزكية الجسد وتصفية القلب، وتنقية الروح، ووضع لتزكية الجسد، وتصفية القلب، وتنقية الروح خطوات ثمانية يجب على السالك أن يحصل عليها حتى يصل إلى الوحدة الحقيقية، ويستقر في سكونة الله -تعالى- التي لا تفنى ولا تزول، بل هي أبدية أزلية لا يتخللها التغير والتبدل»[٢].

وهذا الذي قاله "الدكتور المسعودي" في إشادة أثر "الحركة الروشنية" الديني، لا يقوم على ميزان صحيح لتقويم -ما زعمه- بالإصلاح الديني؛ لأن إصلاح الانحراف لا يكون بانحراف آخر أشد منه، والفساد لا يعالج بفساد أكبر منه. وليس ما دعا إليه "بايزيد الأنصاري" من العقائد والتعليمات من الدين في شيء، بل هو خرافات وضلالات صوفية استقاها "با يزيد" من المجتمع حوله، وعن طريق صحبة المشائخ الصوفية، فخلطها بفلسفته الخاصة التي ورثها عن وساوس الشيطان نتيجة طول العزلة، والرياضة النفسية الطويلة، ولم يكن عنده علم من الشرع ما يقوم به من الإصلاح في الدين، والتهذيب في الخلق، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، ولم يكن في سلف هذه الأمة ما دعا إليه "با يزيد الأنصاري" من الأصول الثمانية التي تدور في فلك التعليمات والأحوال الصوفية، بل كان صلاح سلف هذه الأمة في الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة. ولم يكن مصدر أفكار "با يزيد" الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ومن يدرس مؤلفاته يجد أنه لا تمر صفحة إلا وفيها أحاديث مكذوبة وضعها من تلقاء نفسه، أو تحريفات واضحة لمعاني الآيات الكريمة، وكان سببها فهمه السقيم لكتاب الله -عزوجل-، وهكذا سائر الأدلة التي حاول أن يستدل بها لإثبات مزاعمه، فلا يصح القول أبدًا أن "الدعوة الروشنية" تركت آثارًا حسنة في الإصلاح الديني، والتهذيب الخلقي.

وأما ما زعمه -الدكتور المذكور- أن "الذين استجابوا لدعوته، أصبحوا صالحين،

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٠).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

زاهدين في الدنيا ومتاعها، وانصرفوا إلى العبادة، والذكر الخفي، وتركوا التقاليد الفاسدة، والعقائد الباطلة» -كما تقدم آنفا-.

وهذا الدكتور نفسه هو الذي شَبَّه أتباع "با يزيد" المخلصين في موضع آخر بالمجانين، لما ألقى الضوء على سلوكهم، حيث قال: «بينما كان "با يزيد الأنصاري" في طريقه إلى "كابل" مر بقبيلة "توى" فدخلت هذه القبيلة في بيعة "با يزيد" بقيادة زعيمها "عبد الكريم" وتورطت في الزهد والرياضة، والتزمت حياة التقشف، وتركت عمل الدنيا، وجلست تنتظر يوم القيامة -القريب في نظرهم- فحدث أن مرت بهذه القبيلة قافلة تجارية قادمة من "الهند" متجهة نحو "كابل"، ولما رأى أفراد هذه القبيلة رجال القافلة منهمكين في حب الدنيا، غافلين عن الآخرة، رأوا من الصواب معاقبتهم، فهاجموها، سلبوا أموالها ومتاعها، ثم جمعوها في مكان خاص، وبدأوا يعدون، ويقفزون الخيل فوقها كالمجانين...»[١].

هذا هو أثر الإصلاح الديني "للدعوة الروشنية" حيث التزم هؤلاء الناس حياة التقشف، وتركوا الدنيا، وجلسوا ينتظرون يوم القيامة -في حد زعمهم- ثم يثبون على أناس أبرياء آمنين، فيهاجمونهم، يسلبون أموالهم ويروعونهم، ثم هؤلاء هم الذين أوقدوا نار الحرب في المنطقة، فازداد الحال سوءًا، والناس شقاءً، وهذا ما أسفر عنه الإصلاح الديني المزعوم الذي قام به "با يزيد الأنصاري" -على حد قول الدكتور المسعودي.

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٤٢).

ثانياً : إشاعة المنكرات والفوضى في السلوك الاجتماعي:-

من أهم آثار "الحركة الروشنية" أيضًا إشاعة المنكرات، والفوضى في المجتمع الإسلامي؛ إذ كان "بايزيد" يدعو أتباعه إلى الاعتكاف - على حد زعمه- لمدة أربعين يوماً على أقل تقدير، ليحصل على علم التوحيد، والمعرفة الحقة. وكان هذا الاعتكاف أو الخلوة يتم بالاختلاط بين الجنسين الرجال والنساء. فإن "با يزيد" لما عاد من رحلته إلى "قندهار" واعتكف لمدة خمس سنوات متواصلة مع أتباعه كان معهم زوجه "بي بي شمسو" وعدد من النساء الأخريات اللاتي اعتكفن مع الرجال، وقُمْنَ على خدمتهم في فترة الاعتكاف.[١]

وهكذا كان يفعل أيضًا أفراد القبائل الذين بايعوا "با يزيد" كما كان من قبيلة "توى" التي أصبحت من أتباع "با يزيد" المخلصين، ومتفانين في حبه، وتعليماته، حتى خرج أفراد هذه القبيلة كلهم، واجتمعوا جميعًا في مسجد القرية، رجالا ونساء، وبدأوا في "الذكر الخفي" وانتظار القيامة. وكان منهم امرأة عجوز لم تذق الطعام لمدة أربعين يوماً، فسموها "مريم الثانية". وولد لهم مولود في هذه الأيام سموه "عيسى الثاني"[٢].

ولا يخفى ما يترتب من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع في مثل هذا السلوك، وهذا ما أدى إلى السلب والنهب من المخالفين للدعوة الروشنية. وكان "با يزيد" قد أسس بيتًا للمال يجمع فيه الغنائم التي يحصل عليها أتباعه في الحروب والسلب والنهب من المخالفين، وينفق منها عليهم.[٣]

ومما زاد في إشاعة المنكرات في المجتمع الإسلامي أن "با يزيد" شجع الموسيقي والمزامير باسم "السماع المباح" يقول الدكتور المسعودي: «لم تكن نهضة بايزيد الأنصاري نهضة دينية اجتماعية بحتة، بل إنها كانت إلى جانب ذلك نهضة ثقافية أيضا. وقد اتفق الكُتّابُ على أن الموسيقي الأفغانية قد ترقت وتحسنت بيد "با يزيد الأنصاري" وأولاده وأتباعه فيما بعد، بل إنهم أدخلوا فيها إصلاحات رئيسية، وبنوداً جديدة، لم تكن موجودة

---

(١) انظر: مقال: تحريك روشنيه اور اس كا باني (الحركة الروشنية ومؤسسها)، للشيخ مدرار الله مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد رمضان لسنة (١٤٠٣هـ)، الصادرة من بشاور، باكستان.

(٢) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٥٦).

(٣) انظر: رود كوثر (٥٨، ٥٩).

في الموسيقي الأفغانية من قبل»[١].

وكان "با يزيد" يستدل -كعادته- على جواز الموسيقي والمزامير بأحاديث مكذوبة اختلقها من تلقاء نفسه، منها حديث: «السماع طريقة وصول القلوب إلى قرب المحبوب»[٢]. وحديث: «السماع رمز من سائر رموز الرحمن، لا ينكشف بالبيان، ولا يقدر أحد أن يتكلم باللسان»[٣].[٤]

وهكذا -كعادته أيضًا- يُبيّن المنامات لاستنباط الأحكام منها. حكى لأتباعه أنه رأى في المنام أنه جاء إليه جماعة من "الهندوس"، وفي الصباح اليوم التالي جاء في بيته أربعون رجلاً من الدراوشة معهم أنواع من آلات المزامير، وقالوا "لبا يزيد": حرم العلماء السماع إلى المزامير فما رأيك أنت؟ فقال با يزيد: رأيت في الحديث المزامير على ثلاثة أنواع: حرام، ومباح، وجائز. وجاء في الحديث القدسي: من يسمع إلى صوت شيء لمحبة الدنيا فهو حرام، ومن يسمع لمحبة الجنة فهو حلال، فقال: هؤلاء الدراوشة: لو أذنت لنا نعزف أمامك المزامير؟ فأذن لهم إذا كان العزف في محبة الله.[٥]

هكذا أعطى "با يزيد" مكانة دينية للموسيقي والمزامير عند أتباعه. ومن شدة حبه للموسيقي والمزامير كان يشترك أحيانًا مع الزَّمَّارين والمطربين. وعند قدومه إلى قبيلة أو بلدة، يخرج أتباعه رجالاً ونساءً بالزمور والطبول يستقبلونه، وهم يتغنون بمدائحه وفضائله.[٦]

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٢).

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.

(٣) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.

(٤) انظر: خير البيان (١٠٤).

(٥) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٥٢).

(٦) انظر: مقال: "تحريك روشنيه دعاوي ونظريات" (الحركة الروشنية ادعاءاتها ونظرياتها)، بقلم الشيخ مدرار الله مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد رمضان لسنة (١٤٠٣هـ)، الصادرة من بشاور – باكستان.

ثالثاً : استنزاف قوى الأمة:-

حمل "با يزيد الأنصاري" -مؤسس الفرقة الروشنية- السيف ضد مناوئيه في وقت مبكر من دعوته، حيث خاض أكثر من حرب ضد المغول في حياته، ولما تولى أولاده قيادة الفرقة من بعد وفاته، توسعت هذه الحروب، واحتدم القتال مع القوة المناوئة المحلية من جهة، والحكومة المغولية المركزية من جهة ثانية.

وفي رأي بعض الباحثين تحولت هذه الحركة في نهاية الأمر إلى حركة سياسية قوية تطالب بالدولة المستقلة لنفسها. يقول الدكتور مير ولي خان المسعودي: «لما تولى قيادة "الفرقة الروشنية" "جلال الدين بن با يزيد الأنصاري" بدأت هذه الدعوة تدخل في السياسة، وأرادت "الحركة الروشنية" أن تعيش حرة لا تحكمها أية حكومة، وإذا كان لابد من الحكومة، فهي أولى بالحكومة. ومن هنا بدأ الصراع بين "الحركة الروشنية" والحكومة المغولية، وأخذت "الحركة الروشنية" شكل حركة سياسية تريد حكومة مستقلة لنفسها لا تخضع لأية سلطة أخرى»[١].

تمكنت هذه الفرقة من احتلال بلاد واسعة إبان قوتها وشوكتها حتى استولت على ممر "خيبر" -المنفذ الرئيسي بين بلاد الهند وبلاد الأفغان- فأقلق ذلك حكام المغول مما أدى إلى حروب دامية، استمرت أكثر من نصف قرن ذهبت فيها آلاف مؤلفة من الضحايا، كما تسببت في خسارة الأموال الطائلة للمسلمين. وهذا الاستنزاف لأرواح المسلمين وأموالهم كان سببه هذه الفرقة المنحرفة عن الإسلام.

وليس بصحيح ما ذهب إليه بعض الباحثين أن "با يزيد الأنصاري" حمل السيف ضد الدولة المغولية لمحاربة "الدين الإلهي" أو "المذهب الأكبري"[٢] الذي أسسه "الملك جلال الدين محمد أكبر"[٣].

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٥).

(٢) سيأتي الحديث عنه في الفصل السادس -إن شاء الله -تعالى-.

(٣) ذهب إلى هذا الرأى "الدكتور عبد الرشيد" أستاذ في جامعة كراتشي، وذلك في مقال له بعنوان: "تحريك رووشنيه اور قيام پاكستان" (الحركة الروشنية ونشأة باكستان). قال في مقدمته: أن علماء الهند في القرن العاشر الهجري تصدوا "للدين الإلهي" باللسان والحجة والبرهان. وأما "با يزيد =

والدليل على ذلك أن "با يزيد الأنصاري" لم يتناول في مؤلفاته موضوع "الدين الإلهي" ولم يشر إليه ولو بكلمة، أو إشارة عابرة. والدراسات التي قام بها الباحثون حول دعوة "با يزيد" لم تثبت أنه تناول في حياته موضوع "الدين الإلهي الأكبري"، بل من المحتمل أن يكون "با يزيد الأنصاري" قد ساهم في نشأة "المذهب الأكبري" ولو بطريقة غير مباشرة، إذ أنه بعث بنسخة من كتابه "صراط التوحيد" إلى "الملك أكبر" فأعجب به الملك، وأرسل له الهدايا -كما تقدم -. وأهم موضوع يركزه عليه "با يزيد" في مؤلفاته موضوع "وحدة الوجود" الذي هو أحد أركان "المذهب الأكبري" -كما سيأتي -. فمن المحتمل أن يكون "با يزيد" قد أفاد "المذهب الأكبري"، ولا أن يكون قد حاربه.

= الأنصاري" فحمل السيف والسنان، وأعلن الجهاد ضد هذا المذهب الجديد.

انظر: مجلة الحق الشهرية، عدد ذي قعدة لسنة (١٤٠٢هـ)، الصادرة من بشاور – باكستان.

المبحث الرابع: الفرقة الروشنية في الميزان:

تقدم الحديث في المباحث السابقة عن نشأة "الروشنية" وتاريخها، وعن أهم عقائدها، وأشهر دعاتها، والآثار التي ترتبت عليها. وفي هذا المبحث يجري تقويم عقائد هذه الفرقة في ضوء الكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح -رضي الله عنهم- فأقول وبالله التوفيق.

أولا : فرضية طلب الشيخ الكامل:

أول شيء نادى به "با يزيد الأنصاري" هو فرضية طلب "الشيخ الكامل" لطالب الحق، حيث لا يتمكن أحد من الوصول إلى الحق إلا عن طريق هذا الشيخ، الذي هو وارث النبي -ﷺ-. واستدل على ذلك بآيات قرآنية -على حد زعمه- بعد تحريف معانيها، وأحاديث مكذوبة على الرسول -ﷺ-.

وإذا نظر الباحث إلى الظروف والأحوال التي نشأ فيها "با يزيد الأنصاري" والأوضاع التي كانت سائدة حوله يجد أن "با يزيد" قام بثورة عارمة ضد جميع الطوائف في عهده، حيث اتهم عامة المسلمين بالشرك والنفاق، ووصف العلماء والقضاة والفقهاء في عصره أنهم مرتزقة محسوبون على الدين، يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويتعاملون بالربا والرشاوي، ويأكلون أموال الناس بالباطل[١].

فإذاً هؤلاء الفقهاء والعلماء والمشائخ والقضاة لا يكونون قدوة للناس يهدونهم إلى الحق -وهم على باطل- فلا بد من "شيخ كامل" يهدي الناس إلى التوحيد والمعرفة الحقة والذكر الخفي ... وما إلى ذلك. فمن ذا عسى أن يكون هذا "الشيخ الكامل" في نظره (؟) وهو يقول عن نفسه إنه بحث عن مثل هذا الشيخ مدة من الزمن، وجاب في طلبه الفيافي والقفار، وسأل عنه القاصي والداني فلم يجده[٢]، ويصور نفسه أنه هو "الشيخ الكامل" الوحيد الذي يُرجع إليه لطلب الهداية.[٣] إذاً "الشيخ الكامل" في نظره هو وأتباعه الذين

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٢٧).

(٢) نفس المصدر (١٤).

(٣) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٦).

حققوا المقامات الثمانية.

والحديث عن "الشيخ الكامل" وحقوقه وفضائله جرَّه إلى الحديث عن "الشيخ الناقص" فأرى "با يزيد" يصم "الشيخ الناقص" بكل عار وعيب، ويذكره بكل رذيلة ونقيصة، ويحذر الناس عنه بعبارات شديدة، فمن ذا عسى أن يكون هذا "الشيخ الناقص" في نظر "با يزيد"(؟)، المشائخ الذين عارضوا "با يزيد" في دعوته، وردوا عليه هم المشائخ الناقصون في نظره، ويصفهم بأنهم يخرجون الناس من الهداية إلى الضلالة، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن الذكر إلى الغفلة، ومن النور إلى الظلمة، ومن الصفات المحمودة إلى الصفات المذمومة، ومن الراحة إلى العقوبة[1]. كما أن "الشيخ الناقص" مشرك وشيطان في كل زمان، فهذا كله عداء وانتقام من العلماء والمشائخ الذين عارضوه، وتصدوا لحركته.

ثم إذا تأمل الباحث إلى جذور هذه العقيدة يجد أنها مؤلفة من شقين:

الشق الأول: البيعة عند شيخ معين طلباً للهداية والمعرفة الحقة.

الشق الثاني: وصف هذا الشيخ بالكامل احترازًا عن الناقص.

ويبدو واضحًا هنا تأثر "با يزيد" بالفكر الصوفي، حيث يقضي بأن لا هداية ولا المعرفة الحقة إلا على يد الشيخ، ويرى أن هذا الشيخ مفترض الطاعة، لا تقبل عبادة الطالب بدون طاعته.

وهذا رأي خاطئ؛ لأن طالب العلم يحصل علمه بالتلقي المباشر عن المعلم، أو قراءة الكتب المختصة بذلك على يد معلم أو أكثر فلا يحتاج إلى الانتساب لشيخ معين، بل كل من أفاده من علمه وآثاره فهو شيخه، سواء كان واحدا أو أكثر حيًا أو ميتًا، فلا يحتاج الطالب لبيعة شيخ معين، والانتساب إليه، وموالاته، ومعاداة من سواه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين، فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن، كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي -ﷺ-، وتلقاه عنهم التابعون. وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أن المرأ له من يعلمه القرآن ونحوه، فكذلك

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٣).

له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها. وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة»[١].

ويقول في موضع آخر: «فأما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة، والائتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله -ﷺ-»[٢].

ثم ليس هناك من يُفترض طاعته في الشريعة غير الله -سبحانه وتعالى- ورسوله -ﷺ- فيجب على المسلم أن يرجع إلى كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -ﷺ- في كل شيء، وليس أحد من البشر معصومًا إلا الرسول -ﷺ-، فلا تجب طاعة أي شيخ مهما بلغ من العلم والفضل، كما لا يملك أحد وساطة بين الله وعبده حتى لا تقبل العبادة إلا بطاعته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وبالجملة فالشيوخ والملوك وغيرهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله أطيعوا، وإن أمروا بخلاف ذلك لم يطاعوا، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس أحد معصومًا إلا رسول الله -ﷺ-، وهذا في الشيخ الذي ثبت معرفته بالدين، وعمله به».

«وأما من كان مبتدعًا بدعة ظاهرة، أو فاجرًا فجورًا ظاهرًا فهذا إلى أن تنكر عليه بدعته وفجوره، أحوج منه إلى أن يطاع فيما يأمر به، لكن إن أمر هو أو غيره بما أمر الله به ورسوله، وجبت طاعة الله ورسوله، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، في كل حال، ولو كان الآمر بها كائنًا من كان»[٣].

كما يبدو واضحًا أن نظرية "الشيخ الكامل" عند "با يزيد الأنصاري" هي وجه آخر لنظرية "الإنسان الكامل" عند "محمود البسيخواني" -مؤسس الفرقة النقطوية- وقد تقدم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٢/١١).

(٢) نفس المصدر (٥١٤/١١).

(٣) نفس المصدر (٥١٧/١١).

الحديث عنه، والرد عليه في المبحث الرابع من الفصل الأول.[١]

ثانيا: وحدة الوجود[٢]:-

تقدم في المبحث الأول أن "با يزيد الأنصاري" كان قد حرم من عطف أبيه وهو رضيع، كما حرم من حنان أمه وهو صغير، وكان يعاني من الصراع العائلي منذ نعومة أظفاره في بيت زوج أبيه، يقاسي أنواعًا من المظالم والآلام من أبيه وزوجته، وكان لهذه الظروف العائلية أثر بالغ في نفسية "با يزيد" مما جعله يكره المجتمع الذي ترعرع فيه، ويكره كل من حوله، ويفضل حياة العزلة، والتفكير الشخصي الذي أخذه بعيداً عن جادة الصواب.

ثم حرمانه من طلب العلم الشرعي مع رغبته الشديدة في ذلك، وقد أعطى نصيبًا من الذكاء، والقوة الحافظة، ولكن ظروفه العائلية حالت دون ذلك، وكان أبوه "الشيخ عبدالله" حجر عثرة في سبيل طلب العلم، إذ كان يستغله في أشغال البيت من زراعة، ورعي، وتجارة مما جعله يتردد على مجالس مشائخ الصوفية في بلدته يسمع منهم، ويتأثر بكلامهم، ويشغل فراغه بالرياضة والعزلة من الناس، ولما عاد من رحلة "قندهار" جلس في خلوة، واعتزل الناس لمدة خمس سنوات متوالية، فهذه العزلة الطويلة أورثت فيه الهوس والوهم، إذ أن الخلوات البدعية من أهم خصوصياتها أنها تورث صاحب الخلوة الوهم، بأنه أكمل الناس استعداداً، وأنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، واعتماده في ذلك على القوة الوهمية.[٣] فكانت هذه الخلوة الطويلة، والتفكير الشخصي بدون ضابط شرعي، أدى إلى الانحراف في العقيدة.

وأول شيء أدى إليه تفكيره -كما زعم با يزيد- هو عقيدة "وحدة الوجود" فبدأ يتفلسف في إثبات هذه العقيدة، ويدعو الناس إليها على أنها هو التوحيد الذي جاء به

---

(١) انظر: (ص ٦١- ٧٢).

(٢) تعني هذه العقيدة أن الوجود مشتمل على حقيقة واحدة، وأنه لا اثنينية أو أكثر في الوجود، أي: أن الله هو العالم، والعالم هو الله.

انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٥٦٩/٢)، طبعة (١٩٨٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٨/٢).

الإسلام ، وضده الشرك، واستدل على ذلك بآيات قرآنية -على حد زعمه- وهي لا تدل على مقصوده.

وادعاء "با يزيد الأنصاري" أن تفكيره في الخالق والكون واعتزاله عن الناس لسنوات طويلة هو الذي أدى إلى الظفر بهذا التوحيد، حيث تجلى له الرب، ورفع ستار قلبه، فرآه في كل جهة بدون مثل، ليس بصحيح، وبدعوته إلى هذا التوحيد لم يأت بشيء جديد، بل ورثه عن المشائخ الصوفية الذين كان يصحبهم ويتردد على مجالسهم، وكانت عقيدة "وحدة الوجود" مشهورة في ذلك الوقت بين الأوساط الصوفية.

وقد ذكر "با يزيد الأنصاري" أقوال كثير من الصوفية في كتبه، أمثال: "بايزيد البسطامي"[(١)]، و"الشيخ سري السقطي"[(٢)]، و"ذو النون المصري"[(٣)] وغيرهم.[(٤)]

كما ذكر أسماء كتب لبعض الصوفية، أمثال: "الفتوحات المكية" "لابن عربي"[(٥)] و"الحضرات الخمسة"[(٦)] وهذه الكتب تطفح بالأبحاث عن عقيدة "وحدة الوجود"، بل إن "ابن عربي" هو الذي قرر هذه العقيدة في جرأة وصراحة، وتناولها في أكثر من موضع

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو: أبو الحسن سري بن المغلس السقطي (٠٠٠ - ٢٥٣هـ).
من كبار المتصوفة. ولد في "بغداد". أول من تكلم عن التوحيد، وأحوال الصوفية في "بغداد". توفى فيها.
انظر: الأعلام (٣/٨٢).

(٣) هو: أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري (٠٠٠ - ٢٤٥هـ).
أحد الزهاد المشهورين. أول من تكلم بمصر في "ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية" فأنكر عليه "ابن عبدالحكم" واتهمه "المتوكل العباسي" بالزندقة. توفى في "جيزة".
انظر: الأعلام (٢/١٠٢).

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦).

(٥) نفس المصدر (٣١٨).

(٦) "الحضرات الخمسة" عبارة عن خمس رسائل منظومة باللغة الفارسية، للسيد شاه ياسين القادري الجيلي، تدور هذه الرسائل حول عقيدة "وحدة الوجود"، وهي موجودة في المكتبة الآصفية بحيدر آباد، الدكن - الهند.
انظر: مقصود المؤمنين (ص ١٤٠، هامش رقم ١٢).

من كتابه "الفتوحات"، وما دام "با يزيد" قد طالع هذه الكتب، فمن المؤكد استفاد عقيدته منها. ولا غرو في ذلك إذ أن كثيرًا من أبطال الحركات الضالة يستفيد بعضهم من بعض خاصة المتأخر منهم من المتقدم.

وهكذا شأن "با يزيد الأنصاري" أخذ عقيدة "وحدة الوجود" من المشائخ الصوفية في زمانه ومن مطالعة كتب الصوفية، خاصة كتب "ابن عربي" ثم أضافها إلى نفسه، وحاول أن يصوغها صياغة جديدة، فلم يزدها إلا غموضًا وتعقيدًا، كما زاد هو ضلالاً وبعدًا.

وأما الرد التفصيلي على عقيدة "وحدة الوجود" فسيأتي في المبحث الرابع من الفصل السادس بإذن الله -تعالى-[١].

ثالثًا: الإلهام[٢]:-

من أهم عقائد "با يزيد الأنصاري" "الإلهام"، وكان ادعى أن كتابه "خير البيان" مما ألقاه الله -تعالى- في قلبه عن طريق "الإلهام" بأربع لغات.

وقد حاول "با يزيد" بهذا الادعاء أن يقلد "الرسالة الغوثية"[٣] التي تنسب إلى

---

(١) وذلك في "المذهب الأكبري" أو "الدين الإلهي"؛ لأن عقيدة "وحدة الوجود" تكاملت في هذا المذهب، فالحديث عنها هناك أنسب من هنا.

(٢) الإلهام في اللغة: الإلقاء. يقال: ألهم الله فلانًا الرشد إلهامًا، إذا ألقاه في روعه، فتلقاه بفهمه.

انظر: تهذيب اللغة (٣١٨/٦، ٣١٩، مادة: لهم).

وفي الاصطلاح: «هو أن يلقى الله في نفس الإنسان أمرًا يبعثه على فعل الشيء، أو تركه، وذلك بلا اكتساب، أو فكر، ولا استفاضة. وهو وارد غيبي. ويشترط فيه أن يكون باعثًا على فعل الخير أو ترك الشر...».

وقيل: «الإلهام ما وقع في القلب من العلم، وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال، ولا نظر».

انظر: المعجم الفلسفي (١٣٠/١).

(٣) ذكر الدكتور مير ولي خان المسعودي: أن هذه الرسالة موجودة في مخطوطات مكتبة الكلية الإسلامية بجامعة بشاور الباكستانية، تحت رقم (١٠٣٦)، وهي رسالة صغيرة باللغة العربية قوامها (٢٧) صفحة، في أولها أشعار تنسب للشيخ عبد القادر الجيلاني، وبعدها مكالمة بين الله -تعالى- وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني.

انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص ١٠٥، هامش رقم ١).

"الشيخ عبد القادر الجيلاني" والتي يقال عنها: أنها كانت إلهامًا من الله -تعالى- إلى "الشيخ عبد القادر".

وقد صرح بذلك "با يزيد الأنصاري" حيث قال: إن كتابه "خير البيان" كان إلهامًا إليه، كما كانت "الرسالة الغوثية" إلهامًا إلى "الشيخ عبد القادر الجيلاني" من الله -تعالى-.[١]

وقد نقل "الدكتور مير ولي خان المسعودي" نصوصًا من "الرسالة الغوثية" وقارنها بنصوص من كتب "با يزيد" ليؤكد على أنه اطلع على هذه الرسالة، وتأثر بما جاء فيها من مضامين، فقال -أي الدكتور المسعودي-: «وأحب أن أقدم جملاً من هذه الرسالة ليرى القارئ بنفسه أثرها على "با يزيد الأنصاري"، وتلك الجمل كالآتي:

١- «قال -عزوجل-: ياغوث الأعظم[٢]! قلت: لبيك. قال: كل طور بين الناسوت والملكوت فهي الشريعة، وكل طور بين الملكوت والجبروت فهي الطريقة، وكل طور بين الجبروت واللاهوت فهي الحقيقة»[٣].

يقول الدكتور المسعودي معلقًا على هذه العبارة: «إننا وجدنا أن "با يزيد الأنصاري" قد بين هذه الدرجات في جميع مؤلفاته، وتوسع فيها، فجعلها ثمانية، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. وشرح لطالب الحق ضرورتها وفائدتها، فعرفنا أن كل واحد من "الشيخ عبد القادر الجيلاني" و"با يزيد الأنصاري" قد تحدث عن هذه الدرجات»[٤].

٢- قال الشيخ الجيلاني في موضع آخر:

«قال لي يا غوث الأعظم! ما ظهرت في شيء كظهوري في الإنسان»[٥].

وقال "با يزيد الأنصاري":

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

(٢) "غوث الأعظم" اللقب المعروف للشيخ عبد القادر الجيلاني عند الصوفية.

(٣) انظر: الرسالة الغوثية (ص ٨) نقلا عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

(٤) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).

(٥) انظر: الرسالة الغوثية (ص ٩) نقلا عن مقدمة مقصود المؤمنين (ص ١٠٦).

«قال النبي: الخليفة مظهر دعوة الحق، ومظهر تجليه بصفة الداعي والهادي، يدعو الناس إلى دار السلام، وهو الداعي والهادي فيه بلسانه»[١].

فعلق عليه الدكتور المسعودي وقال: «فكل واحدٍ من "الشيخ عبد القادر الجيلاني" و"با يزيد الأنصاري" يثبت أن الله -تعالى- ظهر في "الإنسان الكامل" بصورة واضحة جلية»[٢].

٣- وقال عبد القادر الجيلاني أيضًا:

«يا غوث الأعظم! ما أكل الإنسان شيئًا، وما شرب، وما قعد، وما قام، وما نطق، وما صمت، وما سكت، وما توجه بشيء، وما غاب عن شيء إلا أنا ساكن، ومتحرك فيه»[٣].

وقال "با يزيد الأنصاري:

«وليس للمحب في طور المحبة أثر ولا خبر؛ لأن المحب في حكم المحبوب محو، ليس له اختيار سوى اختيار المحبوب، فهو لا يتكلم إلا باختياره، ولا يمشي إلا بإرادته، ولا يتحرك، ولا يسكن باختيار نفسه»[٤].

وعلق عليه الدكتور المسعودي قائلا: «فظهر من كلامهما أن كل واحد منهما يرى أن الإنسان آلة لا اختيار له، وإنما المحرك الحقيقي له هو الله وحده»[٥].

يظهر من هذه المقارنة أن "با يزيد الأنصاري" اطلع على هذه الرسالة، وحاول أن يحاكيها في كتابه "خير البيان"، ومما يؤكد هذا الأمر أن "با يزيد الأنصاري" ينقل في مؤلفاته عن "الرسالة الغوثية" المذكورة بدون ذكر اسمها كما يقول في أحد المواضع من كتابه: "مقصود المؤمنين":

«حديث قدسي: يقول الله -تعالى- فيه: يا غوث الأعظم! طوبى لك إن كنت غفورًا

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (١٤١).

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).

(٣) انظر: الرسالة الغوثية (ص ١٣) نقلا عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٣٣٤).

(٥) انظر هذه المقارنة في: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥ - ١٠٨).

على بريتي، ثم طوبى لك إن كنت رؤفًا على بريتي»[١].

ويقول في موضع من كتابه "خير البيان":

«يا غوث الأعظم! قل لأصحابك اغتنموا دعوة الفقراء، فإنهم عندي وأنا عندهم»[٢].

وهذا الأسلوب الخطابي هو الموجود في "الرسالة الغوثية" المنسوبة "للشيخ عبدالقادر الجيلاني"، والتي يقال عنها إن فيها مكالمات ومحادثات وسؤالاً وجوابًا بين الله -تعالى- وبين "الشيخ عبد القادر الجيلاني" عن طريق الإلهام.

فبات من المؤكد أن "با يزيد الأنصاري" قد حاول محاكاة هذه الرسالة في كتابه "خير البيان" وادعى أنه ألقي إليه عن طريق الإلهام.

والمعروف أن "الكشف والإلهام" من مصادر التلقي عند المتصوفة، وأما عند أهل السنة والجماعة فمصدر التلقي عندهم الوحي فقط، أي: الكتاب والسنة الصحيحة[٣]. وليس في الناس معصوم يسوغ له ولغيره اتباع ما يقع في قلبه إلا أن يكون موافقًا للشرع، وإن كان لهم مخاطبات ومكاشفات. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارةً ويخطئون أخرى كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد، ولهذا وجب عليهم جميعهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وأن يزنوا مواجيدهم، ومشاهدتهم، وآراءهم، ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ولا يكتفوا بمجرد ذلك؛ فإن سيد المحدثين، والمخاطبين الملهمين من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقد كانت تقع له وقائع فيردها عليه رسول الله -ﷺ-»[٤].

وأضاف الشيخ قائلا:

«ولهذا وجب على جميع الخلق اتباع الرسول -ﷺ- وطاعته في جميع أمور

---

(١) انظر: (ص ٣٤٨).

(٢) انظر: (ص ٣٢٤).

(٣) انظر: موقف الإسلام من الإلهام ... والكشف ... والرؤي ... للدكتور يوسف القرضاوي (٤٣-٤٦)، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٦٥).

الباطنة والظاهرة، ولو كان يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، لكان مستغنيًا عن الرسول -ﷺ- في بعض دينه. وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى -عليهم السلام-، ومن قال هذا، فهو كافر»[1].

وقد ذكر ابن تيمية في معرض الحديث عن أولياء الشيطان وقال: «وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم، وتتمثل لهم، وهي جنٌّ وشياطين، فيظنونها ملائكة؛ كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام. وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام "المختار ابن أبي عبيد"[2] الذي أخبر به النبي -ﷺ- في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي -ﷺ- أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[3].[4] وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد. والمبير: الحجاج بن يوسف.[5] فقيل لابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهما-: أن المختار يزعم أنه يُنَزَّل إليه، فقالا: صدق. قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[6].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٦٥، ٦٦).

(٢) هو: أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (٠٠٠ - ٦٧هـ).
من زعماء الثائرين على بني أمية، كان من أهل "الطائف" انتقل منها إلى "المدينة". سجنه "عبيد الله بن زياد" في "البصرة"، ثم نفاه إلى "الطائف"، ثم دخل "الكوفة" ودعا إلى إمامة "محمد بن الحنفية"، واستولى على "الكوفة" و"الموصل"، واستفحل أمره. قتله "مصعب بن الزبير" في الكوفة.
انظر: الأعلام (٧/١٩٢).

(٣) أي: مهلك يسرف في إهلاك الناس، يقال: بارَ الرّجل يبُورُ بوراً فهو بائر، وأبار غيره فهو مبير.
انظر: النهاية (١/١٦١).

(٤) حديث أسماء -رضي الله عنها- رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها بلفظ: «إن في ثقيف كذابًا ومبيراً». (٤/١٩٧١، ١٩٧٢، برقم: ٢٥٤٥).

(٥) هو: أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠هـ - ٩٥هـ).
قائد داهية، سفاك خطيب، ولد ونشأ في "الطائف"، وانتقل إلى "الشام". كان واليًا على "مكة" و"المدينة" و"الطائف" و"العراق" من قبل "عبد الملك بن مروان". بنى مدينة "واسط"، مات فيها.
انظر: الأعلام (٢/١٦٨).

(٦) الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢، سورة الشعراء.

وأضاف الشيخ قائلا: «وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب "الفتوحات" أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين، وشيء معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية»(١).

ولعل هذا هو الذي حدث لـ/"با يزيد الأنصاري" حيث إنه قد بدأ الرياضة النفسية بالجوع، وكثرة السهر، وطول الخلوة التي امتدت إلى سنوات طويلة، فتسلط عليه شيطان من الجن يوحي إليه، فيظنه "إلهامًا" ألقاه الله -سبحانه وتعالى- في قلبه، ودونه في كتاب سماه "خير البيان"، وقد سماه معارضوه في عصره "شر البيان"، وهو بهذا الاسم أحرى، وأليق، لاحتوائه على خرافات وضلالات وكذب على الرسول -ﷺ- ما لا يخفى على من اطلع على هذا الكتاب.

بالإضافة إلى ادعاء "با يزيد" "الإلهام" كان يدعي في ذات الوقت حيازة "العلم اللدني"، ولكن الدليل الذي ساقه في هذا الصدد لا يدل على ما ادعاه، وهو قوله -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٢). وهذه الآية سيقت في معرض قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام- والخضر كان نبيًا في أرجح أقوال العلماء، يأتيه الوحي من الله -تعالى- فلا إشكال.

قال القرطبي في تفسير قوله -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ العبد: هو الخضر -عليه السلام- في قول الجمهور، وبمقتضى الأحاديث الثابتة. وخالف من لا يعتد بقوله، فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالم آخر».

وأضاف قائلا: «الخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي. والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم، ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي».

«وقيل: كان ملكًا أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول: الصحيح. والله أعلم».

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) الآية: ٦٥، سورة الكهف.

وقال -أي القرطبي- في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الرحمة في هذه الآية النبوة. وقيل: النعمة. ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي: علم الغيب»[1].

وما زعمه "با يزيد الأنصاري" أن "العلم اللدني" ليست علوم الشريعة، ولا يحصل عليها الإنسان بقراءة الكتب، ولا عن طريق المعلمين، بل كل من وصل في سلوكه إلى حقيقة التقوى فلا بد أن يعلمه الله -تعالى- ما لم يعلم بدليل قوله -تعالى-: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[2].

هذا ليس بصحيح، وهو زعم خاطئ، والآية المذكورة لا تدل على زعمه، وتفسيرها كما ذكر الإمام القرطبي:

«وعد من الله -تعالى- بأن من اتقاه علّمه، أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانًا، أي: فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله -تعالى-: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[3].[4]

فلا تدل الآية الكريمة على أن "العلم اللدني" علم سري خاص، يحصل عليه الشخص إذا وصل إلى حقيقة التقوى، بل تدل على أن الله -تعالى- يهب من اتقاه ملكة فهم علوم الشريعة ما يفرق به بين الحق والباطل.

وكذلك لجوّ "با يزيد الأنصارى" إلى بيان كثرة الأحلام والرؤى، وبناء الأحكام عليها، على درجة كبيرة من الخطورة في الدين. وقد جاء الوعيد الشديد لمن تعمد الكذب في حلمه، روى ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: «من تحلم بحلم لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صُبَّ في أذنيه الآنُكَ[5] يوم القيامة، ومن صوَّر صورة عُذِّب، وكُلِّفَ أن ينفخ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/١٦).

(٢) من الآية: ٢٨٢، سورة البقرة.

(٣) من الآية: ٢٩ سورة الأنفال.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/٤٠٦).

(٥) الآنك: هو الرصاص الأبيض. وقيل: الأسود، وقيل: الخالص منه.

انظر: النهاية (١/٧٧).

فيها، وليس بنافخ»[١].

ثم إن الرؤى والأحلام لا ينبنى عليها، أي حكم شرعي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«إن هناك طائفة ممن تدعي السنة والحديث يحتجون بأحاديث موضوعة، وحكايات مصنوعة، يعلم أنها كذب، وقد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي. وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفًا، وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٢].[٣]

ويقول الشاطبي:

«إن أضعف هؤلاء احتجاجًا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي -ﷺ- في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال، إلا أن تُعْرضَ على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوَّغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها، والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة، أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا ...»[٤].

رابعاً: الذكر الخفي:

من أهم مبادئ "الفرقة الروشنية" أيضًا "الذكر الخفي" وهو كما يزعم با يزيد: ذكر القلب مع النَّفس أي أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله -تعالى- كما تقدم.

ويستدل "با يزيد" لإثبات هذا الذكر بآيات كثيرة ورد فيها لفظ "الذكر"، كما يستدل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه. (١٢/٤٢٦ برقم: ٧٠٤٢).

(٢) من الآية: ٢٨، سورة النجم.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٣٩).

(٤) انظر: الاعتصام (١/٣٥١)، الطبعة الأولى (١٣٣١هـ)، مطبعة المنار بمصر.

بأحاديث مكذوبة على الرسول -ﷺ- وضعها بنفسه -كما هو عادته- وقد ذكر "الدكتور ظهور الدين أحمد" أن "الذكر الخفي" كان معروفًا لدى الصوفية قبل "با يزيد"، خاصة عند مشائخ "الطريقة الچشتية"[١] فلم يأت "با يزيد" بشيء جديد، بل ورثه من مشائخ التصوف في زمنه، وجعله مبدأً من مبادئ حركته بعد أن خلطه بفلسفته الخاصة.

ثم إن هذا الذكر الذي يسميه "با يزيد" "الذكر الخفي"، وهو ذكر مبتدع في الدين، لم يؤثر مثل هذا الذكر، ولا أقسامه التي يذكرها "با يزيد" عن الرسول -ﷺ- ولا عن صحابته، ولا عن التابعين، فهو بدعة مستحدثة لا أصل لها. وهو من قبيل "الذكر الدائم" الذي فرضه "السيد محمد الجونبوري المتمهدي" على أتباعه.[٢]

خامسًا: الأصول أو المقامات الثمانية:

هذه الأصول أو المقامات أودعها "با يزيد الأنصاري" كتابه "مقصود المؤمنين" وشرح هذه المقامات في هذا الكتاب شرحًا مفصلاً، وكان في مؤلفاته السابقة يشير إليها إشارة إجمالية، أو كان يتناولها باختصار شديد. وهي خلاصة دعوته، وعصارة أفكاره، وهي ما تمتاز به هذه الفرقة عن الفرق الأخرى التي نشأت في القرن العاشر الهجري في البلاد الهندية.[٣]

وإذا نظر الباحث إلى جذور هذه المقامات وأصالة "با يزيد" في ابتكارها يجد أن مصدره في ذلك "الفكر الصوفي" حيث ورثها عن المشائخ الصوفية، وصبغها بصبغته الخاصة، وأسهب الكلام في شرحها، وبيان فضائلها وفوائدها.

يقول الدكتور ظهور الدين أحمد: «أربعة من هذه المقامات الثمانية أساسية، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة. وهذه هي المقامات التي كانت معروفة لدى الصوفية من قبل "با يزيد". وأما الأربعة المتبقية فهي: القربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة؛ وإن كانت مسمياتها جديدة، ولكنها من حيث المعنى لا تختلف كثيرًا عن

---

(١) انظر: پاكستان ميں فارسي ادب (٥٧٩).

(٢) تقدم الحديث عنه في الفرقة المهدوية (ص

(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

مصطلح "الفناء"[١] و"البقاء" لدى الصوفية»[٢].

وأضاف الدكتور ظهور الدين أحمد قائلا: «إن "با يزيد" صرح بأنه وصل إلى نهاية هذه المقامات حيث قال: «إذا ألقيت النظر إلى أية جهة رأيت الله -تعالى- بدون مثل، ولم أر شيئًا منفصلاً عن ذاته، ولم أسمع صوتًا بغير تسبيحه»[٣].

وقال "الدكتور مير ولي خان المسعودي" في المقارنة بين آراء "الشيخ عبد القادر الجيلاني" وآراء "با يزيد الأنصاري" بعد أن نقل نصًا من كتاب "الرسالة الغوثية" المنسوبة إلى "الشيخ عبد القادر" قال: «إننا وجدنا أن "با يزيد الأنصاري" قد بين هذه الدرجات في جميع مؤلفاته، وتوسع فيها، فجعلها ثمانية، وهي: الشريعة، والطريقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. وشرح لطالب الحق ضرورتها وفائدتها، فعرفنا أن كل واحدٍ من "الشيخ عبد القادر الجيلاني" و"با يزيد الأنصاري" قد تحدث عن هذه الدرجات»[٤].

فاتضح من كلام الباحثين أن "با يزيد" ليس أصيلاً في ابتكار هذه المقامات الثمانية، بل مصدره في ذلك "الفكر الصوفي" الذي استقى منه أفكاره.

سواء أ كان "با يزيد" قد ابتكرها من عند نفسه، أم ورثها عن المتصوفة الذين سبقوه، فإنه قد جعلها طريقًا للوصول إلى الله، وهذا تشريع في الدين، وإحداث فيه ما ليس منه، قال -تعالى-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٥].

---

(١) الفناء: «فناء الشيء زوال وجوده. والفرق بينه وبين الفساد أن فناء الشيء عدمه، على حين أن فساده تحوله إلى شيء آخر».

«والفناء عند الصوفية عدم شعور الشخص بنفسه، أو بشيء من لوازم نفسه. وقيل: الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية. وقيل: الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء ثبوت النعوت المحمودة. وعلامته عندهم: ذهاب حظ المرأ من الدنيا والآخرة إلا من الله -تعالى-.

والبقاء الذي يعقبه هو: أن يفني عمًّا له، ويبقى بما لله -تعالى-.

انظر: المعجم الفلسفي (٢/١٦٧).

(٢) پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٧).

(٣) نفس المصدر.

(٤) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).

(٥) من الآية: ٢١، سورة الشورى.

وجاء في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[١].

قال الحافظ ابن رجب في شرحه لهذا الحديث: «فهذا الحديث يدل بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره، فهو غير مردود. والمراد بأمره ههنا: دينه وشرعه»[٢].

فتشريع "با يزيد" لهذه المقامات الثمانية واتخاذها طريقًا للوصول إلى الله -تعالى- مردود عليه، وهو طريق من غير متابعة النبي -ﷺ- فلا يُوصِل إلى المطلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ومن الإيمان به -أي بالرسول -ﷺ- بأنه الواسطة بين الله -تعالى- وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، فالحلال ما أحله الله ورسوله. والحرام ما حرمه الله ورسوله. والدين ما شرعه الله ورسوله -ﷺ- فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد -ﷺ- فهو كافر من أولياء الشيطان»[٣].

ويقول في موضع آخر:

«ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد -ﷺ- من له طريق إلى الله، لا يحتاج فيه إلى محمد -ﷺ- فهذا كافر ملحد. وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون الباطن، أو في علم الشريعة دون الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب. فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون الباطن، آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب، ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣٠١/٥، برقم: ٢٦٩٧).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١٧٧/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٠/١١).

وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة»[١].

ومما زاد الطين بلةً والأمر سوءًا أن "با يزيد" قد حاول شرح هذه المقامات على ضوء الكتاب والسنة، فاستدل بكثير من الآيات القرآنية بعد بترها، وتحريف معانيها، وحملها على ما لا تحتمل. كما استدل بكثير من الأحاديث المكذوبة على الرسول -ﷺ-. وإذا كان أبطال الحركات الباطلة يلجأون دائمًا إلى الأحاديث الواهية والموضوعة لتحقيق أهدافهم، وترويج بضائعهم، فإن "با يزيد الأنصاري" -مؤسس الفرقة الروشنية"- له شأن آخر في هذا الميدان، إذ أنه كان يضع كلامًا باللسان العربي، وينسبه إلى الرسول -ﷺ-[٢] وهكذا الأقوال المنقولة عن المشائخ الصوفية، وكذلك كلمات الأمثال والحكم المتداولة بين الناس ينسبها "با يزيد" إلى الرسول -ﷺ- ويستدل بها في إثبات معتقداته.

ثم إن المتأمل في هذه المقامات يجد أنها تدور في فلك التفسير الباطني للشريعة، وعقيدة وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد. وهذه الأمور كلها إلحاد وزندقة، ومروق من الدين ما لا يخفى على مسلم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢٥/١١).

(٢) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٩).